

عدد عن الرياضة والتثاقف والتنمية الإنسانية المستدامة

SPORT SPORT

العدد العاشر

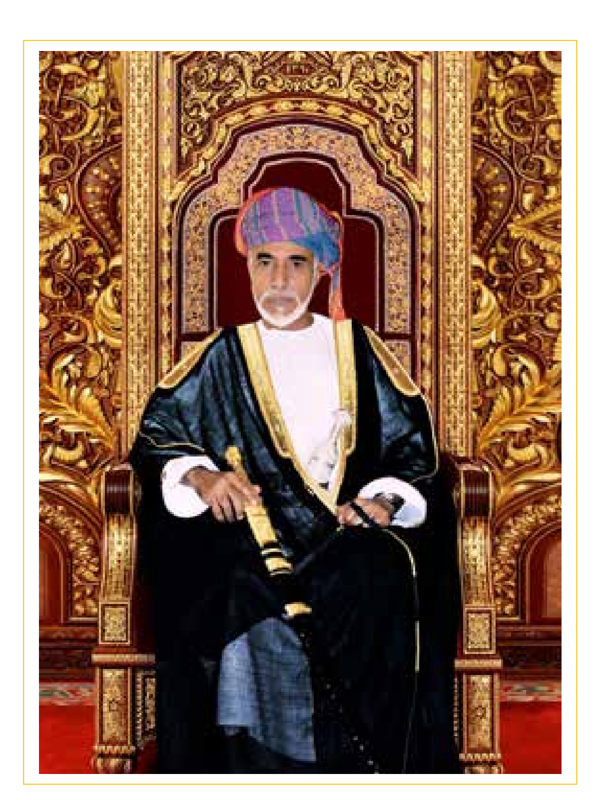
ربيع الأول ١٤٤٦هـ/ أكتوبر ٢٠٢٤م



ثقافة

وزارة الثقافة والرياضة والشباب
تصدر عن المنتدى الأدبي
العدد العاشر ربيع الأول ١٤٤٦هـ /أكتوبر ٢٠٢٤م

@ mcsy.om
thaqafaofoman@mcsy.gov.om



صاحب الجلالة

السلطان قابوس بن سعيد المعظم

طيب الله ثراه



حضرة صاحب الجلالة

السلطان هيثم بن طارق بن تيمور المعظم

حفظـــه الله ورعاه

مشتملات العدد

ثقافة





01

مفتتح

الرياضة والتثاقف والتنمية الإنسانية المستدامة

"خلق جيل من الشباب قادر على التفكير والتحليل والإبداع"

صاحب السمو السيد ذي يزن بن هيثم آل سعيد

دأبت المجلة خلال الأعداد الماضية على تاكيد أهمية الثقافة ودورها في التنمية الإنسانية المستدامة والإيمان بأهمية فهم التعددية الثقافية فهما إيجابيًا واستثماره في خدمة البشرية؛ من خلال الإسهام في "خلق جيل من الشباب قادر على التفكير والتحليل والإبداع". وكما هو معروف فأنّ من أكثر تعريفات الثقافة انتشارًا هو أنها ما أنتجه مجتمع ما في حقبة زمنية من أفكار ووسائل لمواجهة الحياة ومشكلاتها. ومنها ما هو محلي، ومنها ما انتشر واكتسب صفة العالمية والتداول في مختلف أنحاء العالم؛ ومن أبرز تلك المنتجات الرياضة. واختيارنا للرياضة لموضوع مؤتلف هذا العدد-مع بقية المواد في بقية أقسام المجلة: وتسآل، وفسيفساء، قراطيس- هو استمرار في ترجمة رؤية المجلة في دراسة مختلف مفردات الثقافات الإنسانية ليتوفر لصانع القرار الآراء والرؤى والمعارف الضرورية التي تخدمه فيما يتعلق بوضع السياسات والاستراتيجيات؛ فتساعد تلك الدراسات صناع القرار في وضع المشاريع والبرامج والأنشطة الفعالة لتعزيز التنمية الإنسانية من خلال الرياضة، وكذلك تنمية مجال الرياضة في السلطنة ابتداء، بناءً على أدلة وبحوث موثوقة وتجارب وخبرات؛ كذلك التأكيد على أهمية مختلف المفردات الثقافية دورها في التثاقف بمعناه الإيجابي العادل. والإفادة من التجارب العربية والدولية فيما يتعلق بالرياضة ودورها في التنمية المستدامة، كذلك في التثاقف خلق عالم أكثر أمنًا وسعادة لأكبر قدر من بني الإنسان وهو ما يصب في صلب فلسفة المجلة ورؤيتها.

تتعدد الآراء حول أول رياضة عرفها البشر ومارسوها، فالبعض يرى أنها قفز الحبل، أو ألعاب القوى أقدم الرياضات رياضة البولو



سعيد بن مبارك الطارشي

مدير دائرة البحوث والترجمة والنشر

رئيس تحرير مجلة ثقافة

المعروفة بلعبة السلاطين والأمراء، أو المصارعة اليونانية الرومانية أقدم رياضة في العالم، أو رياضة الرماية، وربما تكون الرماية هي الأقدم كممارسة كونها كانت وسيلة الإنسان للحصول على غذائه والدفاع عن نفسه.لكن ما يمثل حقيقة مجمع عليها هو وجود الرياضة منذ القدم كذلك وجودها في كل المجتمعات والجماعات البشرية؛ كذلك تجاوزت فوائدها الجوانب الصحية لتشمل كافة نواحي حياة الإنسان؛ كذلك فإنه مع قدم الكثير من الرياضات إلا أن عولمتها وضبط قوانينها وإقامة بطولات إقليمية ودولية فيها عرف في العصر الحديث؛ مع الإشارة إلى قدم فكرة الأولمبياد، لكنها لم تأخذ صفتها المعولمة إلا حديثًا؛ فكان لها آثار ونتائج تجاوزت أغراض الإنسان الذي ابتكر هذه الرياضات للترفيه والتسلية وحفظ الصحة البدنية لشمل كافة نواحي الحياة الإنسانية.

ولتحقيق ذلك فيتضمن مؤتلف هذا العدد مجموعة من الدراسات الخاصة بالرياضة حاولنا من خلالها تناول ومناقشة وتحليل ما أمكن من جوانب مرتبطة



بالرياضة، تاريخية وتقنية وتنموية واقتصادية وتربوية وقانونية. لتأكيد أن الرياضة ليست مجرد بذل مجهود بدني لشغل الوقت والتسلية أو حتى للمحافظة على الصحة بل هي منصة تنموية واسعة يمكنها توفير خيارات متعددة لبناء الإنسان والارتقاء بجودة حياته من كافة الجوانب وفي كافة المستويات. كذلك فإن التأكيد على أهمية الرياضة يأتي للتنبيه على ظاهرة في عالم التربية سواء في الأسرة أو المدرسة بالتقليل من أهمية الرياضة وعدها مجالاً هامشيًا وهذا يواجه اتجاهًا خاطئًا عند كثير من المربين في تعظيمهم للمستوى التحصيلي لأبناهم ويعدون الرياضة مجرد تسلية وتزجية للوقت، فهذه المؤتلف بدراساته المتعددة يؤكد أهمية الرياضة في النجاح والإبداع والتفوق ونمو الأفراد والمجتمعات وازدهارها يمكن أن يكون في الرياضة.

من هنا جاءت الرؤية الإسلامية في الرياضة مؤكدة للرؤية الإنسانية حولها؛ فجاء مجموعة من النصوص والآثار الشرعية لتأكد على أهمية الرياضة من خلال التأكيد على العناية بصحة جسم الإنسان ليقوم برسالة الاستخلاف في الأرض والارتقاء بذاته والنهوض بمجتمعه؛ وذلك من خلال إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لمجموعة من الرياضات السائدة آنذاك، والتشجيع عليها. نشير فيما يلي إلى بعضها:

١. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إن لجسمك عليك حقًا"

٢. وقالت عائشة رضي الله عنها: "سابقني النبي ﷺ فسبقته ما شاء الله، حتى إذا رهقني اللحم فسبقني، فقال: هذه بتلك."

٣. وجاء في حديث نبوي: "كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو وسهو، إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغَرَضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة."

٤. روى أبو جعفر بن محمد بن علي بن رُكانة عن أبيه أن رُكانة صارع النبي ﷺ فصرَعه النبي ﷺ.

٥. يقول النبي عليه السلام:"إذا قاتل أحدكم أخاهُ فليتجنب الوجه"

يمارس العمانيون-كغيرهم من البشر- وفي مختلف أنحاء السلطنة ومنذ مئات السنين العديد من الألعاب الشعبية، وهي من أهم المواريث الثقافية والإنسانية للسلطنة مع تأكيد ضرورة دراستها وحفظها وتوثيقها والاستثمار فيها وتعليمها للأجيال من خلال إقامة مسابقات فيها خاصة في الفترة الصيفية، وأيضًا إدخالها في المناهج التربوية لمادة الرياضة والنشاط البدني لتكريس الجوانب القيمة والإنسانية والتربوية به كذلك الاقتصادية في الرياضة. ومن أبرزها: الحواليس، والمدى، عنبر، والتوفة، والرجل المنكسرة... إلخ. ولكل لعبة سننها وقواعدها وهي في العادة غير مكتوبة لكن تنتقل من جيل للتالي كأعراف وتقاليد، ولها مناسبات تمارس فيه كالأعياد أو حتى سقوط الأمطار.

أما في العصر الحديث فقد دخلت إلى الثقافة العمانية مجموعة من الرياضات العالمية والألعاب ككرة القدم والسلة والتنس بنوعيه والهوكي كرة اليد، وألعاب القوى، والمبارزة، ورفع الأثقال، والتايكواندو، والدراجات الهوائية، والبولينج وأصبحت جزءًا من الممارسات الاجتماعية في المجتمع العماني؛ مع تأكيد تفاوت الإقبال عليها. مع ذلك اهتمت مختلف المؤسسات الحكومية المختلفة خلال العقود الماضية بهذه الرياضات للنهوض بالقطاع الرياضي من خلال الاهتمام الكبير بالشريحة المستفيدة الأكثر وهي الشباب؛ فمرّ "قطاع الرياضة والشباب في سلطنة عُمان بمراحل عديدة حيث كانت البداية بإنشاء دائرة تعنى بشؤون الشباب تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل آنذاك، ثم أصبحت وزارة الشباب، ثم ألحقت بوزارة الإعلام، ثم انتقلت إلى وزارة التربية والتعليم. وفي عام ١٩٩١م أنشئت الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية لتنفيذ الخطط والبرامج، وتأكيدًا لإيمان الحكومة العمانية بدور الشباب باعتبارهم عماد هذه الأمة ومستقبلها وتفعيل أنشطته الرياضية وإبرازها





بشكل يتلاءم مع النهضة الحديثة التي تعيشها البلاد في كافة المجالات، أنشئت وزارة للشؤون الرياضية في عام ٢٠٠٤م لتحمل على عاتقها مسؤولية إنماء الروح الفكرية للشباب وإعطائها دفعة جديدة نحو أفكار جديدة، تعمل بكل طاقاتها وإمكاناتها لتحقيق آمال الناشئة العمانية وتعزيز الأنشطة الرياضية والشبابية وإرساء قواعد النهضة الرياضية المنتظرة. واستكمالاً لتطوير الجانب الرياضي والشبابي فقد أصدر حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم المرسوم السلطاني رقم ٨٧ / ٢٠٢٠ بإنشاء وزارة الثقافة والرياضة والشباب وتحديد اختصاصاتها واعتماد هيكلها التنظيم بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠٢٠م وقد شهدت هذه المرحلة اندماج وزارة الشؤون الرياضية ووزارة شؤون الفنون واللجنة الوطنية للشباب وكل ما يتعلق من الشؤون الثقافية بوزارة التراث والثقافة.

ومن بين جوانب الاهتمام توقيع وزارة الثقافة والرياضة والشباب مجموعة من الاتفاقيات لتنفيذ مراكز إعداد الرياضيين مع عدد من الاتحادات الرياضية وذلك ضمن دعم الوزارة للاتحادات واللجان الرياضية لتنفيذ مراكز إعداد الرياضيين بالأندية والمجمعات الرياضية والمدارس، ويأتي مشروع مراكز إعداد الرياضيين برؤية جديدة تتمثل في إعطاء دور للأندية والاتحادات الرياضية للإشراف على المراكز التدريبية لفئتي البراعم والناشئين، بالإضافة إلى التوسع في عدد الرياضات الممارسة التي تم اختيارها بناء على مؤشرات أولية حول إمكانية سلطنة عمان في المنافسة دوليا وإقليميا في هذه الرياضيات والاجتماعات التنسيقية مع الاتحادات واللجان الرياضية، كما يهدف المشروع إلى توسيع قاعدة ممارسي الرياضة التنافسية في سلطنة عمان، ويستهدف المشروع إقامة مراكز تدريبية في عدد من المحافظات تتناسب مع تفعيل الأندية بهذه المحافظات للرياضة المحددة لضمان استمرارها في المشاركة باللاعبين في المسابقات المحلية".

نختم هذا المؤتلف بالتأكيد على أهمية الرياضة لكافة جوانب حياة الإنسان التربوية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال ضرورة تغيير الموقف تجاهها إلى عدها فعلاً أساسيًا لا يدخل في إشباع احتياجات الإنسان الأساسية بل وسيلة-من بين ومع وسائل أخرى بالطبع- لتربية إنسان صالح ومنتج وإيجابي. كذلك ضرورة إفادة المؤسسات الرياضية في السلطنة وبعد تجربة عدة عقود في مختلف الرياضات وتحقيق عدة إنجازات من التقدم التكنولوجي، وكما ندعو للتشجيع على الرياضات العالميو وكذلك للمحافظة على الرياضات الشعبية العمانية ليس فقط بتوثيقها وتسجيلها بل باستثمارها اقتصاديًا كأحد صور استثمار مفردات الثقافة المحلية بإقامة مسابقات فيها؛ فذلك سيودي ليس-فقط- إلى المحافظة عليه واستدامتها كجزء من مفردات الثقافة العمانية والتي تشكل الهوية العمانية؛ بل رفدها للناتج المحلي، وإسهامها في مشاريع التنويع الاقتصادي وتقليل الاعتماد على الموارد غير المستديمة، وكذلك-ربما- تحولها لألعاب تتجاوز المحلية.




ثقافة




02
مؤتلف

مؤتلــــف



16
سعيد بوعيطة
الرياضة ورهانات التنمية المستدامة

32
محمد ناسمي
مساهمة الرياضات التقليدية العربية في تحقيق تنمية بشرية مستدامة

42
سعود الشرفات
الرياضة والتثاقف في ظل العولمة
كرة القدم العالمية مثالاً

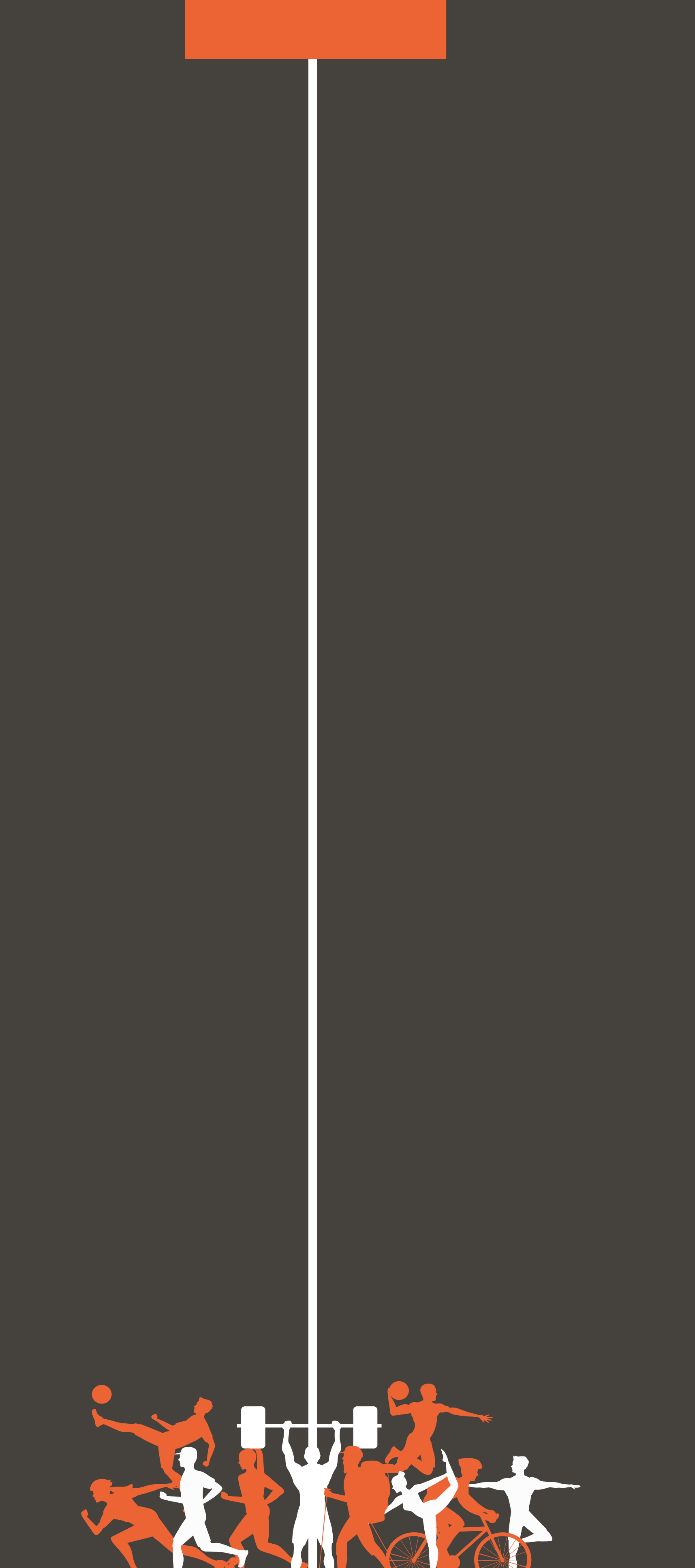
52
م.أو. بلاكوفا
تطبيق التقنيات الرقمية والمعلوماتية في مجال الثقافة البدنية والرياضة

64
صهيب عالم
الرياضة والتثاقف من المنظور الهندي - العربي
الشطرنج وسباقات الخيول نموذجًا

72
سعيد الرحبي
واقع الأنشطة الرياضية والشبابية في سلطنة عُمان ومراحلها الأساسية من ١٩٧٠ إلى (٢٠١٥

84
محمود قنديل
الرياضة وأثرها في حياة الشباب

92
هدى البوسعيدية
الرياضة جسرٌ للتثاقف والتنمية الإنسانية: تعزيز الروابط وبناء مستقبل أفضل





د. سعيد بوعيطة

باحث مغربي

الرياضة ورهانات التنمية المستدامة

ظهرت الأدبيات التنموية الدولية في أواسط الثمانينيات من خلال مختلف الاهتمامات الجديدة بالحفاظ على البيئة، ونتيجة للاهتمامات التي أثارتها دراسات وتقارير نادي روما الشهيرة في السبعينيات حول ضرورة الحفاظ على الموارد الطبيعية، وعلى البيئة والتوازنات الجوهرية في الأنظمة البيئية. فقد استقر الرأي تدريجيًا على أنّ السياسات التنموية- ولكي تؤدي إلى إنماء قابل للاستمرار- يجب ألا تقتصر على احترام مقومات البيئة التي يعيش فيها الإنسان فحسب؛ بل عليها-أيضًا- أن تراعي قدرة كل الفئات الاجتماعية على تحمل التغيير والاستفادة منه على قدم المساواة. ولهذه الأسباب امتد نطاق المفهوم إلى القضايا الإنسانية والبشرية؛ فأصبحت النظريات التنموية تركز أكثر على هدف التنمية الأساس الذي هو الإنسان، وأحواله الصحية والثقافية والسياسية، على خلاف الفترات السابقة التي كان التركيز ينصب خلالها على وسائل التنمية المادية. بمعنى زيادة معدلات الاستثمار ومعدلات النمو الاقتصادي العام السنوية. وزيادة مستويات الاستهلاك من منتجات الصناعات الحديثة. من هذا المنظور هناك تشابه مع مفهوم التنمية بالاعتماد على النفس أو التنمية المركزة ذاتيًا. وهي تعابير استعملت كثيرًا في الأدبيات الاقتصادية العربية، غير أن محتوى تعبير"المتداعم" هو أوسع أفقًا إذ يشتمل على معان أوسع تتناول الأوجه البشرية والبيئية والسياسية للتنمية الاقتصادية، بينما يوحي مفهوم الاعتماد على النفس-ولو بشكل غير صحيح- بسياسات الانغلاق على الذات وعدم الاندماج في الاقتصاد العالمي الذي ميز نهاية القرن العشرين. والجدير بالذكر-أيضًا- أنّ"الديمومة" أو الاستمرارية المعنية في مفهوم التنمية هذا تشير إلى الامتداد والروابط بين الأجيال. بمعنى أنّ الجيل الحالي يجب أنْ يترك للأجيال القادمة مخزونًا كافيًا من الموارد الطبيعية ونظامًا بيئيًا غير مدمر وغير مصاب بالتلوث، وكذلك مستوى كافيًا من المواهب في العلوم والتكنولوجيا، بحيث تتمكن هذه الأجيال من الاستمرار في التنمية والاستفادة من ثمارها المختلفة.



ويعد الميدان الرياضي من بين أبرز الميادين التي راهنت عليها التنمية المستدامة. فما علاقة الرياضة بالتنمية المستدامة؟ وكيف تسهم الرياضة في التنشئة الاجتماعية؟ وما هي أبرز رهانات التنمية المستدامة في اعتمادها على الرياضة؟ أسئلة جوهرية وغيرها، ستحاول هذه الدراسة الانطلاق منها قصد رصد رهانات التنمية المستدامة في المجال الرياضي.

الرياضة بالتنمية المستدامة أية علاقة؟

بعد خمسة عشر عامًا من إحراز تقدم صوب تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، حوَّل العالم اهتمامه إلى أهداف التنمية المستدامة اللاحقة لها في فترة انتقال إلى خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠م التي اعتمُدت. حيث قام المجتمع الدولي–بقيادة الأمم المتحدة– في إطار استعراض الإنجازات والأعمال التي لم تتحقق فيما يتعلق بالأهداف الإنمائية للألفية الثانية، بعملية تشاور شاملة مع أصحاب المصلحة من جميع مجالات المجتمع واتفق على أن التنمية المستدامة يجب السعي إلى تحقيقها خلال السنوات القادمة وصولاً إلى خطة عام ٢٠٣٠م التي تسعى بتطلعها الشامل إلى زيادة التقريب بين البشر. مما يمثل فرصة فريدة لإلهام تحرّك عالمي من أجل التنمية على نطاق العالم، بما في ذلك تسخير ميدان الرياضة لأغراض التنمية والسلام. فقد أثبتت الرياضة أنها أداة فعالة التكلفة ومرنة لتعزيز أهداف السلام والتنمية، منذ بداية الأهداف الإنمائية للألفية في عام ٢٠٠٠ في قرارات متعددة. كما أدت الرياضة دورًا حيويًا منذ القرارات الصادرة عن الجمعية العامة. خاصة القرار ١/٧٠، المعنون "تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠م"، الذي اعتمد منذ عام ٢٠١٥م. فقد استمر الإقرار بدور الرياضة في تعزيز التقدم الاجتماعي؛ لكونها تشكل العناصر التمكينية المهمة للتنمية المستدامة. نظرًا للإسهام الفعّال الذي تضطلع به الرياضة في تحقيق التنمية والسلام بالنظر إلى دورها في تشجيع التسامح والاحترام، وإسهامها في تمكين المرأة والشباب والأفراد والمجتمعات، وفي بلوغ الأهداف المنشودة في مجالات الصحة والتعليم والاندماج الاجتماعي. لهذا قام مكتب الأمم المتحدة المعني بتسخير الرياضة لأغراض التنمية والسلام، من خلال التقريب بين البشر عن طريق الرياضة ودعم مبادرات تسخير الرياضة لأغراض السلام. خاصة أثناء المناسبات الرياضية الكبرى/ العالمية. أما على المستوى المحلي فتساعد الرياضة على تحقيق إمكاناتها





على أكمل وجه. خاصة فيما يتعلق ببلوغ الأهداف والمشاركة المنتظمة في الأنشطة الرياضية والبدنية التي تحقق فوائد اجتماعية وصحية شتى. ليس لدى الأطفال وصغار السن فحسب؛ بل تؤثر على اللياقة البدنية للجميع تأثيرًا إيجابيًا. كما تمنح خيارات وأساليب حياة صحية، وتساعدهم على أنْ يبقوا نشطين، وأن يكافحوا الإصابة بالأمراض. فقد سلطت منظمة الصحة العالمية الضوء على قدرة التمارين البدنية على تنشيط الصحة العقلية الإيجابية والتطور الإدراكي. ووُجِد ارتباط بين ممارسة التمارين الرياضية وحدوث تحسينات إيجابية لدى الأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب والقلق ومختلف الأمراض النفسية. حيث تسهم الرياضة في السلامة بغض النظر عن العمر أو الجنس أو الجانب الإثني (١). فعلى سبيل المثال أنشأ الاتحاد العالمي للتايكوندو مؤسسة التايكوندو للعمل الإنساني من أجل تشجيع الفنون الحركية في مخيمات اللاجئين في جميع أنحاء العالم. تذكي هذه المبادرات الوعي بمحنة صغار اللاجئين مع أهداف التنمية المستدامة، لا سيما فيما يتعلق بالصحة؛ فالهدف ضمان تمتع الجميع بأنماط عيش صحية وبالسلامة في جميع الأعمار، ويستفيد الأطفال وصغار السن استفادة هائلة من النشاط البدني. كما تعد الأنشطة البدنية والرياضية المقترنة بمنهج مدرسي، ضرورية للتعليم الشامل، من أجل ضمان تعليم جيد منصف وشامل للجميع، وتعزيز فرص التعليم مدى الحياة للجميع. حيث توفر الرياضة تعلمًا للأطفال الذين لا يمكنهم الانتظام في مدرسة، بالاشتراك في الأنشطة الرياضية والبدنية، إلى جانب الدراسة في المدرسة. فيتعلم التلاميذ القيم الرئيسية للرياضة(روح العمل داخل الفريق، واللعب النظيف، واحترام القواعد والآخرين، والتعاون، والانضباط، والتسامح). حيث تكون هذه المهارات أساسية للمشاركة المستقبلية في الأنشطة الجماعية والحياة المهنية. كما يمكن أنْ تحفز التماسك الاجتماعي داخل المجتمعات المحلية؛ بالنظر إلى الفوائد التي تحققها الرياضة من حيث نماء الف رد.

الرياضة المدرسية والتنشئة الاجتماعية

تهدف التنشئة الاجتماعية إلى مساعدة الفرد على التكيف السوي مع عادات وتقاليد الجماعة، حيث يبدأ الفرد متمركزًا حول ذاته وبالتدرج تنمو اتجاهاته ومداركه نحو الغير عن طريق التنشئة الاجتماعية. بمعنى أنّه يستطيع التكيف مع الآخرين في إطار القيم الاجتماعية وأهدافها، وبالتالي يصبح الفرد اجتماعيًا. تختلف وجهات نظر المجتمعات والأمم نحو الرياضة وتنشئة الاجيال. فهناك مجتمعات تضع الرياضة ضمن تقاليد دينية، في حين مجتمعات أخرى تهيء الأجيال نحو الدفاع عن الوطن، وثالثة نحو الصحة والترويح. يؤشر هذا التصور على أهمية التنشئة الاجتماعية: عناصرها، ومظاهرها، والعوامل المحددة لها، وماهي محددات التنشئة الرياضية؟

أظهرت مختلف الأبحاث التأثير الإيجابي للنشاط البدني على النتائج التّعليميّة للتلاميذ والطلاب. لهذا يضع المجتمع اليوم قوة أكبر على العمل والاستثمار الفكريّ في الأنشطة البدنيّة. ولخلق تعليم شامل له آثار إيجابية على جوانب عدّة، أبرزها الجوانب الحركيّة والنّفسيّة والتّربويّة. تعمل على تحسن التّحصيل العلميّ وتوفير إمكان لقاء أشخاص آخرين والتواصل معهم وتأدية أدوار مختلفة في المجتمع. مما يساعد على اكتساب مهارات وقيم اجتماعيّة خاصة، مثل التّسامح واحترام الآخر التي تسهل التّكيّف مع العمل الجماعيّ. وتساهم في تحقيق الأهداف الجماعيّة مثل التّعاون والتّماسك، وعمليات تنمية الشخصية (٢). لهذا أكدت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة(اليونسكو)، على أنّ تحسين نوعيّة الحياة على الصعيدين الوطني والدّولي، يستوجب الحفاظ على القدرات البدنيّة والفكريّة والأخلاقيّة وتطويرها. وهذا يحصل في حصص التّربية البدنيّة والرياضة عبر تدريب الفرد وتعزيز قِيَمه الإنسانيّة الأساسيّة لتنمية الشّعوب وتحضير مواطن صالح نشيط بدنيًا مفيد لنتائج سوق العمل(٣). يؤمن هذا الاستثمار-على المدى البعيد- جيلاً يتمتع بصحة نفسيّة وجسديّة. كما



فعّالاً ومنتجًا يتمتع بالقدرة على العمل الجماعيّ واحترام الغير، ويتمتع بروح الانتماء والإخلاص لبيئته ووطنه.

لهذا تسهم التربية البدنية والرياضية باعتبارها مادة تعليمية كسائر المواد الأخرى بقسط وافر في بلورة وتطوير شخصية التلميذ، كما تتميز بالتأثير المباشر على السلوك والتصرفات وتحويلها من تلقائية موروثة، إلى سلوكات مبنية ومكيفة بمنهج علمي شامل ذي فطرة متفتحة على المحيط بأبعاده المختلفة. لهذا تصبح التربية بمفهومها الشمولي، عبارة عن تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية، وذلك بغرض تحقيق التوافق أو التكيف بين الإنسان والمجتمع. كما تصبح التربية البدنية والرياضية جزءًا كاملاً من التربية العامة ووسيلة لتحقيق تنمية المجتمع، وميزان يهدف إلى تكوين المواطن اللائق من الناحية البدنية والعقلية والانفعالية، وكذا من الناحية الاجتماعية. وباعتبار أنّ للتربية البدنية والرياضية قيمة اجتماعية لها خصوصيتها في التنشئة، فإنّها تلعب دورًا مهمًا ومؤثرًا فيما يتعلق بتحقيق الأهداف الاجتماعية والبيئية للتلاميذ، على أساس أنّ الإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه مرتبط ببيئته، ولا يستطيع أنْ يعيش بعيدًا أو معزولاً. الأمر الذي يفرض على التربية البدنية والرياضية مسؤوليات كبيرة تختص بالعلاقات الاجتماعية بين التلاميذ والمجتمع، والتلاميذ والبيئة المادية له. ليصبح لكل فرد دوره الاجتماعي ومكانته الخاصة، فيجد نفسه متكيفًا مع بيئته، ومع جماعة زملائه. حيث تتطور العلاقات معهم بمرور الزمن وتزداد الصداقة والأخوة بين الأفراد داخل بيئتهم. هذا ما أدى بالمؤسسات التربوية إلى أخذ كل هذا بعين الاعتبار، وجعل التربية البدنية والرياضية كباقي المواد الأكاديمية الأخرى. لأنّ التربية البدنية و الرياضية تشكل عاملاً من عوامل إعداد الفرد بدنيًا وتربويًا واجتماعيًا. لذا تعتمد مشاركة التلاميذ في عملية اللعب الجماعي- وبشكل عام في حصة التربية البدنية والرياضية- بصورة رئيسة على منهج مسطر. يكون على شكل ألعاب وفعاليات مقترحة من قبل الأستاذ. تهدف إلى إكساب الطلاب قيمًا إنسانية توجه رغباتهم وتحقق متطلباتهم. مما يؤدي إلى مردود إيجابي على العملية التعليمية. فضلاً عن أنّ إفراغ الطاقة الزائدة يؤدي إلى ردود فعل إيجابية على الممارسين أثناء النصر أو حتى الهزيمة، والتخفيف من حدة التوتر العصبي، والتعبير عن النفس وتشجيع روح الابتكار والإبداع والقدرة على الاستمتاع بالأنشطة الحركية.

تتمثل أهدف التربية البدنية والرياضية في العمل على تربية التلميذ، وتكوين شخصيته من جميع النواحي، وتحقيق القدرة على حسن التوافق الاجتماعي والانفعال مع بيئته الاجتماعية والمادية. فتعزيز التنمية البشرية يتم من خلال مجتمعات مدنية قوية تسودها أنماط تعامل تقوم على الثقة والتعاون. وتعمل التربية البدنية والرياضية داخل المؤسسة التربوية على إكساب وتعزيز مختلف القيم(الانتماء، القيم الاجتماعية، الهوية البيئية، المواطنة) لدى المتعلمين. وذلك من خلال المناهج الدراسية المعدة لكل مادة ومن خلال دور المعلم وكفاءته في تقديم الدرس(٤). لما توفره القيم الاجتماعية في مناهج التربية الوطنية بدرجة كبيرة، ودور المعلم في غرس وتنمية هذه القيم ولمساهمة هذه المناهج في تعديل سلوك التلاميذ. ذلك "أنّ المضامين المعرفية لمنهاج التربية المدنية ترمي إلى أنْ يكون التلميذ واعيًا بما له من حقوق وما عليه من واجبات، يحب وطنه ويحترم رموزه ويعتز بمقومات هويته الوطنية "(٥). وتشكل مادة التربية البدنية والرياضية مادة يتلقى فيها المتعلم الخبرات والمهارات الحركية والبدنية العضلية عن طريق تعلمه مختلف الأنشطة الرياضية. وهنا يبرز دور أستاذ التربية البدنية من خلال توجيه المتعلمين اجتماعيًا ليكونوا أفرادًا فاعلين في مجتمعهم في ظل تعزيز القيم والمعايير المجتمعية والبيئية (٦). ذلك أنّ طبيعة الأنشطة الممارسة تسهل عملية التفاعل والتواصل الإيجابي مع الأخر، خاصة النشاطات الجماعية في ظل الارتقاء بقيم التعاون و التضامن والمسئولية. إن تحقيق الفوز في أي نشاط رياضي يحتاج إلى العمل ضمن فريق؛



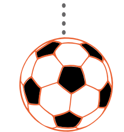
فالفوز ليس من صنع الذي سدد الهدف(مثلاً)؛ بل هو مجموعة جهود متكاثفة ومتساندة ومتكاملة وظيفيًا مع بعضها البعض. ومن خلال الأخذ بمختلف التوجيهات والنصائح التي تقدم سواء من طرف أعضاء الفريق أو المدرس، أو غيره، من خلال أسلوب حواري ديمقراطي يكرس مبدأ التنافس والبناء و المسالمة. ويمكّن من بناء علاقات وصداقات متينة وقوية تدريجيًا داخل وخارج المؤسسة التربوية. وتتيح مادة التربية البدنية والرياضية التعامل التشاركي بين الأشخاص، والاحتكاك فيما بين الأفراد. من خلال ممارستهم للنشاطات الرياضية وخاصة منها الجماعية. إذ تصدر عندهم مناقشات وآراء وتوجيهات من أجل خطة اللعب تتماشى مع النشاط. فيقوم المتعلم بتنفيذ توجيهات الأستاذ مع تقديمه نصائح وإرشادات. إذ أنّ فيهم من يتقبلها وآخر يرفضها ويعطي البديل لها. فنلاحظ من خلال هذا التعامل أنّ التربية البدنية والرياضية تصدر نوعًا من الأخذ والعطاء للتوجيهات من قبل التلاميذ فيما بينهم ومن قبل أستاذهم . لهذا يعد العمل الجماعي تجمع بشري يتواصل أفراده مع بعضهم البعض لفترة زمنية طويلة نسبيًا لتحقيق غاية مشتركة. ويسعى العمل ضمن فريق إلى تنامي وتكاثف الجهود نحو مصلحة الكل المشتركة، والتي تعبر عن الأهداف المشتركة بين أعضاء الفريق. فمن بين تفاصيل العمل الجماعي توفر عامل تقبل التوجيهات والنصائح من الآخرين من أجل الفائدة العامة وليست الخاصة. فخلال النشاطات الرياضية تتكون عند المتعلمين نظرة عن بعضهم البعض وعن مهارة كل واحد فيهم. فتكون الإرشادات والتوجيهات متبادلة فيما بينهم أثناء ممارسة النشاط الرياضي. بحيث يتقبل كل واحد رأي زميله في الفريق. مما يساعد على أداء نشاطه الرياضي؛ فتتألف بين المتعلمين صداقات جديدة. تتضح في اندماجهم مع بعضهم البعض، ويظهر هذا في أسلوبهم الجيد في الحوار، وتبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء أكانت تبادلاً رسميًا أم غير رسمي، مكتوبًا أم شفويًا. فينعقد الحوار بمجرد التعرف على وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها.

تعد الرياضة إحدى المؤسسات الاجتماعية المتميزة التي تمتلك قوة التأثير في الحلقات الاجتماعية المختلفة، ولتعدد مجالاتها وتعقيدها، فقد اتسم الإطار العام للبحوث والدراسات التي تتناول مختلف الظواهر الاجتماعية المصاحبة للرياضة بالشمولية، حيث تناولت الدراسات الاجتماعية في الرياضة العديد من المواضيع التي تهم الفرد والجماعة الصغيرة، والأسرة و المحيط والجماعة بأسرها، امتدادًا إلى المجتمع. لذلك ومنذ بداية ظهور دراسات في علم الاجتماع الرياضي تناولت بعض العلاقات بين الفرد والمشاركة الرياضية والمستوى الثقافي للفرد، و كذا العلاقة بين المشاركة الرياضية والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للفرد أيضًا.

بهذا تسمح التربية البدنية والرياضية عامة بإدماج الفرد في المجتمع، وتمكنه من إدراك الحقوق والواجبات وتعلمه التعاون والمعاملات والثقة بالنفس. كما يتعلم كيفية التوفيق بين ما هو صالحه الخاص وما هو صالح الجميع. ويتعلم كذلك أهمية احترام الأنظمة والمعتقدات وقوانين الفريق. هذه العلاقة الوثيقة الموجودة بين التربية البدنية والرياضية والجانب الاجتماعي، تبين أنه لا يمكن أن ينمو الفرد نموًا سليمًا إلا إذا كان داخل الجماعة؛ لأن الإنسان اجتماعي بطبعه. كما تهتم التربية البدنية بإدراك أبعاد وتجليات الانضباط في البيئة الاجتماعية عامة؛ فالمتعلم الذي ينضبط داخل المدرسة ويلتزم بالقانون العام لهذه المؤسسة سيكون قادرًا على تحقيق انضباط في المجتمع الكلي، ويسهم في تنميته. وتكمن وظيفة التنشئة الاجتماعية نحو التربية البدنية والرياضية، في تعلم المهارات والمعلومات لاكتساب صفات اللياقة البدنية والحركية، أما الوظيفة الثانية فتكمن في تنمية العلاقات الاجتماعية بين أفراد الفريق الواحد والفرق الأخرى.

الرياضة ورهانات التنمية المستدامة

تجمع مختلف الدراسات والأدبيات على أهمية وتنوّع الرياضة. فتدخل في علاقات مع قطاعات عديدة (الصّحة والتّعليم والتّرفيه والسياحة والاقتصاد... الخ). ومع التّطور الذي يشهده العالم واكتشاف دور القطاع الرياضيّ في بناء الاقتصاد، أعطت البلدان

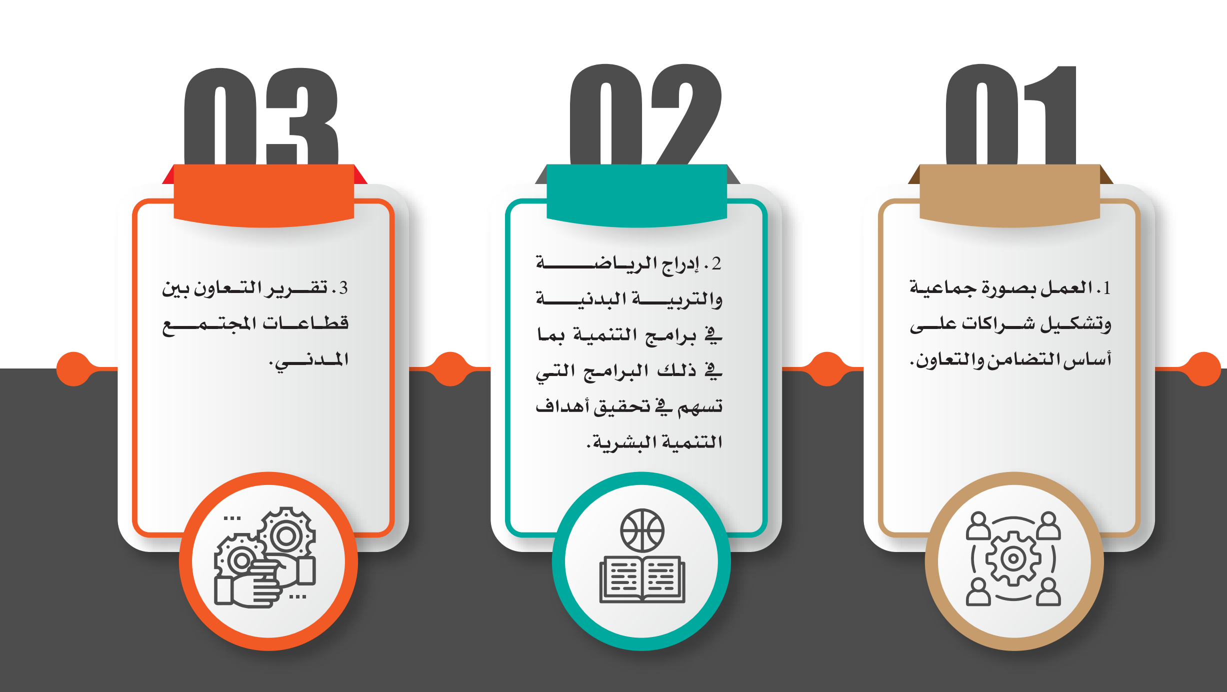


المتطورة أهميّة بالغة لتطوير هذا القطاع. إذ تُعدّ الرياضة مصدر دخل قومي مهمّ لبعض الدّول. لما تحتوي عليه من مكاسب وأرباح وضرائب، تفرض على النّوادي الرياضيّة واللاعبين. بالإضافة إلى السّوق الرياضيّة التي تتكون من مجالات عديدة ومتنوعة منها: صناعة الألبسة والمعدات، والرّعاية التي تشمل المدفوعات والأعباء المرتبطة بفريق أو بدوريّ، وإيرادات الأحداث الرياضيّة الحيّة، ورسوم حقوق الإعلام والإعلانات التي تستثمر في بثّ حدث رياضيّ معين عبر الشّاشات الصّغيرة، وكذا التجارة التي تشمل بيع المنتجات المرخّصة مع الفريق أو شعارات الدّوري، والامتياز الغذائيّ للفرق والمنتخبات، والمجالات الصحية ومردودها. لذلك تعتمد مختلف الدّول على الرّياضة في تحسين الاقتصاد، وتحرص على توفير جميع الإمكانات والاحتياجات لزيادة كفاءة الرياضيّ والعمل على تطوير قدراته. مما يحفز الدّول على رفع المستوى الرياضيّ وتطويره. حيث تهتم ببناء الكثير من السّاحات الرياضيّة والملاعب الحديثة المتطورة والضخمة؛ بهدف الحصول على دخل ماديّ كبير، من خلال استضافة البطولات العالميّة والدوليّة. حيث تتحول هذه المناسبات إلى تقليد سنويٍّ، محدد التاريخ الذي ينتظره الرياضيّين والنّاس وشركات الإعلان ووسائل الإعلام...الخ. وبهذا تتكوّن دورة اقتصادية متكاملة لها مردودها الوطنيّ، والماديّ، والمعنويّ. وتفرض نفسها باعتبارها تقليدًا من تقاليد الشّعوب. بناءً عليه تزيد الدولة من الدّخل الماديّ، نتيجة حركة السّياحة واستقبال السّائحين والزّوار من دول العالم المتعدّدة. فيكون من الطّبيعي أن يحتاج هؤلاء إلى فنادق للإقامة، ومطاعم، وزيارة الأماكن السّياحية. فينتج عنه تنشيط اقتصاد الدولة بالكامل. فما هي أبرز المجالات التي تراهن الدول على تنميتها من خلال القطاع الرياضي؟

١. الرهان البيئي

تلعب التربية البدنية والرياضية دورًا مهمًا وضمانة أكيدة للحفاظ على البيئة واستدامتها. حيث تعمل الرياضة على زيادة الوعي حول الحاجة للحفاظ على البيئة. لذا قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم ٠٥/ ٧٥ والمعنون بـ (الرياضة وسيلة لتطوير التعليم والصحة والتنمية والسلم) التركيز على القيم الايجابية للرياضة والتربية البدنية والاعتراف بمختلف التحديات القائمة أمام عالم الرياضة اليوم. فكانت سنة ٢٠٠٦م السنة الدولية للرياضة والتربية البدنية.

حيث دعا القرار جميع الحكومات ومنظومة الأمم المتحدة والمنظمات، الى العمل على ما يلي:



SPORT SPORT SPORT SPO

ثقافة

لهذا شجع القرار رقم ٠٥/ ٧٥ الهيئات الرياضة الدولية على تنفيذ مبادرة شراكة، بهدف دعم مشاريع التنمية المستندة إلى الرياضة التي تهدف الى تحقيق التنمية المستدامة. فتسعى التربية البدنية والرياضية بناءً على هذا المفهوم إلى

01

إيقاظ الوعي الناقد حول العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية والأخلاقية المرتبطة بالمشكلات البيئية،

02

تنمية القيم الأخلاقية لدي التلاميذ بشكل يساعد في تفعيل العلاقة الإيجابية بين الإنسان والبيئة

03

التركيز على تنشئة التلاميذ وفق الثقافة البيئية من خلال التنشئة التي تهدف إلى اكتساب الفرد اتجاهات إيجابية اتجاه البيئة المحيطة (٧).

04

إكساب الفرد السلوكيات الإيجابية من خلال مناهج التربية البدنية المصممة. لتحقيق هذا الهدف واستعمال الطرق التعليمية التي تتفق وطبيعتها، لتساعد في تكوين آلية للسلوك البيئي المسئول.



٢. الرهان الصحي

١. الرفع من ديناميةالموظف

هل الموظف السليم جسديًا منتج أكثر من غيره؟ لطالما طرح هذا السؤال في معظم الشركات التي تبحث عن تطوير أداء موظفيها للحصول على إنتاج أفضل. وبحسب دراسة أجريت عام ٢٠١٨م تَبيّن وجود علاقة إيجابية بين الرياضة والأداء الوظيفيّ؛ أيّ أنّ مشاركة أعلى في الرّياضة ترتبط بأداء وظيفيّ أعلى وإنتاجية أفضل(٨). فالأنشطةُ البدنيّة تحسن العلاقاتِ الشخصية؛ مما يسهم في خلق مُناخ عمل ملائم للجميع. إنّ المنظمات التي تنشئ الأنشطة البدنيّة تُشجع التّفاعل بين الموظفين من المستويات الهرميّة للخدمات المختلفة. فتسمح هذه التفاعلات للنّاس بالتعرف على بعضهم البعض بشكل أفضل، وخلق روابط أمتن؛ مما يسهّل التواصل داخل العمل (٩). لذا فقد أنشأت مجموعة من المصارف والشّركات فرق رياضيّة من موظفيها لبلوغ هذه الغاية. كما أظهرت الدراسات العلاقة الإيجابيّة بين عناصر اللياقة البدنيّة المتعدّدة ذات الصلة بالصحة والمناعة وإنتاجيّة الموظفين، ما يعزّز شعورهم بالرضا الوَظيفيّ والحدّ من نسبة غيابهم عن العمل. فالأبحاث الحالية تركّز على توفير التّكاليف من التأمين والغياب. وقد أظهرت هذه الشركات اهتمامًا أكبر بعدما لاحظت زيادة في الإنتاجيّة بناءً على مشاركة الموظفين في البرامج الرياضيّة الصحيّة. إذ نمت بنسبة ١٠٪ تقريبًا وانخفاض نسبة الغياب بنسبة ٢٪(١٠). ففي عام ٢٠١٨م قدّرت التّكاليف المباشرة الصادرة عن التغيّب في كندا ب ١٦، ٦مليار دولار، وهو مبلغ يمثّل حوالي ٢،٤٪ من إجمالي الرّواتب السّنويّة(١١). وهذا قد يعطي مؤشرًا للدول-وخصوصًا الدّول النّامية- لزيادة الإنتاجيّة التّشغيليّة من خلال سياسات رياضيّة صحيّة مسؤولة اجتماعيًا. تعمل على تحسين عافية العمال وكذا قيمتهم الاقتصادية، وكذا الإنسانية، وتوفّر أنموذجًا واسع النطاق لترابط الصّحة بالإنتاجيّة.

ب. تقليص الفاتورة الصحية

تتجاوز تّكاليف الفاتورة الصحية من خلال المساعدة على ممارسة التّمارين المنتظمة والهادفة. فقد أكدت معظم الدراسات التأثير الإيجابيّ للنشاط البدنيّ على الصّحة الذّاتية. يرتبط النّشاط البدنيّ على وجه التّحديد بانخفاض حالات الإصابة بالسّرطان والسّكري وأمراض القلب والأوعية الدمويّة والسكتة الدماغيّة وهشاشة العظام وارتفاع ضغط الدم على سبيل المثال. فقد أبرزت مراجعة الأدبيات الدليل على فعالية التمارين الرياضيّة في السيطرة على آلام الرقبة لدى الموظفين خلال أداء واجبات كتابيّة، والإسهام في تخفيف ألم أسفل الظهر للموظفين الذين يؤدون مَهَمّات تتطلب مجهودًا جسديًا في العمل(١٢). مما يتطلب معرفة علميّة فيزيولوجيّة تعالج كل حالة بحسب الحاجة التي تبرز أهميّة الاختصاص. لهذا لم تعدّ الرياضة مجرّد هواية؛ بل هي علم وتوجيه. كما أنّ هناك روابط وثيقة بين العمل والمشاكل النّفسيّة المختلفة. حيث تعدل ممارسة الأنشطة البدنيّة بعض العوامل مثل الإرهاق في العمل الزائد، وتُحسّن الاستقلاليّة لصنع القرار، وتأمن مُناخ العمل الصحي والجماعي وغيرها(١٣). علاوة على ذلك يسهم النشاط البدنيّ بشكل إيجابي في الرفاهية الذاتيّة، ويقلل من مشاكل الصّحة العقليّة مثل الاكتئاب واضطرابات القلق بشكل كبير. فقد قدرت خلال عام ٢٠١٨م الخسائر الاقتصادية الصحية في كندا نتيجة الخمول البدنيّ بحوالي مليارين دولار حيث وصلت إلى ٢,٥٪ من إجماليّ تكاليف الرعايّة الصحيّة المباشرة. إنّ انخفاض معدل انتشار الخمول البدنيّ بنسبة ١٠٪ يقلل نفقات الرّعاية الصحيّة المباشرة بمقدار ١٥٠ مليون دولار سنويًا. كذلك الأمر في بريطانيا فقد قدّر العائد السنوي لعام ٢٠١٧م لقيمة الفوائد على الصّحة العامة للأشخاص الممارسين للأنشطة الرياضيّة بحوالي٢, ١١ بليون إسترليني (١٤). إذ يمثل الخمول البدني عبئًا سلبيًا على الصحة العامة في كندا وجميع البلدان. كما أنّ رفع نسبة المشاركة في النّشاط البدنيّ يمكن أن تؤدي إلى تحقيق توفير كبيرة في التّكاليف الصّحيّة.

٣ . الرهان الاقتصادي

استطاعت العديد من الدول تطوير اقتصادها وخلق تنمية شاملة من خلال القطاع الرياضي. فمن

خلال الرياضة غيرت البرازيل وضعها الاقتصادي من دولة فقيرة، إلى دولة تجذب أنظار جميع دول العالم، بسبب اهتمامها بالرّياضة، وحِرص اللاعبين على القيام بأفضل أداء في المباريات المحليّة والعالميّة، الأمر الذي جعل البرازيل من أفضل دول العالم في المجال الرياضيّ. ليصبح اسم الدّولة يلازم نوعًا محددًا من الرّياضة، وكأنّ هذه الدّولة تحولت إلى صاحبة اختصاص: البرازيل وكرة القدم، وكذا بلغاريا بخصوص رفع الأثقال، وروسيا بخصوص الجمباز...الخ. ويرتبط هذا التحول بالعديد من العوامل منها: البنية الجسدية، الطقس، نوعية التغذية، نوعية الإعداد ...الخ. تتعدد مظاهر إسهام الرياضة في النهوض الاقتصادي والتنمية المستدامة. نحدد أبرزها في التالي:

أ- الاقتصاد والتسويق الرياضي

تتطلب كل رياضة لباسها وتجهيزاتها وملاعبها. ومن هنا تحولت الرّياضة إلى قطاع إنتاج وتسويق، له أهمية في الاقتصاد والتنمية، وحلاً مهمًا لكسب الدّخل. مما أسهم في نشوء مؤسسات وشركات لها شهرتها وخبرتها ودراساتها العلميّة التي تسعى إلى سلامة الرياضيّ وصحته. لذلك وُضعت معايير عالميّة للصناعات الرياضيّة الخاصة باستيراد السّلع والخدمات المتعلقة بالرياضة أو إنتاجها محليًا والتسويق لها. مما يخلق المزيد من الإيرادات، وبالتالي المزيد من العمالة والأجور والأرباح. فيتزايد الاهتمام بالأنشطة التّسويقيّة غير التّقليديّة. إذ إنّ كلفة الرّعاية لنشاط رياضيّ تبلغ أضعاف الكلفة لرعاية أي نشاط آخر فنّيّ أو ترفيهيّ. ذلك أنّ قدرة المسوّقين من العلامات التّجاريّة على تحديد عائد الاستثمار من مثل هذه الأساليب، تمثل تحديًا مستمرًا. لكونهم يسعون دائمًا للاستفادة من عامل الجذب عند الناس. فيتحول الرّياضيّ نفسه إلى أداة إعلانيّة، كما يتحول الملعب والتجهيز الرياضي إلى ساحة دعائيّة كذلك. وهذا يمثل تحديًا للمسوّقين الذين يسعون إلى إشراك المستهلك من خلال الرعاية الرّياضيّة في بيئة تنافسيّة كلفتها الماديّة كبيرة للغاية وعائدها الاقتصادي كبير للغاية (١٥).

بهذا عرفت صناعة الرياضة نموًا كبيرًا في مختلف البلدان. إذ تشير إلى أنّ السّوق الرياضيّة العالميّة بالكامل(بما في ذلك البنية التّحتيّة والأحداث والتّدريب والسّلع الرياضيّة) تتراوح قيمتها ما بين ٦٠٠ – ٧٠٠مليار دولار في العام. كما يتجاوز نموها نمو الناتج المحلي الإجمالي لمعظم البلدان. وفي الوقت نفسه شهدت سوق السّلع الرياضيّة العالميّة–والتي تقدر قيمتها بنحو ٣١٧ مليار دولار عام ٢٠١٧م– زيادة مبيعات سنويّة تبلغ حوالي ٤،٣٪ بين العامين ٢٠٠٩م و٢٠١٧م، بمعدل يفوق ١،٥ مرة أكبر من قطاع المستهلك الأوسع وفقًا لماكاري ريسيرش. ووصل هذا النّمو نسبة ٥،٦٪ عام ٢٠٢٠م (على الرغم من أن جائحة كورونا قد جمّدت هذا النمو). وفي مجال العلامات التّجاريّة يُظهر قطاع الرياضة تقدمًا ملحوظًا بالقدر نفسه في تقرير أفضل العلامات التّجاريّة العالمية لعام ٢٠١٧م، إلى أنّها ثاني أسرع قطاع نموًا. إذ نمت قيم العلامة التجارية بأكثر من ١٠٪ سنة ٢٠١٨م مقارنة بالسنوات السابقة. حيث تُعزى الزيادات الضخمة في الإيرادات على أساس سنويّ في هذه الصناعة إلى زيادة البثّ التّلفزيونيّ للأحداث الرّياضيّة على مدى العقدين الماضيين. الأمر الذي أدى بدوره إلى زيادة في المبيعات والإعلانات والتّرويج وصفقات رعاية العلامة التّجارية. ففي سوق الرّياضة في أمريكا الشّمالية شهدت حقوق وسائل الإعلام ورسوم الرعاية زيادات حادة في الإيرادات خلال عام ٢٠٢٠م (١٦).

ب. الاستثمار في المنشآت الرياضيّة

تؤمن الاستثمارات الاقتصادية في النشاطات الرياضية عائدًا إيجابيًا كبيرًا على الاقتصاد، وخصوصًا الاستثمارات العامة. إذ ترتبط الاستثمارات العامة في أماكن ملائمة للنّشاط الرياضي مع توفير البنية التحتيّة ومختلف المرافق الرّياضيّة. فتقام على مقربة من مناطق تعرف



كثافة سكانية. مما يزيد-بشكل كبير- من احتماليّة النشاط البدنيّ للسكان، واستضافة الأحداث الرّياضيّة الكبرى التي تدفع النّاس لحضورها للمشاركة بأنفسهم. وقد وثقت بعض الدّراسات تأثيرًا إيجابيًا كبيرًا لرياضة النّخبة؛ فالرياضيّون الكبار هم مصدر إلهام ودافع للعديد من المراهقين والشّباب لممارسة الرياضة والمشاركة والمواظبة على ممارسة الألعاب الرّياضيّة (١٧). حيث توفّر هذه المنشآت الرّياضيّة في القطاع العام العديد من الفوائد الاقتصادية المباشرة، أبرزها الإيرادات الضّريبيّة وإيرادات المواقف أو التذاكر والرّسوم الإضافيّة. حيث تُقدر دراسات الأثر الاقتصادي عادة بإجمالي الأثر الاقتصاديّ المنسوب إلى المرفق الرياضي الجديد، وغالبًا ما يلخص بمستوى الاستثمار في سنة معينة. كما ينظر القطاع العام عادة في الفوائد الاقتصاديّة غير المباشرة المحتملة، من خلال إنشاء ملعب أو موقع رياضيّ يجلب معه تطورًا إضافيًا(المطاعم، والفنادق، والمحال التجارية)، فتشكل حافزًا أساسيًا لتطوير اقتصاد منطقة بأكملها. مما يشجع على إقامة نشاطات تجارية أخرى. وتؤكدّ بعض الدراسات على أنّ الملعب، أو السّاحة الجديدة تضخ عشرات الملايين من الدولار في الاقتصاد المحليّ. فعلى سبيل المثال بلغ إجمالي تأثير فريق البيسبول سياتل مارينرز على الاقتصاد المحليّ، والإقليميّ، والدوليّ ١٦٢ مليون دولار في عام ٢٠١٦م، إضافة إلى أنّه ولّد أكثر من ٢٢٠٠ وظيفة في الولاية في ذلك العام. أما الدراسة التي أجراها راغاس وآخرون عام ٢٠١٧م من نيو أورلينز، فقد استنتج من خلالها أن استثمار الجمهور في مرفق سوبردروم وصل إلى فائدة نسبتها أكثر من اثني عشر دولارًا مقابل كل دولار دُفع، بمعنى أن العائدات جاءت باثني عشر ضعفًا(١٨). لهذا تعمل الجهات الحكومة المحلية على استثمار الأموال العامة لإقامة منشآت رياضيّة؛ نظرًا للأثر الاقتصادي الهائل الذي قد تنتجه.



ج. الاستثمار في القطاع السّياحيّ

تبرز أهمية الرياضة في تنمية القطاع السّياحيّ في كونها تؤثر على التّدفقات السّياحيّة أثناء اللقاءات والدّورات الرّياضيّة. فتعد الألعاب الأولمبيّة-على سبيل المثال- من أكبر الأحداث الرياضيّة في العالم. لكونها فرضت نفسها كأكبر قوة محفزة في قيادة السّياحة. حيث ينشئ ملفات تعريف عالية للمدن المضيفة وجذب السّياح لمدد طويلة بعد تنظيم الألعاب(١٩). فتنتهي الألعاب وتبقى المنشآت، ويبقى الأثر النّفسيّ، وتبقى المدينة محط أنظار السيّاح. فقد شهدت المدن السّياحيّة الحاضنة للألعاب الأولمبيّة-مثلاً- ارتفاعًا في التّدفقات السّياحيّة خلال الأولمبياد، وأثرت في هذه الحِقبات على المدن السّياحية المرغوبة مثل باريس ولندن وغيرها قبل أن تستقر بعد ذلك بسرعة. ومن ناحية أخرى تعمل الأحداث واللقاءات الرّياضيّة الكبرى على تحفيز انطلاق نمو المدينة المضيفة وخصوصًا الضعيفة منها. كما لا يمكن صرف النّظر عن إثارة مسألة إعادة تحويل المعدات الأولمبية إلى متاحف وأماكن تراثيّة. كما تجلى في أحد الأمثلة الأكثر تقدمًا اليوم المتمثل في الحديقة الأولمبية بمونتريال. وبعد أكثر من أربعين عامًا من الأولمبياد، ترحب الأماكن القديمة، التي تحولت إلى متاحف ومناطق ترفيهيّة وبرج مراقبة، بأكثر من مليون زائر كل عام. كما تشكل سباقات الفورمولا واحد، مثال آخر على استقطاب ملايين المشاهدين. فقد بلغ حجم العائد الاقتصادي لمدينة ساو باولو رقمًا أحيا المدينة المعروفة بفقرها قدّر ب ٢٩٦ مليون دولار أمريكي لعام ٢٠١٤م بحسب مركز الأبحاث التابع لشركة بلدية ساو باولو للسياحة. كما قدّمت الألعاب الأولمبية فوائد هائلة لقطاع السّياحة الأسترالي وكان التأثير الواضح الأول هو زيادة عدد الزوار الدّوليين. إذ لاحظت هذه الدولة ما بين العامين ٢٠٠٢م و٢٠١٢م زيادة بنسبة ١٦٪. فقد زار ٤٠٦٥٠٠ سائح دولي أستراليا في سبتمبر العام ٢٠٠٠م، حضر ١١١٠٠٠ زائر دولي الألعاب وشاهد ٣,٧ مليار البثّ التلفزيوني في ٢٢٠ دولة الألعاب الأولمبية في سيدني. كما تطور القطاع الفندقيّ بنسبة ١٢,٥٪ في سيدني(٢٠). أما كرة القدم فتشكل الجزء الأكبر والأكثر عولمة من سوق التّرفيه الرّياضيّ. لأنها وصلت اليوم أوج ذروتها. إذ تُعدّ كأس العالم "الفيفا" المشهد الرّياضيّ الأول في العالم في نهائياتها وحدها، يجتذب أكثر من ٣,٢ مليون متفرج في الملاعب، وجمهور تراكمي من ٢٦ مليار مشاهد وحقوق تلفزيون بقيمة ٢,١ مليار يورو-وفقًا لأرقام العام ٢٠١٠م في جنوب أفريقيا- مقابل ٨٩٠ مليون يورو لدورة الألعاب الأولمبية الصيفية في لندن ٢٠١٢م و٦٠٠ مليون يورو لدورة الألعاب الأولمبية الشتوية في فانكوفر ٢٠١٠م وفقًا للمعايير نفسها (٢١).

د. تأمين الوظائف

تؤكد الإحصاءات على أهمية القطاع الرّياضيّ وتأثير الرّياضة على سوق العمل. لما للوظائف الرّياضيّة من تأثير مضاعف ومرتفع. بمعنى أنّها تخلق المزيد من الوظائف في المهن والصناعات الأخرى. كما يؤمّن هذا الاقتصاد، ديناميكيّة أكثر في فرص العمل. ففي فرنسا وظفت الشّركات والجمعيات حوالي ٢١٠٠٠٠ عامل في الأنشطة المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالرّياضة، بمتوسط معدل نمو قدره ٣٪ في الوظائف سنويًا. ويمكن استكمال هذه الأرقام من خلال ٤٣٠٠٠ وظيفة لمعلميّ التّربية الرّياضيّة و٥٧٠٠٠ منصب في القطاع الرّياضيّ من مديري الخدمات الرياضيّة والتنظيم الإداري وصيانة المرافق(٢٢). ومثال آخر كذلك -وخلال العام ٢٠١٦م- أضافت الأنشطة الرّياضيّة للاقتصاد البريطاني مبلغًا تعدى ٢٠ بليون جنيه إسترليني؛ أي ما يعادل ١,٩٪ من إجمالي اقتصاد الدولة. كما زاد في العام نفسه معدل التوظيف، إذ يوفر حوالي ٤٠٠ ألف وظيفة. بما يعادل ٢,٣ من معدل اجمالي الوظائف في بريطانيا. ووصل مقدار القيمة المضافة للاقتصاد البريطاني من الأنشطة الرّياضيّة والتّرفيهيّة حوالي ٢,٧ بليون جنيه إسترليني. علاوة على ذلك خلقت ١٠٠ وظيفة جديدة في الفرق والنوادي الرّياضيّة في بيتسبرغ. أسهمت بحوالي ٤٦,٢ مليون دولار أرباحًا جديدة في جميع أنحاء المدينة، و٤٢٢ وظيفة إضافيّة خارج الصناعة الرياضية في مجالات مختلفة مثل البناء والرعاية الصحية والمبيعات وإعداد الطعام(٢٣).

٥. الاستثمار في البثّ التلفزيوني والإعلانات

أدى توسع وسائل الإعلام الرياضيّ–وخاصة التلفزيون– إلى جعل الرّياضة منتشرة في كلّ مكان، إن لم يكن في جميع البلدان. وبالقدر نفسه من الأهمية، أدى الطلب المتزايد بشكل دائم من قبل المذيعين على البرمجة الرّياضيّة إلى إنشاء رابطة "رياضيّة إعلامية تجارية" مبنية إلى حد كبير على جاذبية الرّياضة على نطاق واسع. مما حوّل الشّعبية الهائلة للرياضة إلى مورد اقتصادي كبير. مما دفع اقتصاد الرّياضة المحترفة إلى أن تعتمد بشكل كبير على الدخل الناتج عن التلفزيون والرّعاية والتّمويل، مدعومة بمختلف التّطورات التّكنولوجية في البث والاتصالات بشكل عام. لهذا فإنّ إعادة تجميع الرّياضة كسلعة توسعت إلى عمل عالميّ. يعمل بشكل فعال باعتباره قسمًا متخصصًا في صناعة التّرفيه الأكثر وضوحًا. لهذا فإنّ التأثير الاقتصادي لوسائل الإعلام الرّياضيّة على المجتمع، ينعكس في تقييمات الجمهور الكبيرة (معظمها من التلفزيون) للبرمجة الرّياضيّة، وانفجار الإعلام الرياضيّة، والقيمة التي تقدر بمليارات الدولارات لعقود البث وصفقات الرّعاية (٢٤). فقد تحولت اليوم صناعة الرّياضة إلى عمل واسع النّطاق يؤثر على الفروع الاقتصاديّة المتعددة مع العديد من أصحاب المصلحة، بما في ذلك المنظمات الرّياضيّة، والمؤسسات الإعلاميّة، ووكالات التّسويق، والمنظمات الصّحيّة، ومصنعيّ الملابس ووكالات السّفر التي تتنافس على حصة من هذا السّوق المربح. وقد وصفت هذه الصناعة الرياضيّة بأنها صناعة غير نمطية مع وجود مشجعين رياضيّين ملتزمين، يحافظون على مستويات عالية من الاستهلاك والمدفوعات، بصرف النظر عن النجاح الرّياضيّ(٢٥). كما استفاد التلفزيون بشكل كبير من عائدات الألعاب الرياضيّة الأكثر شعبية وخصوصًا نمو البث المباشر في المباريات ومصادر الإيرادات الأخرى كذلك. فقد تجلى التأثير الأكثر أهمية لهذه الزيادة، في زيادة رواتب اللاعبين، مع بقاء الحالة المالية للفرق دون تغيير إلى حد كبير. لأن الإيرادات من حقوق التلفزيون المركزي والمسابقات الدولية ركزت على العلاقة بين جودة الفريق والإيرادات (٢٦). برز ذلك على سبيل المثال في الأحداث الرّياضيّة الرّئيسة في العالم التي تحدث كل عامين أو أربعة أعوام (مثل الألعاب الأولمبية الصّيفيّة وكأس العالم حيث يتميز الاقتصاد الرياضيّ بطبيعة دورية نموذجية إذ تمثل الأحداث الكبرى ما بين العام واحد إلى



الثمان سنوات). أما على الصعيد العالميّ فتُعد كرة القدم الرّياضة الرئيسة التي تستحوذ على ٤٣ في المائة من هذه السّوق العالميّة، مع ما يقرب من الإيرادات مثل الدخل المشترك لجميع الرّياضات الأمريكية وسباق الفورمولا وان. ووفقًا للدراسة التي أجرتها شركة برايس ووتر هاوس كوبرز فقد قيمت سوق الرّياضة العالميّة مع إيرادات البوابة وحقوق الإعلام والرّعاية والتّرويج كمكونات رئيسة بقيمة ١٢٢ مليار دولار في عام ٢٠١٤م ونمت إلى ١٣٣مليار دولار في السنة الأولمبية عام ٢٠١٧م. ويمثل هذا السّوق العالميّ ٣,٨ في المائة من معدل النّمو السّنويّ المركّب مع بقاء أمريكا الشّمالية أكبر سوق رياضيّ يضم حوالي ٤٧ في المائة من إيرادات الرياضة العالميّة.

تركيب واستنتاج

تلعب الرياضة دورًا مهمًا على الصعيد الفردي والمجتمعي وتنمية الروح الوطنية والعالمية. فعلى الصعيد الفردي تعزز الرياضة من قدرات الفرد والمعرفة العامة لديه. أما على الصعيد الوطني فتسهم في النمو الاقتصادي والاجتماعي وتطور الصحة العامة، وتقارب بين مختلف الفئات الاجتماعية. فاذا استخدمت الرياضة بصورة صحيحة يمكن أن يكون لها دور إيجابي طويل الأمد على التنمية والصحة العامة والسلام والبيئة. حيث توفر المشاركة في الرياضة الفرصة لممارسة الاندماج الاجتماعي والأخلاقي للشعوب وإزالة الهوامش والحواجز الثقافية والاجتماعية والدينية التي تقف وراءها التمييز على مستوى الجنس والإعاقة وغيرها من أشكال التمييز العنصري. لتكون الرياضة والتربية البدنية مجالاً لممارسة المساواة والحرية والتمكين. كما تشجع على بناء قيم عديدة (الثقة بالنفس وروح الجماعة والتواصل والاندماج والانضباط والاحترام واللعب النظيف). كما أنّ للرياضة والتربية البدنية مكاسب نفسية عدة (التخلص من الكآبة وتحسين التركيز). كما أنّ لها دور فعّال في تعليم الاطفال اللعب وتحسين أحوالهم البدنية والنفسية. حيث تسهم في تطوير قدراتهم، وتوسيع مداركهم من خلال العملية التعليمية، وتزيد من نشاطهم. لذا نلاحظ أن منظمة اليونسكو تقوم بدور كبير في دعم الرياضة والتربية البدنية، وتعزيز إسهاماتها العامة. لأن الرياضة وسيلة فعّالة في تطوير القدرات والمهارات وتشجيع المحبة بين الناس وتعزيز القيم الأصيلة في النفوس. لهذا يستوجب قطاع الرياضة باعتباره قاطرة للتنمية المستدامة، تأمين نظام متطور من خلال تعزيز السياسات والتّوصيات وخطط العمل الوطنية، ووضع آليات تنسيق في مختلف القطاعات، وتوحيد نظم المعلومات والتقنيات الرقميّة لتعزيز المراقبة وصنع القرار، وتعزيز القدرة البحثيّة والتقييميّة المسهمة في إيجاد حلول ملموسة فعّالة، وتكثيف جهود التّوعية لتعزيز معرفة ووعي أفضل بالمشكلة، وتعزيز الآليات الماليّة من أجل تعزيز العمل المستدام. وكذا تحفيز السكان النّشيطين من خلال ضمان جودة التّربية البدنيّة وزيادة عدد الحصص، نظرًا لإيجابيّاتها التّربويّة في جميع الحلقات؛ ما قبل المدرسة والابتدائيّ والثانويّ والعالي. وتحويل مادة التّربية البدنيّة من مادة إجرائية لا تعطى الأهمية الكافيّة، إلى مادة أساسيّة في الامتحانات الرسميّة. إنّ تنفيذ البرامج الرياضيّة في أماكن العمل والمنشآت الرياضيّة والبيئات المجتمعية، من أجل تنمية النشاط الجسدي/ البدني، وإنشاء البرامج والخدمات المصممة لمساعدة كبار السنّ على الانخراط في نشاط بدني منتظم ملائم، وتنفيذ البرامج والخدمات الرياضيّة المقدمة للمجموعات الأقل نشاطًا لتحفيزهم على المشاركة في النشاط البدني. وتشجيع المجتمعات على تنفيذ مبادرات رياضيّة، تشمل جميع السكان على مستوى البلديات والمجتمع المحلي. لخلق وعي بأهمية الرياضة، وإسهاماتها الفعالة في التنمية المستدامة على جميع الأصعدة (البيئية، الصحية، الاجتماعية، الاقتصادية).



المراجع:

١. الخولي (أمين أنور) الرياضة والمجتمع، سلسلة عالم المعرفة (الكويت)، العدد ٢١٦، ديسمبر ١٩٩٦، ص: ٥٤.

٢. همشري (عمر أحمد) مدخل إلى التربية ط ٢ دار صفاء للنشر و التوزيع عمان، ٢٠٠٧، ص: ١١٢.

٣. نوال إبراهيم شلتوت (نوال إبراهيم) ونجلة (إبراهيم محمد) تاريخ التربية البدنية و الرياضية، ط٢ ، دار الوفاء للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص: ٨٧ .

٤. همشري (عمر أحمد) مدخل إلى التربية(مرجع سابق)، ص: ١٤٢.

٥. إخلاص (محمد عبد الحفيظ)، و باهي(مصطفى حسن) علم الاجتماع الرياضي، ط ١، مركز الكتابة للنشر، مصر، ٢٠٠١، ص: ٣١.

٦. إخلاص (محمد عبد الحفيظ)، و باهي (مصطفى حسن) علم الاجتماع الرياضي، ص: ٥٣.

٧. اسكندر (ابراهيم) كتاب الحداثة، ترجمة: محمد رمضان، ط ٢ ، دار نجيب للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص: ١٤٥.

8. WATTLES, M., & HARRIS, C. THE RELATIONSHIP BETWEEN FITNESS LEVELS AND EMPLOYEE'S PERCEIVED PRODUCTIVITY, JOB SATISFACTION, AND ABSENTEEISM, Official Journal of The American Society of Exercise Physiologists, 2018, p: 24-32

٩. محمد علي (جمال) في الإدارة الرياضية والإدارة العامة، ط١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ص: ٥٧.

١٠. محمد علي (جمال) في الإدارة الرياضية والإدارة العامة (مرجع سابق)، ص: ٩٥ .

11. Amsalem, B & Mechmache, M , L'ÉCONOMIE DU SPORT, JOURNAL OFFICIEL DE LA REPUBLIQUE FRANCAISE, Paris, 2019, p : 25.

١٢. بوصمح (النذير)، زواوي (عبد الوهاب) مؤشرا ت التنمية المستدامة في إدارة المنشآت الرياضية، مجلة الإبداع الرياضي، مجلد ١٠، عدد ٣، ص: ٢٠٢.

١٣. الربيعي (محمود داود)مناهج التربية الرياضية، ط١، دار الكتب العلمية، مصر ، ٢٠١١، ص: ١٠٤.

14. Andreff, W , La mondialisation économique du football, Bruxelles, 2017, p : 121.

15. Breuer, C., Wicker, P, Dallmeyer, S & Dvorak, J. The economic "return on investment" in physical education, physical activity and sport. Cologne: German Sport University Cologne, 2016, p : 31.

16. Career Builder, Sports-Related Employment Is on the Rise and Creating Jobs in Other Industries, According to New Research from CareerBuilder and Economic Modeling Specialists. CISION PR Newswire, 2020, p: 102

١٧. درويش (كمال الدين) اقتصاديات الرياضة، ط١، منشورات المنهل، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣، ص: ٩٢





18. Chapin, T, Identifying the Real Costs and Benefits of Sports Facilities, 2017, p: 13

19. Evens, T, Iosifidis, P, & Smith, P, The Sports-Media-Business Complex. In The Political Economy of Television Sports Rights, 2013, p: 95

20. Hume, C , & Richards, R, Economic Contribution of Sport, Australian Sport Information Network, 2019, p: 84

21. Horne, J, Sport in consumer culture, New York: Palgrave Macmillan, 2006, p: 131

22. Hume, C , & Richards, R, Economic Contribution of Sport(IBD), p: 119

23. IBD, p: 134

24. Evens, T, Iosifidis, P, & Smith, P, The Sports-Media-Business Complex(IBD), p: 15

25. Jean Renaud, C. Sports Events: Uses and Abuses of Economic Impact Studies, Finance, 2007, p: 106

26. TSIOTSOU, R., & GOURI, N, THE EFFECT OF THE OLYMPIC GAMES ON THE TOURISM, Greece, 2010, p: 93





مساهمة الرياضات التقليدية العربية في تحقيق تنمية بشرية مستدامة



د.محمد ناسمي

باحث مغربي

تقديم:

مع مرور السنوات تتزايد أهمية الرياضة وتتعاظم، ومعه تتجاوز الترفيه والترويح إلى مساهمتها في الاقتصاد وخلق الثروة، وهكذا ظهر مفهوم الاقتصاد الرياضي مع سيمون روتنبرغ، هذا الاقتصاد الذي له دور ومساهمة في خلق تنمية بشرية مستدامة، وهو ما جعل الدول تهتم أكثر بالرياضة وتُنظمها وتزيد من استثماراتها بها، وترى فيها قطاعًا مساهمًا في عجلة التنمية شأنه شأن باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى، وهذا لا يقتصر على الدول بل حتى على المستوى الدولي فهيئة مثل الأمم المتحدة في خطتها للتنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ مما تعتمد عليه لبلوغ أهدافها في هذه الخطة الرياضة كوسيلة من الوسائل الكفيلة لتحقيق التنمية بالعالم.
وفي وطننا العربي إلى جانب الرياضات العصرية نتوفر على رياضات تقليدية تُعتبر من أهم عناصر التراث الشعبي العربي في ارتباطها بالتاريخ العربي العريق، وتنوع بيئاته الطبيعية والجغرافية، وتعدد أعراق ساكنته ومميزاتهم الثقافية والاجتماعية، وهو ما ساهم في ثراء هذه الرياضات التقليدية العربية التي بلا شك ساهمت وممكن أن تساهم بشكل أكبر في مسلسل التنمية البشرية المستدامة المنشودة.



رياضات تقليدية عربية مشتركة

تتعدد وتتنوع الرياضات التقليدية بالوطن العربي هذه الرياضات إذا نظرنا إليها بطريقة أفقية من خلال عقد مقارنات فسنجد أن الكثير منها هو مشترك بين بلداننا العربية، وهو ما يؤكد وحدة الروابط التاريخية والاجتماعية والثقافية فيما بينها.

الرياضات الذهنية

إذا كانت لعبة «الحواليس» من أشهر اللعب الذهنية بسلطنة عمان، فإن اللعب الذهنية التي تشبهها في وطننا العربي متعددة مثل لعبة السِّيڭ في المناطق الصحراوية بالمغرب والتي تتواجد بدول أخرى مثل موريتانيا، أما في تونس وليبيا فتوجد بهما لعبة «الخَرْبقَة»، وهي لعبة تلعب بالحجارة على رقعة في أرض ترابية، ونفس اللعبة



تقريبا توجد في مصر باسم السِيجَة أو السيجا، أما في شمال إفريقيا فهناك لعبة «الضامة» أو «ضامت» التي تلعب على رقعة تشبه الشطرنج لكن بقواعد لا تشبه الشطرنج.

الهوكي العربي

تتعدد الرياضات التي تشبه لعبة الهوكي بالوطن العربي مثل رياضة «المكشاح» أو «أمسيسي» أو «الشيرَا» التي تنتشر بالمغرب، بل وكانت من أشهر رياضاته الشعبية في الماضي التي كان يلعبها الأطفال كما الشباب من خلال تقاذف الكرة بعصي معقوفة، كما انتشرت هذه اللعبة كذلك في باقي مناطق شمال إفريقيا ففي تونس تسمى «القَدَّة»، وأمسيسي في الجزائر، ونفس اللعبة توجد في الخليج العربي وتسمى «المسطاع»، أما في مصر فتسمى «الحُكشة» و«الدَّح» كما توجد في دول عربية أخرى وبأسماء متعددة.

المصارعة التقليدية

تنتشر بالبلدان العربية عدة أشكال من المصارعة التقليدية، ففي سلطنة عمان تشتهر مصارعة «المكابسة» التي أصلها من محافظة ظفار، والتي بدأت تنتشر في دول عربية أخرى كلبنان، أما في المغرب فتوجد مصارعة تقليدية تسمى «الْمَشَاوْشَة» أو «الْمعَابْزَة» كانت منتشرة في المدن العريقة كفاس ومراكش، وكان يتعاطى ممارستها خاصة الحرفيون والصناع التقليديون باللباس التقليدي الذي هو الجلباب مشدود بحبل من جهة الخصر، أما في مستواها العالي فيحق للمصارعين استعمال حتى العصي، وبالسودان المصارعة التقليدية التي يقال أن أصلها نوبي تقام في دائرة على أرضية رملية وهي من الرياضات التقليدية التي تحظى بمتابعة جماهيرية شعبية واسعة.



الرماية التقليدية

من الرياضات التقليدية الأكثر انتشارًا في الوطن العربي ذات الأصول الحربية، ومن الرياضات الأصيلة التي تنتقل من الأجداد إلى الأحفاد، وهي من أشهر الرياضات التقليدية بسلطنة عمان حيث تنظم لها مسابقات سنوية لمختلف الفئات العمرية، أما في المغرب فقد ارتبطت بداياتها بالمعارك العسكرية حيث كانت فرقة عسكرية مكونة من الرماة تحارب في المعارك، ثم انتشرت بين «القبائل [التي كانت] تتباهى في المواسم والأعراس بفرسانها ورماتها، فهي بذلك تشهر على الملأ استعدادها وتستعرض قوتها وزينتها» بل و«ينظم الرماة في طائفة خاصة قائمة بذاتها وشبيهة بمؤسسة الزاوية حدث مع الشيخ علي بناصر الذي أسس بمدينة مراكش زاوية الرماية». أما في المناطق الصحراوية المغربية فتسمى الرماية التقليدية بالبندقية «خْبِيطْ الشَّارَة»، التي تقام منافساتها خلال الاحتفالات بالمناسبات التي تعرفها المناطق الصحراوية، حيث يتنافس الرماة على إصابة الأهداف الصغيرة جدا والتي يصعب رؤيتها.

الفروسية وسباقات الهجن

تتعدد الرياضات التقليدية المرتبطة بالفرس والفروسية بالوطن العربي، كعرضة الخيل بسلطنة عمان «وهي سباقات تقليدية تراثية تقام في ولايات السلطنة المختلفة وتنفرد بها السلطنة عن بقية دول العالم المهتمة بالخيل ويرتدي فيها الفارس اللباس التقليدي [..] وتمارس بشكل جماعي بين الفرسان في خط مستقيم وتتخللها الأهازيج الشعبية»، وفي سنة ٢٠١٨م سُجلت عرضة الخيل والإبل في قائمة اليونيسكو للتراث الثقافي غير المادي، وإلى جانب عرضة الخيل بسلطنة عمان توجد عرضة الإبل، وبباقي دول الخليج ودول عربية أخرى تمارس رياضة سباقات الهجن التي ترتبط بتربية الإبل، هذه الرياضة التي تلقى اهتمامًا واسعًا في دول الخليج وتقام لها عدة منافسات.



وفي نفس القائمة سجل المغرب مؤخرًا في عام ٢٠٢١م الفروسية التقليدية «التبوريدة». هذه الرياضة التقليدية ذات الأصول الحربية أصبحت اليوم ذات وظيفة فرجوية واحتفالية، حيث يستعرض كل فريق أو كما يسمى محليا «سَرْبَة» تحت قيادة عميده يسمى «الْمَقَدَّمْ» مهارته في سرعة الركض بالخيول، والضرب بالبنادق، حيث تركض الخيول في صف متراص وعند الوصول إلى نهاية الملعب «المْحَرَكْ» يضرب الفرسان البارود ببنادقهم طلقة تهتز معها جنبات «المحرك»، وتتميز هذه الرياضة بلباس الفارس التقليدي وأسلحته، وزينة فرسه في السرج واللجام، إلى جانب العادات والتقاليد والأعراف المرتبطة بها، وتوجد «التبوريدة» في دول عربية أخرى كالجزائر التي تسمى فيها بالفنتازيا أو الخيالة، وتونس وليبيا، لكن طريقة الممارسة تختلف ما بين هذه الدول ففي ليبيا يتسابق الفرسان بدون بنادق، وفي تونس تمارس أكثر بشكل فردي، كما توجد رياضات أخرى ترتبط بالفروسية مثل رياضة «ماطا» التي توجد بشمال المغرب والتي يتنافس فيها الفرسان على الظفر بعروس عبارة عن دمية، ونجد نفس اللعبة في منغوليا التي يتنافس فيها الفرسان حول أخذ خروف.

الصيد بالصقور

تنتشر هذه الرياضة في عدد من المناطق العربية إلى جانب عدد من الدول الآسيوية والأوربية الأخرى. وهو ما جعلها تُسجل في قائمة اليونيسكو للتراث الثقافي غير المادي، وتقوم هذه الرياضة على تربية الصقور وتدريبها على التقاط الطريدة في محيطها الطبيعي. وكغيرها من الرياضات التقليدية العربية



ترتبط بشبكة من الطقوس والعادات والأعراف، وهي من الرياضات التي كانت المفضلة لعدد من الأمراء والحكام العرب مثل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله، الذي تعلم الصيد بالصقور منذ صغره، وأقلع عن الصيد بالبندقية واكتفى فقط بالصيد بالصقور وهو في سن الخامسة والعشرين سنة، وعمل على تطوير هذه الرياضة والتنظير لها حيث ألف فيها كتاب رياضة الصيد بالصقور، وكانت رحلات الصيد التي يقوم بها أكثر من جولات للتسلية وللترفيه، بل وكانت جولات ملحمية يجسد فيها عشقه للتراث، وفرصة لتمرير قيمه الإنسانية النبيلة، وتلقين دروسه في الصيد والتعامل مع البيئة لمرافقيه، وترسيخ رؤيته للتراث، كما كانت رحلات الصيد بالنسبة له فرصة لاختلاطه برعيته ومجالستهم والتعرف على أحوالهم والاستماع لهم.

الصيد بالسلوقي

تعتبر رياضة الصيد بكلاب السلوقي من أقدم الرياضات التقليدية العربية، وشأنها شأن رياضة الصيد بالصقور ارتبطت في بداياتها الأولى بتلبية حاجيات الانسان العربي في العثور على الغذاء خاصة الطرائد من الأرانب، ومع مرور الزمن تراجعت وظيفتها الأصلية لتصبح اليوم من الرياضات التقليدية التي تُعرف بها مجموعة من المناطق العربية، حيث تمارس اليوم للترفيه، وتكون عملية الصيد بإطلاق كلاب السلوقي لمطاردة الطريدة وجري أصحابها من ورائها لتتبع مسارها وأخذ الطريدة منها في الحين.



دور الرياضة التقليدية العربية في التنمية البشرية المستدامة

يُعَرف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD) التنمية البشرية بأنها «توسيع خيارات الإنسان، إذ يصبح في متناوله مزيد من الإمكانات ومتسع من الفرص لاستخدامها»، فهي تعتبر الإنسان هو محور التنمية وأساسها وهدفها، وهي تعتبر بذلك أن التنمية ليست في تطور الاقتصاد ونمو الناتج الداخلي لقومي للدول، بل في تطور حياة الناس في تحسين حياتهم وتحقيق الرفاه لهم. وعليه فالتنمية البشرية تركز على ثلاثة خيارات أساسية للناس، هي:



فالتنمية البشرية ترى أن هذه الخيارات هي أساس بناء قدرات الإنسان لتوسيع عدد الفرص أمامه، لكنها لا تتوقف-أيضًا- عند الحد بل تتجاوز ذلك إلى تعميم المساواة والعدالة الاجتماعية، واحترام حقوق الإنسان، والمشاركة السياسية، وحماية الأمن البشري، وتمكين الإنسان من عيش حياة مبدعة، وحماية الثقافة والحضارة الإنسانية، وتأمين استدامة الموارد الطبيعية وحماية البيئة والتكيف مع التغيرات المناخية، خاصة مع «أوجه عدم اليقين النُّظمية التي تلوح مع الحقبة الجديدة، فمستقبل هذه الإمكانات محفوف بالتقلبات، وقد يصبح تحقيق المكاسب صعبًا، والحفاظ عليها أصعب، وقد تصبح الانتكاسات أكثر وقوعًا ومباغتة»، وللموازنة بين إمكانات وفرص الأجيال الحالية وأجيال المستقبل. فالرياضة عامة والرياضات التقليدية أن تساهم في هذا السياق بدور كبير في تحقيق التنمية بشرية مستدامة بوطننا العربي.

الرياضة التقليدية العربية وتحسين الدخل

يمكن أن تتجاوز الرياضات التقليدية العربية الدور الترفيهي والاستعراضي الذي تلعبه إلى المساهمة في تحسين دخل المواطنين والمواطنات من خلال تنظيم التظاهرات والمنافسات الرياضية، وارتباط الرياضات الشعبية بالسياحة، والصناعة الثقافية الإبداعية، وهو ما سيساهم بلا شك في خلق الثروة والحد من الفقر ومعه توفير فرص الشغل والقضاء على البطالة، كما أن الرياضات الشعبية تتماشى مع مفهوم العمل في



التنمية البشرية الذي يتجاوز تأمين الدخل عبر الوظيفة والشغل إلى «أنواع عديدة من العمل تؤثر على التنمية البشرية كالعمل في الرعاية والعمل التطوعي والعمل الإبداعي».

الرياضات التقليدية لصحة أفضل

في الوقت الذي غزت فيه الألعاب الالكترونية بلداننا العربية وساهمت في الخمول وقلة ممارسة النشاط البدني والذي تعتبره منظمة الصحة العالمية عاملاً رئيسيًا «من عوامل خطر الوفاة المبكرة بسبب الأمراض غير السارية»، فعلى النقيض من هذا فإن ممارسة الرياضات التقليدية يحسن من المستوى الصحي للمواطنين، خاصة أنها تعتمد على المجهود البدني كالمشي والركض، أو القوة العضلية كما هو الشأن في المصارعة التقليدية. كما أن هذه الرياضات التقليدية العربية فهي إلى جانب اهتمامها بالصحة البدنية فهي لا تغفل الصحة العقلية والنفسية خاصة أن ممارستها تكون في الغالب في الطبيعة بالهواء الطلق خارج البيت، وتلعب بوسائل بسيطة من البيئة المحلية، وتكون بشكل جماعي مما يجنب اللاعب العزلة والانطواء في البيت، كما أن بعض هذه الرياضات الشعبية يحتاج في لعبها إلى بعض الحيوانات كالصقور، وكلاب السلوقي، والخيول، كما أن منافسات هذه الرياضات الشعبية يكون استعراضيًا أكثر مما هو تنافسي، وقواعدها تكون مرنة بحيث يمكن للجميع اللعب بحيث تقسم الفرق دون التقيد بالعدد، كما أن هذه الرياضات تعزز روح المغامرة لدى ممارسيها، وأثناء اللعب فهي كذلك لا تغفل الجانب الاحتفالي الفرجوي حيث مع اللعب تكون روح المرح والدعابة.

الرياضة التقليدية والتعليم

يعتبر التعليم من الخيارات الأساسية في التنمية البشرية المستدامة، فهو إلى جانب الصحة يساهم في بناء القدرات البشرية، فكلما تحسنت مهارات وخبرات الأفراد ومعارفهم تزايدت فرص العمل وارتفع الإنتاج والدخل ومعه تحسنت مستويات معيشتهم. والرياضات التقليدية ترتبط بالمجتمعات المحلية وببيئتها وثقافتها المحلية هذه المجتمعات التي دعت هيئة الأمم المتحدة إلى أن «احترام معارف الشعوب الأصلية وثقافتها وممارستها التقليدية يساهم في تحقيق تنمية مستدامة ومنصفة للبيئة وفي حسن إدارتها»، خاصة أن الرياضات التقليدية رغم أن لها وظيفة اللعب والترفيه إلا أنها لا تغفل الجانب التعليمي فالرياضات الذهنية كالحل، والسِّيكَ، والخربقة وغيرها لها ارتباط بالرياضات أو الاثنورياضات وهي «دراسة الممارسات والأفكار الرياضية في علاقاتها مع مكونات الحياة الثقافية والاجتماعية»، كما لها ارتباط بالأعمال اليدوية والفنون التشكيلية من خلال صناعة أدوات اللعب والتفنن في تشكيلها، والبيطرة التقليدية خاصة الرياضات التقليدية التي لها علاقة بالحيوانات، ومن جوانب أخرى ترتبط بالأدب الشعبي من خلال الأشعار الشعبية التي تردد أثناء الاحتفالات الرياضية، والأمثال الشعبية والحكايات الشعبية التي ترتبط بهذه الرياضات.

الرياضة التقليدية وتعزيز المساواة

تساهم الرياضات التقليدية في تعزيز المساواة بين الناس حيث يمكن لجميع الأفراد اللعب بغض النظر عن العدد وعن السن كما تتلاشى فيها الفوارق الاجتماعية، وإذا ارتبطت الرياضات التقليدية بالذكور إلا أن العديد منها تمارسه النساء كذلك مثل لعبة السِّيكَ، ورياضة التبوريدة في المغرب التي بدأت تتوسع قاعدة ممارستها من طرف النساء، كما أن الرياضة الشعبية يغلب عليها الطابع الاستعراضي أكثر من التنافسي وهو ما يقوي روح الاحترام بين اللاعبين والروابط الصداقة بين الأفراد، كما أن الجماهير في الجنبات تحضر معها الاحتفالية ويغيب معها الشغب والهتافات المعادية لأي طرف، كما أن ممارسة النساء للرياضات التقليدية والرياضة عامة كما أشرتا الأستاذتين فيبي كلارك إيان آريس «جعلت النساء أقوى ذهنيا وعززت نماءهن العاطفي، وهما يضيفان قائلين وعلى هذا النحو تشجع المشاركة في الرياضة على الاستقلال وعلى روح المبادرة».



الرياضة التقليدية والصناعة الإبداعية

تَعتَبِرُ اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي «أن التنوع الثقافي يخلق عالمًا غنيًا ومتنوعًا يتسع فيه نطاق الخيارات المتاحة وتتعزز فيه الطاقات البشرية». وهكذا فالرياضات الشعبية المتعددة والمتنوعة مجال خصب لاستلهام عناصرها في مجالات إبداعية أخرى كالمسرح، والسينما، والفنون التشكيلية، والموسيقى، والنشر، والألعاب الالكترونية...، بحيث ترتبط الرياضات التقليدية باقتصاد المعرفة والاستثمار في التكنولوجيا، والرأسمال البشري والفكري ومعه تطوير منتجات وخدمات جديدة من الرياضات التقليدية. هذه الصناعة التي تعد من أسرع الصناعات نموًا بالعالم بحيث انتقلت «الثقافة والإبداع من ٣,١٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي و٦,٢٪ من إجمالي العمالة. وقد تضاعفت قيمة صادرات السلع والخدمات الثقافية منذ عام ٢٠٠٥م لتصل إلى ٣٨٩,١ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠١٩م»، ولأهمية الصناعة الإبداعية فقد خصص ٢١ أبريل من كل عام يومًا عالميًا للإبداع والابتكار.



كما يمكن أن تساهم الصناعات الإبداعية المستلهمة من الرياضات التقليدية وخاصة المشتركة بين الدول العربية وباقي دول العالم الأخرى في التقريب والتفاهم بيننا والشعوب الأخرى، وفي تعزيز وتقوية الدبلوماسية الثقافية العربية، والترويج للنموذج العربي وتحقيق المصالح العربية، هذه الدبلوماسية التي يمكن أن ينخرط فيها عدة فاعلين من دبلوماسية رسمية، ومجتمع مدني، ومؤثرين في وسائل التواصل الاجتماعي، وحتى المواطن العربي العادي.

الرياضة التقليدية ودورها في استدامة الموارد الطبيعية وحماية البيئة

ما يُميز الرياضات الشعبية هو أن ممارستها تستحضر مسؤولية حماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية، فهي تمارس بلوازم وأدوات طبيعية في أغلبها مأخوذة من البيئة المحلية، فقطع اللعب الذهنية هي الحجارة والرقعة ترسم على أرضية رملية أو ترابية، أما حلبة المصارعة التقليدية فهي أرضية رملية، أما كرة الرياضات العربية التي تشبه الهوكي فهي تصنع من القنب أما العصا فتصنع من جذع شجرة أو نخلة، أما الرياضات التي ترتبط بالحيوانات كالفروسية والصيد بالسلوقي والصقارة فلها دور كبير في الحفاظ على السلالات المحلية واستدامتها، ومعه الحفاظ على التنوع البيولوجي العربي، ولهذا فاتفاقية حماية التنوع البيولوجي تدرك أهمية «استخدام المعرفة والابتكارات والممارسات التقليدية ذات الصلة بصيانة التنوع البيولوجي واستخدام مكوناته على نحو قابل للاستمرار».

تنمية بشرية مستدامة بالوطن العربي قائمة على الرياضة التقليدية

تتعدد الإمكانات والفرص التي يمكن أن توفرها الرياضات التقليدية في تقوية التنمية البشرية ببلداننا العربية، بالنظر إلى دورها في دعم خياراتها من خلال تحسين دخل الأفراد لتمكينهم من عيش كريم، والحفاظ على صحتهم بدون أمراض خلال عمر أطول، ومساهمتها أيضًا في تعليمهم وتمكينهم من المهارات والقدرات، وإلهامهم على الإبداع، وخيارات أخرى كدعم المساواة، واستدامة الموارد الطبيعية والحفاظ على البيئة والتكيف مع التغيرات المناخية، وحتى تساهم الرياضة التقليدية في خلق تنمية بشرية مستدامة ببلداننا العربية، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ما يلي

١. توثيق وحماية الرياضات التقليدية العربية من خطر الانقراض والزوال بتوريثها ونقل ممارستها عبر الأجيال؛

٢. دعم الرياضات التقليدية المشتركة بين البلدان العربية وباقي دول العالم؛

٣. تنظيم تظاهرات وبطولات وطنية وعربية خاصة بنوع رياضي أو عدة رياضات شعبية لحميتها وتطوير ممارستها؛

٤. ربط الرياضات التقليدية بالتظاهرات الثقافية الأخرى كالمهرجانات والمعارض؛ وفي المنتوج السياحي للدول العربية؛

٥. تطوير الرياضات التقليدية في الصناعات الإبداعية من خلال الأعمال الفنية كالسينما، المسلسلات التلفزية، والأفلام الوثائقية وأفلام الكرتون، والكتاب والنشر، والألعاب الإلكترونية؛

٦. إدماج الرياضات التقليدية في مادة التربية البدنية بالمؤسسات التعليمية والأنشطة المدرسية، وفي بيداغوجيا اللعب؛

٧. تسخير الرياضة التقليدية في تحقيق المساواة بدول العالم العربي، مع تطوير الألعاب الرياضية النسوية؛




SPORT SPO
23

٨. الاعتماد على الرياضيين وحتى على المؤثرين في وسائل التواصل الأكثر شهرة في الترويج للرياضات التقليدية؛

٩. الاستلهام من الرياضات التقليدية في حماية الموارد الطبيعية والتنوع البيولوجي؛

١٠. الاعتماد على البحث العلمي بالجامعات والمعاهد ومراكز البحث لتطوير الرياضة التقليدية في التنمية البشرية المستدامة.

خاتمة

يظهر أن الرياضات التقليدية العربية تتجاوز كونها ألعابًا رياضية وجدت للترفيه والتسلية وقضاء الوقت، بل هي جزء لا يتجزأ من تراثنا العربي حيث تبرز معها أصالة الهوية العربية ومعها يكشف عن ملامح الشخصية العربية، حيث نجد أن كل رياضة تقليدية من هذه الرياضات ترتبط بشبكة من الطقوس والأعراف والعادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية، كما أنها جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي غير المادي للإنسانية خاصة، وأن الكثير منها هو مشترك مع دول أخرى، ولهذا فعملية حمايتها من الاندثار وحماية ممارسيها ضمن منظومة وطنية للكنوز البشرية الحية مع إيجاد سبل توريثها للأجيال المقبلة، سيكون أحد الوسائل الكفيلة في خلق تنمية بشرية مستدامة عربية يكون فيها تراثنا الشعبي عامة والرياضات التقليدية خاصة مجالاً من مجالات إلهامها.







د. سعود الشرفات

باحث أردني



الرياضة والتثاقف في ظل العولمة
كرة القدم العالمية مثالاً

من وجهة نظر اجتماعية يقال أنّ جميع الأجناس البشرية لها ثقافات اللعب الخاصة بها. فكانت الأنشطة البدنية مثل الجري عبر الحقول ورمي الأشياء أو الحجارة، وإطلاق السهام، أو السباحة في الجداول والانهار، وسباقات الخيول، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببقاء الإنسان وإنتاج الموارد، وكلها شائعة في جميع تواريخ البشر. وبما أن غريزة اللعب ستكون سمة إنسانية أساسية؛ فإن الرياضة والأنشطة-التي تتطلب المنافسة البدنية- ستكون نتاج سلسلة طويلة من عمليات التثاقف المتراكمة في سيرورة بناء الثقافة البشرية. ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار الرياضة منتجًا ثانويًا ثقافيًا للمجتمع البشري المتكامل (1996,Donelly).

إن نظرة على الخلفية التاريخية لكيفية تطور رياضات كرة القدم في إنجلترا، والبيسبول في أمريكا، والجودو الياباني، والتايكوندو الكوري إلى



رياضات عالمية يدل على السيرورات الداخلية لكل منها والمحملة بتثاقف كثيف، بالإضافة إلى المنطق وراء عولمتها. وتروج كرة القدم من قبل إنجلترا وبقية القارة الأوروبية، وتعتبر واحدة من أكثر الرياضات شعبية في العالم، وقد خدمت وظيفتها كشكل من أشكال الإمبريالية الثقافية. كما تقدمت جنبًا إلى جنب مع التجارة والعمل التبشيري وأنواع أخرى من الصدامات الثقافية. أما في أمريكا فقد استخدمت لعبة البيسبول لدمج مجتمعها متعدد الثقافات وتطويرها. وفي الدول الشرقية ولدت الرياضة من جديد من خلال التحديث والتثاقف العميق الذي تأثر بالعقلانية الحديثة والتعليم وما إلى ذلك من نظيراتها الغربية. لقد قدمت رياضات الجودو والتايكوندو عالميًا من خلال الألعاب الأولمبية. وكما ذكرت أعلاه فإن ولادة الأحداث الرياضية لها صلة وثيقة بالخلفية الثقافية للأمة، وقد اتخذت العولمة أشكالاً مختلفة اعتمادًا على القارة التي نشأت منها (2016,Lee BJ, Kim TY)..

عولمة الرياضة

يشير مفهوم "عولمة الرياضة" إلى عملية توسع فكرة الرياضة في جميع أنحاء العالم حيث تأثر مجال الرياضة في القرنين ٢٠ و ٢١ بالعولمة التي باتت تؤثر على كيفية إدارة الرياضة وتنظيمها، وكيف ينظر إليها، وما تعنيه في عالم اليوم. حيث يمكن لمواطني الدول غير المشاركة بالرياضة-أيضًا- المشاهدة والاستمتاع بالبث المباشر، وغير المباشر ، والمُسجل، أو المحمل على الأجهزة الخلوية.

يمكن العثور على جذور الرياضة الحديثة في منتصف القرن التاسع عشر في بريطانيا والولايات المتحدة حيث نُظمت أول رياضات احترافية في مدن التعدين والصناعة. وفي ذلك الوقت كانت المنافسة الرياضية



تجـري في الغالـب علـى المسـتويين المحلـي والوطنـي. وقـد ظهـرت أولـى علامـات العولمـة في هـذه المسـألة بسـبب موقـف الهيمنـة العالمـي الـذي كانـت تتمتـع بـه بريطانيـا العظمـى في القـرن التاسـع عشـر. وبسـبب التأثيـر البريطانـي نمـت شـعبية رياضـات مثـل كـرة القـدم أو الرجبـي أو الكريكـت في جميـع أنحـاء العالـم لتحـل محـل الألعـاب المحليـة التقليديـة. ((Lee BJ, 2016,Kim TY))

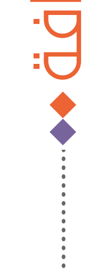
واتخـذت خطـوة أخـرى في عولمـة الرياضـة بإنشـاء اللجنـة الأوليمبيـة الدوليـة في عـام ١٨٩٤م وإحيـاء الألعـاب الأوليمبيـة في عـام ١٨٩٦م؛ فنُضمـت أول دورة ألعـاب أولمبيـة حديثـة في مسـقط رأسـها القـديم في أثينـا، واجتذبـت رياضـيين مـن أربـع عشـرة دولـة. وعلـى الرغـم مـن أن معظـم المشـاركين كانـوا أوروبيين، إلا أنّ الألعـاب الأولمبيـة لعـام ١٨٩٦م بـدأت بانتظـام مسـابقة رياضيـة دوليـة سـرعان مـا انتشـرت علـى نطـاق عالمـي عـن طريـق عمليـات متراكمـة مـن التثاقـف المدفـوع بتسـارع سـيرورة العولمـة الثقافيـة التـي سـهلت منهـا آليـات العولمـة التكنولوجيـة مـن خلال تطـور وسـائل الاتصـال والتواصـل والنقـل.

هنـاك أنـواع عديـدة مـن الرياضـات التـي يحبهـا النـاس في العالـم. ومـع ذلـك واسـتنادًا إلـى الرياضـات المدرجـة في الألعـاب الأولمبيـة، يمكـن تصنيفهـا إلـى ثلاث فئـات: تلـك التـي نشـأت مـن إنجلتـرا والقـارة الأوروبيـة ونظمـت بطولاتهـا في إنجلتـرا والقـارة الأوروبيـة. وتلـك التـي نشـأت في الأمريكيتين وخاصـة تلـك التـي تطـورت في الولايـات المتحـدة وتعولمـت في وقـت لاحـق ؛ وأخيـرًا تلـك التـي نشـأت في البلـدان الآسـيوية والتـي سـتكون في الواقـع ولادة جديـدة للثقافـة البدنيـة التقليدية(فنـون الدفـاع عـن النفـس) التـي حدثـت لمواكبـة التغيـرات والمتطلبـات الثقافيـة في الرياضـة ((Lee BJ, Kim TY,2016)).

إنّ كل هـذه الرياضـات لهـا خلفياتهـا وسـياقاتها الاجتماعيـة والثقافيـة التـي أدت إلـى عولمتهـا. ومـن خلال عمليـات متراكمـة ومعقـدة مـن عمليـات التعلـم والتثاقـف الواسـع والعميـق حُدِثـت كـرة القـدم والرجبـي والهوكـي والملاكمـة والغولـف والتنـس وركـوب الخيـل وألعـاب القـوى وكـرة الريشـة والجمبـاز والمبـارزة والرمايـة ومـا إلـى ذلـك في إنجلتـرا والبلـدان الأوروبيـة وانتشـرت في قـارات أخـرى. ومـن ناحيـة أخـرى نشـأت في القـارة الأمريكيـة رياضـات مثـل البيسـبول وكـرة السـلة والكـرة الطائـرة وكـرة القـدم الأمريكيـة. كمـا انتشـرت في بلـدان أخـرى. وإلـى جانـب انتشـار هـذه الرياضـات الغربيـة فـإن فنـون الدفـاع عـن النفـس التقليـــدية مثـل الجـودو أو التايكونـدو أو الكينـدو أو الكاراتيـه أو الووشـو –وكلهـا لهـا تاريـخ طويـل في بلدهـا الأصلـي– هـي –أيضًـا– معولمة لتكـون رياضـات شـعبية يمكـن لأي شـخص في العالـم ممارسـتها والاسـتمتاع بهـا.

مـن المتفـق عليـه في أدبيـات تاريـخ الرياضـة أن كـرة القـدم الحديثـة نشـأت في إنجلتـرا. لكـن السـؤال هـو : كيـف كانـت كـرة القـدم متجـذرة وتطـورت في إنجلتـرا؟

إن التغييـرات ونمـو أمـة واحـدة تنتـج عـن التفاعـل بين التقاليـد أو الخصائـص أو الظـروف البيئيـة للبلـد. وبالمثـل فـإن التغييـرات ونمـو الثقافـة الرياضيـة سـتتبع هـذه الطريقـة أيضًـا. فمنـذ أوائـل القـرن ١٩ الميـلادي تأثـرت التغييـرات في المعـارف التقليديـة التـي سـيطرت علـى أفـكار وعـادات النـاس في إنجلتـرا بشـكل حاسـم بالتطـور العلمـي الـذي قدمـه التقـدم الثوري/اختـراع النقـل الـذي سـهل النمـو الاقتصـادي السـريع. فظهـرت تطـورات غيـر مسـبوقة في المجتمـع البشـري بسـرعة جنبـا إلـى جنـب مـع هـذه التغييـرات الديناميكيـة التـي لعبـت دورا كبيـرا في تحديـث الرياضـات التقليديـة وأيضـا خلـق ونشـر رياضـات جديـدة. و كان مـن اهـم هـذه الرياضـات كـرة القـدم ((Lee BJ, Kim TY,2016)). يبـدو هنـا التأثيـر الهائـل لسـيرورة العولمـة وكيـف أدى التسـارع التكنولوجـي في مختلـف مناحـي الحيـاة في انجلتـرا خاصـة بعـد الثـورة الصناعيـة إلـى تفتيـت البنـى الاجتماعيـة والثقافيـة الجامـدة واعـادة تشـكيلها بطـرق أكثـر تنوعًـا واختلافًـا. وإعـادة تشـكل البنـى الاجتماعيـة لـم يكـن مقتصـرًا علـى انجلتـرا كجزيـرة معزولـة فقـط؛ بـل امتـد ليشـمل الأطـراف البعيـدة في الامبراطوريـة البريطانيـة في الشـرق والغـرب.





ورغم النقد الثقافي الشديد الذي يوجه إلى الحقبة الاستعمارية لبريطانيا؛ إلا أنّ هناك الكثير من الدلائل والمؤشرات التي تؤكد بأن خلال تلك السنين كانت تجري تحت السطح وفوقه عمليات واسعة من عمليات "التثاقف الاتوماتيكي".

وأقصد بمفهوم "التثاقف العفوي "تلك العمليات الواسعة من التثاقف التي كانت تجري سواءً بشكل مقصود ومخطط له؛ أو غير مقصود وغير مخطط له مسبقاً. وتنتج عن اختلاط عفوي وطبيعي وامتزاج الأفكار والثقافات بين الشعوب والدول المختلفة وهي بالطبع تحمل طابعين: تثاقف سلبي، وتثاقف إيجابي؛ وهو المقصود هنا.

وهذا المفهوم لم يستخدم من قبل (حسب علمي) وقد استخدمته هنا لغايات توضيح فكرة التثاقف العفوي والعميق، ولقد أخذته من مفهوم «العوامل الخارجية» في النظرية الاقتصادية الكلاسيكية (externality) الذي اخترعه الاقتصادي البريطاني الشهير الفرد مارشال في كتابه مبادئ الاقتصاد الذي نُشر عام ١٨٩٠م. حيث تُعرف العوامل الخارجية بأنها "حدث يحصل كمنتج ثانوي لحدث آخر يحدث. وهي نتيجة ثانوية لعملية أولية. وقد يكون هذا التأثير الجانبي جيدا أو سيئا وقد يكون ناتجا عن عملية إنتاج أو عملية استهلاك" (2024,Eldridge) . ولعله من المهم الإشارة والتأكيد على أنّ "العوامل الخارجية"هي من بين الأسباب الرئيسية التي تدفع الحكومات إلى التدخل في المجال الاقتصادي. وهي بالتأكيد تجعل هذه الحكومات تتدخل في المجال الثقافي والاجتماعي كذلك لغايات الضبط والتنظيم. وقد استخدمت هذا المفهوم لشرح فكرة التثاقف العفوي، ومفهوم "الوفورات الثقافية" كمنتج نهائي لعمليات التثاقف سواء التي جرت في الماضي أو تجري حاليًا أو مستمرة في المستقبل .



وأبرز مثال على ذلك تتبع تاريخ لعبة الكريكت وعمليات التثاقف العميقة بين الإمبراطورية البريطانية والدول التي استعمرتها لعقود من الزمن في شبهه القارة الهندية (الهند، الباكستان، بنغلادش، سيرلانكا). فرغم الاختلاف على نشأة اللعبة؛ إذ يرى فريق أنها نشأت في القرن السادس عشر في أثناء حكم تيودور، في حين تتفق معظم الآراء مع الرأي القائل بنشأتها على أيدي أطفال المزارعين في منطقة ويلد الواقعة بين كنت وسوسكس، خلال العصور الوسطى. ومع نهاية القرن السابع عشر انتشرت لعبة الكريكت بين أفراد الطبقة الأرستقراطية في أوروبا. وقد دونت أول تسجيلات كاملة للعبة وجمعت في حوالي عام ١٧٨٠م، وكان ذلك عندما أصبح فريق نادي هامبدن أقوى فريق كريكت في إنجلترا . أي قبل ٧٨ عام من بدأ الاستعمار البريطاني في شبه الجزيرة الهندية في عام ١٨٥٨م. واليوم تعتبر اللعبة الأكثر حضورًا وشهرة في شبهه القارة الهندية، لا بل أنّ أفضل دوري كريكت في العالم-حاليًا- هو الدوري الممتاز الهندي الذي انطلق بشكله الحديث في سنة ٢٠٠٨م. ويشتهر هذا الدوري بالحضور الجماهيري الكبير الذي يفوق الحضور في جميع الدوريات الرياضية الأخرى.كذلك تعد الباكستان، وبنغلادش، وسيرلانكا على رأس الدول العشر الأولى في العالم في اللعبة.

هذا يعني ببساطة إنه لا يمكن لأي عالم اجتماع في العالم أن يقفز عن حقيقة وجود وكثافة عمليات التثاقف التي جرت خلال الأربعة قرون الماضية ودورها في عولمة الرياضات سواء الكريكت أو كرة القدم كما سنبين لاحقًا.

العولمة والتثاقف العميق

تشي عمليات التثاقف الواسعة والعميقة التي تسارعت بفعل آليات العولمة التكنولوجية والثقافية تحديدًا منذ بديات القرن العشرين بتغيرات ثورية في ساحة عولمة كرة القدم في العالم حيث فتحت التغيرات الجيوسياسية الواسعة والعميقة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة وانهيار جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي الباب واسعًا لانطلاق سيرورة العولمة الثقافية والتكنولوجية بتسارع كبير. ولقد فتحت سيرورة العولمة المتسارعة والمتفاوتة بنفس الوقت الباب لاندماج الكثير من أقاليم العالم خاصة من أفريقيا وأسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأوروبا الشرقية وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة والتي أصبحت خزانًا بشريًا هائلاً لتصدير اللاعبين الموهوبين في كرة القدم إلى العالم والذين بدورهم أصبحوا معولّمين بحكم الواقع والضرورة، وفي نفس الوقت مندمجين في عمليات مركبة من التثاقف الواسع العميق حتى وإن كان متفاوتًا في التأثير لكن هذا لا يغير من حقيقة أن هذه السيرورة لا زالت في بداياتها التاريخية وتتطور بتسارع وبتزامن مع سيرورة العولمة ذاتها.

كما أسلفت هناك سلبيات وايجابيات لعولمة الرياضة بشكل عام؛ وكرة القدم بشكل خاص. وهي تنتج بالتزامن مع بعضها البعض من خلال العملية التي سبق أن أشرت إليها تحت اسم "العوامل الخارجية". ويلاحظ أن هذه السلبيات تجتذب معظم أقلام النقد لعولمة كرة القدم. وتشمل بعض السلبيات التي أسهمت فيها عولمة كرة القدم والتي يركز عليها بعض الخبراء والمتابعين ما يلي: التوزيع غير المتكافئ للثروة بين الدول الغنية والفقيرة، والتجانس الثقافي من حيث هيمنة العلامات التجارية العالمية والفساد؛ مما يعرض نزاهة اللعبة للخطر واستغلال الرياضين حيث يمكن أن يؤدي الطلب العالمي على المواهب إلى استغلال العمالة، وظروف العمل السيئة، خاصة بالنسبة للرياضيين المبتدئين وغيرها الكثير من السلبيات التي يمكن للناقد أن يجدها.

يربط بعض المعلقين العملية بالإيديولوجيا ومعارضة سيرورة العولمة ويدّعي بأنها مرتبطة بالنيو ليبرالية الرأسمالية المتوحشة! فبعضهم يحاجج قائلاً : «أن تكون لعبة كرة القدم لعبة جميلة ممتعة، ويثير أبطالها(الكبار المتميزون) الإعجاب والدهشة، فإنّ ذلك واقع لا شك فيه على الإطلاق. واللعبة بالفعل تستحق كل ذلك الاهتمام الذي يثار حول مواسم لعبها الإقليمية والدولية. لكن هل يسهم بعض من ممارساتها في طرح أسئلة مقلقة محيرة بشأن تشوه تلك الصورة وتقلبها من مشهد رياضي جميل، إلى مشهد تجاري نفعي قبيح؟ نحن أمام ظاهرة عصرية كبرى خطرة: نجاح فلسفة العصر النيو ليبرالية



الرأسمالية المتوحشة في الاستفادة من كل نشاط إنساني لصالح قلة من أصحاب المال والوجاهة والسلطة المتلاعبة بالعقول والمشاعر لصالح نهمهم وترفهم، وها أن لعبة كرة القدم الجميلة البريئة تلتحق بطابور طويل من ضحايا تلك الفلسفة. نحن بالفعل في عالم هربت منه البراءة ودمر الفرح الإنساني البسيط لينخره الفساد والطمع والتلاعب بكل نشاط إنساني لصالح من يهيمنون عليه.»(علي محمد فخرو، ٢٠٢٢).

لقد درس العديد من الباحثين خاصة في المنظومة المعرفية الغربية وحاولوا الإجابة على سؤال هل ستحقق سيرورة عولمة الرياضة في نهاية المطاف التجانس العالمي من خلال تجاوز الحدود بين الوحدات الاجتماعية التقليدية؟» وقد قاموا بذلك من خلال منظورين مميزين. التنوع في العولمة والتوحيد في الإمبريالية الثقافية. وأصر فريق على أنه على الرغم من أن سيرورة عولمة الرياضة تنطوي-جزئيًا- على الاستيعاب الثقافي؛ إلا أنّها في الوقت نفسه مسار معقد للتحول يشكل ويعيد تأكيد الاختلافات بين الفردية والأذواق والرغبات الثقافية والهوية الإقليمية.

بينما أكد فريق آخر من الباحثين الذين يتعاملون مع عولمة الرياضة-فقط- من منظور الأمركة وتغريب الرياضة والإمبريالية الثقافية على أنها ببساطة أمركة الرياضة أو يفسرونها على أنها إمبريالية ثقافية. وعلى الرغم من هذه الأنواع من المناقشات الاكاديمية خاصة في الغرب، فإن أهم شيء يجب معرفته هو أنه في فهم العولمة، ليست الدول(وحدة التحليل) هي الوحدات الحاسمة التي تقرر النظام العالمي؛ ببساطة الآن وحدة تحليل النظام العالمي أصبحت: الدولة، وما فوق الدولة (مثل الشركات العملاقة المتخطية لحدود القومية)، وما دون الدولة(مثل منظمات المجتمع المدني، و الجماعات والمنظمات الإرهابية ، والجريمة المنظمة). والآن يوحد العالم في مكان واحد، حيث تستمر العملية من خلال الاعتماد المتبادل بين البلدان، وليس من خلال قوة الدول المتقدمة في اتجاه واحد.

كما أنّ التبادلات وتدفق الثقافة الرياضية العالمية لا تشهد توسعًا أو تمايزًا بين التفرد أو الاختلافات؛ بل التجانس، لتصبح متشابهة مع بعضها البعض (2016,Lee BJ, Kim TY).

العولمة والقوة الناعمة لكرة القدم

إنّ العولمة التي نعيشها اليوم ليست مجرد اقتصاد وتجارة واستثمارات متخطية للحدود القومية؛ فهي أوسع وأعمق من ذلك، إنّها التفاعل بين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة والتكنولوجيا، التي تعدّ المحرك الأساسي في تلك التفاعلات المتسارعة الآن. وبالتالي فهي أوسع من ما يسمى الليبرالية المتوحشة؛ بل هي تسعى إلى تفتيت وتحطيم بنى وآليات هذه الليبرالية التي أصبحت من مخلفات الحرب الباردة خاصة بعد ثورة آليات التواصل الاجتماعي وقدرات وإمكانات الذكاء الصناعي المتسارعة.





إنّ أكثر الخرافات خطرًا وتأثيرًا على مستوى العالم هي تصوير سيرورة العولمة الجارفة (إيجابياتها / سلبياتها)، وكأنّها تجلٍّ للاقتصاد فقط، وهذه- للأسف الشديد- خرافة سائدة ومسيطرة في العالم العربي، بتأثير خليط من رواسب يسارية، وأخرى إسلامية وطيف واسع من «حركات مناهضي العولمة» في العالم يتركز نقده على المحرك الليبرالي، أو ما يطلق عليه «الليبرالية المتوحشة للعولمة»، وهنا بالمناسبة؛ تُرسم أمريكا كزعيم للعولمة! وتعريف العولمة على أنّها «أمركة» العالم. مع أنّ الدلائل الواقعية والإحصائية تؤكد أنّ هذا مجرد خرافة صدقها البسطاء لعدة أسباب، يصعب حصرها هنا، لكن أهمها مراقبة سلوك الإدارات الأمريكية التي تعمل بإصرار منقطع النظير ضدّ كلّ آليات العولمة-وإن بتفاوت- من سياسة تقييد الهجرة واللجوء إلى الحمائية التجارية. وهنا يأخذ نقد العولمة ومعارضتها شكله الأيديولوجي، مع أنّ العولمة التي نقصد ليست أيديولوجية، كما أنها ليست نظرية واحدة لفهم العالم. إنها نظرية للتمكين على مستوى الكوكب وآلية لم يعد هناك شك بأنها الأكثر جدوى في تفتيت البنى الاجتماعية والثقافية المتكلسة التي ما زالت العقول التقليدية تتمسك بها وتدافع عنها حفاظًا على مصالحها الشخصية من خلال تأبيد الوضع القائم. إنّ مباريات كاس العالم تعدّ «قمم عالمية» لجمع إرادات شعوب العالم اليوم، وهي أكثر أهمية من مؤتمرات القمم السياسية في العالم. فكم شخصًا تابع القمم السابقة واهتم بها، عدا الساسة ورجال الأعمال والاقتصاد والإعلام مقارنة مع عدد متابعي مباريات كرة القدم الأخيرة ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٢٢م في دولة قطر مثلا؟ (الشرفات، ٢٠١٨).

يعتبر المنظر السياسي والاستراتيجي الفرنسي باسكال بونيفاس (وهو المدير المؤسس للمعهد الفرنسي للشؤون الدولية والاستراتيجية) أكثر علماء السياسية والاجتماع في العالم الذين كرسوا جهدًا منقطع النظير للدراسة والتنظير حول الرياضة في العلاقات الدولية، وطوّر مفهوم الجغرافيا السياسية للرياضة. وعولمة كرة القدم مع التركيز على الجوانب الإيجابية منها، وأن عولمة كرة القدم تعزِّز الانفتاح. وقد سبق وأن نشر له ثلاثة كتب حول عولمة كرة القدم وهي: جيوستراتيجية كرة القدم والعالم مستدير مثل كرة القدم وكرة القدم والعولمة الذي نُشر عام ٢٠٠٦م .

هذا ويوضح بونيفاس في كتابه كرة القدم والعولمة كيف غزت كرة القدم العالم كله دون حروب وحملات عسكرية. وحيث إن الشمس لم تعد تغيب عن إمبراطورية كرة القدم؛ فقد أصبحت بهذا المعنى رمزاً للعولمة. مع فارق نوعي وكبير وهو أنه إذا كانت العولمة الليبرالية السائدة ترمي إلى حل الهويات الوطنية والقومية؛ فإنّ كرة القدم هي على العكس عامل «لحمة» و«اسمنت» لهذه الهويات... ذلك أن مواطني كل بلد من بلدان العالم يلتفون كصوت واحد حول فريقهم الوطني باعتباره يحمل «علم» البلاد إلى مختلف أرجاء المعمورة(صحيفة البيان، ٢٠٠٦).

وفي إحدى المقابلات التي نشرت معه سُئل بونيفاس: أنت تحلل بحماس غزو كرة القدم للكوكب منذ نهاية القرن التاسع عشر. كيف يمكن أن ننظر بإعجاب لظاهرة هي أيضاً ثمرة الهيمنة الغربية على العَالَم؟

فرد بونيفاس: «كرة القدم إمبراطورية، ويا لها من إمبراطورية! لا توجد ظاهرة عالمية تشبهها اليوم. بعد البحّارة والتّجار والصناعيين الإنجليز والجنود والمُستوطنين، جاءت كرة القدم وأسرت العَالَم. وانتشرت بعد أن هاجر الشباب من عدّة مجتمعات في الكوكب للدراسة في كليات جلالة الملك، ثمَّ عادوا إلى بلدانهم وكلهم شغف بكرة القدم ورغبة في ركلها... ثمَّ أكملت الإذاعة والتليفزيون هذا الغزو. إمبراطورية كرة القدم الآن تهيمن على العَالَم بأسره، حتى في البلدان غير المُتوقّعة مثل نيبال أو بوتان أو جزيرة مونتسيرات الصغيرة في جزر الهند الغربية. لكن هذه الإمبراطورية لم تُبن أبدًا تحت الإكراه. لقد استولت على العقول والقلوب بسلاسة



شـديدة. وفي الحقيقـة إن العقـول والقلـوب هـي التـي تبنّت هـذه اللعبـة. وإذا كنـا نتحـدَّث عـن القـوة بشـكلٍ مطلق، فإننا نتحدَّث عن «القوة الناعمة»، باستخدام مصطلحات عالم السياسة ومنظر العلاقات الدولية الأميركي جوزيف ناي.(بن مسعود ،٢٠٢٢).

وأضاف بونيفاس «للوهلة الأولى يعتبر كأس العَالَم لكرة القدم حدثًا رياضيًا كبيرًا. للوهلة الثانية وراء كل مباراة هناك–أيضًا– جانب اقتصادي وثقافي وسياسي على المحك. ويوضّح بونيفاس في كتابه «كرة القدم والعولمة». كرة القدم هي بؤرة العولمة وتناقضاتها. وعندما يتعلَّق الأمر بكرة القدم، وفي اليوم الذي ينطلق فيه كأس العَالَم، سيصبح الكاتِب بدوره مشجّعاً مثل أي شخص آخر، بنفس القدر من الحماسة، وحتى الشوفينية. والكُتَّاب عبارة عن نداء منعش لهذه الرياضة وقراءةٍ متعمِّقة لتطوُّرات الكوكب، في مرآة الملاعب غير المُحتمَلة، ولكن الكاشفة: العَالَم هو كرة القدم! (المرجع السابق).

ويضيف بونيفاس لا توجد في عالم اليوم أية ظاهرة أكثر اتساعًا وشمولاً من كرة القدم «إنها الإمبراطورية الشعبية الوحيدة التي تتطلب الشعوب بحماس أن تكون مستعمرة لها، وتناضل كي تكون أفضل تلامذتها. وكرة القدم هي–أيضًا– وسيلة رائعة لتعزيز الصداقة بين الشعوب، إنها أداة سلمية للتقارب. وإذا كان التعريف الكلاسيكي للدولة هي أنها تقوم على ثلاثة أركان أساسية هي وجود أرض وسكان وحكومة؛ فإن باسكال بونيفاس يضيف لها ركنا رابعًا هو «امتلاك فريق وطني لكرة القدم» ذلك ان كرة القدم تمثل دليلا جلياً على الهوية الوطنية.



وينقل بونيفاس بهذا الصدد عن المؤرخ البريطاني الشهير (اريك هوبسباوم) قوله: «ما يجعل من الرياضة وسيلة فريدة لتشرب المشاعر الوطنية هو السهولة التي يمكن فيها للأفراد حتى الأقل اهتماماً بالسياسة وجود أنفسهم في الأمة التي يرمز لها بما يفعله شباب متفوقون فيما يقومون به وما يتمنى كل إنسان أن يفعله ولو مرة واحدة في حياته» (صحيفة البيان، ٢٠٠٦).

لقد فشلت كرة القدم الأمريكية فشلاً ذريعًا في محاولتها عبور المحيط الأطلسي. وتقتصر لعبة البيسبول الأمريكية على أجزاء صغيرة من أمريكا اللاتينية وجيوب في آسيا. ويقتصر وجود لعبة الكريكت كما سبق أنْ أشرت على الإمبراطورية البريطانية القديمة. والغولف عالمي ولكنه متخصص. «أما كرة القدم فتشاهد في كل مكان حيث يمكنك الحصول على إشارة تلفزيونية، ولعبها أينما يمكنك شراء كرة مستديرة. حتى أسامة بن لادن، أحد مشجعي أرسنال، شجع قواته على لعب كرة القدم عندما كانوا محصورين في أفغانستان» (Wooldridge,2023.).



الخلاصة

الرياضة، والتثاقف، والعولمة؛ كلها ظواهر مترابطة بعمق. وهي تشكل طبقات أو مراتب من التشبيك الواسع والعميق. وإن كنت أرى بأن ظواهر الرياضة والتثاقف تسبح في فضاء العولمة؛ باعتبارها مشيمّة النمو والحياة للرياضة والتثاقف.

ونحن عندما نخصُ كرة القدم العالمية بالتميز كمثال على هذا الترابط العميق أنما نؤشر على ملمح او تجلّ وحيد ومميز لسيرورة الرياضة والتثاقف في ظل السيرورة الأوسع والأكثر تسارعاً للعولمة المعاصرة.

إن تاريخ الرياضة؛ ومنها كرة القدم يدل على أمرين هما: الأول. أنه لا توجد رياضة أخرى قريبة من كرة القدم في انتشارها العالمي، وبأنها اخذت شكلها من خلال عمليات كثيرة ومتعددة من عمليات التعلم والدمج والتثاقف الكثيف عبر العصور. والثاني. أن هذه العمليات المعقدة ما كانت لتنجح لولا سيرورة العولمة الثقافية وآلياتها التكنولوجية متسارعة التطور.

المراجع العربية

١. علي محمد فخرو (٢٠٢٢)، إفساد الرياضة بعاهات ثقافة العولمة، صحيفة القدس العربي، لندن،

٢. على الرابط:

3. https://www.alquds.co.uk/%D8%A5%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%B6%D8%A9-%D8%A8%D8%B9%D8%A7%D9%87%D8%A7%D8%AA-%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9- %D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9/

٤. سعود، الشرفات (٢٠١٨). لمونديال والعولمة: لماذا كرة القدم أكثر عالمية من قمم السياسة، موقع حفريات الالكتروني، مصر، على الرابط:

5. https://hafryat.com/ar/blog/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D9%83%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%85-%D8%A3%D9%83%D8%AB%D8%B1-%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D9%82%D9%85%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9%D8%9F

٦. أروى، بن مسعود، (٢٠٢٢)، ترجمة، عولمة كرة القدم تعزِّز الانفتاح، مجلة الدوحة القطرية، على الرابط:

7. https://www.dohamagazine.qa/%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D9%83%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%85-%D8%AA%D8%B9%D8%B2%D9%90%D9%91%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%AA%D8%A7%D8%AD/#:~:text=%D8%A8%D8%B4%D9%83%D9%84%D9%8D%20%D8%B9%D8%A7%D9%85%D8%8C%20%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9%20%D9%83%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%85,%D9%85%D8%AB%D8%A7%D9%84%D9%8A%20%D9%84%D8%B9%D8%AF%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A7%D9%88%D8%A7%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A%20%D8%AA%D9%88%D9%84%D9%91%D8%AF%D9%87%D8%A7.

٨. صحيفة البيان الامارتية (٢٠٠٦)، كرة القدم والعولمة، على الرابط:

https://www.albayan.ae/paths/books/2006-06-19-1.929909

المراجع الأجنبية

9. Adrian, Wooldridge. (2022), Qatar's World Cup Is a Win for Globalization, Bloomberg, https://www.bloomberg.com/opinion/articles/2022-11-15/qatar-s-world-cup-is-a-win-for-globalization

10. Lee BJ, Kim TY. A study on the birth and globalization of sports originated from each continent. J Exerc Rehabil. 2016 Feb 1;12(1):2-9. doi: 10.12965/jer.150248. PMID: 26933653; PMCID: PMC4771148.

11. Donnelly, Peter. "The local and the global: Globalization in the sociology of sport." Journal of Sport and Social Issues 20.3 (1996): 239-257.

12. Eldridge, S. (2024, March 15). positive externality. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/topic/positive-externality



تطبيق التقنيات الرقمية والمعلوماتية في مجال الثقافة البدنية والرياضة



ـ م.أو. بلاكوفا
ـ أ.د. دياكوفنا

ترجمة: آية حسن حسان

في عصر التحول العالمي إلى الاقتصاد الرقمي، نشهد تحولاً في صناعة الرياضة، وهو ما يحدث في القطاع التجاري وعلى المستوى الحكومي من خلال تطوير الاستراتيجيات والمفاهيم والبرامج المناسبة. ومع ذلك فالإكثار من استخدام الابتكارات في الرياضة موضوع لا بأس فيه، بجانب النقص في الأبحاث التي تدرس الجانب الضار للتكنولوجيا على السلوك الفردي. ويمكن أن تؤدي بعض التقنيات إلى فقدان العنصر البشري في التواصل أو اتخاذ القرار، أو تظهر مشكلة الحمل الزائد للمعلومات بسبب الحجم الهائل للبيانات. وبالتالي فإن التقييم المستمر لفعالية الابتكارات التكنولوجية من وجهات نظر مختلفة يمكن أن يساعد المنظمات الرياضية على إدارة المنظومة والاستثمار في التقنيات الرياضية المبتكرة أو المساعدة في تطوير المستقبل.

يضم سجل عموم روسيا للرياضة ١٨٣ نوعًا من الألعاب الرياضية، ويوجد في العالم أكثر من ٣ آلاف نوع من الرياضة والألعاب الرياضية. إن التاريخ الطويل للرياضة ودورها في تنمية البشرية يسمح لنا بتتبع التطور بداية من أنشطة الألعاب إلى تطور العديد من المنظمات وصناعة تعتبر شديدة الأهمية ومنظمة بشكل احترافي وتسوق تجاريًا.

ومع تطور الرياضة يتطور-أيضًا- علم الرياضة، الذي يضم مجموعة من المعارف والنظريات وأساليب البحث التي تتعلق بالقضايا والظواهر المتعلقة بالرياضة. وتعد علوم الرياضة اليوم مجالاً معقدًا متعدد التخصصات يضم العديد من التخصصات الفرعية، مثل علم النفس الرياضي وعلم وظائف الأعضاء والميكانيكا الحيوية والإدارة الرياضية واقتصاديات الرياضة والمعلوماتية الرياضية والعديد من المجالات الأخرى التي تؤكد أهمية وخصوصية مجال الثقافة البدنية والرياضة.

وفي عصر التحول العالمي إلى الاقتصاد الرقمي نشهد تحولاً رقميًا لصناعة الرياضة. وهو ما يحدث في القطاع التجاري وعلى المستوى الحكومي من خلال تطوير الاستراتيجيات والمفاهيم والبرامج المناسبة. ويحدث التحول الرقمي على مستويات متعددة، مع إدخال التقنيات التحليلية لتحسين أداء الرياضيين، وإدخال المنصات الرقمية لإدارة الفرق والمنظمات الرياضية وللجماهير،




SPORT SPO



وتعلم المهارات البدنية من خلال تقنيات الواقع الافتراضي المعزز. وتتغير الصناعة نفسها-أيضًا- بسبب ظهور شركات التكنولوجيا الجديدة التي من المحتمل أن تتصدر.

ومع ظهور الاعتماد الرقمي بهذه الوتيرة السريعة تظل الأبحاث الأكاديمية حول هذا الموضوع محدودة ولا تواكب رقمنة المعلومات على نطاق واسع. ومع ذلك فإن التغييرات التي حدثت في مجال الثقافة البدنية والرياضة تتطلب اتباع نهج بحثي شامل للحصول على دعم علمي ومنهجي عالي الجودة في إدخال التقنيات وتدريب الموظفين والتقييم العام لفعالية التحول الرقمي.

الفكرة الرئيسية

في مجال الثقافة البدنية والرياضة، ليست النتيجة وحدها التي تعتمد على جودة المعلومات المستخدمة، ولكن أيضًا صحة الرياضي، وأداء الفريق بأكمله، وعمل الجهاز الفني والاتحاد، وكل هذا يؤثر على الكفاءة الاقتصادية للمنظمة. سيتناول المقال الأمثلة الرئيسية لاستخدام نظم وتقنيات التكنولوجيا في الرياضة.

فمن ناحية يحفز إدخال واستخدام التقنيات الرقمية في الرياضة من خلال:

- التدريب العام للمتخصصين في مجال المعلومات الحديثة.

- ترتيب وأولية وجود المتخصصين في مجال الثقافة البدنية والرياضة، بسبب تطور وتحول مجال الثقافة البدنية والرياضة.

- زيادة في كمية ووتيرة معالجة المعلومات في جميع مستويات العمليات التعليمية والتدريبية.

ومع مراعاة ما سبق يمكن تتبع الاتجاهات الرئيسية التالية لاستخدام التقنيات الرقمية في الرياضة:

- الأدوات التعليمية لتحسين عملية التدريس، بما في ذلك من خلال عملية نقل البيانات المتزايدة.

- أدوات الدعم المعلوماتي والمنهجي وإدارة العملية التعليمية والإدارية في مختلف المنظمات الرياضية.



- أدوات آلية لرصد العمليات التعليمية والتربوية والتنبؤ بها، مع إمكان إجراء التعديلات على النتائج.

- العملية الإلكترونية لجمع وتحليل المؤشرات الوظيفية البدنية والعقلية والعامة للرياضي.

- أداة لمعالجة النتائج الرياضية.

- أداة تحليلية لأتمتة عمليات تنظيم ومعالجة البحث العلمي.

- أداة تنظيمية للترفيه الفكري والألعاب التعليمية.

- أنشطة الإعلان والنشر والتسويق.

- أداة لرصد الحالة البدنية والصحة.

واستنادًا إلى المعلومات النظرية يمكننا النظر في أمثلة أكثر تحديدًا استخدمت أو لا تزال تستخدم.

استخدام الحلول التكنولوجية الرقمية لإعداد الأحداث الرياضية

تسهل عملية الإدارة الآلية اتخاذ قرارات إدارية فعالة، وتقلل العبء على فريق التنظيم من خلال تفويض المهام اللوجستية والتخطيط المالي وتسجيل المعلومات والأوراق القانونية للنظام الرقمي. علاوة على ذلك فإن أنظمة الذكاء الاصطناعي قادرة على تحديد نقاط الضعف المحتملة في عملية المنافسة والتنبؤ بها، وكذلك توزيع دخول الرياضيين والمتفرجين.

إن المحتكر اليوم في تدعيم المعلومات للأحداث الرياضية هي الشركة الأمريكية» Gracenote Inc» التي استحوذت على الشركة الهولندية» Infostrada» المتخصصة في جمع وتحليل وإدارة البيانات الرياضية لكل رياضة احترافية. وتنشر هذه البيانات على أية منصة بأي تنسيق مرغوب وفي أي وقت. وتحتوي قاعدة البيانات على معلومات حول النتائج والتصنيفات والرياضيين والفرق وأكثر من ذلك بكثير. وتنبثق ثلاثة أنواع من الخدمات من قاعدة البيانات هذه: خدمات المحتوى، وخدمات الوسائط، وخدمات التحليلات. وتشكل المعلومات





الرياضية من قاعدة البيانات-أيضًا- أساس شركة Gracenote In ، وهي خدمات الأحداث، وتستخدم الخدمة البيانات لتوفير تغطية متعمقة لجميع النتائج الرياضية.

المشاكل الرياضية والتدريبية باستخدام التقنيات الرقمية

إن إدخال حلول تكنولوجية متنوعة في عملية التدريب الرياضي يتيح للخبراء فرصة جمع البيانات بشكل شامل وواضح، ومن ثم تحليلها تلقائيًا. وبعد ذلك لا بد من تسليط الضوء على العديد من التقنيات الحديثة التي تزيد من كفاءة كل من الرياضي والمدرب في الأنشطة اليومية

١ - تحليل الفيديوهات لتتبع ودراسة مسار حركة الرياضي وأجزاء جسمه الفردية.

٢ -دراسة التوازن، لرصد وتطوير عملية الحفاظ على التوازن أثناء تكوين المهارات والقدرات الحركية.

٣- تقنيات الواقع الافتراضي والمعزز للتنبؤ بالمواقف المختلفة في الرياضة.

٤- أنظمة تحليلية لجمع ومعالجة المؤشرات الفردية للرياضيين (معدل ضربات القلب والسرعة والمسافة المقطوعة)، وكذلك المؤشرات الجماعية (مراقبة معدل ضربات القلب الجماعي للفريق والمسافة المقطوعة، وما إلى ذلك).

٥- أنظمة جمع ومعالجة الملاحظات تتيح التكنولوجيا إمكان تسجيل المعلومات الفسيولوجية وإعادتها إلى الرياضي في شكل مؤشرات وإحصاءات مختلفة. وتسمح هذه الأنظمة بتتبع ذروة النشاط والتعب والمؤشرات الأخرى.

٦- أنظمة علمية متخصصة تسمح بإجراء تحليل متعمق لمختلف العوامل. واستنادًا إلى عدد المهام والواجهة،



يمكن تطبيق هذه الحلول على جمهور واسع وعلى المختارين الذين طورت قدرات إضافية لهم.

ووفقًا للمطورين والمتخصصين في الأنظمة المتخصصة فإنّ هذا النوع من منتجات برامج التطبيقات هو الأكثر ملاءمة لحل المشكلات ذات الصلة. حتى الآن تتطور هذه التقنيات بسرعة كبيرة وتتطلب مراقبة مستمرة للاتجاهات من قبل متخصصي الصناعة.

فلا يمكن الاستهانة بتطور مثل هذه الأنظمة؛ لأن عملية تطوير برامج متخصصة، لا يقتصر على تحديد مهمة جمع المعلومات أو تحليلها أو تخزينها، فهذه العملية تتطلب بالفعل عملاً بحثيًا؛ نظرًا لأن تحليل البيانات الرياضية في كل رياضة له خصوصيته بسبب التفاصيل المهنية.

ولكل مهمة من الضروري تطوير واجهة متخصصة ومفهومة، وهذا ما يشكل مهمة معقدة؛ فكل رياضة تتكون من العديد من الخوارزميات ولها ميزاتها المختلفة. وتسمح البرامج النادرة–مع الإعدادات المناسبة– بجمع البيانات وتكوين أداة تحليلية مفيدة لكل من الجري والسباحة والتزلج على الثلج وغيرها من الألعاب الرياضية. وبالنسبة للرياضات الاحترافية يتطلب كل تطبيق للبرامج تقنينًا مسبقًا لأعمال البحث والتطوير ذات الصلة.

وعلى مدى السنوات القليلة الماضية كان تنفيذ جواز السفر الرياضي الطبي (البيولوجي) موضوعًا مهمًا في روسيا، وهو يسمح بتتبع المنشطات، وحماية الرياضي، وكذلك تحليل المؤشرات البيومترية.

إن تطوير هذا الاتجاه للتحول الرقمي لرياضات النخبة يجلب إلى السوق حلولاً للتدريب الاحترافي، والتي صممت للرياضات الأكثر شهرة. فتتيح لك هذه المنصات الاحتفاظ بملاحظات إلكترونية للنشاط البدني (التاريخ والوقت والمدة والحجم والوسائل) والتغذية ونتائج اختبارات المنشطات والاختبارات الأخرى ومواقع التدريب وغير ذلك الكثير. ونتيجة لذلك يتلقى الجهاز الفني كمية كبيرة من البيانات (مؤشرات تدريب الرياضيين خلال أي أسبوع أو شهر أو دورة أولمبية)، والتي يمكن مقارنة تحليلها بحل مشكلة رياضية معقدة. وكلما كانت هذه البرامج أفضل تطورًا؛ زاد عدد الرسوم البيانية والجداول التحليلية التي يمكن للنظام إنتاجها.

رقمنة البحث العلمي والأنشطة الطبية الحيوية في مجال الرياضة

يسمح إدخال التقنيات في هذا الاتجاه بالتسجيل والتحليل المستمر لمؤشرات الرياضيين المختلفة سواء في العمليات التنافسية أو التدريبية أو غير التدريبية.

وإذا قام الفريق العلمي في البداية بمعالجة البيانات التي جمعت عند تحديد مهمة مختصة للذكاء الاصطناعي؛ فمن الممكن معالجة المؤشرات المختلفة (البيانات الكبيرة) على الفور. وبهذه الطريقة يمكن إجراء تعديلات فعليه أثناء عملية التدريب، وتحديد أفضل أو أسوأ أساليب التدريب، وبرامج التغذية، وكذلك تلخيص التنبؤ بحالة الرياضي في المسابقات الدولية الكبرى.

علاوة على ذلك يمكن دمج نتائج التحليلات الطبية الحيوية في الأنظمة، وإذا كانت هذه الأنظمة تُستخدم سابقًا في قواعد التدريب الفردية، فإنها تُستخدم الآن على نطاق واسع. وهكذا منذ عام ٢٠٠٩م تستخدم الوكالة الروسية لمكافحة المنشطات (ر.و.س.ا.د.ا)، بقرار من الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات (ف.ا.د.ا)، نظام جواز السفر البيولوجي للرياضيين، الذي يجمع ويعالج مؤشرات الرياضيين المختلفة. وتتمثل المهمة الرئيسية للنظام في تتبع التغيرات في البيومترية البيولوجية مع مرور الوقت. وفي السابق كان جواز السفر يتكون فقط من وحدة أمراض الدم ويحلل فقط متغيرات أمراض الدم للكشف عن آثار التلاعب أو تعاطي المخدرات. لكن ومنذ عام ٢٠١٤م يتضمن جواز السفر وحدتين إضافيتين، هما: الستيرويد والغدد الصماء.



ومـع ذلـك وبالنظـر إلـى الفضائـح والإجـراءات القانونيـة الأخيـرة بسـبب تصحيـح البيانـات في مثـل هـذه الأنظمـة، يمكننـا اسـتخلاص اسـتنتاجات حـول الحاجـة إلـى تعزيـز أمـن المعلومـات لهـذه الأنظمـة. فعلـى سـبيل المثـال فـإن اسـتخدام تقنيـة blockchain (التـي تم أنشـئت وفقًـا لقواعـد معينـة تحتـوي علـى معلومـات) عنـد تخزيـن بيانـات الرياضيـين يمكـن أن يحمـي ويتتبـع جميـع عمليـات التلاعـب المحتملـة بقواعـد البيانـات بشـكل أفضـل.

وتُسـتخدم مقاييـس العمـل ومعـدات التدريـب المجهـزة بالتقنيـات الرقميـة اليـوم علـى نطـاق واسـع في الألعـاب الرياضيـة. فتقـوم أجهـزة المحاكاة بجمـع بيانـات المسـتخدم (معـدل ضربـات القلـب)، وحسـاب اسـتهلاك السـعرات الحراريـة، وكذلـك تحليـل وتعيين مسـتوى تحمـل العضـلات عـن طريـق زيـادة السـرعة والمسـافة والمؤشـرات الأخـرى، بنـاءً علـى خصائـص جهـاز المحاكاة.

بعدهـا ينظـر في اسـتخدام التقنيـات الرقميـة في التغذيـة الرياضيـة. كان التدريـب عن بعد واستشـارات التغذيـة موجـودًا منـذ بعـض الوقـت، ولكنـه كان يقتصـر في السـابق علـى الرياضيـين المحترفين، وذلـك باسـتخدام خبـرات المدربين المشـهورين الذيـن يعملـون مـع رياضيـين مـن بلـدان مختلفـة في نفـس الوقـت. ونظـرًا لأن التغذيـة الرياضيـة أصبحـت أكثـر انتشـارًا؛ أصبـح النـاس يدركـون الحاجـة إلـى تدريـب شـخصي عـن بعـد لليـاقـة البدنيـة وبأسـعار معقولـة وملائمـة، بمـا في ذلـك حلـول البرامـج الرقميـة المناسـبة.

ومـع تطـور التكنولوجيـا تظهـر شـركات ناشـئة جديـدة في السـوق متخصصـة في التدريـب الرياضـي الرقمـي والتغذيـة الشـخصية. وفي السـنوات القليلـة المقبلـة سـتطور التطبيقـات الرياضيـة القائمـة علـى الـذكاء الاصطناعـي والبيانـات المسـتمدة مـن خبـراء التغذيـة الافتراضيـين ونخبـة المدربـين بشـكل كامـل، وسـتكون في متنـاول أي شـخص في أي مـكان.

كل مـن برامـج التدريـب الشـخصـي والتمـارين الجماعيـة عبـر الإنترنـت لهـا اسـتخداماتها بالفعـل، ولكـن مـع التكنولوجيـا السـحابية وإمكانـات البـث السـريع عبـر الإنترنـت، سـنرى تطـورات مثيـرة في هـذا المجـال. سـيقوم المدربـون ببـث دروس جماعيـة مباشـرة حتـى نشـعر وكأننـا جـزء مـن مجتمـع تدريـب مشـترك وموحـد، بغـض النظـر عـن مكـان وجـود المتـدرب.

يُظهـر المطـورون الـروس -أيضًـا- نتائـج جيـدة في تنفيـذ المشـاريع الرقميـة للرياضـة. وهكـذا قـام متخصصـون مـن قطـاع الكيميـاء الحيويـة الرياضيـة في معهـد أبحـاث الثقافـة البدنيـة التابـع لمؤسسـة الموازنـة الحكوميـة الفيدراليـة في سـانت بطرسـبرج بتطويـر برنامـج قـادر علـى حسـاب الخصائـص الغـذائيـة لمختلـف الألعـاب الرياضيـة. توفـر الخوارزميـة الخاصـة للنظـام توصيـات مسـتهدفة للرياضـي بشـأن نظامـه الغذائـي وحسـاب السـعرات الحراريـة والتـوازن الغذائـي وتـوازن المـاء. بالإضافـة إلـى التوصيـات الفرديـة، يمكـن للنظـام إنتـاج تحليـلات للفريـق بأكملـه.

تشـمل المجالات المذكـورة أعلاه-أيضًـا- مورفولوجيـا الرياضـة والفيزيولوجيـا العصبيـة وعلـم النفـس، بالإضافـة إلـى مجـالات أخـرى مـن علـوم الرياضـة حيـث تدخـل التقنيـات الرقميـة.

تتمثـل إحـدى الصعوبـات في تطويـر واسـتخدام الخدمـات التـي تقـوم بالمراقبـة الآليـة للرياضـي في بنـاء سلسـلة منطقيـة مترابطـة مـن البيانـات بنـاءً علـى عـدد كبيـر مـن المؤشـرات غيـر المترابطـة. إن اتصالهـم المسـتمر (مؤشـرات القلـب والأوعيـة الدمويـة والجهـاز التنفسـي والعضلـي، إلـى جانـب النتائـج الرياضيـة) في مراحـل مختلفـة مـن تدريـب الرياضـي لا يمكـن أن يصبـح ممكنًـا إلا بمسـاعدة الـذكاء الاصطناعـي، وهـو أمـر ضـروري لتكويـن ومعالجـة قاعـدة بيانـات عاليـة الجـودة وسـريعة مـن المؤشـرات المختلفـة وإنشـاء نمـاذج رياضيـة رقميـة لاحقـة.

تدريـب المتخصصـين في المجال الرياضـي باسـتخدام تكنولوجيـا المعلومـات.

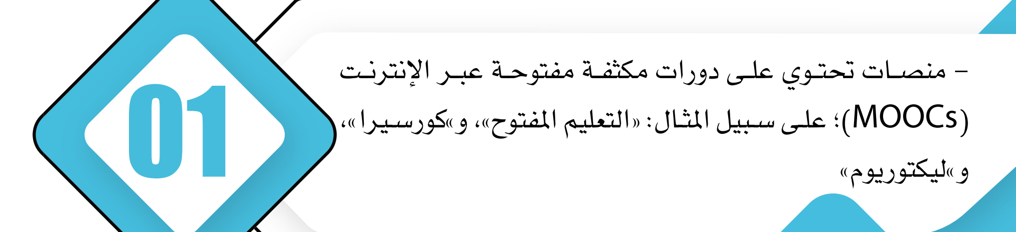
إن عمليـة اسـتخدام تقنيـات التعلـم عـن بعـد واضحـة

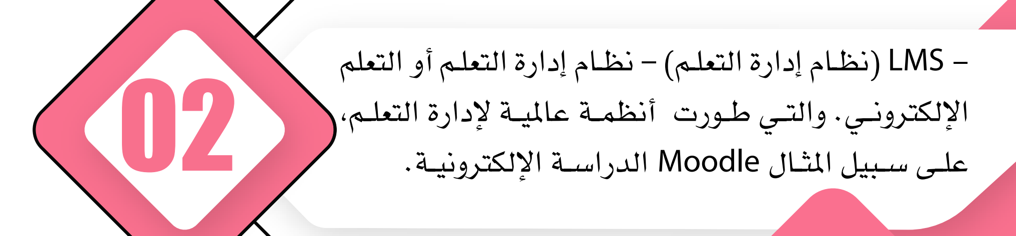


في جميع أنحاء العالم اليوم. علاوة على ذلك فقد تأكدت أهميتها وضرورتها خلال جائحة كورونا التي حولت جميع المدارس والجامعات والمؤسسات الرياضية إلى العمل عن بعد. وإلى جانب المزايا بدأ الخبراء في ملاحظة عدم كفاية تدريب أعضاء هيئة التدريس، والقدرة على التكيف مع المواد، وأوجه القصور في البنية التحتية.

تجدر الإشارة إلى أن العملية التعليمية يمكن أن تكون عبر الإنترنت، ولكن لا يمكن مقارنتها بالدروس الصفية، حيث يكون من الأكثر فعالية تتبع استيعاب المادة، وتكييف المادة مع المجموعة، وكذلك اختبار «المهارات الناعمة» (مجموعة المهارات الاجتماعية والتواصلية، والسمات الشخصية، والصفات المهنية، والذكاء الاجتماعي والعاطفي الذي يسمح للناس بتحقيق أهدافهم) .

ويمكن تقسيم منصات اليوم إلى نوعين:



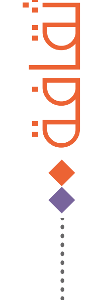


إن لكل الجامعات الكبيرة منصة LMS خاصة بها؛ فنظام إدارة التعلم (LMS) يعد مناسبًا لحفظ المواد، ووصف إكمال المهام، وحفظ الإجابات، ووضع قيود على إكمال المهام، ولكن تقدم الحلول في شكل ملفات مرئية (نص، جدول، عرض تقديمي، وما إلى ذلك). ويتيح لك نظام LMS استضافة دورات MOOCs عليه، ولكنه غالبًا ما يكون مرهقًا وغير مريح.

وبشكل منفصل هناك دورات عالية الجودة في شكل أنظمة مريحة إلى حد ما، لكن نظام التحقق من استيعاب المواد غير مكتمل. فعادةً ما يكون هذا اختبارًا أو مهمة كتابية. ونتيجة لذلك لا يستطيع المعلمون اختبار «المهارات الشخصية» على الإطلاق دون التدريس وجهًا لوجه. وفي إطار معظم الدورات التدريبية عن بعد، ليس من الممكن استخدام هذا الحل.

تستخدم إحدى الجامعات الرياضية الرائدة في الولايات المتحدة، أكاديمية الولايات المتحدة الرياضية، دورات عبر الإنترنت عن بعد في عملية التعلم، بعضها يقدم مجانًا.

كما ينفذ الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (UEFA) دورات تدريبية متقدمة عبر الإنترنت في إدارة كرة القدم، حيث تشمل ٣٠٠ ساعة تعليمية أربع وحدات دراسية وأربع وحدات عبر الإنترنت.





ومن أبرز أمثلة التطوير النشط لتقنيات المسافة في روسيا المدرسة العليا للاقتصاد، RANEPA وغيرها من الجامعات الرائدة حيث تستخدم أنظمة LMS بنجاح. من المزايا المهمة لهذه الأنظمة القدرة على تخصيصها بناءً على خصائص البرامج التعليمية ودمج الاختبارات أو الفيديو أو المحاضرات أو الوحدات التعليمية الأخرى فيها، وحلول مماثلة مناسبة للبرامج التعليمية الرياضية، حيث يتمتع غالبية الطلاب – الرياضيين المحترفين – بجدول تدريب مرن بسبب العديد من المعسكرات التدريبية والمسابقات. وبفضل التقنيات عن بعد تتاح للرياضيين الفرصة للخضوع للتدريب دون انقطاع عن عملية التدريب، والحصول على تعليقات من المعلمين.

وخلال جائحة فيروس كورونا ظهر عدد كبير من الحلول الرقمية للتربية البدنية والرياضة في المنزل. فقد أطلقت وزارة الرياضة الروسية–في إطار المشروع الفيدرالي «الرياضة هي معيار الحياة»– بوابة الإنترنت «التدريب في المنزل»، والتي صممت لتوضيح أن ٣٠ دقيقة فقط من النشاط البدني يوميًا كافية للجسم. ومع ذلك عند استخدام مثل هذه الأنظمة، غالبًا ما تكون القدرة على مراقبة الامتثال لجودة التمارين التي تجرى محدودة.

وكجزء من التحول الرقمي عبر الصناعة يجب التأكيد على أن كل دورة أو منصة لن تضر مستخدميها. وتتطلب عملية الانتقال من الفصول الأكاديمية إلى التعلم عن بعد معالجة عالية الجودة للمواد، وتكييفها مع التنسيق الجديد لكل من وضع الطلاب وإدراكهم للمواد.

واستنادًا إلى المتطلبات الجديدة للعملية التعليمية عن بعد أصبح مصطلح «إمكان المعلومات» منتشرًا في دوائر الخبراء، والذي يعرف بأنه مجموعة من الوسائل والأساليب والشروط التي تسمح بالاستخدام الفعال لمصادر المعلومات. ويشير مجتمع الخبراء إلى أهمية استيعاب المعلومات، وليس كميتها. فيجب أن يكون المورد التعليمي الحديث مزودًا بقاعدة معرفية فكرية تحليلية،





بالإضافة إلى معلومات منظمة. فيتيح هذا الأسلوب دمج وحدات عينات البيانات وتحليلها إلى خصائص التعلم الآلي. إن المتطلبات المتزايدة لمصدر المعلومات وجودتها هي عملية عالمية يطلبها الجمهور.

وعلى الرغم من الأهمية الناشئة للتقنيات عن بعد أثناء الوباء، فقد أجريت هذه العملية على نطاق واسع على مدى السنوات العشر الماضية. وبفضل العمل البحثي الذي نفذ حول هذا الموضوع، فمن الممكن تتبع تغير نموذج العلاقات بين المعلمين والطلاب؛ فإذا كان نموذج العلاقات السائد في السابق هو السلطوية الأبوية، والذي يجبر الطلاب على حفظ المواد باستمرار ثم إعادة إنتاجها لاحقًا، فقد استبدلت الآن بعملية ديمقراطية، حيث يتعلم الطلاب البحث بشكل مستقل عن المعلومات والمعرفة الموثوقة، وإجراء تفاعل المعلومات مع الأشياء والنماذج.

التقنيات الرقمية المساعدة لتسجيل النتائج الرياضية

وتمثل هذه التقنيات عملية حسابية شفافة ودقيقة؛ لأنها تحمل عناصر تربوية وإدارية. على أساسها يمكن أن يكون هناك مبرر قانوني لوقف لحظات معينة خلال المنافسة. والمثال الأكثر وضوحًا هو التطبيق التكنولوجي في كرة القدم الذي يصور الهدف الذي سجل، أو نظام الفيديو المساعد، الذي يسمح للحكم الرئيسي باتخاذ القرارات باستخدام إعادة تشغيل الفيديو.

إن واحدة من أكثر التقنيات تقدمًا (والتي وجدت تطبيقها على نطاق واسع في الرياضة بسرعة) هي تقنية «عين الصقر». يتتبع هذا النظام مسار الأجسام الرياضية (الكرة) في الملعب من خلال الجمع بين عدة كاميرات فيديو عالية السرعة في منطقة اللعب. تقوم الكاميرات بتتبع الجسم وإنشاء مسار رقمي لحركته. وتعمل هذه التقنية كمساعد حديث للحكام في التنس والكرة الطائرة والبلياردو وغيرها من الألعاب.

وتأكيد آخر للاستخدام الفعّال للتقنيات الرقمية هو المثبت اللاسلكي للمبارزة (فكرة زهرة الربيع)، والتي طورها علماء كازان. أصبحت هذه التكنولوجيا شائعة بعد استخدامها في دورة الألعاب الأولمبية الصيفية التاسعة والعشرين في بكين عام ٢٠٠٨م. وبالنظر إلى السرعة العالية لحركة الأجسام في هذه الرياضة، فإنّه غالبًا ما يكون من المستحيل على الحكام- وعلى الرغم من مؤهلاتهم العالية- تسجيل الهدف الصحيح لأحد الرياضيين. ومع ذلك وبفضل العديد من أجهزة الاستشعار الموجودة على بذلة الرياضيين وأقنعتهم وأسلحتهم، تنقل جميع البيانات إلى الحكام عبر الأشعة تحت الحمراء؛ مما يلغي الحاجة إلى الأسلاك.

وفي الوقت نفسه دمج جهاز إرسال إضافي في القناع نفسه، والذي يضيء بمؤشر LED المقابل إذا قام الرياضي بهدف صحيح. وهذا لا يجعل المهمة

أسهل على الحكام فحسب؛ بل يجعل العملية أكثر تسلية للجماهير، الذين كانوا في السابق ينتظرون قرار الحكام.

أيضًا في الرياضة استخدمت مقاييس سرعة الدوران الرقمية المتخصصة لقياس المسافة؛ مما يجعل من الممكن قياس طول القفزة أو المسافة بدقة ملليمتر بواسطة الأشعة تحت الحمراء، ولوحات مجهزة بأدوات استشعار تعمل باللمس لتحميل الصور، وكل هذه التقنيات تقضي على العامل البشري في اتخاذ القرار. كما أن هناك طلب من المشاهدين الذين يريدون فهم ورؤية دقة النتيجة المسجلة بوضوح، ومن أجل الحفاظ على الترفيه، يجب أن تتم عملية الحساب هذه بشكل فوري وتعرض باستخدام تقنية الواقع المعزز.

نظرًا للتسويق التجاري الكبير والشعبية لعدد من الألعاب الرياضية؛ فإن عملية إدخال التقنيات تنفذ من الناحية النظرية والعملية. فالتحول الرقمي له تأثير إيجابي على جميع المشاركين في الرياضة: الرياضيون والحكام والمدربون والمتفرجون. ومع ذلك وفي العديد من الألعاب الرياضية تكون عملية إدخال التقنيات الرقمية بطيئة، والسبب في ذلك ليس فقط التكلفة العالية لتطوير وتشغيل التقنيات الرقمية، ولكن-أيضًا- بسبب المحافظة على شكل المنظمات الرياضية والإدارية.

ويمكن أن يتمثل الحل الفعال لتسريع تنفيذ التكنولوجيا في تعزيز دور المنظمات البحثية وإنشاء شبكة من مراكز البحث المعنية بملفات التكنولوجيا الرقمية في مجال الرياضة، الأمر الذي من شأنه أن يسهل الاختبار الأسرع والتبرير العلمي للحاجة إلى إدخال التكنولوجيا أو التخلي عنها لمختلف الألعاب الرياضية.

التقنيات الرقمية للرياضات الاحترافية

ولكي يتمكن الرياضي من تحقيق قمة التميز في رياضته، فهناك حاجة معترف بها لإنشاء شكل تنظيمي وإداري لدعم تطوير الرياضي وأدائه. وقد أدت هذه الحاجة المعترف بها-لاحقًا- إلى قيام الحكومات والهيئات الإدارية الوطنية حول العالم بالاستثمار في تطوير أنظمة دعم فعالة للرياضيين المحترفين. أحد المجالات الحالية تقوم على إنشاء أنظمة لتحديد ورصد التقدم الإحصائي للرياضيين الموهوبين والمحترفين.

كما أن من المجالات الحالية للمدربين والفريق العلمي تحليل الأنماط الحركية للرياضي والتي تعتبر مهمة للتحسين والحصول على نتائج مستقرة (أي ملاحظة أداء مهارة حركية يمكن قياسها كمياً بنتيجتها أو فنيتها). إن مفتاح النجاح هو جمع بيانات دقيقة وموثوقة ومراقبة أنماط حركة الرياضيين حتى يمكن إجراء تغييرات نحو تقنيات مرغوبة أكثر.



لقد أتاح ظهور التكنولوجيا الرقمية أساليب سهلة لرصد الأداء الحيوي للرياضي خارج المختبر؛ مما يسمح بإجراء القياسات أثناء التدريب أو في بيئات العمل (أي المنافسات). ويعني النطاق الواسع من التقنيات أن الرياضيين والمدربين وفرق البحث لديهم-أيضًا- القدرة على توليد كميات كبيرة من البيانات حول أسلوب الرياضي من خلال

- معادلات الحركة؛
- فيديو ثنائي الأبعاد (2D) / ثلاثي الأبعاد (3D) عالي السرعة؛
- أنظمة تحليل الحركة ثلاثية الأبعاد (النشطة، السلبية، الكهرومغناطيسية)؛
- وحدات قياس القصور الذاتي (IMU) (مقاييس التسارع، الجيروسكوبات، مقاييس المغناطيسية)؛
- الليزر/الرادار (على سبيل المثال مراقبة المنافسات)؛
- أنظمة تحديد المواقع العالمية عبر الأقمار الصناعية (GPS)؛
- الواقع المعزز والافتراضي؛
- الحركة؛
- أجهزة استشعار الضغط والتقنيات الرقمية الأخرى.

لقد أدى العدد الهائل من التقنيات التجارية المتاحة للمنظمات الرياضية إلى إخراج العديد من المنشورات البحثية والمراجعات حول صلاحية التقنيات لتطبيقات محددة. فيمكن أن تكون هذه المعلومات مفيدة للمنظمات الرياضية حيث أن تطبيق التكنولوجيا غالبًا ما يكون بتكاليف كبيرة. ومن الأهمية بمكان أن توفر التكنولوجيا الفعالية من حيث التكلفة أو القيمة مقابل المال من أجل التكامل المستدام على المدى الطويل في نظام دعم الرياضة الاحترافية. فالمنظمات الرياضية تواجه باستمرار الحاجة إلى مواكبة التقدم التكنولوجي والابتكارات.

ومن المهم أن ندرك أنه يجب أن تكون هناك فرص لدراسة النتائج المقصودة وغير المقصودة لاستخدام التكنولوجيا في الرياضة. فيمكن التوسع في استخدام الابتكار في الرياضة؛ فهناك نقص في الأبحاث التي تشكك في الجانب الضار للتكنولوجيا على السلوك الفردي. وقد تنطوي بعض التقنيات المقترحة على فقدان العنصر البشري في الاتصال أو اتخاذ القرار، أو الحمل الزائد للمعلومات بسبب الكم الهائل من البيانات. وبالتالي فإن التقييم المستمر لفعالية الابتكارات التكنولوجية من وجهات نظر مختلفة يمكن أن يساعد المنظمات الرياضية على إدارة التكامل والاستثمار في التقنيات الرياضية المبتكرة أو المساعدة في تطوير المستقبل.

تنبع أجندة الرقمنة الدولية من برنامج ذاكرة العالم التابع لليونسكو، والذي يهدف منذ عام ١٩٩٢م إلى توفير الدعم المالي والقانوني لرقمنة الوثائق في المحفوظات والمكتبات الوطنية. ومع ذلك فإن التحول الرقمي اليوم، ومن خلال إدخال التقنيات الشاملة، يجعل من الممكن إنشاء حلول منصات متعددة الصناعات، والتي تزيد بشكل كبير من إنتاجية العمل في الشركات، بمساعدة تعدد المهام والسرعة.

ووفقا للخبراء الدوليين فإن تحقيق أهداف التنمية المستدامة للفترة حتى عام ٢٠٣٠م، والتي تعترف-أيضًا- بالدور الهام للرياضة في مجال التقدم الاجتماعي، سيكون ممكنًا بشكل أسرع بكثير باستخدام التقنيات الرقمية.



تقوم اللجنة الأولمبية الدولية (باعتبارها إحدى المنظمات الأساسية في عالم الرياضة) بصياغة أجندتها الرقمية للحركة الأولمبية بأكملها (الأجندة الأولمبية ٢٠٢٠)، بما في ذلك من خلال تنفيذ مشاريع رقمية بملايين الدولارات للتواصل مع الجماهير الشابة، وإنشاء النظام البيئي الرقمي. وعلاوة على ذلك فمن بين ١٣ مشاركًا في برنامج الشركاء الرئيسيين للجنة الأولمبية الدولية؛ فهناك أربع شركات تكنولوجيا، مما يشير إلى فئة جديدة تمامًا من أصحاب المصلحة من الشركات في صناعة الرياضة.

ومع الأخذ في الاعتبار التأثير القوي لشركات التكنولوجيا من الولايات المتحدة الأمريكية والصين في السوق العالمية، تقوم المجتمعات الدولية مثل الاتحاد الاقتصادي الأوراسي ورابطة الدول المستقلة بتشكيل استراتيجيات تنمية رقمية إقليمية لتحقيق توازن القوى، والتي تتعلق -أيضًا- بالرياضة باعتبارها إحدى أولويات مجالات التعاون والتكامل التكنولوجي.

ومن أجل القضاء على الفجوة الرقمية والامتثال للاتجاهات الدولية فلدى روسيا -أيضًا- عدد من البرامج الأساسية، وخاصة المشروع الوطني "الاقتصاد الرقمي" (بميزانية إجمالية قدرها ١٨٣٧,٧ مليار روبل للفترة ٢٠١٨-٢٠٢٠م). ولم يتضمن المشروع الوطني في بدايته الاهتمام تجاه الثقافة البدنية والرياضة لتمويل التحول الرقمي لهذا المجال.



ومع الأخذ في الاعتبار الاتجاهات العالمية للعولمة والرقمنة، فإن إدخال التقنيات في عملية الدولة لإدارة الرياضة سوف يقلل من المستوى العام للعبء الإداري، وسوف يزيد من مستوى كفاءة جميع موضوعات التربية البدنية والرياضة، كما يوفر إحصاءات شفافة عن مراقبة الجودة. ولتنفيذ هذا الاتجاه تقوم وزارة الرياضة الروسية بإعداد استراتيجية لتطوير التربية البدنية والرياضة في الاتحاد الروسي حتى عام ٢٠٣٠م، والتي تتضمن -أيضًا- قسمًا للرقمنة، والذي ينص على إنشاء منصة رقمية موحدة للإدارات والمشتركة بين الإدارات.

بالإضافة إلى تبسيط عملية اتخاذ القرارات الإدارية على المستويين التنظيمي والدولي، يعمل التحول الرقمي على تغيير جذري في عملية إعداد وخدمة الأحداث الرياضية والأبحاث والأنشطة الطبية الحيوية في الرياضة والتعليم وقواعد الألعاب الرياضية المختلفة، وكذلك التدريب وعملية التدريب الإضافي للرياضيين وأكثر من ذلك بكثير.

ونظرًا لارتفاع وتيرة التحول الرقمي؛ فإن هناك نقصًا في الأبحاث التي تدعو إلى التشكيك في تطبيق هذه التكنولوجيا أو تلك. وفي هذا الصدد فإن دور المنظمات البحثية المتخصصة مهم، والتي يجب أن يكون لديها الوقت لتطوير وتنفيذ التقنيات في مجالها مجالات النشاط الرياضي، وكذلك دراسة تأثير التقنيات على البشر والتنظيم والصناعة بأكملها، بما في ذلك من خلال التعاون الدولي، للحفاظ على الرياضة نفسها في السعي لتحقيق التقدم التكنولوجي.





د. صهيب عالم

باحث وأكاديمي هندي

الرياضة والتثاقف من المنظور الهندي - العربي

الشطرنج وسباقات الخيول نموذجًا

الهند بلد غني بالتاريخ والعادات والثقافات والتقاليد ،والرياضات، والألعاب، وهي مركز عريق للأنشطة المتنوعة ذات الجوانب المتعددة للألعاب والرياضات. ويعود تاريخها بعضها إلى القرن الرابع قبل الميلاد في الهند عندما نشأت الرياضات التقليدية، مثل خُوخُو، وكَبَادِّي، والرّماية وغيرها. وأنشئت ساحة «دولافيرا» Dholavira ، في منطقة كُوتْش بولاية كوجرات، حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وتُعدّ أقدم ساحة مدرجات في العالم. وأثرت ثقافات الهند المتنوعة في عدد كبير من الرياضات، حيث تحظى رياضات مثل الطائرات الورقية، وسباق القوارب، والكريكيت، وكرة القدم، وكرة الريشة، والتنس، والمصارعة، والجولف، والرَّجْبِيّ، والملاكمة، وفنون القتال المتعددة، ورياضة السيّارات، وكرة السلة، والشطرنج، وركوب الدراجات، والبولو، والسنوكر، بشعبية كبيرة في أرجاء الهند وأنحائها، حيث سجّل بعض الرياضيين الهنود أسماءهم في تاريخ الرياضة على المستويين الإقليمي والدولي، وخلّدوا ذكرياتهم في صفحاته. واستضافت الهند كأس العالم للكريكيت ثلاث مرات، وفازت بها مرتين. وأنشيء أول نادي كريكيت عام ١٧٩٢م، وأول ناد كرة قدم في عام ١٨٧٢م في الهند. كما تعد لعبة الهوكي الرياضة الأكثر شعبيّة بين الألعاب الأولمبية في



الهند، حيث فاز فريق الرجال الهندي بـ ١٢ ميدالية أولمبية، ومنها ثمانية ذهبية.

ويعود التاريخ الرياضي الهندي إلى العصر الفيدي، حيث أن الهند تحتضن تراثًا غنيًا من فنون القتال والألعاب الرياضية، ويوجد ذكرها في ملاحم المهابهاراتا والرامايانا الهندوسية. وتطورت الرياضة البهلوانية خلال عهد الإمبرطورية المغولية، وهي نوع من أنواع المصارعة. وتذكر النصوص الهندوسية القديمة عن فنون الدفاع عن النفس، والرماية، والشطرنج، والثعابين، والسلالم، كما أشارت إلى ألعاب «تَشَاتُوْرَانجا» و«جِيَّان تُشوْبَر»، على التوالي. ولا شكّ في أن الرياضة ليست مجرد ترفيه فحسب؛ بل أنها لغة عالمية، تجسد القدرة على كسر الحواجز، وتعزيز الوحدة، ودفع التغيير المجتمعي التحويلي. كما يحتفل باليوم العالمي للرياضة من أجل التنمية والسلام، فتقع على عاتقنا مسؤولية التفكير في التأثير الذي يمكن أن تحدثه الرياضة في تشكيل عالم متناغم. ولا يحتفل هذا اليوم بروح المنافسة فحسب؛ بل يردد-أيضًا- صدى الحكمة الخالدة لـ «vasudhaiva kutumbakam» – «العالم كعائلة واحدة» – المتجذرة بعمق في الروح الهندية القديمة. ومن المستحيل أن نفهم المجتمع والثقافة المعاصرة بشكل كامل دون الاعتراف بمكانة الرياضة. ونعيش في عالم تعتبر فيه الرياضة ظاهرة دولية، وهي جزء من النسيج الاجتماعي والثقافي للمناطق والأمم والبلدان المختلفة.

يقوم دور الرياضة في صناعة الأمم في المجالات المتعددة التي تناقش في الرياضة والثقافة والمجتمع،

كما تسهم الرياضة في الهوية الوطنية والقومية المدنية والعرقية والعالمية. ولقد تطورت فكرة أن الرياضة قد تسهم في الأشكال المختلفة من الهوية الثقافية جنبًا إلى جنب مع ظهور سياسات الهوية. وفي عالم غير شخصي بشكل متزايد، قد تساعد الرياضة المجموعات المختلفة من الأشخاص في الإجابة عن الأسئلة، مثل: من أنا؟ من مثلي؟ بمن يمكنني الوثوق؟ وإنّ الرياضة تساعد المجموعات العرقية أو الجنسيات المختلفة على تطوير الشعور بالهوية الثقافية. والحجة التي تميل إلى دعم مثل هذه الاعتبارات المتعلقة بالرياضة والهوية الثقافية هي أنها تساعد بطريقة إيجابية في الاعتراف والتمثيل والتنمية بهدف تمكين القادة الشباب من المجتمعات المحرومة من استخدام الرياضة كأداة للتقدّم.

وأما فيما يتعلق بسياق الروابط الهندية العربية، تجدر الإشارة إلى لعبتين؛ إحداهما لعبة الشطرنج هندية الأصل والفروسية عربية الأصل اللتين قامتا بدور ملحوظ في تعزيز الصلات الثقافية بين الهند والعرب. كما عززت لعبة الشطرنج الوجود الثقافي والحضاري الهندي في العالم العربي، وهي فصل مشرق في تاريخ التثاقف، وتوطيد الروابط الثقافية بين الجانبين. كما أن الفروسية عززت الوجود الثقافي العربي في الهند. إن التاريخ الهندي ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر حافل بذكريات وجود الفروسية في جميع المدن الهندية، واستيراد الخيول العربية إلى الهند.

لعبة الشطرنج

أمّا التأثير الهندي فقد انتقل جزء كبير من ثقافة الهند وعلومها إلى فارس بحكم العلاقات التجارية بين الطرفين قبل الإسلام، ومن ذلك أنّ كسرى أنو شروان أرسل طبيبه «برزويه» إلى الهند؛ لإحضار كتب ومؤلّفات في الطب، فعاد بالكثير منها. ويقال إنّ قصّة كليلة ودمنة انتقلت من الهند ضمن ما نقله برزويه من كتب، إضافةً إلى لعبة الشطرنج. وعندما عكف المسلمون على ترجمة كتب الفرس إلى العربيّة؛ نقلوا من بين ثناياها أجزاء من ثقافة الهنود وعلومهم، وقام بعض المترجمين بالنقل من السنسكريتيّة أحيانًا إلى العربيّة مباشرة، ومنهم: «منكة الهندي» و«ابن دهن الهندي» وغيرهما. وإنّ الروابط الهندية العربيّة (الإسلاميّة) أسفرت عن انتقال الكتب الهندية إلى مدرسة الاسكندرية، ونُقِل معها بعضُ النظريات، مثل التناسخ ووحدة الوجود، واطّلع الهنود على المعارف اليونانية وعلومها، وكانوا يعترفون لليونانيين بأن ما أعطوا من العلم أرجح من نصيبهم منه (البيروني، تحقيق ما للهند، ١٧). وانتشر الطبّ الهندي انتشارًا واسعًا في بلاد العرب منذ العصر الجاهلي بسبب التقارب في الطبائع، فكان كلٌّ من العرب والهنود يعيشون عيشة بسيطة بعيدة عن الأغذية المركَّبة، وكانت أمراضهم في الأغلب مفردة تكفي في مداواتها الأدوية المفردة (المسعودي، مروج الذهب، ١: ٧٠-٧١). كما عرف العرب في إطار التبادل الثقافي لعبتين شهيرتَينِ من الهند، وهي النَّرد والشطرنج. ويرجح المؤرخون أن تكون لعبة الشطرنج قد ظهرت أول مرة في العالم في الهند في القرن السادس للميلاد، حتى وإن كانت ألعاب مماثلة تقوم على صراع أحجار متحركة على رقعة ظهرت في الشرق القديم من مصر إلى الصين. ولم تضق خواطرُ الكتّاب والمؤرّخين والرحالة والجغرافيين العرب المسلمين في القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة في الاعتراف بعلوّ كعب الهنود في العلوم والفنون، وحداثتهم في الأفكار والأخيلة، وفضائلهم وخصائصهم الأخرى، فيقول الأديب المخضرم أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ).

«وأمّا الهند فوجدناهم يُقدَّمون في النجوم والحساب، ولهم الخطُّ الهنديّ بخاصّة، ويُقدَّمون في الطبِّ، ولهم أسرار الطبّ وعلاج فاحش الأدواء بخاصّة. ولهم خرط التماثيل ونحت الصُّوَر بالأصباغ تُتَّخذ في المحاريب وأشباه ذلك. ولهم الشطرنج، وهي أشرفُ لعبةٍ وأكثرُها تدبيرًا وفطنة. ولهم السيوف القلعيّة، وهم ألعبُ الناس بها وأحذقهم ضربًا بها. ولهم الرُّقى النافذة في السموم وفي الأوجاع «.(الجاحظ، رسالة فخر السودان على البيضان، ص ٨٠-٨١)






ففي ذلك الزمن قدّم سفراء ملك الهند هدية إلى ملك الفرس كسرى انوشروان لعبة «الملوك الأربعة»، بحسب القصص المتناقلة عن كيفية دخول هذه اللعبة إلى بلاد فارس. وحظيت لعبة الشطرنج على مرّ العصور باحترام كافة الحضارات من الهند إلى الشرق القديم، لتصل إلى أوروبا عبر الأندلس، حيث أثرت في سياسة الشعوب وتاريخها إلى درجة أصبح صناع القرار في الدول الكبرى يتعاملون مع العالم كرقعة مربعات تضمّ عددًا كبيرًا من الاحتمالات تمامًا مثل اللعبة. وحسب الرواية الهندية اخترع الشطرنج وزيرٌ يدعى سيسا كان يعمل لدى ملك يدعى شرهام أراد تسليته بلعبة تشحذ العقل وترفع الهمم. ومن فرط إعجاب الملك باللعبة أراد مكافأة وزيره فطلب منه تحديد مكافأته بنفسه. كما تفيد الرواية كيف أنّ الملك أعجب بالشطرنج؛ فطلب وضع خطط حربية تعتمد عليها. أما الفيلسوف فوضع معادلات رياضية تعتمد على احتمالات التحرك فوق رقعته المربعة - وأقنعه بأنها تنطبق-أيضًا- على ما يحدث في حياتنا اليومية! فالهنود-مثلًا- كانوا يرونها تجسيدًا لفلسفة الوجود وتبلور الأحداث، والفرس اعتمدوها في السياسة وترتيب الفرق العسكرية، والرومان اختاروها كعنصر حاسم لاختيار سفرائهم وقادة جيوشهم. كما تشير كتب التراث إلى انتشارها في بغداد في فترة الازدهار العباسي واعتبارها معينًا لا ينضب من الاحتمالات الرياضية في بيت الحكمة.

الفروسية

إذا ألقى أي باحث نظرة دقيقة وفاحصة على صفحات تاريخ سباقات الخيول في الهند، فيجد أن تجار الخيول العرب قد بدأوا سباقات الخيول في الهند، ثم اشتهرت هذه السباقات في الهند وخارجها، وبدأ الناس يتدفقون إلى المشاركة في هذا السباق؛ لذلك ازدادت أهمية الخيول العربية في الهند-ولاسيما في بومباي- وبرز اسم عبد الرحمن المنيع النجدي الذي كان يستورد الخيول العربية المربية في الصحراء العربية، واستفاد من هذه الفرص، وذاع صيته في هذا المجال. وخصصت ساحة للسباقات في بومباي تعرف اليوم بـ ميدان



مهالاكشمي تعقد فيه سباقات الخيول منذ عام ١٨٨٠م.

وأصبحت سباقات الخيول شائعة جدًا بين جميع الفئات، وكان أهم المؤيدين والرعاة لها التجار العرب، وبعضهم يمتلكون خيولاً فخمة للسباق، وخلال الأيام الباردة يمكن مشاهدة ما يزيد عن خمسمئة حصان تتدرب وتعدو في هذا الميدان، وأصبحت مدينة بومباي مقرًا رئيسًا لسباق الخيول. وتقام السباقات عادة في شهر فبراير، ولكن بعض الأحيان تعقد سباقات إضافية بعض أيام السبت أو الأربعاء وأيام العطل خلال الأيام الباردة أيضًا. ولسباقات أيام العطل تلك خصصت جائزة لسباق الخيل وصلت قيمتها إلى نحو ٢٥٠٠٠٠ روبية في عام ١٩٠٩م (THE GAZETTEER OF BOMBAY CITY and ISLAND ١٩١٠, 238)

وأنشأ التجار العرب اسطبلات الخيول في حي «بهندي بازار» بمدينة بومباي، وكان معظمهم يمتلكون ما بين ١٠٠٠-١٥٠٠ حصانًا. وكانت اسطبلاتهم-دائمًا- نظيفة ومرتبة وفقًا للمصادر الموثوق بها، وكانت الخيول العربية قمة الاختيار لأولئك الذين يستطيعون تحمل تكاليفها في الهند، وظل البعض منهم مخلصًا لخيولهم العربية ولكن عبدالرحمن النجدي كان الأشهر في تربية الخيول والعناية بها وبيعها في بومباي. فكان عبدالرحمن يبيع مئات الخيول سنويًا، وصلت إلى ١٥٠٠ حصان بعض السنين (walers.blogspot.co). وكان في اسطبلات عبدالرحمن المنيع أفضل أنواع الخيول العربية، وكانت تباع الخيول العربية الأصيلة فقط. وحصل السيد ابتون والسيد بلونت والسيد عباس باشا على الفحول التي نقلت من قبل تجار الخيول العرب في بومباي مثل عبدالرحمن المنيع، وعيسى بن قرطاس، وعيد التميمي الذين باعوها للمسؤولين الإنجليز والملوك الهنود (The Arab Horse 1906, 50).

ومن أبرز الشخصيات المعنية بسباقات الفروسية في ولايتي بنغال وبيهار آنذاك كان الشيخ إبراهيم بن علي والمعروف جيدًا للجنة الخيول العربية بكلكتا، والمنحدر من أصول نجدية، والذي قدم إلى الهند في عام ١٨٢٠م على وجه التقريب، برفقة



العقيد ليتشفيلد، الذي كان قد بُعث إلى الجزيرة العربية؛ لشراء الخيول العربية على حساب الحكومة البريطانية. فذهب الشيخ إبراهيم إلى بلاده، ثم جلب معه إلى موانئ ممباي ومدراس العديد من شحنات الخيول العربية، فهو كان في هذا المجال خبيرًا بالفطرة؛ لذا أجاد في ذلك أيما إجادة. وفي الوقت نفسه أنشأ العقيد ليتشفيلد محطة للخيول في مدينة البصرة بالتعاون مع الدكتور تود، والعقيد تايلور، وقام هناك بتربية بعض سلالات الخيول.

عبدالرحمن المنيع وسباقات الخيول

كان معظم تجار الخيول العرب يتمتعون بمكانة كبيرة في الهند وسمعة طيبة. ومن بينهم تاجر الخيل



العربي عبدالرحمن المنيع والذي زاول تجارة الخيول في بومباي منذ عام ١٨٥٠م حسب تصريحه خلال الحوار مع السيد بلونت الذي زاره في عام ١٨٨٠م قائلاً أنه يشتري ويبيع الخيول منذ ٣٠ عامًا. وتميز خلال تلك السنوات بالصدق والكرم وحسن الخلق ولين الجانب. لم يتهم بالكذب أو التعامل غير العادل والمبالغة في الأسعار والانتهازية، بل حافظ على سمعة عالية ومبادئ سامية (Blunt 1884, 758). وكان تاجرًا محنكًا للخيول، وتجول في نواحي البلاد، وله نفوذ قوي بين الزبائن المحليين والأجانب (Blunt 1884, 758). وكذلك كان محبًا كبيرًا لرياضة سباقات الخيول.

فكان لدى عبدالرحمن المنيع فرس معروف بـ «ديكتاتور» من سلالة خيول عنزة في اسطبله الشامخ الرائع المعروف بـ «برومكسيمو» في بهندي بازار. وقد فاز «ديكتاتور» بعدد من سباقات الخيول في ١٨٨١م وقبله، وكما كان لديه فرس آخر سماه بـ «قسمة» فاز في شتاء ١٨٨٢م في بومباي. وكذلك كان له حصان آخر شهير معروف بـ «يونغ ريفينج» اعتبره رجال سباقات الخيول في بومباي معجزة.

لقد زار السيد بلونت بومباي في عام ١٨٨٢م لمشاهدة سباقات الخيول العربية التي أصبحت حدثًا مهمًا وبارزًا في هذا البلد. وقد شاهد الفرس المعروف بـ «راتابلان» فأعجب بـه(Blunt 1884, 759))، فاشتراه وشحنه





إلى إنجلترا لاستخدامه في مضمار كوربت بارك. وفاز في عدة سباقات للخيول العربية. وأدى إنشاء العديد من نوادي وإسطبلات الخيول إلى ترويج وتعزيز تجارتها في أنحاء الهند. ويفيدنا التاريخ أنّ سباق خيول عربية أقيم في مدراس عام ١٧٨٠م، وأصبحت الخيول العربية أكثر بيعًا في كلكتا بسبب سباقات الفروسية في بينغال، وقد أصبحت كلكتا مقرًا رئيسًا للفروسية لكونها العاصمة الاستعمارية آنذاك. وبدأت الهند تستورد الخيول تحت الحكم البريطاني من بلدان مختلفة. وبحلول عام ١٨٦٢م مع تزايد شعبية رياضيات الفروسية، فكان هناك ما يقرب من مائة مضمار سباق في الهند. وكان معظمها في المدن التي توجد بها معسكرات بريطانية (indianstudbook.com).

كان لدى ملك دربنغا مزرعة خيول كبيرة في بوسا(بالقرب من مديرية سَمَاسْتِيّ فُورْ). فأنشأ فريقًا للعبة البولو؛ سرعان ما عدّ هذا الفريق من بين أفضل الفرق في الهند. فلقد فازوا بكأس «كارمايكل» المرموقة في كولكاتا عدة مرات. وأدّى ذلك إلى إنشاء علاقات وديّة مع العديد من حكام الهند الكبار بالإضافة إلى الضباط البريطانيين. وبدأت النهضة الاجتماعية من خلال لعبة البولو تحقق نتائج جيدة لدربنغا في مجالات أخرى أيضًا. بدأت الرابطة بين جيرالد وكلا الأمراء تزداد قوة وأقوى (writerspouch.com) وقام موركرافت بجولته في أوائل القرن التاسع عشر في المعارض والأسواق في شمال الهند بصفته مشرفًا على مؤسسة المربط في بُوسَا (بالقرب من مدينة باتنا) المكلف بمسؤولية تأمين وتعزيز المخزون العسكري من الخيول.

وفي عام ١٨٣٣م عقدت سباقات خيول في مدينة «حاجي بور» الهندية، واستمرت لأربعة أيام متتالية، وأشرف عليه الملازم السيد جواتكين، المسؤول عن مركز تربية الخيول بقرية بوسا في بيهار. وكانت مسافة السباقات وقتها تمتدّ لميل ونصفه أو أكثر، وتنظم في العديد من الأشواط. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الخيول العربية كانت تهيمن على مثل هذه السباقات وقتذاك.

وفي عام ١٨٣٤م نقل دي. دبليو. فراسر (الذي كان يُعد من كبار متسابقي الخيل في مومباي ومدراس) إلى منطقة سارن للعمل هناك سكرتيرًا. وشارك في سباقات الخيول باسم السيد هيل، وفاز بالكثير من السباقات بفرسه المسمى بـ «سترينج». وتسابق- أيضًا- بفرس عربي معروف يدعى «همايون» على مسارات سباق الفروسية المنظمة بمدينة حاجي بور في عام ١٨٣٣م. ولكن بعد ذلك وعلى غرار الخيل «سترينج»، فاجأه الموت على مسارات سباق الخيول بكلكته، بينما كان قد اجتاز الهدف، وفاز بالسباق. ففي اليوم الثالث من هذا العام شهدت أعين سكان ولاية بيهار واحدة من أعظم المحاولات الباسلة غير المسبوقة تجرى على مسارات السباق، حيث قد عقدت خمسة أشواطٍ من السباق لمسافة ميل وثلاثة أرباعه؛ لأجل الفوز بكأس «هندريد جولد مهر» (١٠٠ مهر ذهبي). وبالإضافة إلى ذلك نافست في هذا السباق أربعة خيول عربية إلى جانب فرس مهجّن محليًا. والفرس المهجن المحلي الذي كان يدعى «سبفاير» انهار في الشوط الثالث من السباق، وفرس السيد تشالز المسمى بـ «جودولفين» الذي ركبه السيد «فراسر» فاز بالسباق.

وتجدر الإشارة إلى أنّه كان هناك رجل يسمى بـ «الدكتور سويرز». وكان هذا الشخص يُعد واحدًا من أكبر الرعاة الدائمين لسباقات الخيول في الهند، وحصل على لقب فخري بكونه مؤسس سباقات الخيول الهندية. كما كان الدكتور يمتلك مختلف الفئات من الخيول الجيدة، ويقوم بنفسه بتربيتها، ثم يتسابق بها في مختلف السباقات، فكان منها الخيول العربية، والإفريقية، والإنجليزية، وغيرها من الخيول المحلّية التي هجّنها بيده. وجديرٌ بالذكر هنا أنه أخذ معه أفضل خيل عربي له يسمى بـ «سليم» إلى وطنه بهدف اختبار حظه في كأس جود وود للفروسية بإنكلترّا، ولكن بالطبع، هذا الفرس





الصغير الباسل لم يكن كفؤاً للخيول الإنجليزية؛ مما أدى إلى ذهاب محاولات سويرز أدراج الرياح.

وفي الختام يجب الاعتراف بالرياضة عاملاً حيويًا في تمكين التنمية المستدامة والسلام والتعارف بين المجموعات والفرق والأمم. وهي وسيلة مهمة لتعزيز السلام والتسامح والتفاهم، ويجتمع الناس عبر الحدود والثقافات والأديان تحت مظلتها كما تشجع القيم الإنسانية مثل العمل الجماعي، والإنصاف، والانضباط، والاحترام بين الناس، ويمكن الاستفادة منها في تعزيز التضامن والتماسك الاجتماعي. ولا تقتصر الرياضة على ممارسة الأنشطة البدنية فحسب بل إنها في الواقع مساحة ترفيهية حيث يعزز نمط حياة صحي من خلال التنمية البدنية والعقلية. إنها مكان حيث يجتمع الأفراد لتحسين مهاراتهم الاجتماعية وصحة الفرد ورفاهيته، وتعزيز القيم الثقافيّة، والتكيف مع القواعد. كما أنها توحد الناس وتلهمهم جماعيًا، مما يبني المجتمعات. ولا تحتاج التنمية المستدامة إلى حوكمة سياسية فحسب؛ بل تحتاج–أيضًا– إلى إيجاد مساحات ومنصات تجمع الناس معًا تحت هدف مشترك. إن الجاذبية الهائلة للرياضة تجعلها ظاهرة اجتماعية، حيث يحدد السياق الذي تتطور فيه سلوكيات وأفعال أتباعها، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالشباب. فيمكن أن تكون القيم مثل الإنصاف والاحترام بمثابة أمثلة لنظام اقتصادي يبني على المنافسة العادلة ويدعم التقاسم المتساوي للموارد. وبغضّ النظر عن العمر أو الجنس أو العرق، فإن الرياضة يستمتع بها الجميع؛ ولا مثيل لها. ولكن الأهم من ذلك أن الرياضة تعزز القيم العالمية التي تتجاوز اللغة والثقافة. ويمكننا استخدامها كأداة لتحسين رفاهة الكوكب وشعوبه. ومن خلال قيمها يمكننا تعليم العمل الجماعي والقيادة والتواضع والمثابرة والعزيمة. ويمكن استخدام الرياضة كوسيلة مفيدة لخلق بيئة الوحدة في التنوع وإظهار الاحترام للآخرين ومشاركة المساحة والمعدات كما عملت لعبة الشطرنج والفروسية بين الهند والعالم العربي.

قائمة المراجع حسب ورودها

١. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٨م.

٢. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد دكن، الهند، ١٩٥٨.

٣. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسالة فخر السودان على البيضان، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، الجزء الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤.

4. THE GAZETTEER OF BOMBAY CITY and ISLAND, Vol. III, The Time Press, Bombay, 1910.

5. Lane, J. (2016). Buying Walers. Retrieved

6. from https://walers.blogspot.com/2016/07/buying-walers-australian-horse-traders.html

7. SPENCER BORDEN, The Arab Horse, Doubleday, Page & Company, NEW YORK, 1906.

8. Wilfrid Scawen Blunt, The Forthcoming Arab Race at New Market, The Nineteenth Century, May 1884, Vol. XV, No. 87.

9. -http://indianstudbook.com/history.php

10. www.writerspouch.com/read/122





سعيد الرحبي

مدير مساعد لدائرة
التواصل والإعلام بوزارة
الثقافة والرياضة والشباب



واقع الأنشطة الرياضية والشبابية في سلطنة عُمان ومراحلها الأساسية من ١٩٧٠ إلى ٢٠١٥)

مرّ قطاع الرياضة والشباب في سلطنة عُمان بمراحل عديدة حيث كانت البداية بإنشاء دائرة تعنى بشؤون الشباب تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل آنذاك، ثم أصبحت وزارة الشباب، ثم ألحقت بوزارة الإعلام، ثم انتقلت إلى وزارة التربية والتعليم. وفي عام ١٩٩١م أنشئت الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية لتنفيذ الخطط والبرامج، وتأكيدًا لإيمان الحكومة العمانية بدور الشباب باعتبارهم عماد هذه الأمة ومستقبلها وتفعيل أنشطته الرياضية وإبرازها بشكل يتلاءم مع النهضة الحديثة التي تعيشها البلاد في كافة المجالات، أنشئت وزارة للشؤون الرياضية في عام ٢٠٠٤م لتحمل على عاتقها مسؤولية إنماء الروح الفكرية للشباب وإعطائها دفعة جديدة نحو أفكار جديدة، تعمل بكل طاقاتها وإمكاناتها لتحقيق آمال الناشئة العمانية وتعزيز الأنشطة الرياضية والشبابية وإرساء قواعد النهضة الرياضية المنتظرة.

١. المرحلة الأولى فترة السبعينيات (١٩٧٢. ١٩٧٩م) فترة التأسيس

أ. إنشاء وزارة لشؤون الشباب

بدأت الحكومة العمانية في خطتها الأولى لتنمية القطاع الرياضي بإنشاء وزارة مستقلة تعنى بشؤون الشباب وتقديم الرعاية والاهتمام بقطاع الشباب، حيث صدرت أنشأت الوزارة وفقاً للمرسوم السلطاني رقم ٧٦/٢١ بوزارة الشباب رسم السياسات العامة للوزارة مشددًا المؤكدة على تنمية وعي الشباب من حيث تربية النشء، وإعداد الشباب العماني للمستقبل عن طريق استثمار أوقات الفراغ وتوجيههم ورعايتهم من خلال الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية والفنية.

ب. إنشاء وسام الاستحقاق للشباب

وتكريمًا لمن يقدم خدمات جليلة من الشباب العماني وإذكاء للشعور الوطني صدر المرسوم السلطاني السامي رقم (٧٦/٥٢) بتاريخ ١٩٧٦/١٢/٢٧م والذي



أنشئ بموجبه وسام الاستحقاق للشباب العماني ذكورًا وإناثًا الذين يقدمون خدمات جليلة للوطن والمواطن في مختلف المجالات الشبابية والرياضية.

٢ ـ المرحلة الثانية فترة الثمانينيات (١٩٨٠ - ١٩٩٠)

أ . نقل تبعية قطاع الشباب لوزارة الإعلام

خلال هذه المرحلة نقلت تبعية قطاع الشباب إلى وزارة الإعلام كمديرية عامة للشباب وهو ما يشير بأن قطاع الشباب يمر بمراحل انتقالية من حقيبة وزارة إلى مستوى مديرية تتبع وزارة الإعلام.

حيث صدر المرسوم السلطاني رقم (٨٠/٤٧) بتاريخ ١٩٨٠/٥/٢٩م باسم وزارة الإعلام وشؤون الشباب وتحت مسمى (المديرية العامة لشؤون الشباب) حسب الهيكل التنظيمي وتضم عدد أربع دوائر(دائرة رعاية الشباب، دائرة الشؤون الإدارية والمالية، دائرة الشؤون الرياضية، دائرة شؤون الفرق القومية) إضافة إلى المكاتب الفنية التابعة للمدير العام (الخبراء، التخطيط ومتابعة المشروعات، الاتحادات الرياضية).

ب . إنشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب

وانطلاقًا من الحرص الكبير الذي توليه الحكومة الرشيدة لقطاع الشباب فقد أنشئ مجلس أعلى لرعاية الشباب برئاسة جلالة السلطان المعظم، وذلك بموجب المرسوم السلطاني رقم (٨٢/٤١) بتاريخ ١٩٨٢/٥/٢٣م، وتنظيمًا لأعمال المجلس الموقر اعتمد الهيكل التنظيمي له بموجب المرسوم السلطاني رقم (٨٤/٢١) بتاريخ ١٩٨٤/٣/٨م، كما صدرت لائحة تنظيمية للمجلس تضطلع بتنظيم أعماله ونشاطه واجتماعاته، وذلك بموجب القرار الصادر عن نائب رئيس المجلس رقم (٨٤/١) بتاريخ ١٩٨٤/٩/١٣م.

ج . نقل تبعية قطاع الشباب لوزارة التربية والتعليم

ونتيجةً لتطور العمل الشبابي والرياضي ورغبة في ربط اللحمة الشبابية من خلال النشء الذي تتولاه وزارة التربية والتعليم فقد نقل لاحقًا قطاع الشباب لتلك الوزارة بموجب المرسوم السلطاني رقم (٨٢/٤٠) بتاريخ ١٩٨٢/٦/١م ونقل بمقتضاه اختصاصات شؤون الشباب من وزارة الإعلام إلى وزارة التربية والتعليم التي أصبحت تحت مسمى «وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب». وتأكيدًا لإعطاء قطاع الشباب دفعة قوية واستقلالية إدارية صدر المرسوم السلطاني رقم (٨٢/١٠٧) بتاريخ ١٩٨٢/١٢/٢٣م بتعين وكيل لشؤون الشباب، وأصبحت المديرية العامة للشباب مضافة لهيكل وزارة التربية والتعليم، وذلك وفقًا للمرسوم السلطاني رقم (٨٦/٨٣) بتاريخ ١٩٨٦/١١/١٣م. واعتمد هيكلها التنظيمي لتصبح بمسمى وزارة التربية والتعليم والشباب.

وفي ١٨ مارس ١٩٨٢م انضمام اللجنة الأولمبية العمانية إلى عضوية اللجنة الأولمبية الدولية وتوقيع وثيقة الانضمام وتم تشكيل أول مجلس إدارة للجنة الأولمبية العمانية.

وقد شهدت هذه الحقبة عدد من المناسبات الرياضية والشبابية من أهمها:

١ـ الاحتفال بعام الشبيبة في عام ١٩٨٣م.

٢ـ استضافة السلطنة لدورة كأس الخليج العربي (الدورة السابعة) في الفترة من ٩ إلى ٢٦ مارس ١٩٨٤م.

٣ـ انضمام السلطنة لمعاهدة نيروبي الخاصة بحماية الرمز الأولمبي وصودق عليها بموجب المرسوم السلطاني رقم (٨٦/٧) بتاريخ ١٩٨٦/١/٢٣م.

٤ـ إقامة ندوة النهوض بالرياضة العمانية من ٥ إلى ١٩٨٧/١٢/١٠م بمسقط، وكانت هذه الندوة الخطوة التي أوضحت متطلبات الحركة الرياضية وعلاقتها بمختلف المؤسسات والجهات الأخرى التي تعنى بالشأن الشبابي، مسايرة لتطلعات الرياضيين العمانيين.

٥ـ تنوعت الأنشطة الرياضية وأشهر العديد من الاتحادات الرياضية، وتنوعت الأنشطة الشبابية وتوسعت المشاركات في المحافل الدولية المختلفة.



٣. المرحلة الثالثة فترة التسعينيات وبداية الألفية الثالثة (١٩٩٠ . ٢٠٠٤)

تعد هذه المرحلة من المراحل المهمة في عمل الرياضة والشباب، حيث أصبحت هيئة عامة مستقلة تعنى بشؤون الرياضة والأنشطة الشبابية والثقافية في السلطنة.

أ . إنشاء الهيئة العامة للرياضة والأنشطة الشبابية

ففي عام ١٩٩١م صدر المرسوم السلطاني رقم (٩١/١١٣) بتاريخ ١٩٩١/١٢/١٠م بإنشاء الهيئة العامة للرياضة والأنشطة الشبابية، وبموجب المادة (٢) من هذا المرسوم آلت إلى الهيئة العامة المخصصات والسجلات الخاصة بكل من المجلس الأعلى لرعاية الشباب وشؤون الشباب بوزارة التربية والتعليم والشباب، كما نقل إليها الموظفون العاملون بها.

ويعد إنشاء الهيئة العامة للرياضة والأنشطة الشبابية نقلة نوعية للاعتناء بالشباب والارتقاء بالأنشطة الشبابية في السلطنة، فقد أنيط بالهيئة بموجب نظامها الأساسي المرفق بالمرسوم المشار إليه، وضع الخطط والبرامج التنفيذية للسياسات المعتمدة في مجال الرياضة والأنشطة الشبابية، وذلك بالتنسيق مع الجهات المختصة، وقد عُدل مسمى الهيئة بموجب المرسوم السلطاني رقم (٩٣/٢٦)



بتاريخ ١٣/٥/١٩٩٣م لتصبح الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية، وفي عام ١٩٩٤م صدر المرسوم السلطاني رقم (٩٤/٦٧) بتاريخ ٣/٧/١٩٩٤م باعتماد الهيكل التنظيمي للهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية.

ودعمًا للأندية الرياضية واستمرارًا لاهتمام الحكومة العمانية بالارتقاء بالشباب، فقد أنشئت مسابقة لأنشطة الشباب تحت مسمى كأس جلالة السلطان المعظم للشباب للنادي الحاصل على أعلى الدرجات في مختلف الأنشطة الرياضية والثقافية والإدارية والمالية مع مكافأة مالية.

ب. أهم الأعمال التي واكبت العمل بالهيئة

تخصيص عام ١٩٩٣م عامًا للشباب، أقيم خلال هذا العام مجموعة من الأنشطة الرياضية والثقافية والعلمية والفنية والاجتماعية على المستوى المحلي، واستضافة الأنشطة الخارجية إلى جانب إقامة مهرجان رياضي كبير في العيد الوطني الثالث والعشرين المجيد.

وفي إطار سلسلة المكرمات السامية للشباب صدر المرسوم السلطاني رقم (٩٣/٧١) بتاريخ ١٧/١١/١٩٩٣م بإنشاء صندوق لدعم الأنشطة الرياضية، يهدف إلى تمويل الأنشطة الرياضية في السلطنة والمساهمة في دعمها وتطويرها، ويكون له في سبيل تحقيق هذا الهدف مباشرة جميع الأعمال والتصرفات اللازمة لذلك.



وتفعيلاً لهذا الصندوق صدر المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٠/١٥) بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/١٣م بتعديل أحكام المرسوم المشار إليه وإعادة تشكيل مجلس إداراته، وأنشئ لجنة لاستثمار أمواله تشكل بقرار من رئيس مجلس الإدارة وهو رئيس الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية، كما أعفي الصندوق وعملياته من جميع الضرائب المقررة والرسوم الجمركية .

استضافة السلطنة لدورة كأس الخليج العربي الثالثة عشرة خلال الفترة من ١٥ - ١٨ أكتوبر ١٩٩٦م بمسقط.

الإنجازات التي تحققت للرياضة العمانية

١-حصول منتخبات السلطنة في اللعبات المختلفة على مراكز متقدمة على صعيد المحافل الرياضية الإقليمية منها والعربية والقارية والدولية وكان أبرزها حصول المنتخب الوطني للناشئين على المركز الرابع في كأس العالم بالأكوادور في عام ١٩٩٤م وحصول أحد لاعبيه على جائزة أفضل لاعب ناشئ في العالم في ذات البطولة.

٢-حصول مجمع السلطان قابوس الرياضي ببوشر على ميدالية وشهادة تقدير من منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) عام ١٩٩٥م نظير الخدمات التي يقدمها لعدد كبير من الشباب الذين ارتادوه، فضلاً عن اعتماده من قبل المجلس الأولمبي الآسيوي كمركز تدريب واستضافة ونشاط.

٤ . المرحلة الرابعة (٢٠٠٤ . ٢٠١٣)

أ . إنشاء وزارة الشؤون الرياضية في عام ٢٠٠٤م

تعد هذه المرحلة من المراحل المهمة في العمل الرياضي في السلطنة، حيث أنشئت وزارة تعنى بالشؤون الرياضية، وإعطاء الشباب دفعة قوية لمواكبة التطور والارتقاء بمستوى الأداء وتحسين البنية الأساسية للهيئات الخاصة بما يتفق ومتطلبات المرحلة الجديدة من عمر النهضة المباركة، وإيماناً بالدور الحيوي الذي يمكن أن يلعبه الشباب في التنمية الشاملة بعد إعداده لأداء واجبه تجاه وطنه، لتحقيق تلك الأهداف والغايات النبيلة بدأ العمل المنظم المستند على الخطط والبرامج للنهوض بقطاع الشباب والرياضة، وبموجب ذلك صدر المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٤/١٢) بتاريخ ٢٠من أكتوبر ٢٠٠٤م بإنشاء وزارة للشؤون الرياضية وتحديد اختصاصاتها وأوكلت إليها مهمة تطوير العمل الرياضي في مختلف المجالات، وكان من نتاج ذلك

١- صدور المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٦/٧) بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١٥م باعتماد الهيكل التنظيمي للوزارة والذي استحدث بموجبه عدد من المديريات والدوائر الحديثة لتتواكب مع تطور العمل الحكومي، وخطة الدولة في مجال رفع مستوى أداء الفرد، والاهتمام بتقنية المعلومات لتتماشى مع التوجه العام لنظام الحكومة الإلكترونية، إضافة إلى تنظيم وإصدار القوانين واللوائح التي تساير ما هو متبع على مستوى التنظيمات الدولية لمختلف الهيئات الرياضية، إلى جانب توفير قواعد بيانات من خلال دائرة التخطيط والإحصاء التي تعتمد عليها في وضع خطط الأنشطة والبرامج، وكان للتسويق الرياضي والإعلام دور في تنشيط الحركة الرياضية مع الاهتمام برياضة المرأة والمنتخبات الوطنية وغيرها من جوانب تنظيمية وتنفيذية وصدرت قرارات تنظم التقسيمات الإدارية للهيكل التنظيمي، وهي

ب . أهم الأعمال والأنشطة التي تم تنفيذها خلال هذه المرحلة من عمر الوزارة، :

- صدور المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٧/٣٩) بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٢٠م والقاضي بانضمام السلطنة إلى الاتفاقية الدولية لمكافحة المنشطات في المجال الرياضي.

- صدور قانون الهيئات الخاصة العاملة في المجال الرياضي بموجب المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٧/٨١) بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٢٠م، والذي حدد



بموجبه متطلبات المرحلة القادمة من التنظيمات التطويرية لمواكبة الحركة الأولمبية، وتتماشى مع أنظمة الاتحادات الدولية والقارية لتنطلق الحركة الرياضية من باب التبعية الفنية للاستقلال المقنن الذي يضمن لها كهيئات خاصة حرية الحركة وتتماشى مع الأنظمة الدولية.

- صدور لائحة التكريم في المجال الرياضي بموجب القرار الوزاري رقم (٢٠٠٨/٢٣١) بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/٢٢م.

وكان من نتائج هذه الفترة منذ عام ٢٠٠٤م وحتى عام ٢٠١٣م أن برزت مجموعة من الفعاليات والأنشطة المتطورة وتتمثل في الآتي

١ - ندوة مستقبل الرياضة العمانية من ٦ - ٧ أبريل ٢٠٠٥م بمسقط

عقدت الندوة لإعداد الرؤى المستقبلية للرياضة وتواصلاً مع الجهود الحثيثة التي تبذلها السلطنة في سبيل النهوض والارتقاء بالرياضة العمانية الواعدة وأن توصيات الندوة سوف تصيغ مفردات ومتطلبات واحتياجات المرحلة القادمة لمسيرة العمل الرياضي، وقد ترجمت التوصيات إلى واقع عملي من خلال البرامج والأنشطة التي تعنى بالشأن الرياضي.

٢- تشكيل لجنة تعنى بشؤون رياضة المرأة في السلطنة، وذلك بموجب القرار الوزاري رقم (٢٠٠٥/٤٦) بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٣٠م

وقد حددت قواعد واختصاصات أعمال هذه اللجنة بما يتفق والقيم والعادات والتقاليد العمانية لإظهار نشاط المرأة، ومنها بدأت انطلاقة رياضة المرأة بمختلف اللعبات الرياضية وأصبح لها تفاعل على المستوى المحلي والخارجي.

٣. الألعاب والرياضات التقليدية العمانية

انتخبت السلطنة رئيسًا لفريق العمل الدولي للألعاب والرياضات التقليدية من قبل اللجنة الدولية الحكومية للتربية البدنية والرياضية(سيجيس) بمقر منظمة اليونسكو بالعاصمة الفرنسية باريس في عام ٢٠٠٦م وانتخابها عضوًا دائمًا في اللجنة الدولية ٢٠٠٥م.

٤. مشروع إستراتيجية الرياضة العمانية

لقد بدأت الوزارة في بناء مشروع إستراتيجية الرياضة العمانية منذ منتصف عام ٢٠٠٥م، وذلك تنفيذًا للتوصيات المنبثقة من ندوة مستقبل الرياضة العمانية (إبريل ٢٠٠٥م جامعة السلطان قابوس) وندوة رياضة المرأة في سلطنة عُمان (أكتوبر ٢٠٠٥م).

وحرصًا على الاستفادة من بيوت الخبرة، فقد تعاقدت الوزارة مع خبيرة دولية من المملكة المتحدة لإعداد المنهجية اللازمة والقيام بالدراسات وجمع البيانات، توجب أعمالها إنتاج إستراتيجية للرياضة العمانية، مثلت اللبنة الأولى لملامح المشروع (مايو - أكتوبر ٢٠٠٦م)، وفي عام ٢٠٠٧م استقدمت الوزارة خبيرًا من تونس للعمل في فريق عُماني بالمكتب الفني لوضع الأسس والشروع في إعداد مشروع إستراتيجية الرياضة العمانية.

وبهدف التشاور وتبادل الآراء مع القطاعات ذات العلاقة، فقد نسق مع العديد من المؤسسات الحكومية المدنية والعسكرية والمؤسسات التعليمية، بالإضافة إلى الأندية والاتحادات واللجان الرياضية ومؤسسات القطاع الخاص، وذلك من خلال تنظيم عدد من اللقاءات والجلسات.

ولتوسيع قاعدة المشاركة والتشاور مع مختلف المختصين والمهتمين بالشأن الرياضي، وبعد موافقة مجلس الوزراء الموقر، عقدت ندوة مشروع إستراتيجية الرياضة العمانية خلال يومي ٢٩، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨م في رحاب جامعة السلطان قابوس بمشاركة قرابة ٣٠٠ مشارك من مختلف الجهات الحكومية ذات العلاقة، ومن الاتحادات والأندية الرياضية من المختصين والإداريين والفنيين ومندوبي الهيئات الخاصة والقطاع الخاص.



وقد خرجت الندوة بعدة توصيات هامة أخذ بها في الصياغة النهائية لمشروع إستراتيجية الرياضة العمانية التي اعتمدت من قبل مجلس الوزراء الموقر في جلسته رقم (٢٠٠٩/١٨) بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٢م).

٥-أوامر سامية لإنشاء أكاديمية السلطان قابوس لتنمية القدرات الرياضية

تفضل جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم – طيب الله ثراه – وأصدر أوامره السامية بالبدء في إجراء دراسة استشارية لإنشاء أكاديمية السلطان قابوس لتنمية القدرات الرياضية، وقد قامت الوزارة فور التشرف بتلقي الأوامر السامية بالاتصال بعدد من الشركات والمؤسسات الدولية المتخصصة في مجال إعداد الدراسات الاستشارية، لإعداد التصميم الأولي للمشروع ومرافقه، كما تم التعاقد مع بعض الخبراء المتخصصين في المجال الرياضي.

٦- إنشاء ثلاث مجمعات رياضية جديدة في كل من محافظة مسندم ومحافظة جنوب الباطنة ومحافظة شمال الشرقية

إيمانًا من الحكومة العمانية بأهمية تطوير البنية الأساسية للمنشآت الرياضية بمختلف محافظات السلطنة أعلنت الوزارة عن إنشاء ثلاث مجمعات رياضية جديدة في كل من محافظة مسندم ومحافظة جنوب الباطنة ومحافظة شمال الشرقية إيمانًا بأهمية بناء البنية الرياضية في مختلف محافظات السلطنة.

إن إنشاء هذه المجمعات الرياضية الجديدة يأتي مواكبةً للتطور الذي تشهده السلطنة في مختلفات المجالات والقطاعات واستمرارًا لعملية تطوير المنظومة المتكاملة لاستكمال المرافق الرياضية تنفيذًا لأهداف إستراتيجية الرياضة العمانية التي أقرها مجلس الوزراء الموقر في جلسته رقم ٢٠٠٩/١٨ بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٠٩م تأكيدًا على حرص الحكومة الرشيدة على النهج الذي تتبعه لتطوير القطاع الرياضي باعتباره رافدًا مهمًا لتنمية الموارد البشرية الرياضية بالسلطنة، حيث ستتيح هذه المجمعات الرياضية للشباب ممارسة الألعاب الرياضية بمختلف المرافق الرياضية، كما أنها ستسهم في إقامة المباريات سواء في الدوري المحلي أو استضافة المباريات الدولية.

٧- مكرمة سامية للأندية الرياضية بدعم مالي قدره مليون ريال لكل نادي

تفضل جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - طيب الله ثراه - وأنعم بمكرمة سامية للأندية الرياضية بتخصيص مليون ريال عماني لكل نادي رياضي بالسلطنة وذلك لتطوير البنية الأساسية للأندية والذي سيشكل نقلة نوعية للنهوض والارتقاء بالبرامج الرياضية والشبابية في الأندية الرياضية بمختلف محافظات السلطنة.

البرامج والفعاليات الموجهة للشباب والمجتمع

دأبت الوزارة منذ إنشائها على تنفيذ البرامج الهادفة التي تحتوي الشباب وتنمي مواهبهم. ومن هذه البرامج برنامج الأيام الأولمبية العمانية والتي بدأت منذ بداية التسعينيات لغاية ٢٠٠٠م وكانت تتضمن مناشط رياضية في مختلف الألعاب وبمشاركة من الاتحادات الرياضية، وبعد إنشاء وزارة الشؤون الرياضية سعت الوزارة إلى استحداث برامج رياضية وشبابية تهتم بالشباب لقضاء أوقات مفيدة أثناء العطلة الصيفية، ونستعرض هذه البرامج كالتالي

١. برنامج صيف الرياضة

في عام ٢٠٠٦م استحدثت الوزارة برنامجًا جديدًا أطلق عليه اسم برنامج صيف الرياضة. يضمن معظم الألعاب الرياضية خلال العطلة الصيفية؛ بهدف استثمار أوقات فراغ الشباب وخلق مناشط رياضية صيفية في إطار تربوي تعليمي وتدريبي في مختلف المجمعات والأندية الرياضية بالسلطنة، وبمشاركة واسعة من قبل المواطنين والمقيمين من مختلف الجنسيات العربية والأجنبية.

ويهدف البرنامج إلى تشجيع ممارسة الهوايات الرياضية لشغل أوقات الفراغ والتشجيع على استمرارية المشاركين في البرنامج لممارسة الأنشطة الرياضية بعد انتهاء البرنامج. بالإضافة إلى زيادة



الاستفادة من المجمعات الرياضية والأندية، وربط منتسبيها بالنشاط الرياضي العام وزيادة الوعي بأهمية ممارسة النشاط البدني، والتأكيد على ممارسة النشاط الرياضي والاستفادة القصوى من البرنامج من خلال التركيز على أنشطة رياضية تستقطب أكبر عدد من الممارسين والرعاية للموهوبين والمدربين من خلال التواصل المباشر مع الاتحادات الرياضية ودائرة شؤون المنتخبات في ما يخص تأهيلهم وصقل مواهبهم وإعطاء مساحة أكبر لمنفذي البرنامج للإبداع والابتكار واللامركزية في العمل.

ويتميز البرنامج بأسلوب جديد ومبتكر لتنفيذ ألعاب رياضية محببة لجميع المواطنين والمقيمين من كلا الجنسين تعليمًا وتدريبيًا بالإضافة إلى خلق روح المنافسة فيه لإبراز واستثمار طاقات الشباب في المقام الأول واستغلال المنشآت الرياضية ثانيًا.

٢. برنامج شجع فريقك

نفذت الوزارة برنامج شجع فريقك الذي يهتم بدعم الفرق الرياضية الأهلية المنتسبة للأندية الرياضية. وقد لاقى هذا البرنامج ترحيبًا كبيرًا من قبل الفرق الرياضية؛ لما له من فوائد عديدة للأندية والفرق الرياضية الأهلية.

إن برنامج شجع فريقك هو برنامج وطني لدعم الأندية الرياضية والفرق الأهلية التابعة لها من وزارة الشؤون الرياضية. كما أن البرنامج سيكون فرصة مواتية للأندية لاكتشاف المواهب والعناصر المجيدة وضمها إلى الفرق الرياضية المختلفة بالنادي.

٣ . برنامج الأنشطة الشبابية بالأندية والمجمعات الرياضية «شبابي»

نفذت الوزارة عام ٢٠١٢م برنامج الأنشطة الشبابية بالأندية والمجمعات الرياضية «شبابي» والذي يهدف على تنمية القدرات الشبابية للجنسين وصقل مواهبهم وتنمية مهاراتهم وتوسيع مداركهم الفكرية، حيث قدم هذا البرنامج العديد من الفعاليات والأنشطة الثقافية والاجتماعية والفنية والمحاضرات والملتقيات والندوات التي تهم قضايا الشباب.

٤. برنامج معسكرات شباب الأندية

دشنت الوزارة في عام ٢٠١٣م برنامجًا جديدًا يهتم بالشباب أطلق عليه معسكرات شباب الأندية يجمع من خلاله الشباب في مكان واحد وينفذ من خلاله برامج رياضية وثقافية واجتماعية وأعمال تطوعية وفعاليات فنية؛ لتكون امتدادًا للبرامج والفعاليات الصيفية التابعة للوزارة وتتميز معسكرات شباب الأندية بأنها تسعى لتنمية روح القيادة لدى الشباب الذين يرشحون من قبل الأندية الرياضية والمراكز الرياضية في السلطنة.

٥. مسابقة الأندية للإبداعات الشبابية

انطلاقًا من اهتمام الحكومة العمانية بالشباب العماني وتلبية كل المتطلبات التي من شأنها الارتقاء والنهوض به فكريًا ورياضيًا وفنيًا واجتماعيًا فقد نفذت الوزارة مسابقة الأندية للإبداع الشبابي.

ويأتي تنفيذ هذا البرنامج لتفعيل الجانب الثقافي والاجتماعي والفني بالأندية الرياضية وتحفيز الشباب للمشاركة مع الأندية في مختلف المسابقات والأنشطة الشبابية والثقافية من خلال هذه البرامج والأنشطة والفعاليات المتنوعة والمنفذة بالأندية الرياضية، وكذلك لاستثمار أوقات فراغ الشباب بما يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع والفائدة، إضافة إلى اكتشاف المواهب الشبابية في هذه المجالات.

جهود رياضية أخرى تشارك فيها سلطنة عُمان

شهدت الرياضة العُمانية منذ فجر النهضة اهتمامًا كبيرًا في مختلف الأصعدة والمجالات، وكان للرياضة والشباب نصيب كبير من مشروع النهضة الذي تفجر عطاءً وفكرًا ثاقبًا ينشد تطوير مقدرات وعقول الشعب العُماني ليواكب النهضة العالمية ويحجز لنفسه موقعًا متقدمًا بين الأمم والشعوب.

ونتيجة لهذا النهج فقد قامت سلطنة عُمان باستضافة العديد من الأحداث الرياضية المهمة على الصعيدين الدولي والعربي وذلك لإبراز الدور العماني في التنظيم واستضافته لهذه الأحداث



والمناسبات الرياضية المختلفة التي تعكس مدى استطاعة الشباب العماني في استضافة هذه الأحداث الدولية التي تنعكس إيجابيًا على الاقتصاد والترويج السياحي والثقافي، حيث إنّ الرياضية أصبحت مجالاً واسعًا في الترويج الاقتصادي من خلال استضافة الأحداث الرياضية العالمية والجانب التسويقي لها. ومن بين الجهود التي أسهمت في الترويج والتسويق ما يلي

١. مرور الشعلة الأولمبية بكين بمسقط ١٤ إبريل ٢٠٠٨م

استضافت السلطنة في الرابع عشر من إبريل ٢٠٠٨م مرور الشعلة الأولمبية بكين ٢٠٠٨م بمسقط العاصمة الوحيدة في الشرق الأوسط التي حظيت بمرور الشعلة بجوار٢١ مدينة من مختلف مدن العالم التي وقع عليها اختيار ضمن محطتها التاسعة في برنامج خط سيرها في ٢٢ مدينة من مختلف دول العالم التي حظيت بالاختيار من قبل اللجنة الأولمبية الدولية واللجنة المنظمة لمرور شعلة دورة الألعاب الأولمبية.

٢ ـ استضافة السلطنة لدورة كأس الخليج العربي التاسعة عشرة (خليجي ١٩) بمسقط خلال الفترة من ٤ ـ ١٧ يناير ٢٠٠٩م

استضافت السلطنة في بداية عام ٢٠٠٩م دورة كاس الخليج العربي التي تتناوب على تنظيمها دول مجلس الخليج العربي كل سنتين، حيث الحدث الرياضي الخليجي الذي يمثل الكثير لشباب دول المجلس، وقد حصلت السلطنة على مراكز متقدمة في هذه الدورة كالتالي

–حصول المنتخب الوطني الأول لكرة القدم على كأس البطولة للمرة الأولى في تاريخه.



- حصول المنتخب الوطني للكرة الطائرة على المركز الثاني على مستوى دول مجلس التعاون للعبات المصاحبة للكرة الطائرة.

- حصول المنتخب الوطني لكرة اليد على المركز الثاني على مستوى دول مجلس التعاون للعبات المصاحبة لكرة اليد.

وقد نفذ العديد من المشاريع الإنشائية وتحسين ما هو قائم لاستضافة الدورة إلى جانب استكمال المشاريع المحددة بالخطة الخمسية السادسة. وأضيفت إليها مشروعات واعتمادات مالية إضافية تمثلت في إنشاء المجمع الرياضي بمحافظة البريمي، وإنشاء وإضافة منشآت للمجمع الرياضي بالسعادة (حوض السباحة، الصالة الرئيسية)، وإنشاء نادي الأمل (لذوي الإعاقة) وإنشاء ميدان الفروسية والهجن.

٣. استضافة السلطنة لدورة الألعاب الآسيوية الشاطئية الثانية ٨-١٦ ديسمبر ٢٠١٠م

استضافة السلطنة خلال الفترة من ٨ ولغاية ١٦ ديسمبر ٢٠١٠م أكبر تظاهرة رياضية تشهدها السلطنة منذ بزوغ النهضة المباركة دورة الألعاب الآسيوية الشاطئية الثانية بالمدينة الرياضية بالمصنعة بمشاركة ٤٥ دولة آسيوية وبحضور عدد من كبار الشخصيات الرياضية الأولمبية ورؤساء اللجان الأولمبية الآسيوية وعدد من رؤساء اتحادات الألعاب الآسيوية المشاركة في الدورة.

وقد اشتملت هذه الدورة على ١٤ لعبة مدرجة في قائمة الدورة، وهي: كرة اليد الشاطئية والكبادي الشاطئية والسباكتاكراو الشاطئية وكرة القدم الشاطئية وكرة الطائرة الشاطئية وكرة الماء الشاطئية والكرة الخشبية الشاطئية وبناء الأجسام ورياضة الدراجات المائية وماراثون السباحة والإبحار والتقاط الأوتاد والثلاثي الحديث والتزلج على الماء.



SPORTSPORTSPOR

٤ . استضافة نهائيات كأس العالم لكرة اليد الشاطئية بمسقط ٢٠١٢م

استضافت السلطنة خلال الفترة من ٨ ـ ١٣ يوليو ٢٠١٢م أكبر الأحداث الرياضية الشاطئية التي تقام على ارض السلطنة مونديال كأس العالم لكرة اليد الشاطئية بالمدينة الرياضية بالمصنعة لأول مرة في تاريخها، وجاء ذلك بفضل الجهود التي بذلتها الوزارة في الظهور بشكل يليق بحجم البطولة حيث شارك في البطولة ١٢ منتخبًا(البرازيل وكرواتيا ومصر وروسيا وأوكرانيا واسبانيا وقطر والمغرب واستراليا والكويت وأورجواي بالإضافة إلى منتخبنا الوطني).

٥ . استضافة بطولة كأس العالم لالتقاط الأوتاد

استضافت سلطنة عمان خلال الفترة من ٣٠ مارس الى ٤ أبريل ٢٠١٤م بطولة كأس العالم لالتقاط الأوتاد مسقط ٢٠١٤م التي ينظمها الاتحاد العماني للفروسية بميدان مزرعة حي الرحبة في مسقط في نسختها الأولى والتي ينظمها الاتحاد العماني للفروسية بإشراف من الاتحاد الدولي لالتقاط الأوتاد، والذي يتخذ من سلطنة عُمان مقرًا له، والتي شارك فيها ٥٠ فارسًا يمثلون ١٠ منتخبات هي السودان ومصر والعراق وجنوب أفريقيا وقطر واليمن وباكستان وأستراليا وبريطانيا وسلطنة عمان، تنافسوا على ثمان ميداليات ذهبية في ثمان مسابقات متنوعة.

وفي ختام هذا الدراسة التي تناولت واقع الأنشطة الرياضية في سلطنة عُمان ومراحل تطورها وأهم البرامج والأنشطة والفعاليات الرياضية والشبابية، كما تم التطرق إلى أهم المراحل التي مرت بها المنظومة الرياضية والشبابية في سلطنة عُمان منذ عام ١٩٧٠ لغاية اليوم.

يخلص الباحث إلى التأكيد على أهمية الأنشطة الرياضية لبناء قطاع الشباب فهم أبناء المستقبل وإذا كان واقعهم يبعث على الرضا كان مستقبلهم واعدًا ومتى كان حالهم مزريًا كان المستقبل مخيفًا؛ فهم بناة المستقبل وبعد ذلك سوف يصبحون قادة ومعلمين وآباء وتلك مسئوليات جسام؛ فلا بد من أن يعد الشباب لها إعدادًا كبيرًا من حيث التربية والمعرفة والتوازن والانتماء والقدرة على الإبداع من خلال توظيف الأنشطة الرياضية وغير ذلك الكثير.

ويلاحظ الباحث أن قطاع الشباب والرياضة في سلطنة عُمان مر بمراحل متعددة كانت البداية بإنشاء دائرة تعنى بشؤون الشباب تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل آنذاك، ثم أصبحت بعد ذلك وزارة الشباب، ثم ألحقت بوزارة الإعلام، ثم انتقلت إلى وزارة التربية والتعليم. وفي عام ١٩٩١م أنشئت الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية لتنفيذ الخطط والبرامج، وقد حققت الهيئة مكاسب كبيرة للشباب والرياضة خلال تلك الفترة، وفي عام ٢٠٠٤م صدر المرسوم السلطاني بإنشاء وزرة الشؤون الرياضية، لتفعيل الأنشطة الرياضية والشبابية وإبرازها بالشكل الذي يتلاءم مع النهضة الحديثة التي تعيشها البلاد في كافة المجالات، وتأكيدًا لدور الشباب الكبير في تحمل المسؤولية باعتبارهم عماد الأمة ومستقبلها.

واستكمالاً لتطوير الجانب الرياضي والشبابي فقد أصدر حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم المرسوم السلطاني رقم ٨٧ / ٢٠٢٠ بإنشاء وزارة الثقافة والرياضة والشباب وتحديد اختصاصاتها واعتماد هيكلها التنظيم بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠٢٠م وقد شهدت هذه المرحلة اندماج وزارة الشؤون الرياضية ووزارة شؤون الفنون واللجنة الوطنية للشباب وكل ما يتعلق من الشؤون الثقافية بوزارة التراث والثقافة.



ومع إشـراقة النهضـة المتجددة لحضـرة صاحب الجلالـة السـلطان هيثـم بـن طـارق المعظم حفظـه اللّٰه ورعـاه في الحادي عشـر مـن ينايـر٢٠٢٠م وإصـدار المرسـوم السـلطاني رقـم ٨٧/ ٢٠٢٠ بتاريـخ ١٨ أغسـطس ٢٠٢٠م بإنشـاء وزارة الثقافـة والرياضـة والشـباب وتحديـد اختصاصاتهـا واعتمـاد هيكلهـا التنظيمـي. تعمـل وزارة الثقافـة والرياضـة والشـباب جاهـدة علـى توفيـر كافـة الخدمـات والتسـهيلات والمرافـق التـي تلبّـي احتياجـات القطاعـات الثقافيـة والرياضيـة والشـبابية، جنبًـا إلـى جنـب مـع تنفيـذ البرامـج والأنشـطة المختلفـة بمـا يتـلاءم مـع

تطلعـات الفئـات المسـتهدفة وبمـا يلبـي احتياجاتهـم المتعـددة والمتنوعـة والتـي تواكـب رؤيـة عُمـان ٢٠٤٠.

توالـت الإنجـازات والمكاسـب علـى كافـة الأصعـدة والمجالات الرياضيـة والثقافيـة والفنيـة والأدبيـة علـى المسـتوى الدولـي والعربـي والخليجـي، حيـث كانـت الأنديـة حاضنـة أولـى للشـباب لممارسـة أنشـطتهم المختلفـة، ونـواة العمـل الثقـافي والرياضـي والشـبابي في سـلطنة عُمـان.

حيـث توالـت السياسـات والخطـط والبرامـج في المجالات الثلاثـة، لتجـد اليـوم مـا يواكبهـا علـى نطـاقٍ رقمـيّ يعمـل علـى توفيـر مسـاحات للأفـراد والمؤسسـات والشـركات والمجتمـع المدنـي المرتبـط بالإبـداع والاقتصـاد الثقـافي وغيـره؛ مـن خـلال تشـكيل مجتمـعٍ رقمـي متكامـلٍ يوفّـر فرصًـا للأعمـال، ويشـارك في الأنشـطة والفعاليـات، ويعمـل علـى إبـرازِ المواهـبِ والاسـتفادة مـن الخدمـات.



د.محمود قنديل

كاتب وصحفي مصري

الرياضة وأثرها في حياة الشباب

تمهيد

نحتاج – بدايةً – إلى فض الاشتباك عن معنى كلمتي «الرياضة والشباب»، ويحق لنا – في هذا الصدد – أن نتوكأ على مِنْسأة اللغة، وما يتيسر لنا من مرجع أو أكثر يضيء لنا الطرقات ويُعَبِّدها؛ بُغية الوصول إلى مرفأ آمن نتفق أو نتوافق عليه. يقول المعجم الوسيط: الرِّياضة عند الصوفية تعني تهذيب الأخلاق النفسية بملازمة العبادات والتخلي عن الشهوات. والرِّياضة البدنية: القيام بحركات خاصة تُكسِب البدن قوة ومرونة. (١) أما لفظة «الشباب» فهي – كما يقول معجم الصحاح – جمع شاب، وكذلك الشُّبان؛ والشباب أيضًا: الحداثة، وكذلك الشَّبيبة، وهو خلاف الشَّيْب. نقول: شبَّ الغلام يَشِبُّ شبابًا وشبيبة. (٢) وعن المرحلة العُمْرِية للشباب؛ فإن المعجم الوسيط يذهب إلى تعريفها؛ فيقول: الشباب من أدرك سن البلوغ ولم يصل إلى سِن الرجولة؛ وجمعه شبان، وهي شابة وجمعها شواب. والشباب: الفتاء والحداثة وشاب الشيء: أوله. (٣) إلا أن التعريف الحديث (الدولي) لطور الشباب، فقد أقرته الأمم المتحدة بأنه من ١٥ إلى ٢٤ سنة. (٤) ويقر عزت حجازي بهذا؛ فيقول: «تبدأ مرحلة الشباب بتخطي مرحلة البلوغ أو اكتمال النضج الجنسي؛ بلوغ القدرة على التناسل وتيقظ الحاجة الجنسية. يحدث ذلك عند سن الخامسة عشرة أو قبلها بقليل. وتغطي مرحلة الشباب مدة عشر سنوات تقريبًا، فتنتهي في الخامسة والعشرين أو ماحولها.» (٥) لذا فإن هذا التعريف يجعلنا نتعاطى إيجابيًا معه؛ ذلك أنه يعبر عن رؤية توافقية بين معظم الدول، الأمر الذي يدعونا إلى اعتماده خلال هذه الحقبة التاريخية من حياتنا على كوكب الأرض.

الشباب عَصَب الأمم والشعوب

إن الدول والشعوب ومختلف المجتمعات تحتاج – في كل وقتٍ وحين – إلى الشباب وسواعدهم؛ فهم يمثلون القوة والقدرة على إنجاز المهام التي توكل إليهم، إنهم طاقة لا يجب التفريط فيها أو التهاون بشأنها، إنهم في طليعة المدافعين عن الأوطان، الرافعين لقواعد التطور الحضاري، الآخذين بهويتهم وجذورهم نحو الثبات والرسوخ والحفاظ على ما ينتمون إليه. إنهم معنيون – بجانب غيرهم من أبناء وطنهم – ببناء مستقبل مشرق يفسح الطريق أمام الأجيال القادمة كي تنتهج النهج القويم في



الخطو والسير الرشيد من أجل ازدهار البلاد ورفعتها. وفي هذا الشأن تصبح الأوطان معنية بالاهتمام بمختلف أطوار الشباب، بهدف إعدادهم نفسيًا وبدنيًا لتأهيلهم للقيام بكافة الأعمال التي يميلون إليها على اختلاف التخصصات. بالإضافة إلى ترتيبتهم على احترام الآخر، والنأي بهم بعيدًا عن أفكار العنف والتطرف والإرهاب، وينبغي توعيتهم بالسلوك السوي في التعامل مع المرأة والمختلفين معهم حول الأفكار والرؤى. وكل ذلك يتطلب العمل على توسيع آفاقهم، وزيادة محصلتهم الثقافية والعلمية والمعرفية، والانفتاح على الآخر للاستفادة منه ومن تجاربه ونتاجاته ومنجزاته في شتَّى المجالات. إن المسألة - هنا - لا تتطلب تعصبًا أو تحجرًا فكريًا، وإنما تحتاج إلى المرونة واليسر؛ بحيث لا نتنازل عن هويتنا وأعرافنا الإيجابية، وفي الوقت نفسه نستفيد من خبرات الآخرين. إننا - كعرب - يدين معظمنا بالإسلام بيسره وسماحته فلا ينبغي أن نضع عصابة على أعيننا تحجب عنا رؤية أنفسنا على حقيقتها، ومشاهدة غيرنا بحسب طبيعته. والإسلام قد حثنا على الانفتاح وعدم التقوقع داخل الذات أوالتشرنق حول النفس (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢). سورة قريش.

وكان المسلمون الأوائل يهتمون بشؤون الأمم رغم اختلاف الدين والعقيدة، ومع ذلك كانوا يميلون إلى الأقرب إليهم؛ حدث ذلك عندما انهزم الروم على أيدي الفرس، فلما حزن المسلمون حزنًا شديدًا، بشرهم القرآن بنصر قريب وفرح كبير (غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥). سورة الروم

سيكولوجية الشباب

تبدو فترة الشباب - خلال السنوات العشر - مترعةً بالتقلبات والتغيرات المزاجية، ففيها المرحلة الثانوية من التعليم، والجامعية أيضًا، وفيها



تقرير الكثير من المصائر سواءً من حيث اختيار الكليات أو الرغبة في الالتحاق بأعمالٍ معينة، هذا غير المشاعر الجياشة المتوجهة - بقوة صوب الارتباط بحبيبة تصلح كزوجة في المستقبل القريب. ولا بد أن نبين ما تسود تلك الفترة من رغبة في الاستقلال، وإبداء الرأي تجاه كل قضية مطروحة أو مشكلة معقدة، ومحاولات بعض الشباب فرض رأيهم على الجميع بحجة أن ما يرونه هو عين الصواب، وهناك من يتمرد على الأهل والأصدقاء خاصةً إذا كان الأمر يتعلق بالفكر الديني وقداسته. ولا ينبغي أن ننكر اندفاع هؤلاء نحو تبني الطموح غير العقلاني القائم على فرضيات منفصمة عن الواقع ومعطياته، عبر المبالغة في تقدير قدراتهم الخاصة؛ الأمر الذي ينتج عنه الإصابة بالحسرة والإحباط.

في الوقت ذاته نرى ضآلة الخبرات التي لا تسمح بتحقيق كل ما يَصْبُون إليه، ولعلنا نبصر بعض الشباب وهم يرفضون خبرات المقربين منهم، مؤكدين في دواخلهم قدرتهم على إنجاز ما يحلمون به وحدهم دون الحاجة إلى الاتكاء على أترابهم أو غيرهم.

في تلك المرحلة يصبح الشباب أكثر عرضة للاكتئاب والفصام والاضطراب دون غيره، من هنا يتوجب على الأهل والمسؤولين أن يشملوهم برعايةٍ تمنحهم الثقة في أنفسهم ومسار حياتهم عبر الإرشاد والتوعية ومختلف الأنشطة، ومنحهم الفرصة تلو الأخرى للمشاركة في صنع القرارات. ونستأنس - هنا - ببعض ماجاء على لسان عزت حجازي علَّنا نتفهم طبيعة هؤلاء: ويغلب على الشباب تقلب الحالة المزاجية من الشعور الغامر بالسعادة والراحة إلى الإحساس بالإنقباض. وذلك لأنهم فريسة سهلة لأحلام اليقظة من جهة، والمخاوف والقلق والغيرة والحسد من جهة أخرى، وتكون حالة التقلب المزاجي هذه أقوى وأشد وضوحًا في مراحل الشباب الأولى منها قرب نهاية مرحلة الشباب.

وتختلف دواعي تقلب الحالة المزاجية من أزمة الهُوية والارتقاء النفسي والاجتماعي في سنوات الشباب الأولى إلى مشكلات العلاقات الاجتماعية والعاطفية والتحصيل الدراسي بعد ذلك، إلى هموم الاستقرار في العمل والزواج في سنوات الشباب المتأخرة. (٦)

إننا مطالبون في كل وقت بفهم سيكولوجية الشباب بشكل كامل؛ بحيث يمكننا التعامُل معهم في ضوء طموحاتهم المشروعة وتطلعاتهم المرجوة.

إن الأزمة التي يعاني منها الشباب - غالبًا - تتمثل في وجودهم وسط مجتمع يقلل من شأنهم، ويرى في مشاركتهم في الأعمال الكبرى مجازفة غير مأمونة العواقب، الأمر الذي قد يؤدي إلى اتساع الفجوة بين هؤلاء الشباب والقائمين عليهم، مما يولِّد أزمة ثقة يصعب محوها. ويرصد مجدي أحمد إخفاقة كبرى للمجتمع الذي لا يتفهم ما يعتمل في فكر الشباب، يقول: «هناك تغيرات تحدث داخل الشاب، تؤثر، لكن الأثر الكبير إنما مرده إلى طريقة تعامل المجتمع مع الظروف التي أدت إلى تحول الأشبال إلى مرحلة الشباب، غالبًا ما يكون التغير الفيزيولوجي غامضًا، حيث لم يعد الشاب يُعَمَل معاملة الطفل، وبالوقت نفسه لا يُسْمَح له بإبداء الرأي وبالمشاركة في أعمال الكبار، فيشعر الشاب بالاغتراب لأنه لا يعرف من هو، بعد أن أُخرِج من مرحلة الطفولة وأساليب التعامل معها، في حين لا يُعامل معاملة الراشدين فيشعر بأنه هامشي غير مرغوب فيه.» (٧)

منوطٌ بنا أن نعترف بأهمية انخراط الشباب في المجتمع ككل قبل أن ندعوهم إلى الانخراط في الأنشطة الرياضية التي من شأنها تقوية بنيانهم، والنأي بهم عن الكسل والخمول ومصرع الأحلام. وحريٌّ بنا أن نعمل على معالجة الاتجاهات التعصبية لدى الشباب، ذلك أن التعصب يؤدي إلى ضيق الأفق وضمور الفكر وإيقاف النمو الشامل عندهم. فإذا كنا - بالفعل - عازمين على إعداد هذا الجيل إعدادًا سويًا فينبغي أن نوضح لهم ضراوة التعصب كاتجاه يعمل على تقويض المجتمع وتشرذمه وتشظيه، وهو الأمر الذي يجب أن ننتبه إليه بقوة، ونعمل على إقصاء كل ما من شأنه أن يؤدي إلى بث التعصب في النفوس.




إن خطورة التعصب تتبدى في أحادية الفكر، وعدم قبول الرأي الآخر، فيبدو المتعصب وكأنه يملك الحقيقة المطلقة بشأن كل الطروحات والموضوعات. إنّ التعصب - في واقع الأمر - لونٌ من ألوان الكراهية؛ كراهية الآخر في فكره وما يعرضه من رؤى، وهذا يدفع بالمتعصبين نحو الصدام والصراع.

لقد تناول هاني الجزار تلك المسألة في سِفْره المعنون بـ «أزمة الهُوية والتعصب»، فقال: إن الاتجاهات التعصبية لدى الشباب بشكلٍ خاص تحمل دلالاتٍ خطيرة بالنظر إلى الدور الاجتماعي المهم الذي ينبغي أن يضطلع به الشباب، وكون الاتجاهات التعصبية لديهم تعوق - بشكلٍ أو بآخر - أداء هذا الدور المتوقع، بما يعني حرمان المجتمع من دورٍ هو من أهم الأدوار التي يُفترض أنها تُسهِم بالقسط الأكبر في بناء المجتمع وتنميته. وبشكلٍ عام، فإن هذه الاتجاهات التعصبية قبل أن تمثل مشكلة اجتماعية فهي تمثل في الأساس مشكلة نفسية تعوق نمو الشخصية وقدرتها على الأداء النفسي والاجتماعي.. وتلك هي المشكلة الأهم التي تستوجب العلاج الذي لن يتم إلا من خلال التعرف أولاً على العوامل التي تقف وراء هذه الاتجاهات التعصبية. (٨)

مواقع التواصل وأثرها على الشباب

إن لمواقع التواصل الاجتماعي شأنها شأن أي إنجازٍ تكنولوجي؛ لها مالها وعليها ما عليها، بمعنى أن لها من الإيجابيات كما لها من السلبيات، وتبقى العِبْرَة في طرائق الاستخدام، فليس هناك تطورٌ يمكننا وصمه بالسيئ المُطْلَق ولا بالحَسن المُطلق. إن الذين ذهبوا إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي تمثل خطرًا على أبنائهم هم الذين رأوا الجانب السلبي في هذا التطور، ولم يعيروا اهتمامًا لبقية الجوانب المفيدة والنافعة. الأمر - في كل الأحوال - يتطلب الوعي بهذه المواقع، والفهم الجيد لما ينشر هنا أو هناك، ذلك أنها تمثل مجتمعاتٍ افتراضية كاملة، ويتسلل إليها الكثيرون من أصحاب الصفحات ذات البيانات الكاذبة والمنتحلة لأغراض - بالتأكيد - غير حسنة، ونوايا سيئة، كما يكثر بهذه المواقع ضعيفو الثقافة ومع ذلك نراهم يفْتُون في كل شؤون الحياة، وكأنهم وحدهم مَنْ يملكون الحقيقة المُطْلَقة. سنجد أنفسنا - على هذه المواقع - أمام معلوماتٍ غير موثوقة، ورؤى يخاصمها الصواب، وأشخاصٍ يحاولون فرض ما يرونه على الآخرين، وسنجد الدواعش والمتطرفين والإرهابين، وسنصادف مَنْ يُرَوِّج لفكرٍ ما أو معتقَدٍ بعينه، وسنقابل - افتراضيًا - كثيرًا من التمييز والتعصب وعدم احترام الآخر وقبوله، وستختلط - لدى الشباب الصاعد - الأفكار مما يجعله في حَيرةٍ من أمره؛ ما الصحيح وما الخطأ أو ما الحقيقي وما الزائف، وهكذا يقع شبابنا العربي في فخاخ المتاهات التي يصعب الخلاص منها. وتكمن الإشكالية الأكبر حين يُستدرَج إلى التحدث على (الخاص) مع شخوصٍ غير معروفة؛ منها من يدعي أنه طبيب أو مهندس أو غيره. وهناك من صاحبات الصفحات من تنشر صورًا لها تكشف فيها عن بعض مفاتنها في محاولات حثيثة لإثارة الغرائز لدى الشباب، وجرهم إلى الرذيلة. الأمر جد خطير ويتطلب وقفة جادة من قِبَل الأسرة والمؤسسات الثقافية والدينية والإعلامية بدولنا العربية، ونحسب أن هذه الهيئات لا تُقصِّر ولكننا نرجو المزيد وفق منهجية علمية ترسي قواعد الوعي والتبصير والإرشاد لدى شبابنا في كل مكان. نحتاج - في هذا الشأن - إلى حوارٍ مجتمعي يشارك فيه الشباب، بُغْيَةَ إسقاط الأقنعةَ عما يشوب هذه الصفحات من زيفٍ وغشٍ وخداع، واتخاذ ما يلزم من إجراءاتٍ تعمل على مجابهة تلك السلبيات، وفي هذا الأمر نرى ضرورة إصدار سلسلة من الكتب توضح للمتعاملين مع وسائل التواصل الاجتماعي ما يجب تفاديه في هذا الخصوص. إن شباب اليوم هم رجال الغد ومستقبل الأمة، لذا فمن الواجب حمايتهم والحفاظ على قدراتهم ومواهبهم ودعمهم بكل السبل والوسائل؛ وتلك هي مسؤوليتنا جميعًا.



الرياضة.. صحة ووقاية

على الرغم من الفوائد العديدة التي توفرها الرياضة للناس عامةً وللشباب بشكل خاص؛ إلا أن بعض المجتمعات العربية لا تهتم بها على النحو المطلوب، وهذا بدوره يسبب الكثير من الإخفاقات لدى أفراد المجتمع؛ صحيًا وبدنيًا ونفسيًا، فثمَّة تقارير طبية عالمية تشير إلى إصابة الأفراد الذين لا يمارسون الرياضة بأمراض شتَّى منها: أمراض القلب والأوعية الدموية، والسُّمْنَة، والضعف العام، ناهيك عن الخمول والكسل الذي يجابه هؤلاء ويحط من عزيمتهم وقدرتهم على مواصلة الحياة بكدٍ ونشاط. كما أن التمارين الرياضية - بحسب الدراسات الطبية - تقي من السكتة الدماغية، وارتفاع ضغط الدم، والسكر والتهاب المفاصل.

وتعمل ممارسة الرياضة بانتظام على تنظيم الهرمونات في المخ، وتقوية الذاكرة والإدراك، وتحسين الحالة المزاجية نتيجة التغير الذي تحدثة الرياضة في مستوى هرمون الدوبامين والسيروتونين. وهناك الكثير من الدراسات الصحية التي تؤكد على أن ممارسة الرياضة - بشكل منتظم - يساعد على الحصول على نوم دون أرق أو قلق.والجدير بالذكر أن كافة الألعابً الرياضية تحتاج إلى ممارسة التمارين حتى يصبح الشخص مُعَدًا لهذه الألعاب - المحببة إلى نفسه - إعدادًا جيدًا وسليمًا. في كتابه «الرياضة.. صحة ولياقة بدنية» للأكاديمي المعروف فاروق عبدالوهاب يقول: «ومجتمعنا مثله مثل باقي المجتمعات الأخرى في كل أنحاء العالم قد أصبح يعاني من هذه المشاكل العصرية من التغيير الذي طرأ على حياتنا وجعلنا فريسةً لأمراض كثيرة أهمها: أمراض القلب، والسمنة ، والضعفُ العام. وعلاج هذه الأمراض لا يعني أن نتخلى عن الحياة العصرية التي نعيشها، أو الكف عن استخدام الأجهزة الحديثة والعودة إلى الحياة البدائية، لأن ذلك علاوة على أنه أمر مستحيل، فإنه يؤخر سير الحضارة الحديثة ويعيقها، بل إن الحل الذي يجب أن يُطرح لابد أن يتمشى مع روح العصر، بالإضافة إلى أنه يعالج المشكلة، ويكمن في مزيد من المرح والاستمتاع بالحياة عن طريق الحركة والنشاط الرياضي، وقد أضاف هذا للرياضة صفتين هامتين: فهي وقاية من الأمراض وعلاج لكثير منها، بالإضافة للصفات الأخرى التي نعرفها في الرياضة، وأهمها: تعديل السلوك والتحلي بالعديد من الصفات الحميدة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: الثقة بالنفس، التسامح، الصبر، التأني، الشجاعة، الإقدام، الطموح، الإنبساطية، وغيرها من الصفات الحميدة التي تُعرَف في مجموعها «بالروح الرياضية»».(٩)

ولا نبالغ إذا قلنا إن الرياضة تسهم - كثيرًا - في استدعاء التوازن النفسي والبدني لدى الشباب، وتوقظ عندهم مَلَكَة الإبداع، وتجعل من الفرد كائنًا اجتماعيًا؛ يندمج مع أترابه ويأتنس بهم ويتعاطى إيجابيًا مع أفكارهم وأطروحاتهم دون تعصب.

والرياضة من حيث هي حركة بدنية - ينفذها الجسم بإشارات من المخ - ينتصر لها الإسلام ويحث عليها (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) العنكبوت - ٢٠ وقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» المُلك - ١٥ و« أَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ » الأنفال - ٦٠ و«الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » النحل - ٨ ويقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): مالكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنتَ معهم؟ قال (صلى الله عليه وسلم): ارموا فأنا معكم كلكم. ويقول في هذا الصدد: ألا إن القوة الرمي. ويقول أيضًا (صلوات ربي وسلامه عليه): علموا أبناءكم السباحة والرماية، ونِعْمَ لهو المؤمنة في بيتها المِغْزَل. وقد تعلم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من المعلم الأعظم (محمد صلى الله عليه وسلم) ليقول للمسلمين في ما بعد: علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل. وقد ثبت عن رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم)

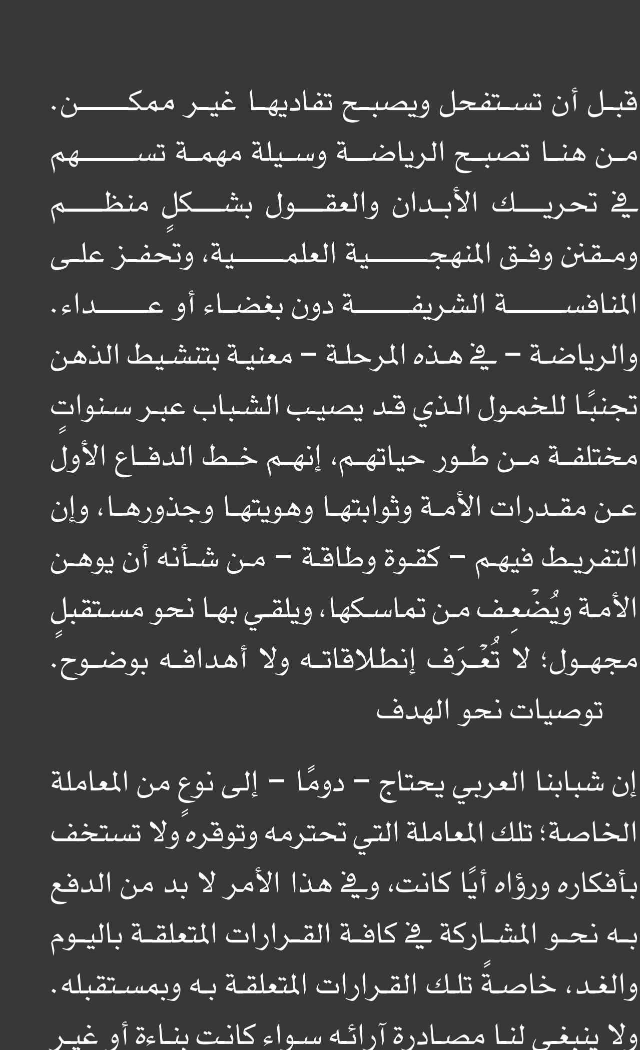


أنه مارس رياضة العَدْو أو الجري، وكان يسابق زوجه عائشة (رضي الله عنها)، فمرة تسبقه ومرة أخرى يسبقها، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، قالت: فسابَقْتُه فسَبَقْتُهُ على رِجليَّ، فلما حَمَلتُ اللَّحمَ سابقتُهُ فسبقَني. ورياضة المصارعة كانت منتشرة في الجزيرة العربية وقد مارسها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكانت المصارعة – آنذاك – لا تلحق الأذى بممارسيها، ويكتفي من يخوضها بإيقاع المنافس له أرضًا فقط.

إن الأصل في الأشياء مباحٌ – كما يقول الفقه الإسلامي – ما لم يوجد نصٌ يحرمه. ومن خلال تلك الرؤية الثاقبة تصبح كل أنواع الرياضة مطلوبة وواجبة، نظرًا لتعددية فوائدها ومنافعها في كل مجالات الحياة. ولعلنا – هنا – نستأنس بما قاله أمين أنور الخولي في كتابه «الرياضة والمجتمع»: وينبغي ألا يقتصر مفهوم الرياضة على التصور الضيق المرتبط بإنجاز أهداف تنافسية خالصة، بل إن للرياضة مفهومًا أكثر ثراءً واتساعًا على المستوى الاجتماعي والثقافي، فللرياضة وجه اتصالي، يؤثر في إغناء التفاعل بين البشر، فهي تنطوي على معانٍ عميقة ترتبط في تحليلها النهائي بمجموع العلاقات الاجتماعية حيث الأداء البدني ذاته لا يعدو أن يكون مجرد جزء من كل. وفي هذا الصدد يشير لوشن إلى أن عددًا كبيرًا من الباحثين يعتقد في أن للرياضة خصائص وظيفية تعمل على التوفيق بين الأوضاع الاجتماعية القائمة وبين التعبير النفسي اللاشعوري.(١٠)

ما يريده الشباب وما نحتاجه منهم هناك من يوجه اتهاماتٍ مجحفة لأجيال الشباب؛ الجيل تِلْو الآخر، وهي اتهامات تفتقد إلى الموضوعية والرشاد، وتخاصم الحقائق على الأرض وفي الواقع. قد نتفق على أن الكثير من الشباب يطمح إلى تحقيق آماله وأحلامه في أسرع وقت ممكن، والبعض – في سبيل ذلك – يندفع نحو إنجاز هدفه بغير تروٍ أو دراسة مستفيضة تضمن له نجاح ما يريده، ولدينا القليل من هؤلاء الشباب الذي يستلهم العبارة الميكافيلية «الغاية تبرر الوسيلة»، وهي مقولة تؤدي إلى انتهاج سلوكٍ غير سوي في السعي نحو تحقيق الأهداف. كل ذلك لا ينبغي أن يقف عقبة في طريق تواصلنا مع الأطوار الشبابية من مختلف الأعمار، ذلك أن الطموحات المشروعة هي ما يتوجب علينا دعمها بما يتيسر لنا من إمكانات وقدرات، وجدير بالذكر أن ما يريده الشباب في مرحلة سِنية معينة لا يريده في مرحلةٍ أخرى، فلدينا عشر سنواتٍ (عمر الشباب) يمر بها الشخص بخطواتٍ متباينة من تعليم ثانوي وجامعي، ثم العمل الوظيفي والزواج وإقامة أسرة. إنها خطوات مهمة، وتصبح غاية في الخطورة إن لم نلتفت إليها وإلى تداعيتها في حالات الإخفاق، ففي أعوام التعليم يكون اعتماد الشاب على والديه من رعاية وإنفاق كبيرًا، بعدها تبدأ الاستقلالية التي يريدها ويسعى إليها بتطلعاته صوب اختيار العمل المناسب أو الوظيفة التي تتناسب معه ومع قدراته. الأمر – هنا – يتطلب بث الوعي والفهم في قلوب هؤلاء، بحيث نعمل على فتح فضاءات الحوار البنَّاء معهم، وإطلاعهم على خبراتنا التي اكتسبناها عبر عقودٍ طويلة، وطرح الخيارات الممكنة أمامهم، وعدم إرغامهم على السير في طريق يرونه غير مُعَبَّدٍ بالنسبة إليهم.ولا يجب –في هذا الخصوص – أن نركز على النواحي المادية ومكاسبها فقط، بل يتطلب الأمر إحاطتهم بكافة الجوانب لِمَا هم مقبلون عليه؛ حتى يعرف الفرد ماهو مُيَسَّر له وما هو مُعسِّر عليه. إن المعاناة التي يقع فيها كثيرٌ من شبابنا العربي تأتي نتيجة التسرع في اتخاذ القرارات، والاندفاع نحو تحقيق الآمال والأحلام العريضة، والتكاسل عن الدراسة المستفيضة نحو ما يرغبون فيه. كل ذلك يحثنا على فهم سيكولوجية هؤلاء وطرائق تفكيرهم في هذه السن الحرجة، فكثير من الحوارات واستطلاعات الرأي التي أجريت مع نماذج منهم كشفت عمَّا يمكن أن يتعرض له الشباب من اضطرابات وإحباطاتٍ وتشدد فكري، وهذا ليس بالشيء اليسير، بل هو غاية في الخطورة التي يجب إقصاؤها







قبل أن تستفحل ويصبح تفاديها غير ممكن. من هنا تصبح الرياضة وسيلة مهمة تسهم في تحريك الأبدان والعقول بشكلٍ منظم ومقنن وفق المنهجية العلمية، وتحفز على المنافسة الشريفة دون بغضاء أو عداء. والرياضة - في هذه المرحلة - معنية بتنشيط الذهن تجنبًا للخمول الذي قد يصيب الشباب عبر سنوات مختلفة من طور حياتهم، إنهم خط الدفاع الأول عن مقدرات الأمة وثوابتها وهويتها وجذورها، وإن التفريط فيهم - كقوة وطاقة - من شأنه أن يوهن الأمة ويُضْعِف من تماسكها، ويلقي بها نحو مستقبلٍ مجهول؛ لا تُعْرَف إنطلاقاته ولا أهدافه بوضوح.

توصيات نحو الهدف

إن شبابنا العربي يحتاج - دومًا - إلى نوع من المعاملة الخاصة؛ تلك المعاملة التي تحترمه وتوقره ولا تستخف بأفكاره ورؤاه أيًا كانت، وفي هذا الأمر لا بد من الدفع به نحو المشاركة في كافة القرارات المتعلقة باليوم والغد، خاصةً تلك القرارات المتعلقة به وبمستقبله. ولا ينبغي لنا مصادرة آرائه سواء كانت بناءة أو غير بناءة، فغير البناء يجب أن يتحاور بشأنه بهدف تبيان مواضع الإخفاق؛ وصولاً إلى الإقناع المنشود. إن حوارنا مع هؤلاء الشباب يجب أن ينطلق من الدعوة الحريصة على تحقيق كل ماهو مفيد لصالح حاضرهم ومستقبلهم.

إن الكلمة الطيبة لها أبلغ الأثر في جذب الأشخاص إلى مساحات من التفاهم، ولنا في دعوة الأنبياء أنموذجًا حسنًا وأسوة متحضرة. فنوحٌ (عليه السلام) لم يقهر ولده المخالف له في الدين والعقيدة على اتباعه؛ فبيَّن له عواقب عناده (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ) هود ٤٢، ٤٣

والله يأمر رسولنا الكريم بالوعي والبصيرة في الدعوة (قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يوسف ١٠٨ ويعاتب رب العزة رسوله (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ) يونس ٩٩

فإذا كان الإكراه في الدين غير واجب - رغم صحة الدين وصوابه - فالأولى - في كل الأحوال عدم إكراه الشباب على تأييد أفكار أُولي الخبرة من الكبار، بل الحوار هو المطلوب بغية الإقناع وهو السبيل الأمثل. وأعتقد - أيضًا - أن حوار لقمان مع ولده يُعَد نموذجًا يقتدى به في هذا الصدد (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لقمان ١٣ ويقول لولده كذلك: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) لقمان وتبقى الكلمة اللينة - دون غلظة - هي التي تجمع ولا تفرق وتلم



ولا تشتت، وهي تمثل طريقًا قويمًا للتحاور مع شبابنا بغية تحقيق الأحلام المنشودة والطموحات المشروعة. يقول سبحانه وتعاله للحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم): «وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» آل عمران ١٥٩

(*) القرآن الكريم

(*) الأحاديث النبوية

(١) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج١، ص ٣٨٣، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٦٠

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري: معجم الصحاح، ط ٤، ج ١، ص ١٥١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٦

(٣) أحمد الزيات- إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، ط ٦، ص ٤٧٠، مؤسسة الصادق، طهران ١٩٧٢

(٤) موقع الأمم التحدة على غوغل

(٥) عزت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة، ص ٢٧، الكويت ١٩٨٥

(٦) نفس المصدر، ص ٣٤، ٣٥

(٧) مجدي أحمد: أزمة الشباب ومشاكله، ص ٢٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠١٢

(٨) هاني الجزار: أزمة الهُوية والتعصب، ص ١٤، ١٥، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١١

(٩) فاروق عبدالوهاب: الرياضة صحة ولياقة بدنية، ص٣٥، دار الشروق، القاهرة ص ١٩٩٥

(١٠) أمين أنور الخولي: الرياضة والمجتمع، ص ٤١، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٦



الرياضة جسرٌ للتثاقف والتنمية الإنسانية: تعزيز الروابط وبناء مستقبل أفضل



د. هدى البوسعيدية

كاتبة عُمانية



أصبحت الرياضة في العصر الحديث، جزءً لا يتجزأ من الحياة اليومية للمجتمعات، حيث تلعب دورًا حيويًا في تعزيز الصحة البدنية والنفسية للأفراد. بالإضافة إلى ذلك، تشكل الرياضة وسيلة فعالة للتفاعل الاجتماعي وتبادل الثقافات بين الشعوب، مما يعزز التفاهم والتعايش السلمي. يأتي التثاقف كعملية ديناميكية تؤثر وتتأثر بالرياضة، يتبادل من خلالها المعرفة والقيم بين الثقافات المختلفة، مما يساهم في تعزيز الهوية الثقافية والتنمية الاجتماعية.

لقد بات من الضروري استكشاف العلاقة المتبادلة بين الرياضة والتثاقف والتنمية الإنسانية، من خلال تحليل مفاهيم هذه العناصر وتحديد دور الرياضة كأداة للتثاقف والتنمية. ومن خلال هذا التحليل، نسعى إلى تقديم فهم أعمق للأطر الخاصة بكيفية تفاعل الرياضة مع التثاقف والتنمية الإنسانية.

ويمكن تحديد أبرز التحديات التي تعيق التفاعل الفعّال بين هذه العناصر، في الآتي:

التفاوت في الوصول إلى الموارد الرياضية؛ ويشمل ذلك البنية التحتية الرياضية، عند ضعف أو عدم توافر البنية التحتية الرياضية المناسبة في بعض المناطق، خاصة في الدول النامية، بحيث يمكن أن يعوق ممارسة الرياضة بانتظام. ويشكل ضعف الدعم المالي جرّاء قلة الموارد المالية المخصصة للبرامج الرياضية والتنموية؛ مشكلة تحد من تنفيذ تلك البرامج (Nocca, 2017)

والعوائق الثقافية والاجتماعية؛ فتشكل العادات والتقاليد في بعض المجتمعات النامية تحد، التي قد تكون لها تحفظات ثقافية أو دينية تجاه ممارسة الرياضة، خاصة بالنسبة للنساء والفتيات. كما إنَّ التمييز واللامساواة؛ سواء التمييز على أساس الجنس، أو العرق، أو الطبقة الاجتماعية؛ يمكن أن يحد من مشاركة جميع أفراد المجتمع في الأنشطة الرياضية (SpringerLink, 2021).





هذا إلى جانب الافتقار إلى الوعي، أي قلة الوعي بأهمية الرياضة كأداة للتنمية والتثاقف قد تؤدي إلى تجاهل هذا الجانب في السياسات العامة (UNESCO.2017).

وتشكل التحديات الاقتصادية وفي مقدمتها الفقر والبطالة، والظروف الاقتصادية المعيشية الصعبة؛ قد تجعل من الصعب على الأفراد والمجتمعات الاستثمار في الأنشطة الرياضية، سواء من حيث الوقت أو الموارد (SpringerLink. 2021). بالإضافة إلى عدم الاستدامة المالية؛ مما يجعل البرامج الرياضية قد تواجه صعوبات في الاستدامة المالية على المدى الطويل، مما يعيق استمرارها وتأثيرها (Journal of Sport for Development. 2021).

وأخيرًا تأتي التحديات التعليمية والتوعوية: وفي مقدمتها نقص البرامج التعليمية، أو عدم وجود برامج تعليمية وتوعوية، تربط بين الرياضة والتنمية المستدامة والتثاقف؛ بشكل قد يؤدي إلى فهم محدود لدور الرياضة في هذه المجالات (UNESCO. 2017).

كما إنَّ ضعف التدريب والتطوير، وقلة فرص التدريب والتطوير للعاملين في مجال الرياضة والتنمية؛ قد تؤثر على جودة البرامج والمبادرات (SpringerLink.2021).

أسئلة الدراسة وأهميتها النظرية والعملية

نتسائل في هذه الدراسة:

كيف يمكن للرياضة أن تكون وسيلة فعّالة لتعزيز التثاقف والتفاعل بين الثقافات المختلفة؟

ما هو تأثير الرياضة على مختلف أبعاد التنمية الإنسانية، بما في ذلك الصحة والتعليم والتنمية الاجتماعية؟

ونرى أهمية كبيرة لهذه الدراسة تتأسس على ما يلي: تعزيز الفهم الأكاديمي؛ فتسهم الدراسة في تطوير المعرفة النظرية حول العلاقة بين الرياضة والتثاقف والتنمية الإنسانية المستدامة، مما يثري الأدبيات الأكاديمية في مجالات التنمية، والعلوم الاجتماعية، والرياضة. وتقديم إطار نظري أو على الأقل تحسين الأطر الحالية لفهم كيفية تأثير الرياضة على التثاقف والتنمية؛ مما يسهم في بناء نظرية متكاملة. كذلك فيما يتعلق بوضع السياسات والاستراتيجيات؛ فتساعد الدراسة صناع القرار في وضع سياسات واستراتيجيات فعالة لتعزيز التنمية الإنسانية من خلال الرياضة، بناءً على أدلة وبحوث موثوقة. وأخيرًا تمكين المجتمعات المحلية من خلال توفير أدوات ومعارف تمكنهم من استخدام الرياضة كوسيلة لتعزيز الاندماج الاجتماعي والتثاقف والتنمية.

تتزايد أهمية الرياضة كوسيلة لتعزيز التثاقف وبناء جسور التواصل بين الشعوب. لذا نحاول استكشاف العلاقة بين الرياضة والتثاقف، وكيف يمكن للأنشطة الرياضية أن تسهم في تعزيز الفهم المتبادل والاحترام الثقافي. من خلال استعراض أمثلة ودراسات حيث سيسلط الضوء على الدور الحيوي للرياضة في تحقيق الاندماج الاجتماعي والتنمية الإنسانية. وعلى تأثيرها الإيجابي في تعزيز الصحة البدنية والنفسية، وتقوية الروابط الاجتماعية، وتوفير بيئة للتعلم والتنمية الشخصية. كما سنتناول كيف تُسهم الرياضة في بناء مجتمع أكثر تلاحمًا وتكاملاً من خلال القيم والمبادئ التي تعززها.

مفهوم التثاقف وأبعاده وأنواعه وتأثيراته

أصبح التثاقف عملية حيوية لفهم وتفاعل الأفراد مع الثقافات المختلفة. فيُعد التثاقف من المفاهيم الأساسية في الدراسات الثقافية والاجتماعية، حيث يعكس كيفية تبادل وتبني الثقافات للعادات والقيم والمعارف فيما بينها. ويهدف هذا المبحث إلى استعراض مفهوم التثاقف وأبعاده المختلفة، مسلطًا الضوء على تأثيراته الإيجابية والسلبية



على الأفراد والمجتمعات. ومن خلال تحليل أبعاد التثاقف، سنستكشف كيف يمكن أن يسهم في تعزيز التفاهم والاحترام المتبادل، وفي نفس الوقت التحديات التي قد تنشأ عن التفاعل بين الثقافات المختلفة.

إنّ التثاقف عملية تفاعل بين ثقافات مختلفة، حيث يتعلم الأفراد أو الجماعات من ثقافات مختلفة ويتبنون بعض عناصرها، مثل القيم والعادات والممارسات بشكل متبادل، مما يؤدي إلى تحول ثقافي متواصل. والتثاقف يعكس قدرة الأفراد على التكيف مع البيئات الثقافية الجديدة واستيعابها؛ مما يعزز التفاهم والاندماج الثقافي (Berry, 1997).

ويمكن تقسيم التثاقف بناءً على طبيعة التفاعل الثقافي ونتائجه ويشمل:

التثاقف التكاملي (Integration): يحدث عندما يتمكن الأفراد من الحفاظ على ثقافتهم الأصلية، وفي الوقت نفسه، يتبنون بعض عناصر الثقافة الجديدة التي يتفاعلون معها. وهذا النوع يعزز التنوع الثقافي ويشجع التعايش السلمي بين الثقافات المختلفة.

التثاقف الاستيعابي (Assimilation): وهو أنْ يتبنى الأفراد الثقافة الجديدة بشكل كامل ويتركون ثقافتهم الأصلية. وغالبًا ما يحدث هذا النوع في البيئات التي تضغط على الأفراد للاندماج كليًا في الثقافة السائدة؛ مما قد يؤدي إلى فقدان الهوية الثقافية الأصلية.

التثاقف الانفصالي(Separation): وهو تفضيل الأفراد الحفاظ على ثقافتهم الأصلية ويرفضون التفاعل مع الثقافة الجديدة. ويمكن أن يحدث هذا في المجتمعات التي تفضل العزلة الثقافية أو تواجه تمييزًا من الثقافة السائدة.

التثاقف التهميشي (Marginalization): ويحدث عندما لا يتمكن الأفراد من الحفاظ على ثقافتهم الأصلية أو تبني الثقافة الجديدة. وغالبًا ما يكون هذا النوع مصحوبًا بمشاعر العزلة والإقصاء من كلا الثقافتين(Berry, 2005).

ولعملية التثاقف–بمختلف تعريفاته– تأثيرات متعددة على الأفراد والمجتمعات. فعلى المستوى الفردي يمكن أن يعزز التثاقف من مهارات التواصل بين الثقافات ويزيد من التفاهم والاحترام المتبادل. ويمكن أن يؤدي التثاقف إلى توترات وصراعات ثقافية إذا كانت القيم والعادات المختلفة متعارضة. وعلى المستوى المجتمعي، يمكن أن يعزز التثاقف من التماسك الاجتماعي والتنوع الثقافي؛ مما يسهم في بناء مجتمعات أكثر شمولية وتعددية (Berry & Sam, 2010).

التثاقف في السياق الاجتماعي والثقافي

يشير التثاقف في السياق الاجتماعي والثقافي؛ إلى العملية التي يتفاعل من خلالها الأفراد والجماعات مع ثقافات مختلفة، مما يؤدي إلى تغييرات في المعتقدات والقيم والسلوكيات. وهذه العملية تحدث نتيجة للاحتكاك المستمر بين الثقافات من خلال الهجرة، والسياحة، والتجارة، والتعليم، وتكنولوجيا الاتصال الحديثة. إنّ التثاقف يمكن أن يؤدي إلى تبني عناصر ثقافية جديدة، والتكيف معها، أو حتى إعادة تشكيل الهوية الثقافية للفرد أو المجتمع (Ward et al., 2001).

أما تأثير التثاقف على الهوية الثقافية فيمكن أن يكون معقدًا ومتنوعًا. ويمكن أن يؤدي التثاقف إلى تعزيز الهوية الثقافية الأصلية، وتأكيد القيم والممارسات التقليدية كرد فعل للضغوط الثقافية الخارجية. وفي حالات أخرى، يمكن أن يؤدي إلى تطوير هوية هجينة، تجمع بين عناصر من الثقافتين الأصلية والجديدة. وهذا التفاعل يمكن أن يعزز من التفاهم والتعايش بين الثقافات المختلفة، ولكنه قد يسبب–أيضًا– توترات وصراعات إذا كانت القيم الثقافية متعارضة (Phinney et al., 2001).

إنّ التثاقف يمكن أن يؤدي إلى تغييرات كبيرة في الهوية الثقافية للأفراد والجماعات، حيث



يتعرض الأفراد لعناصر ثقافية جديدة ويضطرون إلى التكيف معها. وهذه العملية يمكن أن تكون إيجابية عندما يتمكن الأفراد من دمج العناصر الجديدة مع هويتهم الثقافية الأصلية بطريقة متوازنة، مما يؤدي إلى تطوير هوية ثقافية متعددة الأبعاد. هذا التفاعل يمكن أن يعزز من مرونة الأفراد وقدرتهم على التكيف مع البيئات المتغيرة، بالإضافة إلى تعزيز التفاهم والتعايش بين الثقافات المختلفة(Schwartz, et, al., 2010)

مع ذلك يمكن أن يواجه الأفراد تحديات كبيرة أثناء عملية التثاقف؛ خصوصًا عندما تكون هناك تعارضات بين القيم الثقافية الأصلية وتلك الجديدة. هذه التحديات يمكن أن تؤدي إلى صراعات هوية، حيث يشعر الأفراد بأنهم مجبرون على التخلي عن بعض جوانب هويتهم الثقافية الأصلية لتبني قيم جديدة. وفي بعض الحالات يمكن أن يؤدي هذا إلى الشعور بالاغتراب والضغط النفسي؛ مما يؤثر سلبًا على الرفاهية النفسية والاجتماعية للأفراد. لذا يعتبر دعم المجتمع والمؤسسات التعليمية والاجتماعية ضروريًا لمساعدة الأفراد على تحقيق توازن صحي بين الثقافات المختلفة (Berry, 2005).

أما دور المؤسسات في التثاقف؛ فتلعب المؤسسات الاجتماعية، مثل المدارس والمنظمات المجتمعية ووسائل الإعلام، دورًا محوريًا في عملية التثاقف. من خلال تقديم برامج تعليمية وثقافية تشجع على التفاهم والتعايش بين الثقافات، بما يعزز من قدراتهم على التفاعل الإيجابي (Banks, 2009).

الرياضة كأداة للتثاقف

تلعب الرياضة دورًا بارزًا في تعزيز التفاعل بين الثقافات المختلفة، مما يجعلها أداة فعالة للتثاقف. فمن خلال المشاركة في الأنشطة الرياضية، يتاح للأفراد من خلفيات ثقافية متنوعة فرصة التواصل والتعاون والتنافس بشكل يعزز من الفهم والاحترام المتبادل.

وتوفر الرياضة منصة فريدة للتفاعل بين الأفراد من خلفيات ثقافية متنوعة، مما يجعلها وسيلة فعالة لتعزيز الحوار بين الثقافات. ومن خلال الأنشطة الرياضية المشتركة، يتمكن المشاركون من تجاوز الحواجز اللغوية والثقافية، والتواصل عبر لغة مشتركة هي لغة الرياضة. هذه الأنشطة تخلق بيئة تفاعلية تعزز من الفهم المتبادل وتقلل من التحيزات القائمة على الاختلافات الثقافية(Elling, De Knop, & Knoppers, 2001).

والرياضة أداة للتفاهم المتبادل؛ وذلك من خلال المشاركة في الفعاليات الرياضية الدولية، مثل الأولمبياد وكأس العالم، تتيح الفرصة للأفراد من مختلف الدول للتفاعل والتعرف على ثقافات جديدة. هذه الفعاليات تجمع بين الأفراد من جميع أنحاء العالم في بيئة تنافسية تعزز من التفاهم المتبادل والاحترام. كما تسهم في تعزيز التعاون والتعايش السلمي، وبناء علاقات إيجابية بين الدول والشعوب (Chalip, Green, & Hill 2003)

وتعمل الرياضة على تعزيز الاندماج الاجتماعي، من خلال توفير بيئة شاملة تحتضن التنوع الثقافي. كالنوادي الرياضية المجتمعية والبرامج الرياضية التي تستهدف المهاجرين واللاجئين تلعب دورًا مهمًا في تسهيل اندماجهم في المجتمعات الجديدة (Spaaij, 2012).

ورغم الفوائد العديدة للرياضة كوسيلة لتعزيز الحوار بين الثقافات، إلا أن هناك تحديات تواجه هذه العملية، مثل التمييز والعنصرية في البيئات الرياضية. ولمواجهة هذه التحديات من المهم تبني سياسات وممارسات تعزز من الشمولية والمساواة في الرياضة. ومن الأمثلة على الممارسات الجيدة، برامج التدريب والتوعية التي تستهدف المدربين واللاعبين لتعزيز فهمهم للتنوع الثقافي والاحترام المتبادل (Forde, Lee, Mills, & Frisby, 2015).



دور الفعاليات الرياضية الدولية في التثاقف

تلعب الفعاليات الرياضية الدولية، مثل الألعاب الأولمبية وكأس العالم لكرة القدم؛ دورًا محوريًا في تعزيز التثاقف بين الشعوب المختلفة. هذه الأحداث تجمع آلاف الرياضيين والمشجعين من مختلف أنحاء العالم؛ مما يخلق بيئة مثالية للتفاعل الثقافي وتبادل الأفكار والتجارب. ومن خلال المشاركة في هذه الفعاليات يتعرض الأفراد لثقافات متنوعة، مما يعزز الفهم المتبادل والاحترام بين الشعوب(Tomlinson & Young, 2006).

وخلال الفعاليات الرياضية الدولية، لا يقتصر التثاقف على الرياضيين فقط؛ بل يمتد ليشمل المشجعين والمتطوعين والإعلاميين. فالتفاعل اليومي في القرى الأولمبية، والملاعب، والأماكن العامة يمكن أن يؤدي إلى حوارات ثقافية عميقة وتبادل للمعرفة والخبرات. هذا النوع من التفاعل يعزز من قدرة الأفراد على التكيف مع الثقافات الجديدة وتقبلها، مما يسهم في بناء علاقات إيجابية بين الدول المشاركة ويساعد في تقليل التوترات الثقافية والسياسية(Horne & Manzenreiter, 2006).

وتُستخدم الفعاليات الرياضية الدولية كأداة للدبلوماسية الثقافية لتعزيز التفاهم والسلام بين الدول. والحكومات والهيئات الرياضية تستغل هذه الفعاليات لتسليط الضوء على الثقافات الوطنية وتعزيز الصورة الإيجابية للبلدان المستضيفة. فعلى سبيل المثال فإن استضافة الصين للألعاب الأولمبية في بكين عام ٢٠٠٨م كانت فرصة لتعريف العالم بالثقافة الصينية وتعزيز العلاقات الدولية(Giulianotti, 2011).

الرياضة والتنمية الإنسانية

تعد الرياضة أداة فعالة لتعزيز التنمية الإنسانية. إذ يمكن تعزيز القيم الاجتماعية كالتعاون، والانضباط، والاحترام المتبادل؛ مما يسهم في بناء مجتمعات أكثر تلاحمًا وتفاهمًا. نتناول فيما يلي دور الرياضة في تعزيز التنمية الإنسانية، وكيف يمكن أن تكون وسيلة لتحقيق التغيير الاجتماعي الإيجابي، وتأثير الرياضة على الصحة النفسية والجسدية، ودورها في تعزيز التعليم والمساواة الاجتماعية.

مفهوم التنمية الإنسانية وأبعاده

تعرف التنمية الإنسانية بأنها عملية توسيع خيارات الأفراد وتمكينهم من تحقيق قدراتهم وإمكاناتهم الكاملة، لتحسين جودة الحياة، من خلال توفير فرص متكافئة في مجالات التعليم والصحة والعمل، وتعزيز حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية. فالتنمية الإنسانية تتجاوز النمو الاقتصادي لتشمل الرفاهية الشاملة للأفراد والمجتمعات، مركزة على الحرية والكرامة الإنسانية كأساس للتنمية (UNDP, 1990). وأبرز أبعاد التنمية الإنسانية هي: الصحي، والتعليمي، والاقتصادي، والاجتماعي.

ويشير البعد الصحي للتنمية الإنسانية، إلى ضرورة توفير خدمات صحية شاملة تضمن حياة صحية وطويلة للأفراد. يشمل ذلك الرعاية الصحية الأساسية، الوقاية من الأمراض، التغذية السليمة، وتحسين الظروف البيئية والصحية العامة. والصحة الجيدة تعتبر أساسًا للتنمية البشرية لأنها تؤثر مباشرة على قدرة الأفراد على التعلم والعمل والمشاركة الفعالة في المجتمع. وتؤكد منظمة الصحة العالمية (WHO) على أنّ تحسين الصحة يعزز من القدرة الإنتاجية والرفاهية العامة للمجتمعات (WHO, 2008).

ويعد التعليم من أهم أبعاد التنمية الإنسانية، حيث يسهم في تمكين الأفراد من تطوير مهاراتهم وقدراتهم الفكرية والمهنية. فالتعليم الجيد يفتح الفرص أمام الأفراد لتحقيق إمكاناتهم الكاملة والمشاركة الفعالة في المجتمع. ويشير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) إلى أن التعليم يعزز من فرص العمل والدخل، ويقلل من الفقر والتفاوتات الاجتماعية، ويعزز من قدرة الأفراد على اتخاذ قرارات مستنيرة حول حياتهم ومستقبلهم (UNDP, 2019).



أما البعد الاقتصادي للتنمية الإنسانية فيركز على توفير فرص عمل عادلة ومستدامة، وضمان دخل يكفي لتلبية احتياجات الأفراد الأساسية وتحقيق مستوى معيشي لائق. فالتنمية الاقتصادية تشمل- أيضًا- تحسين البنية التحتية الاقتصادية، وتعزيز قدرات الأفراد على الابتكار والإنتاج. وتحقيق النمو الاقتصادي الشامل والمتوازن يساعد في تقليل الفقر والبطالة، ويعزز من الرفاهية الاقتصادية للأفراد والمجتمعات(World Bank, 2020).

وأخيرًا فإن البعد الاجتماعي للتنمية الإنسانية يتعلق بتعزيز العدالة الاجتماعية والمساواة، وتمكين الأفراد من المشاركة الفعالة في الحياة العامة والسياسية. ويشمل ذلك تعزيز حقوق الإنسان، ومكافحة التمييز، وتمكين الفئات المهمشة. فالتنمية الاجتماعية تهدف إلى بناء مجتمعات أكثر تلاحمًا وتضامنًا، حيث يتمكن جميع الأفراد من تحقيق إمكاناتهم والمساهمة في رفاهية المجتمع بشكل متساوٍ (UNESCO, 2016).

مؤشرات التنمية الإنسانية

إنّ مؤشرات التنمية الإنسانية أدوات قياس تُستخدم لتقييم مدى تحقيق التنمية الإنسانية في المجتمعات. هذه المؤشرات تغطي مجموعة واسعة من الأبعاد تشمل الصحة، التعليم، الاقتصاد، والبيئة. وفيما يلي المؤشرات الرئيسية:

مؤشر الصحة: الصحة هي أحد أهم مؤشرات التنمية الإنسانية، وتتضمن قياسات مثل متوسط العمر المتوقع، ومعدل الوفيات بين الأمهات والأطفال، وانتشار الأمراض المزمنة والمعدية، ومستوى الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية الأساسية. وتؤكد منظمة الصحة العالمية أن تحسين هذه المؤشرات يعكس جودة الحياة ويعزز من قدرة الأفراد على المشاركة الفعالة في المجتمع والعمل (WHO, 2015). وكذلك فإن تحسين المؤشرات الصحية يسهم في تقليل الفقر وتعزيز التنمية الاقتصادية من خلال تعزيز الإنتاجية وتقليل النفقات الصحية على المدى الطويل.

مؤشر التعليم: التعليم هو ركيزة أساسية للتنمية، يقاس من خلال مؤشرات مثل معدل الالتحاق بالمدارس، ومعدل الإلمام بالقراءة والكتابة، ومعدل إتمام التعليم الأساسي والثانوي. وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي يشير إلى أن التعليم يعزز من الفرص الاقتصادية، ويقلل من التفاوتات الاجتماعية، حيث يتيح للأفراد تطوير مهاراتهم والإسهام بشكل فعال في النمو الاقتصادي والاجتماعي (UNDP, 2019). فالتعليم الجيد والمتاح للجميع يعتبر ضروريًا لتحقيق التنمية الإنسانية، ويعزز من قدرات الأفراد على الابتكار والتكيف مع التغيرات.

مؤشر الاقتصاد: تشمل المؤشرات الاقتصادية، نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، ومعدل البطالة، ومستوى الدخل، والفقر. هذه المؤشرات تعكس مدى تحقيق النمو الاقتصادي الشامل والمستدام، وتحدد قدرة الأفراد على تحقيق مستوى معيشي لائق. يوضح البنك الدولي يوضح النمو الاقتصادي المستدام يجب أن يكون شاملاً ويحقق العدالة في توزيع الثروات؛ مما يسهم في تحسين جودة الحياة وتقليل الفقر(World Bank, 2020). وتعزيز النمو الاقتصادي المستدام يتطلب سياسات تركز على الاستثمار في البنية التحتية والتعليم والصحة.

تأثير الرياضة ودورها كأداة لتحسين التنمية الصحية

للرياضة دور حيوي في تعزيز الصحة البدنية والنفسية للأفراد، مما يجعلها أداة فعالة في تحقيق التنمية الصحية الشاملة. من خلال ممارسة الأنشطة الرياضية بانتظام، يمكن للأفراد تحسين لياقتهم البدنية، تقوية جهازهم المناعي، والوقاية من العديد من الأمراض المزمنة مثل أمراض القلب والسكري. بالإضافة إلى ذلك، تسهم الرياضة في تحسين الصحة النفسية من خلال تقليل مستويات التوتر والقلق. يحتوي هذا المبحث على ثلاثة مطالب: الرياضة كأداة لتحسين الصحة العامة،



البرامج الرياضية والصحية في المجتمعات المحلية.
الرياضة كوسيلة للوقاية من الأمراض.

تلعب الرياضة دورًا بارزًا في تحسين الصحة العامة من خلال تعزيز اللياقة البدنية والوقاية من الأمراض المزمنة. النشاط البدني المنتظم يساعد في تحسين وظائف القلب والأوعية الدموية، تقوية العضلات والعظام، وزيادة مرونة الجسم. كما تسهم الرياضة في تحسين التوازن والتنسيق، مما يقلل من مخاطر الإصابات والسقوط، خاصة بين كبار السن. الأبحاث تشير إلى أن الأشخاص الذين يمارسون الرياضة بانتظام يتمتعون بصحة أفضل(Warburton, Nicol, & Bredin, 2006).

الوقاية من الأمراض المزمنة: مثل أمراض القلب والسكري وارتفاع ضغط الدم والسمنة. النشاط البدني يساعد في تنظيم مستويات السكر في الدم، خفض ضغط الدم، وتحسين مستويات الكوليسترول. كما يساهم في إدارة الوزن بشكل فعال عن طريق زيادة معدل الأيض وحرق السعرات الحرارية. الدراسات أثبتت أن ممارسة الرياضة يمكن أن تقلل من مخاطر الإصابة بأمراض القلب بنسبة تصل إلى ٥٠٪، وتقلل من خطر الإصابة بمرض السكري من النوع الثاني بنسبة تصل إلى ٥٨٪ (Lee, et, al., 2012)

تعزيز الصحة النفسية: الرياضة لا تقتصر فوائدها على الصحة البدنية فقط، بل تمتد لتشمل الصحة النفسية أيضًا. النشاط البدني يساهم في تقليل مستويات التوتر والقلق، ويعزز من الشعور بالراحة النفسية والسعادة من خلال تحفيز إنتاج الإندورفينات، وهي المواد الكيميائية التي تعمل على تحسين المزاج مما يقلل من مشاعر العزلة والاكتئاب (Peluso & Andrade, 2005).

تأثير الرياضة على التنمية الاجتماعية والتعليمية والثقافية

تعزز الرياضة القيم الاجتماعية مثل التعاون، والانضباط، والعمل الجماعي، والاحترام المتبادل، مما يسهم في بناء مجتمع أكثر تماسكًا وانسجامًا. تشجع الرياضة الأفراد على المشاركة الفعالة في مجتمعاتهم، وتعزز من التفاعل بين مختلف الفئات الاجتماعية، مما يقلل من الفجوات الاجتماعية.

بحسب Smith, and Doe, (2022) فإن الرياضة تلعب دورًا حيويًا في تعزيز التنمية الاجتماعية من خلال بناء الروابط الاجتماعية وتقوية النسيج المجتمعي. تساهم الأنشطة الرياضية في توفير بيئة تفاعلية تمكن الأفراد من مختلف الخلفيات الثقافية والاجتماعية من الالتقاء والتفاعل بشكل إيجابي، مما يعزز من التفاهم المتبادل ويقلل من التمييز الاجتماعي. كما تشجع الرياضة على العمل الجماعي والتعاون، حيث يتعلم المشاركون قيم التعاون والتضامن والعمل بروح الفريق.

وتسهم الرياضة بحسب Coalter, F. (2013) في تمكين الفئات المهمشة وزيادة مشاركتها في الحياة المجتمعية. توفر البرامج الرياضية منصات للأفراد للتعبير عن أنفسهم وبناء الثقة بالنفس، مما يساعد في تقليل الفجوات الاجتماعية وتعزيز التكافؤ الاجتماعي. تلعب الرياضة دورًا في مكافحة السلوكيات السلبية كالعنف؛ من خلال تقديم بدائل إيجابية للشباب والمراهقين، وتبني نمط حياة إيجابي.

وعلى الصعيد التعليمي تعتبر الرياضة وسيلة فعالة لتعزيز التحصيل الأكاديمي وتطوير المهارات الشخصية والاجتماعية لدى الطلاب. تشير الأبحاث إلى أن المشاركة المنتظمة في الأنشطة الرياضية ترتبط بتحسين الأداء الأكاديمي، وزيادة التركيز، وتعزيز الصحة البدنية والعقلية.

ويرى جونسون وكيم، Johnson, and Kim, (2021) إن الرياضة تسهم بشكل كبير في تعزيز التحصيل الأكاديمي للطلاب؛ من خلال تحسين التركيز والانضباط الذاتي، وزيادة الدافعية للتعلم. تشير الأبحاث إلى أن المشاركة المنتظمة في الأنشطة الرياضية ترتبط بتحسين الأداء الأكاديمي نتيجة للتحسن في اللياقة البدنية التي تؤثر إيجاباً على الصحة العقلية. كما تساعد الرياضة في تنمية مهارات إدارة الوقت والتخطيط، وتساهم الرياضة في تطوير المهارات الحياتية مثل حل المشكلات.



وقد ذكر بيلي وآخرون Bailey, et. al.، (2009) أن الرياضة تعزز من الشعور بالانتماء إلى المدرسة وتعزز الروح الجماعية بين الطلاب. المشاركة في الفرق الرياضية المدرسية يمكن أن تزيد من ارتباط الطلاب بمدارسهم وتحسن من معنوياتهم، مما يؤدي إلى تحسين أدائهم الأكاديمي.

تعتبر الرياضة وسيلة فعالة لتعزيز الكفاءات الثقافية من خلال توفير منصات للتفاعل والتواصل بين الأفراد من خلفيات ثقافية متنوعة. تساعد الأنشطة الرياضية في تعزيز التفاهم والاحترام المتبادل بين المشاركين، مما يساهم في تقليل الفجوات الثقافية وتعزيز التعايش السلمي. تعزز الرياضة من القدرة على التعامل مع التنوع الثقافي واحترام الاختلافات، وهو ما يعزز من بناء مجتمع متعدد الثقافات ومزدهر.

إن إدماج الرياضة في البرامج التعليمية والتنموية يعد استثمارًا استراتيجيًا في بناء رأس المال البشري وتعزيز التنمية الإنسانية. من خلال الرياضة، يمكن تحقيق العديد من الأهداف التنموية، بما في ذلك تحسين الصحة العامة، وتعزيز المساواة بين الجنسين، وتمكين الشباب، وبناء مجتمعات أكثر شمولية وسلامًا (Johnson, and Kim, 2021).

وقد أكد جارفي، Jarvie, (2013) أنّ الرياضة تلعب دورًا هامًا في تعزيز الهوية الثقافية والشعور بالفخر والانتماء. حيث تتيح الأنشطة الرياضية الوطنية والدولية للأفراد؛ فرصة الاحتفال بتراثهم الثقافي والتعريف به أمام الآخرين.

REFERENCES:

1. Bailey, R., Armour, K., Kirk, D., Jess, M., Pickup, I., & Sandford, R. (2009). The educational benefits claimed for physical education and school sport: An academic review. *Research Papers in Education*, 24(1), 1-27. https://doi.org/10.1080/02671520701809817

2. Banks, J. A. (2009). Multicultural education: Characteristics and goals. In J. A. Banks & C. A. M. Banks (Eds.), Multicultural education: Issues and perspectives (7th ed., pp. 3-30). John Wiley & Sons.

3. Berry, J. W. (1997). Immigration, acculturation, and adaptation. Applied Psychology, 46(1), 5-34.

4. Berry, J. W. (2005). Acculturation: Living successfully in two cultures. International Journal of Intercultural Relations, 29(6), 697-712.

5. Chalip, L., Green, B. C., & Hill, B. (2003). Effects of sport event media on destination image and intention to visit. Journal of Sport Management, 17(3), 214-234.

6. Coakley, J. (2015). Sports in Society: Issues and Controversies. McGraw-Hill Education. Sport and physical activity," World Health Organization. Retrieve: WHO https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/physical-activity.

7. Coalter, F. (2013). Sport for Development: What game are we playing. Routledge.

8. Elling, A., De Knop, P., & Knoppers, A. (2001). The social integrative meaning of sport: A critical and comparative analysis of policy and practice in the Netherlands. Sociology of Sport Journal, 18(4), 414-434.

9. Giulianotti, R. (2011). The sport, development and peace sector: A model of four social policy domains. Journal of Social Policy, 40(4), 757-776.

10. Hogan, M. J., Linden, W., & Janssen, I. (2020). Mental health benefits of physical activity. Psychological Review, 127(3), 345-362.

11. Jarvie, G. (2013). Sport, Culture and Society: An introduction. Routledge.



12. Johnson, L. M., & Kim, S. H. (2021). The role of sport in promoting sustainable development and cultural integration. International Journal of Sport and Development, 10(2), 145-162. https://doi.org/10.5678/ijsd.2021.102145

13. Knowler, W. C., Barrett-Connor, E., Fowler, S. E., Hamman, R. F., Lachin, J. M., Walker, E. A., & Nathan, D. M. (2002). Reduction in the incidence of type 2 diabetes with lifestyle intervention or metformin. New England Journal of Medicine, 346(6), 393-403.

14. Lee, I. M., Shiroma, E. J., Lobelo, F., Puska, P., Blair, S. N., & Katzmarzyk, P. T. (2012). Effect of physical inactivity on major non-communicable diseases worldwide: an analysis of burden of disease and life expectancy. The Lancet, 380(9838), 219-229.

15. Schwartz, S. J., Montgomery, M. J., & Briones, E. (2006). The role of identity in acculturation among immigrant people: Theoretical propositions, empirical questions, and applied recommendations. Human Development, 49(1), 1-30.

16. Sen, A. (1999). Development as Freedom. Oxford University Press.

17. Smith, J. A., & Doe, R. (2022). Sport and intercultural dialogue: A pathway to sustainable human development. Journal of Sport and Society, 15(3), 234-250. https://doi.org/10.1234/jss.2022.01534

18. Spaaij, R. (2009). Sport as a vehicle for social mobility and regulation of disadvantaged urban youth. International Review for the Sociology of Sport, 44(2-3), 247-264.

19. Spaaij, R. (2012). Beyond the playing field: Experiences of sport, social capital, and integration among Somalis in Australia. Ethnic and Racial Studies, 35(9), 1519-1538.

20. SpringerLink. (2021). Culture, development and sustainability: The cultural impact of development and culture's role in sustainability. Retrieved from https://link.springer.com

21. UNESCO. (2016). Education for people and planet: Creating sustainable futures for all. Global Education Monitoring Report 2016. Paris: UNESCO.

22. UNESCO. (2017). Culture: at the heart of Sustainable Development Goals. Retrieved from https://www.unesco.org.

23. Warburton, D. E., Nicol, C. W., & Bredin, S. S. (2006). Health benefits of physical activity: the evidence. CMAJ, 174(6), 801-809.

24. World Bank. (2020). World Development Report 2020: Trading for Development in the Age of Global Value Chains. Washington, DC: World Bank.

25. World Health Organization (WHO). (2008). Closing the gap in a generation: Health equity through action on the social determinants of health. Final report of the Commission on Social Determinants of Health.

26. World Health Organization (WHO). (2015). World Health Statistics 2015. Geneva: WHO Press.





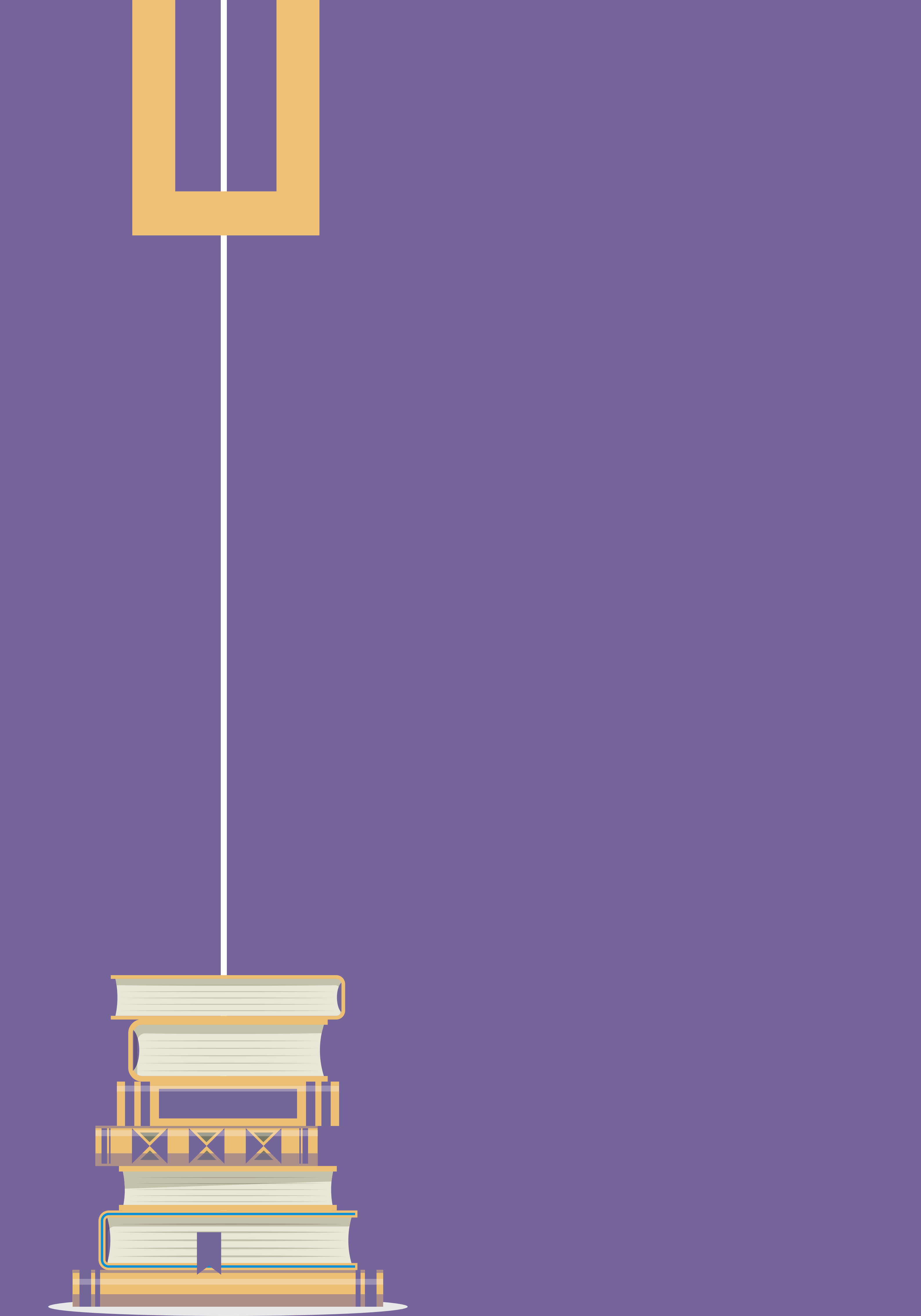





03
تسآل


تسآل







د. حامد بن عبدالله البلوشي

مدير عام شبكة الباحثين العرب في مجال المسؤولية المجتمعية



المسؤولية المجتمعية في الدول العربية

أجراه: الحسانين محمد

صحفي وكاتب مصري

>> أطمح في تطوير التشريعات المنظمة للمسؤولية المجتمعية في الدول العربية لضمان مشاركة الهيئات والشركات مع التزامها القانوني بخدمة المجتمع

>> نحتاج إلي إطلاق مجموعة من المبادرات الاجتماعية لإتاحة الفرص للشباب لإثبات وجودهم وقدرتهم على العمل والعطاء والمشاركة في المسؤولية المجتمعية

>>مساهمات رجال الأعمال والفنانين والإعلاميين العرب في المسؤولية المجتمعية ما زالت قليلة وخجولة ودون المستوى المتوقع والمأمول.

>> «موسوعة المسؤولية المجتمعية في الدول العربية» تؤرخ وتوثق أسماء وأعمال الرواد في هذا المجال بالمنطقة العربية

>> نسعى من خلال «المجلة العربية للمسؤولية المجتمعية» إلى تحفيز الباحثين وتوصيل رسالتهم والربط بينهم وبين أصحاب القرار

>> أسسنا مؤخرًا مجلس بحوث المسؤولية المجتمعية بالدول العربية، وقريبًا سوف نعلن عن برنامج ماجستير في ذات المجال بإشراف من الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية

>> رسالة الدكتوراه التي أنجزتها كان لها دور كبير في مساعدة شركة «فالي عمان لتكوير خام الحديد» في تحسين وجودة الخدمات المقدمة للمجتمع

>> نبذل قصارى جهدنا كأفراد ومؤسسات تعمل في مجال المسؤولية الاجتماعية لتخفيف معاناة أشقائنا في فلسطين وتوصيل مأساة وعدالة القضية الفلسطينية لشعوب العالم

>> بسبب تميز رسالة الدكتوراه كنت أول طالب عربي يلقي كلمة الخريجين بثلاث لغات وأول من يحصل على جائزة المستشارة الملكية للتميز الأكاديمي بماليزيا

>> وثيقة التميز الدولية نمنحها لمن يجعلون المسؤولية المجتمعية نهج حياة وتتلألأ أرواحهم بوهج العطاء ويصنعون البهجة دون رغبة في شهرة أو انتظار شكر

يتمتع الدكتور حامد بن عبدالله بن حامد البلوشي، بشخصية فريدة شديدة الثراء الفكري والرؤية الثاقبة للواقع، الملهمة بتحليل مبصر لتفاصيل المستقبل، ولذلك لم يكن غريباً اختياره ضمن قائمة المائة شخصية الأكثر تأثيرًا في العالم بمجال المسؤولية المجتمعية عام ٢٠١٩م وكذلك منحه وثيقة التميز الدولية في مجال المسؤولية المجتمعية، وحصوله على جائزة المستشارة الملكية للتميز الأكاديمي بماليزيا عن تميزه في رسالة الدكتوراه، ولذلك-أيضًا- اختير-مؤخرًا- رئيسًا لبرنامج الزمالة البحثية المهنية في مجال المسؤولية المجتمعية. وهو أول برنامج بحثي متخصص في العالم العربي ينتظر تدشينه في نوفمبر المقبل بالشراكة بين الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا والمعهد العربي للتخطيط والشبكة الاقليمية للمسؤولية الاجتماعية.

ونحاول هنا في سطور التسآل التالي معه الغوص في أعماق فكره ليسطر في ردوده إجابات شافية لكل التساؤلات الحائرة لدى الغالبية في القضايا الاجتماعية والعامة وإلى سطور الحوار.

بعد عام من رئاستك للوفد الرسمي للشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية في قمة قادة الاتفاق العالمي للأمم المتحدة.

- ماذا تم من توصيات هذه القمة؛ خاصة فيما يتعلق بالبلدان العربية؟

- وماذا تتمنى تحقيقه خلال الفترة المقبلة؟

- وما هي الآليات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف؟

تعد «قمة قادة الاتفاق العالمي للأمم المتحدة» أكبر اجتماع في العالم لقادة الأعمال المستدامة العالميين، وكذلك لأصحاب المصلحة، والنشطاء وصانعي السياسات، والقادة الناشئين من جميع أنحاء العالم، بغرض إجراء مراجعة شاملة لمساهمة القطاع الخاص في النهوض بأهداف التنمية المستدامة، وقد أقيمت تلك القمة تحت شعار «دور القطاع الخاص في دعم أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠» وتناولت خمسة مجالات منهجية هي «المساواة بين الجنسين، والعمل المناخي، والأجور المعيشية، وقضايا المياه، والتمويل والاستثمار»



وقد اختيرت مجالات العمل الخمسة هذه؛ لأنها تتمتع بالقدرة على تسريع التقدم في جميع أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، وتضمنت التوصيات حثّ القطاع الخاص على العمل بشكل جماعي وبوتيرة متسارعة وتأثير أكبر لهذه المجالات الخمسة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م.

طرحتَ العديد من المحاور في أوراق العمل المتخصصة التي تقدمت بها لمؤتمرات علمية؛ محلية، وإقليمية، ودولية. فما المحاور التي لم تجد لها صدى حتى الآن؟ وما الآلية المطلوبة لتحقيقها؟

تختلف التحديات والصعوبات من مجتمع لآخر، وبين زمان وزمان، فهي متبدلة ومتغيرة باختلاف المعطيات والظروف، وهذا أمر طبيعي في الحياة والعمل. لكن ما كنت أطمح إليه، وما زلت أسعى لتحقيقه؛ هو تطوير البنية التحتية للتشريعات المنظمة للمسؤولية المجتمعية في الدول العربية، سواء كان ذلك للمؤسسات، أو للشركات. هذه التشريعات تمثل أهمية كبرى، من أجل ضمان مشاركة هذه الجهات بطريقة عادلة وفاعلة في خدمة المجتمع، وضمان التزامها القانوني بالأدوار المطلوبة منها، فضلاً عن سهولة مساءلتها من خلال التقارير الدورية، والإفصاح عن مساهماتها وأنشطتها المختلفة. وهذا النهج سيضمن حماية حقوق الأفراد والمجتمعات، والحد من المخالفات التي قد تنتج عن أنشطة وأعمال الشركات، بما فيها الأضرار البيئية، بالإضافة إلى فرض عقوبات صارمة على المخالفين للوائح والقوانين.



جائزة المستشارة الملكية للتميز الأكاديمي بماليزيا

ولا شك أن وجود هذه اللوائح والقوانين سيسهم في تنظيم عمل المسؤولية المجتمعية بشكل منهجي وفعال، وسيحفز على ابتكار حلول أكثر كفاءة للتحديات الاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية. مما يحقق التنمية المستدامة للمجتمعات، ويضمن حقوق الإنسان، وكرامته، وجودة حياته.

طالبت في إحدى مقالاتك بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للشباب بضرورة الاهتمام بتعزيز مشاركاتهم الفعالة في برامج التنمية الاجتماعية.

كيف تعمل على تحقيق ذلك واقعيًا من خلال مسؤولياتك العديدة في مؤسسات ومنظمات التنمية المحلية، والمسؤولية الاجتماعية، محليًا، ودوليًا؟

شباب سلطنة عمان معروف عنهم بأن لديهم حسًّا عاليًا بالمسؤولية المجتمعية، كما أنهم يتسلحون بقدر عالٍ من روح المبادرة، والتي تدفعهم للمشاركة في التنميةِ الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية. فهم شباب متمسكون بثقافتهم، وتراثهم، وقيمهم الأصيلة التي صانت المجتمع العماني، وأرست دعائم المحبة، والتعايش، والتسامح، والسلام. وما يحتاج إليه الشباب؛ وما يجب علينا جميعًا توفيره لهم؛ هو إتاحة الفرص لهم من أجل أن يتمكنوا من إثبات وجودهم، وقدرتهم على العمل، والعطاء، والنماء. وذلك من خلال المؤسسات، وشركات القطاع الخاص. ويتم ذلك عبر تفعيل مفهوم المسؤولية المجتمعية، والعمل على إطلاق مجموعة من المبادرات المجتمعية، على مستوى الأندية، والفرق الرياضية، والمجموعات التطوعية، وتنظيم الفعاليات والمسابقات في مجال المسؤولية الاجتماعية، ورعاية مجموعة من الأنشطة، والمسابقات الثقافية، والاجتماعية، والرياضية. والاهتمام بنشر ثقافة ومفهوم المسؤولية الاجتماعية من خلال الندوات والمحاضرات.

هل ترى أن رجال الأعمال، والأثرياء، والفنانين، والإعلاميين العرب، يشاركون بالدور المأمول منهم في مجال المسؤولية الاجتماعية؟

دعنا ننطلق من مقولة: «إننا جميعًا شركاء في المسؤولية والبناء». فكلمة «كلنا» تعني الجميع، بدون استثناء، في مختلف مواقع صنع القرار على مستوى الوطن، سواء كنا رجال أعمال، أو أثرياء، أو فنانين، أو إعلاميين، أو غيرهم. فلكل منا دور ومسؤولية مجتمعية تجاه أوطاننا، وهذا دَيْنٌ في

أعناقنا، توارثناه من الآباء، وسنورثه للأبناء إن شاء الله، لأن الوطن، وبالتالي الكوكب كله، ليس ملكًا لنا وحدنا، بل هو أمانة نحملها للأجيال التي لم تولد بعد. أما بالنسبة للدور المأمول منهم؛ فهذه مسألة نسبية، تختلف باختلاف الظروف، والزمان، والمكان. ولا يمكن إنكار جهود وعطاء بعض المخلصين من مختلف الفئات في مجال المسؤولية الاجتماعية، لكنني أعتقد أن هذه المساهمات ما زالت قليلة، وخجولة، ودون المستوى المتوقع والمأمول. وما أستطيع التأكيد عليه هو ضرورة تعزيز الوعي بأهمية المسؤولية المجتمعية الملقاة على عاتقنا جميعًا تجاه الوطن والمجتمع، حتى يقوم الجميع بدوره، ومسؤوليته، من موقعه، واختصاصه.

باعتبارك مدير عام شبكة الباحثين العرب في مجال المسؤولية المجتمعية ورئيس برنامج الزمالة البحثية المهنية في ذات المجال، ما هي إسهاماتك الاجتماعية والمهنية والخطط المستقبلية؟

إنّ شبكة الباحثين العرب هي إحدى المبادرات الرائدة التي أطلقتها الشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية، بهدف توفير مظلة مهنية للباحثين العرب المتخصصين في مجالات المسؤولية المجتمعية. وتقدم الشبكة الدعم المهني والفني للباحثين من خلال الاستشارات المتخصصة التي يقدمها خبراء لهم معرفة وثيقة بممارسات وتطبيقات المسؤولية المجتمعية، كما تسعى لتحقيق شراكات مع المنظمات الدولية، والهيئات، والمجالس المتخصصة في البحث العلمي. وتسعى الشبكة إلى تحقيق عدد من الأهداف منها تحفيز الباحثين العرب على المساهمة العلمية والبحثية في مجالات المسؤولية المجتمعية. وتشجيع الشراكة مع الجهات المانحة، والجمعيات الخيرية، والمؤسسات الحكومية والخاصة في بحوث المسؤولية المجتمعية في المنطقة العربية، كما تهدف إلي تنظيم ودعم برامج بناء القدرات لإعداد وتأهيل الباحثين العرب في هذا المجال، وبناء قاعدة معلومات متخصصة من أجل دعم جهود البحث العلمي في المسؤولية المجتمعية. وقد انبثقت عن شبكة الباحثين العرب مجموعة من البرامج والإصدارات المتخصصة في مجال المسؤولية الاجتماعية منها «موسوعة المسؤولية المجتمعية في الدول العربية» وهذه الموسوعة هي مبادرة بحثية غير هادفة للربح، تبنتها شبكة الباحثين العرب، وتهدف إلى تأريخ ممارسات وتطبيقات المسؤولية المجتمعية،



جائزة المستشارة الملكية للتميز الأكاديمي بماليزيا

وروادها في المنطقة العربية، بمشاركة خبراء وباحثين من جميع الدول العربية.

كما تصدر الشبكة «المجلة العربية للمسؤولية المجتمعية» وهي مجلة علمية محكمة، تصدر عن الشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية بالبحرين، بالتعاون مع الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. وتهدف إلى نشر الأبحاث وفق المعايير العلمية العالمية المعتمدة، وتنمية المعرفة، وإثرائها، والارتقاء بالإنتاج العلمي العربي في مجالات المسؤولية المجتمعية، والتنمية المستدامة، وتعزيزهما. وهذه المجلة تصدر بشكل نصف سنوي (كمرحلة أولى) بنسختيها المطبوعة والإلكترونية، وتقبل فيها الدراسات البحثية باللغتين العربية والإنجليزية، وترجمات الدراسات، والبحوث، والملخصات العلمية المتخصصة، ضمن حقول المعرفة المتعلقة بالمسؤولية المجتمعية، والتنمية المستدامة.

كيف يسهم برنامج الزمالة البحثية المهنية في دعم ممارسات وتطبيقات المسؤولية المجتمعية؟

يعد برنامج الزمالة البحثية المهنية في مجال المسؤولية المجتمعية البرنامج الأول من نوعه في العالم العربي. وسيسهم -بإذن الله تعالى- في إعداد الباحثين المتخصصين في المسؤولية المجتمعية، بغرض دعم المؤسسات العربية والإسلامية بأبحاث، ودراسات علمية عميقة تساعد صناع القرار في تلك المؤسسات -بصرف النظر عن كونها مؤسسات حكومية، أو خاصة، أو مجتمعية على تبني ممارسات وتطبيقات المسؤولية المجتمعية، استنادًا إلى مرجعيات علمية. ويتمثل الهدف العام لتلك البرامج في خلق شبكة بحثية من المختصين في مجال المسؤولية المجتمعية في العالم العربي، وتبادل الخبرات بينهم، والاستفادة من إنتاجهم البحثي في تطوير ممارسات المسؤولية المجتمعية في المؤسسات العربية، وينفذ البرنامج بالتنسيق مع الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، والمعهد العربي للتخطيط بدولة الكويت، والشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية، حيث يقوم الملتحقون بالبرنامج بكتابة أبحاث متخصصة في مجال المسؤولية المجتمعية، تحت إشراف فريق أكاديمي وبحثي من الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، ومن ثم تنشر البحوث العلمية في مجلة علمية محكمة في مجال المسؤولية المجتمعية حسب القواعد الأكاديمية المتبعة. ويشرف على تنفيذ البرنامج هيئة استشارية علمية وأكاديمية معتبرة لضمان جودة مخرجات التدريب.

ماذا-أيضًا- عن منصة خبراء المسؤولية المجتمعية في الدول العربية وما هي آليات عملها؟

منصة خبراء المسؤولية الاجتماعية، هي منصة رقمية تتبع الشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية، ومتاحة للمتخصصين في هذا المجال، وتسعى إلى توفير مظلة مهنية للمتخصصين في مجالات المسؤولية المجتمعية بالدول العربية، للتعريف بإنجازاتهم، وأعمالهم، وأنشطتهم، وكذلك بناء قاعدة معلومات لخبراء المسؤولية المجتمعية في الدول العربية، وفق معايير علمية ومهنية، وتشجيع ودعم المتخصصين في مجالات المسؤولية المجتمعية بالدول العربية لتعزيز الشراكات العلمية والمهنية فيما بينهم، وخلق شراكات مهنية بين الخبراء العرب من المتخصصين في مجالات المسؤولية المجتمعية، والأجهزة الحكومية، والخاصة، والمنظمات العربية الرسمية، والأهلية، للاستفادة من الخبرات المتوفرة في عالمنا العربي.

ما هي أهداف الصندوق العربي لرعاية بحوث المسؤولية المجتمعية، وكيف يعمل؟

يهدف هذا الصندوق إلى دعم البحوث العلمية في مجالات المسؤولية المجتمعية المقدمة من الباحثين العرب، والتي تؤدي إلى حُلول مبتكرة للمشكلات المجتمعية في المنطقة العربية، وتشجيع الباحثين العرب المتخصصين في مجالات المسؤولية المجتمعية كي تتناول أبحاثهم موضوعات تسهم في الاستجابة للاحتياجات المجتمعية المعززة



للتنمية المستدامة، وبما يتوافق مع خطط أولويات البحث العلمي المعتمدة، وكذلك دعم مبادرات النشر العلمي، والإصدارات المتخصصة، والمؤتمرات، والملتقيات العلمية التي تهدف إلى تجويد جهود البحث العلمي في مجالات المسؤولية المجتمعية في المنطقة العربية، وقد أعلن-مؤخرًا- عن تأسيس مجلس بحوث المسؤولية المجتمعية بالدول العربية، كما سيعلن-قريبًا- عن برنامج ماجستير في المسؤولية المجتمعية بإشراف أكاديمي من الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، وستكون شبكة الباحثين العرب الشريك الإداري للبرنامج.

ما هي اقتراحاتك لدعم أواصر العمل العربي ليكون أكثر تأثيرًا وقوة في المجتمع الدولي في مجالات الرعاية والمسؤولية الاجتماعية؟

على المستوى العربي بشكل عام؛ نحن بحاجة إلى تفعيل وتنمية قنوات التواصل والتعاون بين المنظمات العربية والدولية، لبناء شراكات استراتيجية، وتبادل الخبرات، والعلاقات، والمهارات، في إطار من الشراكة بالمسؤولية، بهدف تعزيز حضورنا الإقليمي والدولي، كذلك من الأهمية بمكان؛ ضرورة وضع استراتيجيات وخطط عمل واضحة لمعالجة قضايا المسؤولية الاجتماعية المشتركة بين الدول العربية، مثل: قضايا التعليم، والصحة، والبيئة، والبطالة، والفقر. أما على الجانب الدولي؛ فهناك أهمية كبيرة للمشاركات الدولية الفاعلة في المؤتمرات، والمحافل الدولية، ويتم ذلك عن طريق طرح حلول ورؤى للتحديات التي يواجهها العالم في القضايا المتعلقة بالمسؤولية الاجتماعية.

ما أبـــــرز الأعمــــال التــــي تم اختيـارك بسببها ضمن المائة الأكثـر تأثيـرًا في مجـال المسـؤولية المجتمعيـة عربيًـا عـام ٢٠١٩؟

تشـــرفت بـأن أكـــون أول مـن أسـس وأدار قســـمًا خاصًـا بالمسـؤولية المجتمعيـة في شـركة فالـــي (VALE) مع بدايـــة عملها في سلطنة عمان، وذلـك بصفتـي أحـد أبنـاء المجتمـع المحلـي المحيـط بالشـركة. وقـد قامـت الشـركة بإعـداد خطـة متكاملـة للمسـؤولية المجتمعيـة شـملت مجـالات التعليم، وريادة الأعمـال، والصـحة، والبيـئة، والرياضة، والثقافة. وذلك بالاستعانة ببيت خبـرة عالمـي. وقـد أثمـرت هـذه الجهـود تنفيـذَ مجموعـة مـن مشـاريع المسـؤولية المجتمعيـة في المناطـق المحيطـة بالشـركة.

وتُوجت جهود الشـركة في هذا المجال بتأسـيس مؤسسـة «جسـور» بالشـراكة مـع شـركة أوكيـو (OQ) وشـركة صحـار ألمنيـوم، لتصبـح بذلـك أول مؤسسـة رسـمية غيـر ربحيـة تعنـى بالمسـؤولية المجتمعيـة في سـلطنة عمـان. وقـد شـغلتُ عضويـة مجلـس إدارة المؤسسـة لعـدة سـنوات، وأسـهمت «جسـور» في تنفيـذ مجموعـة مـن المشـاريع المجتمعيـة النوعيـة والمستدامة في مختلف المجالات: الصحيـة، والبيئيـة، والرياضيـة، والثقافيـة، والتعليميـة ممـا أدى إلـى تطويـر الخدمـات المقدمـة للمجتمـع، وترجمـة رؤيـة المؤسسـة في تحقيـق قيمـة مضافـة لعمـان، وخاصـة للمجتمعـات التـي تعمـل فيهـا. كمـا أن رسـالة الدكتـوراه التـي أنجزتهـا؛ كانـت في مجـال المسـؤولية الاجتماعيـة، وكان لهـا دور كبيـر في مسـاعدة شـركة «فالـي عمـان لتكويـر خـام الحديـد» في تحسـين وجـودة الخدمـات المقدمـة للمجتمـع، ممـا أسـهم في تحقيـق التناغـم والانسـجام مـع المجتمـع المحلـي، والوصـول إلـى الرضـا المجتمعـي بالإضافـة إلـى ذلـك؛ فقـد توليـت الرئاسـة والإشـراف علـى بعـض البرامـج المهنيـة مثل برنامـج الزمالـة البحثيـة المهنيـة في مجـال المسـؤولية المجتمعيـة، والـذي تنظمـه الشـبكة الإقليميـة للمسـؤولية الاجتماعيـة بالشـراكة مـع الجامعـة الإسـلامية العالميـة بماليزيـا، والمعهـد العربـي للتخطيـط بدولـة الكويت. كمـا كانـت لـي مشـاركات واسـعة بـأوراق عمـل في مجـال المسـؤولية المجتمعيـة في المؤتمـرات المحليـة، والإقليميـة، والعالميـة.

كيـــــف تـــرى دور مؤســـسات المســـؤولية الاجتماعية الفاعلة في الـدول العربيـة تجـاه القضيـة الفلسـطينية، والمأسـاة التـي يعيشـها الشـعب الفلسـطيني؟

هنـاك تفاعـل مجتمعـي كبيـر مـن الأفـراد والمؤسسـات العاملـة في مجـال المسـؤولية الاجتماعيـة في الـدول العربيـة تجـاه القضيـة الفلسـطينية، حيـث يبذلـون جهـودًا علـى قـدر اسـتطاعتهم لتخفيـف المعانـاة والمأسـاة التـي يعيشـها الشـعب الفلسـطيني، ويظهـر هـذا التفاعـل بوضـوح مـن خـلال المسـاعدات الإنسـانية، والتبرعـات السـخية، ودعـم المشـاريع الإنسـانية لتخفيـف حجـم المعانـاة، وذلـك حسـب الإمكانيـات المتاحـة. ورغـم القيـود،



ثقافة

والصعوبات، والتحديات الكبيرة التي تواجهها هذه المؤسسات في إيصال المساعدات؛ فإنها تواصل العمل بعزم وإصرار. وقد سمعنا عن العديد من المبادرات من رجال الأعمال العرب الذين قدموا منحًا دراسية للطلاب الفلسطينيين الذين حرموا من التعليم بسبب الحرب، كما شهدنا تطوعًا من الأطباء العرب الذين خاطروا بأرواحهم، ودخلوا إلى قطاع غزة بالتنسيق مع منظمات صحية دولية لتقديم الدعم للمرضى والمصابين في مجالات تخصصهم. بالإضافة إلى ذلك فإنّ هناك تنسيقًا بين المؤسسات والمنظمات العربية؛ والمنظمات الدولية، لنشر الوعي، ودعم الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، والدفاع عن حقوقه في مواجهة الانتهاكات، وهذا الدور يشمل المؤسسات الحقوقية والقانونية، إلى جانب دور المنظمات والمؤسسات العربية في المجال الإعلامي، حيث تسهم في نشر الوعي على المستوى العالمي والدولي بالقضية الفلسطينية، وقد رأينا بوضوح تأثير ذلك في زيادة تعاطف المجتمعات الغربية مع الشعب الفلسطيني ونصرة قضيته.

هل ترى أن البرامج الهادفة التي تقدمها وزارة الثقافة والرياضة والشباب، والمؤسسات التي تستهدف الشباب؛ كافية لدعم أهداف تمكينهم في مجال الرعاية الاجتماعية، وتوفير البيئات والمحاضن التي تُساعدهم على إبراز مواهبهم، وإبداعاتهم، وابتكاراتهم؟

لا شك أن وزارة الثقافة والرياضة والشباب؛ تبذل جهودًا حثيثة لتلبية احتياجات الشباب في المجالات الثقافية والرياضية والشبابية، وإبراز مواهبهم، وصقل مهاراتهم، وإعدادهم بدنيًّا، وفكريًّا، وثقافيًّا. وتأتي هذه الجهود من خلال تنفيذ البرامج، والأنشطة المختلفة، وخاصة في الأندية الرياضية التي تُعتبر الحاضنة الأولى للشباب بمختلف فئاتهم العمرية. كما تشجع الوزارة الشباب على الإبداع، والابتكار، واستثمار أوقات فراغهم بما يعود عليهم بالنفع، وتنطلق الوزارة في أدائها المهني من شعور كبير بالمسؤولية الملقاة على عاتقها، وقد وفرت من أجل ذلك البنية التحتية اللازمة لتمكين الشباب من أداء الأدوار المنوطة بهم، ومشاركتهم في بناء نهضة عمان المتجددة. ومع ذلك فإن المتوقع والمأمول من الوزارة أن تضطلع بأدوار أكبر، وأن تقدم برامج أكثر، تتناسب مع التقدم التكنولوجي، والثورة المعرفية والرقمية التي يشهدها العالم، بحيث تنسجم مع تطلعات وطموحات وأحلام الشباب. كما ونحتاج إلى المزيد من التعاون من المؤسسات، والشركات؛ من منطلق المسؤولية المجتمعية، حيث تقوم الدولة على ثلاثة أعمدة هي: القطاع العام، والقطاع الخاص، والقطاع الثالث أو المجتمع المدني.

إلى أي مدى يؤثر المشهد السياسي والاقتصادي الحالي في المنطقة العربية سلبًا أو إيجابًا على برامج المسؤولية الاجتماعية وأهدافها المستقبلية؟

لاشك أن الظروف الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وحتى المناخية، إلى جانب الحروب، والكوارث الطبيعية، والأوبئة، والأمراض، والتي تواجهها منطقتنا العربية؛ قد ألقت بظلالها، وخلقت أزمات إنسانية كبيرة، وتأثيرات اجتماعية سلبية على الأفراد والمجتمعات. هذه الظروف بلا شك قد أدت إلى تأثير سلبي على الاستثمار، وعلى النمو الاقتصادي، والاستقرار الاجتماعي، وأَخَّرتْ برامج التنمية، كما كان لها تأثيرها على التعليم، وزادت من معدلات الفقر، ووسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء، ورفعت نسبة البطالة بين الشباب. كل ذلك قد انعكس سلبًا على برامج المسؤولية الاجتماعية، حيث أدى إلى نقص في الموارد، والتمويل المخصص لهذه البرامج؛ مما أثر على جودة حياة الناس. ومن ناحية أخرى وبصورة عكسية؛ فقد أدت هذه الأزمات إلى المزيد من التلاحم والتعاون بين فئات المجتمع، وهي من سمات المجتمعات الحية التي تنبض بحب الحياة، والعمل لرفعة الإنسان، وتحسين جودة الحياة في أوقات المحن والشدائد. وفي هذا السياق عملت برامج المسؤولية الاجتماعية على تطوير نهجها، وتصميم وتنفيذ مبادرات نوعية، والبحث

عـن حلول مبتكرة لمعالجـة الأزمـات، والتصدي لهـا. كمـا توسـعت في نطاقهـا لدعـم المجتمعـات المتأثـرة بهـذه الأزمـات، وتلبيـة احتياجاتهـا بمـا يتماشـى مـع أهـداف التنميـة المسـتدامة.

كيـف تُقيِّـم واقـع المنظمـات الأهليـة والحكوميـة العربيـة في أداء دورهـا المنشـود تجـاه مجتمعاتهـا؟ ومـا مـدى تأثيـر المؤسسـات والمنظمـات العمانيـة والعربيـة في المجتمـع الدولـي؟ ومـا آليـات دعـم هـذا الـدور؟

علـى الرغـم مـن الرغبـة الجامحـة، والطمـوح العالـي لـدى المنظمـات الأهليـة للمشـاركة في تنميـة وتطويـر المجتمعـات، إلا أن أدوارهـا ومسـاهماتها لا تـزال دون مسـتوى الطمـوح والمأمـول منهـا. ولا يمكـن مقارنتهـا بالمنظمـات العالميـة مـن حيـث نطـاق التأثيـر والكفـاءة، حيـث تمتلـك الأخيـرة ميزانيـات ومـوارد ماليـة ضخمـة، إضافـة إلـى الخبـرات الواسـعة، والتشـريعات والقـوانين المنظمـة لعملهـا. لذلـك فمـن الضـروري أن تسـعى منظماتنـا العربيـة إلـى بنـاء شـراكات مـع المؤسسـات العالميـة، وشـركات القطـاع الخـاص، ومنظمـات المجتمـع الدولـي، والاسـتفادة مـن أفضـل الممارسـات الإقليميـة والدوليـة. وعلـى الحكومـات دعـم وتمكـين هـذه المنظمـات؛ مـن خلال توفيـر الدعـم المـادي، والمعنـوي، وتطويـر البنيـة التشـريعية المنظمـة لعمـل الجمعيـات والمنظمـات الأهليـة، بالإضافـة إلـى تأهيـل وتدريـب القائمين علـى هـذه الجمعيـات. وهـذه الخطـوات سـتُمكن المنظمـات مـن الانتقـال مـن العمـل التقليـدي؛ إلـى عمـل منهجـي ومهنـي، ممـا يسـمح لهـا بـأن تكـون شـريكًا فـاعلاً في التنميـة، وداعمًا لتحقيـق رؤيـة الدولـة، وأهدافهـا الاسـتراتيجية.

مـا الأعمـال التـي تم اختيـارك بسـببها لجائـزة المستشـارة الملكيـة للتميـز الأكاديمـي بماليزيـا؟

تم اختيـاري لهـذه الجائـزة بنـاءً علـى تميـزي وتفوقـي في دراسـة الدكتـوراه، حيـث حصلـت علـى درجـة امتيـاز مـع مرتبـة الشـرف، مـع توصيـة بنشـر وطباعـة الرسـالة. وفي هـذه الدفعـة حصـل خمسـة طـلاب مـن الجامعـة علـى هـذه الجائـزة، وكنـت أنـا العربـي الوحيـد بينهـم. وتشـرفت بـأن أكـون أول طالـب عربـي في تاريـخ الجامعـة يلقـي كلمـة الخريـجين في حفـل التخـرج بـثلاث لغـات: العربيـة، والإنجليزيـة، والملايويـة.

- لـو طلـب منـك منـح وثيقـة التميـز الدوليـة للشـخصيات الأكثـر تأثيـرًا في مجـال المسـؤولية المجتمعيـة لعـام ٢٠٢٤م، فلمـن تمنحهـا؟

إذا طُلب مني منح وثيقة التميز الدولية للشخصيات الأكثـر تأثيـرًا في مجـال المسـؤولية المجتمعيـة لعـام ٢٠٢٤م، فسـأختار أن أمنحهـا لـكل فـرد في المجتمـع، يحمـل في قلبـه حبًّـا عميقًـا لوطنـه، ويمتلـئ فـؤاده بالخيـر والإحسـان إلـى الآخريـن. كمـا أود أن أهـدي هـذه الوثيقـة لأولئـك الذيـن يهبـون أنفسـهم لخدمـة مجتمعهـم بـإخلاص، ولا ينتظـرون مقـابلاً لعملهـم، ويبذلـون كل غـال ونفيـس بجـد واجتهـاد مـن أجـل إعـلاء شـأن وطنهـم، ويحرصـون علـى المحافظـة علـى مكتسـباته، كمـا أنهـم يدافعـون عنـه ويـذودون عـن حياضـه بـكل مـا أوتـوا مـن قـوة في كل المحافـل، إن هـؤلاء الأفـــراد – سـواء كانـوا معـروفين أو مغمورين– يشـكلون الأعمـدة الرئيسـية التـي يقـوم عليهـا المجتمـع، فهـم الذيـن يجعلـون مـن المسـؤولية المجتمعيـة نهـج حيـاة، وليـس مجـرد شـعار. إنهـم أولئـك الذيـن تـتلألأ أرواحهـم بوهـج العطـاء، فلا يتـرددون في بـذل جهدهـم ووقتهـم مـن أجـل رفعـة مجتمعهـم. فإلـى هـؤلاء الأبطـال الحقيقيين الذيـن لا يسـعون للضـوء والشـهرة، بل يصنعـون النـور والبهجـة ويجعلونـه منبثقًـا سـاطعًا مضيئًـا مـن أعمالهـم، أقـدم لـكل هـؤلاء العظمـاء تلـك الوثيقـة كرمـز للعرفـان والتقديـر.

بعـد سـنوات مـن صـدور كتـاب (سـلطان السـلام: قابـوس. صـوت نهضـة وضميـر شـعب) الـذي وثقـت فيـه الكثيـر مـن تجليـات النهضـة المباركـة، ورصـدت التحـولات الكبـرى التـي شـهدتها سـلطنة عمـان في عصـر صاحـب الجلالـة السـلطان قابـوس بـن سـعيد «طيـب الله ثـراه»، وكيـف دشـن قواعـد، وأسـس ثقافـة السـلام.





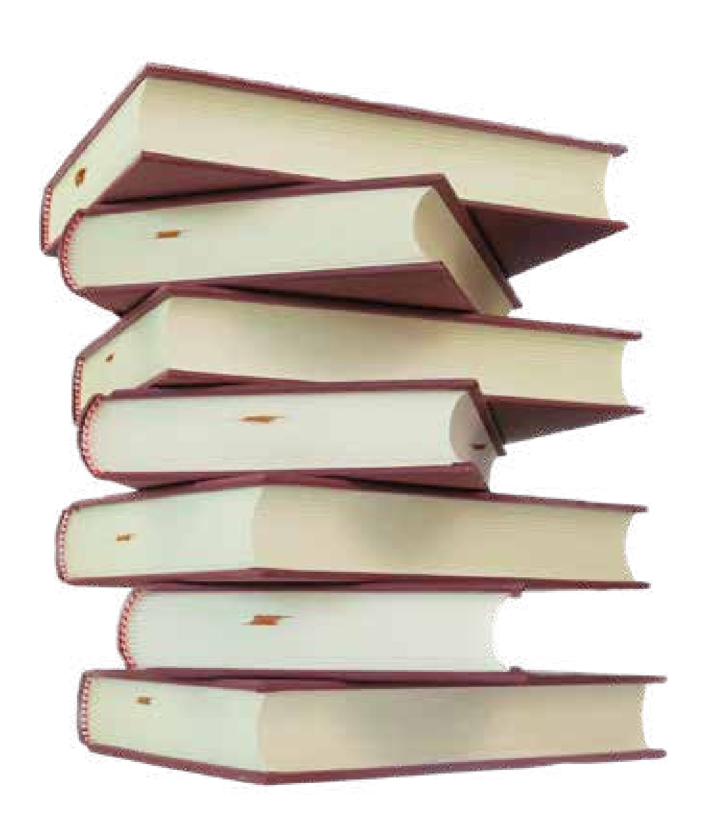
كيف تقيم هذه التجربة للكتابة بعدما اكتملت صورة التجربة؟ وما أبرز ملامح النهضة الحالية؟ وهل هناك مشاريع لتكرار التجربة بكتاب عن عهد جلالة السلطان هيثم بن طارق بن تيمور آل سعيد؟

في الحقيقة، فإن عملية التأليف مهمة شاقة وصعبة، تتطلب جهدًا كبيرًا، ووقتًا طويلاً، وتفكيرًا عميقًا، لا سيما عندما تكون عن شخصية عظيمة بحجم السلطان قابوس رحمه الله وطيب الله ثراه، والذي يُعد رمزًا للنهضة العمانية الحديثة، وصاحب تجربة فريدة، وإنجازات عظيمة امتدت عبر خمسة عقود من الزمان. فالكتابة عنه ليست مجرد نقل لتاريخه وإنجازاته؛ بل هي محاولة لالتقاط روح تلك التجربة المتميزة، والتي انتقلت عمان بسببها من حالة التخلف، والعزلة، والضعف، والانغلاق، والانقسام؛ إلى آفاق التقدم، والتعاون، والقوة، والانفتاح، والوحدة. حتى صارت عمان في مصاف الدول المتقدمة، وصاحبة تجربة رائدة يشار إليها بالبنان. فهذا العمل أفادني كثيرًا وألهمني البحث العميق، والاطلاع الحثيث، والقراءة المتأنية، والاستعانة بمختلف المصادر والمراجع التي تناولت مسيرة النهضة العمانية.

ولقد قمت بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، ونشر ووزع داخل السلطنة وخارجها، حيث لاقى -بفضل الله عز وجل- إشادة وتفاعلاً من شخصيات رفيعة المستوى. وكان لي الشرف الكبير عندما نال الكتاب إعجاب حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق -حفظه الله ورعاه- حين كان وزيرًا للتراث والثقافة.

واليوم تواصل عمان نهضتها المتجددة تحت قيادة واقتدار مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق حفظه الله، الذي أخذ على عاتقه مواصلة مسيرة البناء بكل حكمة واقتدار. فأخذ الراية بقوة، واستلم المهمة بجسارة، وخلال سنوات قليلة لم تتجاوز الخمس سنوات، تمكن من تجاوز التحديات، وتحقيق إنجازات وطنية يفتخر بها كل عماني على هذه الأرض الطيبة المباركة، من خلال العمل الدؤوب، والهمة العالية، والعزم الشديد، والفكر السديد، والإجراءات الحكيمة، والخطط المتجددة. وذلك رغم كل ما مر به العالم من ظروف ضاغطة، وأزمات اقتصادية خانقة، وحروب منهكة، وتقلبات مالية لا تتوقف، وتداعيات وباء كورونا التي أثقلت كاهل جميع الدول، فكأنه ربان سفينة يقتحم بها الأمواج الهائجة، والمياه المتلاطمة، والأخطار المحدقة، فيصل بها إلى بر الأمان، وشاطئ النجاة، فهو خير خلف لأعظم سلف.

فعلى الصعيد الاقتصادي، تمكنت السلطنة من تخفيض مديونيتها العامة من ٢١ مليار ريال عماني في عام ٢٠٢٠م إلى ١٤ مليار ريال عماني في عام ٢٠٢٤م، وذلك بفضل مبادرات حكومية فعالة، وإجراءات إيجابية ناجحة، أسهمت في ترشيد الإنفاق، وتنويع مصادر الدخل، وعدم الاعتماد على النفط فقط. مما عزز من تصنيفها الائتماني، وقلل من مخاطر التمويل الخارجي، وزاد من ثقة المستثمرين. وأما على الصعيد الاجتماعي فقد ركزت النهضة المتجددة على الحماية الاجتماعية، والنهوض بالإنسان العماني، حيث أصدر



قانون الحماية الاجتماعية الذي يغطي فئات واسعة من المجتمع بمرسوم سلطاني رقم ٢٠٢٣/٥٢، والذي يستفيد منه عدد كبير من المواطنين من الأطفال، وكبار السن، والأيتام، والأرامل، والأسر ذات الدخل المحدود، وأصحاب الهمم من ذوي الإعاقة والذين يحتاجون إلى مزيد من الرعاية والدعم. كما أطلقت مبادرات لتسهيل حصول المواطنين على السكن الملائم، وتوفير التمويل اللازم والقروض السكنية لأكثر من ٦٠ ألف أسرة خلال السنوات الخمس المقبلة بإذن الله. ولتعزيز كفاءة الخدمات الحكومية التي يستفيد منها المواطنون، وحتى تقوم بدورها بأعلى كفاءة ممكنة، وبفعالية، ومن أجل تطوير الأداء، وتفادي ازدواجية المعايير، فقد أعيدت هيكلة الدولة إداريًا؛ فدمج العديد من الوزارات والوحدات ذات الاختصاصات المتشابهة والمشتركة، لتحقيق التنمية الشاملة وفق رؤية عمان ٢٠٤٠.

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية فقد أكد حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم -حفظه الله ورعاه- التزامه بنهج القائد الراحل قابوس بن سعيد -طيب الله ثراه- في التعايش السلمي والتعاون الدولي. فقد قال جلالته: «وعلى الصعيد الخارجي فإننا سوف نترسّم خطى السلطان الراحل مؤكدين على الثوابت التي اختطها لسياسة بلادنا الخارجية القائمة على التعايش



السلمي بين الأمم والشعوب وحسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير واحترام سيادة الدول وعلى التعاون الدولي في مختلف المجالات، كما سنبقى كما عهدنا العالم في عهد المغفور له بإذن الله تعالى حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور داعين ومساهمين في حل الخلافات بالطرق السلمية وباذلين الجهد لإيجاد حلول مرضية لها بروح من الوفاق والتفاهم» ولا يمكن بحال من الأحوال حصر الإنجازات الكبيرة التي تحققت في هذه الأسطر القليلة، حيث تواصل السلطنة مسيرتها نحو مزيد من التقدم والازدهار، محققة تطلعات الشعب العماني وطموحاته، وحقه في حياة كريمة تنعم بالأمن والرخاء والاستقرار.

إن الحديث عن هذه النهضة المتجددة، وما تحققه من إنجازات متتالية تحت القيادة الحكيمة لمولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق -حفظه الله ورعاه- جدير بأن يكتب عنه بماء الذهب، ويوثق بدقة واهتمام، وأنا أتفق معكم تمامًا في أن الوقت قد حان لإخراج كتاب يتحدث عن هذه الشخصية العظيمة وتلك الإنجازات، رغم صعوبة المهمة وثقل المسؤولية.



سوهيني باساك

سينـي سينيفيراتني

شــاش تريفــيت

فيديان رافينثيران

إرث ممتـــد

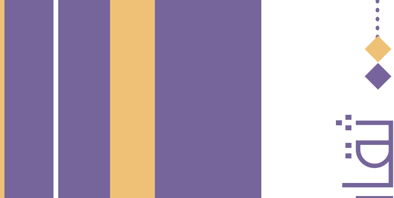
ترجمة: د. زينب محمد عبد الحميد

ناقدة ومترجمة مصرية

تتحاور سوهيني باساك مع سيني سينيفيراتني وشاش تريفيت وفيديان رافينثيران عن كتابهم خارج سريلانكا حول أول مختارات على الإطلاق للشعر السريلانكي وشعر الشتات في بريطانيا.

نبذة عن الكتاب

يسلط كتاب خارج سريلانكا (منشورات بلوداكس؛ ٢٠٢٣) الضوء على الأدب الوطني المهمل منذ فترة طويلة، وذلك بجمعه لأول مرة بين الشعر السريلانكي وشعر الشتات المكتوب فترة الاستقلال وما بعده. ويضم هذا الكتاب أعمال أكثر من مئة شاعر مترجمة من التاميل والسنهالية، أو مؤلفة باللغة الإنجليزية. ويهدف الكتاب إلى استعراض الشعر بوصفه وسيلة مكافحة فقدان الذاكرة، وشاهدًا على الأحداث السياسية المختلفة التي شكلت البلاد منذ عام ١٩٤٨م. وحرر الكتاب كل من سيني سينيفيراتني وشاش تريفيت وفيديان رافينثيران. إنّ الكتاب غني بالقصائد المرئية (نوع من القصائد الذي يعتمد على شكل كتابته) والنمطية والشفاهية والهجينة التجريبية ما بعد الغنائية شعرًا ونثرًا؛ فتحوي هذه القصائد تاريخ سريلانكا منذ عام ١٩٤٨م. وقد حاورت سوهيني باساك المحررين الثلاثة قبل إصدار الكتاب عبر البريد الإلكتروني في يونيو ٢٠٢٣م.

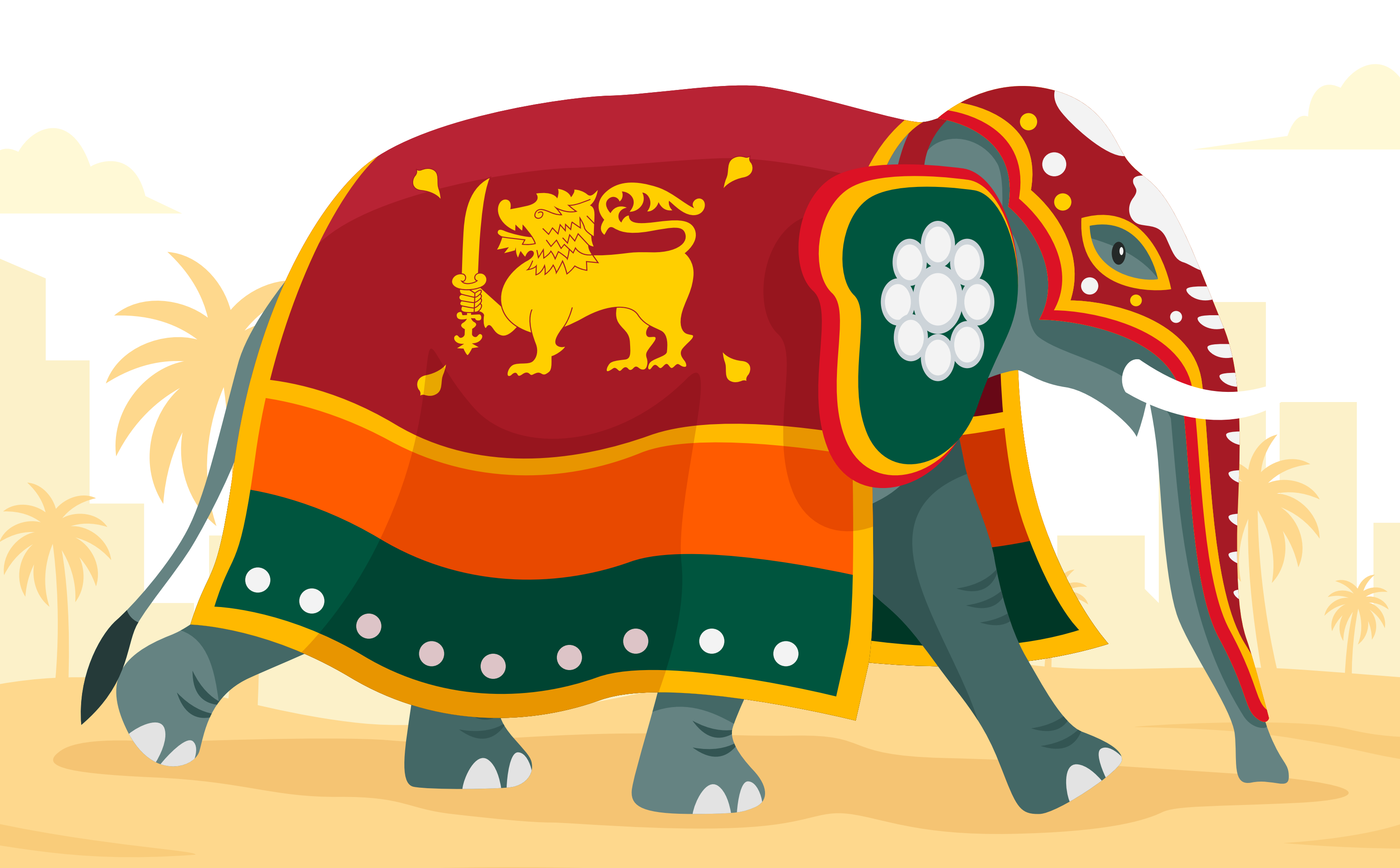


نص الحوار

سوهيني باساك: كتبتم في المقدمة عن كيفية فهم الأدب السريلانكي على المستوى العالمي؛ هل يمكنكم البدء بإيضاح ما قصدتموه بذلك؟ متى اجتمعتم لبدء هذا المشروع ولماذا؟ وهل نشأ المشروع عن ملاحظتكم لفجوات في هذا المجال، أم أنكم سعيتم لاستكمال جهود بحثية قائمة؟

شاش تريفيت: عاشت سريلانكا دائمًا في ظل الهند، وقد بات القراء في بريطانيا أكثر اطلاعًا على أدب اللهجات الهندية المختلفة، دون أن تتكون لديهم معرفة حقيقية

بالأدب السريلانكي. ومن هنا كانت فكرة المختارات الأدبية التي هي من بنات أفكار فيديان؛ فقد كتب إليَّ في فبراير من عام ٢٠٢٠م طالبًا مني مساعدته في التواصل مع شعراء التاميل المعاصرين ممن يكتبون باللغة الإنجليزية. لم يكن أي منا على معرفة مسبقة بالآخر، على الرغم من قراءتي له بالطبع، فقد أحببت ديوانيه وتمنيت لو تتلاقى دروبنا. بالمناسبة يكتب أغلب شعراء التاميل المعاصرين من سريلانكا باللغة التاميلية. وثمة أسباب عدة وراء ذلك تتضمن التعليم الذي يعتمد على اللغة التاميلية، بالإضافة إلى حقيقة مفادها أن شعراء التاميل يقاومون العقلية الاستعمارية الجديدة التي تتبناها حكومة سريلانكا اليوم، والتي تعمل بحيوية على محو التاريخ والثقافة التاميلية من البلاد. البناء غير القانوني للأديرة البوذية في شمال الجزيرة، وإعادة تسمية الشوارع واللافتات المرورية بأحرف سنهالية بارزة تكتب فوق الحروف التاميلية، وتدخل الجيش في المدارس التاميلية؛ كلها محاولات «لإعادة تثقيف» الأطفال التاميل بما يتماشى مع الخطاب القومي؛ وكافة ما سبق يجعل الكُتَّاب التاميلين حريصين على الترويج للغتهم. علاوة على ما سبق فإنّ الحكومة تحظر على شعب التاميل الحداد على قتلى الحرب الأهلية، سواء كانوا مدنيين أم مقاتلين ممن ينتمون إلى نمور تحرير تاميل. وتقوم السلطات بهدم النصب التذكارية، كما تحظر الاحتفالات الدينية وممارسات إحياء ذكرى الراحلين. وقد دفعت هذه الممارسات بالشعراء إلى اللجوء إلى الكلمة لبناء نصب تذكاري أبدي. أما شعراء التاميل فهم صناع الأفلام الوثائقية والمؤرخون والشهود على الحرب الأهلية، وقليل منهم يكتبون باللغة الإنجليزية. ناقشتُ الأمر مع فيديان ثم قرر بعد ذلك تغيير نطاق المشروع للتركيز بشكل أكبر على الكتابة التاميلية المترجمة. وطلب مني أن أشارك في البحث عن قصائد التاميل المترجمة، وطلبنا معًا من سيني الانضمام إلينا حتى نتمكن من الوصول إلى الكتاب السنهاليين وأعمالهم. بدأنا من الصفر؛ نفحصنا المختارات المتاحة المنشورة في سريلانكا، وقد كان بعضها ثلاثي اللغة، ثم واصلنا البحث عن قصائد الشتات أيضًا. وقررنا بعدها الإعلان عن دعوة لمشاركة الشعراء المرتبطين بسريلانكا، بصرف النظر عن مكانتهم أو مكانهم. وهكذا بدأ كل شيء.



سيني سينيفيراتني: تمحورت الفكرة حول نشر أول مجموعة على الإطلاق لمختارات الشعر السريلانكي في القرنين العشرين والحادي والعشرين في بريطانيا مع جمهور مستهدف يتضمن الشعراء ونقاد الشعر والأدب ما بعد الاستعماري، كما كنا نأمل في تضمين القارئ العام (نظرًا للأهمية المتزايدة لسريلانكا في الأخبار). وبصفتي شاعرة من أصول مختلطة وُلدت في الخمسينيات ونشأت في بريطانيا، لم أكن أمتلك للأسف أية مهارات للتحدث أو الترجمة من السنهالية إلى الإنجليزية. ومع ذلك أتمتع بعدد من العلاقات تؤهلني للمساعدة، مع دافع قوي للترويج لأعمال الشعراء السريلانكيين ممن يعيشون داخلها أو خارجها في بقاع أخرى من العالم.

فيديان رافينثيران: لسريلانكا تاريخ من الاستعمار المتعدد(من البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين)، بالإضافة إلى تاريخ موجات الهجرة القسرية والطوعية خارج البلاد، بما يستدعي ضرورة فهم أدب سريلانكا عالميًا. إن هذه المختارات تتحدى التسويق الأدبي، كما تتحدى التاريخ الأدبي الذي يفصل-على سبيل المثال- بين الشعر «الآسيوي البريطاني» أو «الآسيوي الأمريكي» عن «أدب ما بعد الاستعمار» في الجنوب العالمي ...





سوهيني باساك: ما الأطر التي توصلتم إليها، على المستوى الفردي أو الجماعي (لأن جمع المختارات يمكن أن يكون بلا نهاية، رغم حدود مواعيد النشر)؟ وما نوع الجمهور الذي استهدفتموه حين فكرتم في اختيار القصائد أو استبعادها؟

فيديان رافينثيران: بصفتنا باحثين في مختارات الأدب الوطني والعابر للحدود الوطنية الناشئ والمتناغم مع أحداث وتداعيات الحرب الأهلية (١٩٨٣-٢٠٠٩)، كان علينا اتخاذ قرارات صعبة. هل ينبغي لنا أن ندرج القصائد الأقرب إلى تدوين الفظائع وحسب -رغم عدم أهميتها الجمالية- لأنها لعبت دورًا محوريًا في إفهام الناس طبيعة الصراع؟ لقد كانت الأسئلة صعبة ولا إجابات يسيرة عنها. ولم ندرج الشعر المنحاز لأحد الجانبين بتعصب؛ أي لم ندرج ما يدعم الحكومات ذات الأغلبية السنهالية أو يدعم نمور التاميل التي كتبت عنها سوفيندريني بيريرا قائلة:

«إن عنفها الوحشي لم يوجه ضد الدولة السريلانكية والمدنيين السنهاليين وحسب؛ بل شمل سكان التاميل والمسلمين في المناطق التي ادعت أنها وطنها أيضًا». وحين اخترنا القصائد التي كتبت عن الصراع من كتّاب الشتات، اخترنا قصائد تناولت مشاعر مختلطة حيث شعور الناجي بالذنب، والانفصال، وإدراكه أنه إنسان مغترب. هكذا توجب على المرء أن يتحقق من علاقات كافة هذه المواد.

ندرك نحن القائمين على اختيار القصائد أو استبعادها، أن تطبيق المعايير الأدبية الأنجلو أمريكية على الآداب العالمية من ثلاثة من الشعراء المقيمين حاليًا في بريطانيا وأمريكا، وإن كانت ذات صلة شخصية بالمرء؛ يثير التساؤلات. لكن باعتبار أن أشعار دول العالم الثالث، وأشعار ما بعد الاستعمار، تُقرأ مختزلة في أغلب الأوقات - لا بوصفها فنًا - فلنُصِر إذن على التنوع الإبداعي المشمول هنا؛ فهي قصائد تتحدى القارئ وترضيه في الوقت ذاته. وبعض قصائد هذه المختارات قد تثير حساسيات شكلتها (أو قلصتها) ورش العمل الإبداعية وثقافة المراجعات الأدبية السائدة، وذلك بسبب نبرتها الانفعالية والإيحائية، وعنفها شوقًا وحزنًا، فضلاً عن تفاصيلها الفنية حيث الأسلوب والإيقاع والصور والشكل. وثمة قصائد ستسعد على الفور أي إنسان حريص على استكشاف الشعر عبر روافده الخارجية خاصة وإن ارتاب متسائلاً من أين يبدأ. نأمل أن يستمتع عشاق الشعر بهذه الأعمال التي تتبع أنماط الإبداع التقليدية والمنفتحة. هكذا تقدم المختارات من قصائد مرئية واستنفارات شفوية وهجين تجريبي ما بعد غنائي من الشعر والنثر.

سيني سينيفيراتني: أردنا أن تكون المختارات شاملة قدر الإمكان، مما يعني مراعاة الانقسامات المحتملة بين المجتمعات وداخلها بالإضافة إلى توازن تمثيل الجنسين. كنا واضحين-أيضًا- في تمسكنا بعدم التنازل عن جودة الشعر، مما يعني اتخاذ قرارات صعبة؛ مثل استبعاد بعض القصائد من الكتاب إما لأن ترجمتها سيئة-وقد نوهنا في المقدمة فقلنا إنه: «من الأفضل للشاعر أن يغيب عن المشهد من أن تمثله ترجمة فشلت في بث شاعريتها»-، أو لأن بعض القصائد المكتوبة باللغة الإنجليزية لم تُؤهّل للنشر.





وفي بعض الأحيان تحولت علاقتنا نحن المحررين بالشعراء في هذا المجلد إلى ما هو أبعد من الواجبات المعتادة للمختارات، لتشمل الإرشاد والتدخلات التحريرية.

شعرنا بالإرهاق في بعض الأحيان لجدية المهمة التي قمنا بها وما تطلبته من أعمال، لكن المشروع لامس قلوبنا جميعًا. وبصفتنا ثلاثة كتاب من أصل سريلانكي نشأوا في عقود مختلفة وبتجارب حياة متباينة، فقد التزمنا بالحوار والمناقشات الملهمة تحديًا والداعمة بالقدر نفسه، ومن خلالهما أتيحت لنا جميعًا فرص النمو والتعلم والتغيير.

شاش تريفيت: أتصور أن سيني أجابت على هذا السؤال ببراعة. وقد أضيف إلى ذلك حرصنا على عدم محو «الإنجليزية السريلانكية» الأصيلة، كونها تحيلنا إلى العصر الاستعماري، والتي قد تبدو أحيانًا محرجة حين تتناهى إلى آذاننا. ويشير استخدام اللغة الإنجليزية في سريلانكا إلى النخبوية الطبقية أو التعليمية في أغلب الأوقات. لذا توجب علينا الاحتراس حين نضمن قصائد كانت نتاجًا حقيقيًا لطبقتهم وعصرهم، وإن بدت قديمة في بعض الأحيان نظرًا للطريقة التي توظف بها اللغة الإنجليزية، كما استبعدنا القصائد التي بدت وكأنها تتخبط بلا داعٍ في القِدم.

وبالإضافة إلى ما سبق؛ فإنّ الشعر التاميلي والسنهالي يُكتبان في أسطر قصيرة (عادةً) مكونة من خمسة مقاطع. غالبًا ما ينسخ الشعراء التاميليون أو السنهاليون الذين يكتبون باللغة الإنجليزية، أو المترجمون الذين يترجمون القصائد التاميلية أو السنهالية، على أسطر قصيرة مماثلة. وقد يؤدي هذا الأمر إلى ظهور قصائد طويلة جدًا ورفيعة جدًا على الأغلب. وبالتالي أجرينا مناقشات عديدة حول أطوال الأسطر ونهاياتها؛ ما مواضع الإعاقة التي تفرضها الطريقة السريلانكية في الكتابة على الشعر الإنجليزي، وأين تتدفق بشكل طبيعي؟ أين نتدخل كمحررين ونقوم إما بتحرير القصيدة أو التخلص منها، وأين نتراجع ونسمح للقصيدة بالبقاء؟ وكانت سيني رائعة في إعادة صياغة القصائد، بالشراكة مع الشاعر أو المترجم، كما استفدنا أيضًا من وجود ثلاثتنا معا. يتعلق الإنجاز في أغلب الأحيان بـ «قواعد الأغلبية»، وأظن أنه من العدل أن نقول إننا جميعًا ربحنا أشياءً وخسرنا أخرى بتطبيق هذا النظام.

لقد قرأنا مختارات منشورة في سريلانكا أو الهند، فوجدنا أنه من الغريب والمزعج بعض الشيء أن

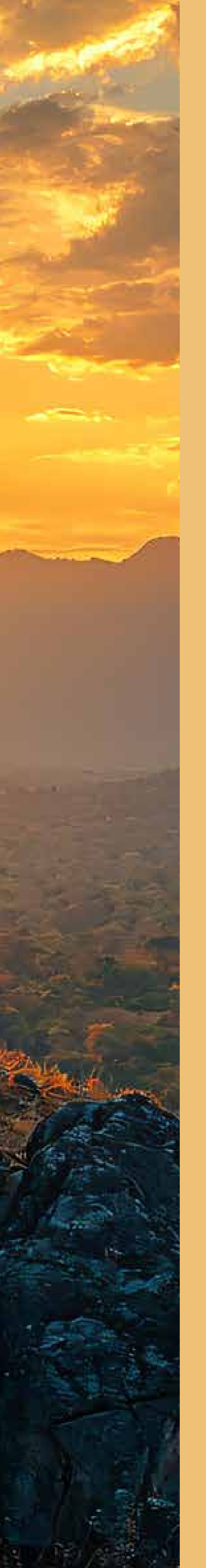


نرى الكتب مقسمة على أسس لغوية. وبالتالي قررنا ترتيب شعرائنا أبجديًا بدلاً من التقسيم السابق، مما يسمح باختلاط اللغات والأجيال، مما أدى في بعض الأحيان إلى تقابلات مفاجئة.

سوهيني باساك: أنجزتم جوانب شتى من عملكم خلال سنوات الوباء، فبالإضافة إلى ما جلبه كوفيد-١٩ من تحديات للمجتمع والأفراد، إلا أن سريلانكا شهدت انتفاضة عامة وضخمة ضد الحكومة خلال فترة من الاضطرابات الاقتصادية الكبرى. كيف أثرت مثل هذه الأحداث الوطنية أو عطلت من عملية إعداد مختاراتكم؟

شاش تريفيت: من المضحك أننا لم نلتق شخصيًا بفيديان بعد؛ بسبب الوباء ولوجوده في أمريكا! بالطبع مثّل كوفيد تحديًا بطرق أخرى أيضًا. لقد صَعُب الحصول على الكتب أثناء الوباء؛ فقد اعتمدنا فيما سبق على وصول فيديان إلى الكتب عبر الاستعارة من مكتبات هارفارد، إلا أن هذا النظام عُلق للأسف أثناء عمليات الإغلاق المختلفة. وقد أدى هذا إلى توقف مؤقت في قراءتنا عدة مرات. كما تعطلت الخدمة البريدية في سريلانكا خلال هذه الفترة؛ فلم تتح طريقة للحصول على الكتب عبر المراسلة؛ مما شكل قيدًا قويًا لأن نصوص عدة خارج البلاد لم تتح لنا. ومع ذلك فتح الوباء-أيضًا- طرقًا جديدة للتفاعل مع الناس؛ حيث بدا العالم مكانًا أصغر بطريقة ما، خاصة مع تغييرنا جميعًا للطريقة التي نعمل بها سويًا؛ إذ بات معتادًا إجراء محادثات مع شعراء أو مترجمين من الجانب الآخر من العالم أثناء احتساء فنجان الشاي الصباحي.

لاحت إحدى أكبر الصعوبات التي واجهتنا في كثير من الأحيان في صمت أو شك شعراء ومترجمون شتى بعدما تواصلنا معهم. لقد رغبنا في تضمين عدة شعراء في الكتاب لكننا لم نتمكن من ذلك لأنهم لم يستجيبوا لطلباتنا فلم نحصل على موافقاتهم. كما توقفت عدة طلبات لترجمة الشعر إما لأن صاحب حقوق الملكية الفكرية لم يستجب لرسائل البريد الإلكتروني المتكررة أو لأن الذين وعدونا بالمساعدة خذلونا. ومع ذلك فقد حدث عكس ذلك أيضًا، حيث لاح بعض الأشخاص في غاية السخاء فلم يبخلوا بوقتهم علينا، وكانوا حلقة وصل بيننا وشعراء أكبر سنًا ممن لم يتح التواصل معهم عبر البريد الإلكتروني أو وسائل التواصل الاجتماعي، كما زودونا بمسح ضوئي لقصائد من كتب نفدت طباعتها منذ فترة طويلة، أو فتحوا الأبواب بشكل عام حتى نتمكن من مواصلة العمل على هذا الكتاب.



ومع حلول الوقت الذي بدأت فيه الاحتجاجات ضد الفساد الحكومي والخراب الاقتصادي في كولومبو في عام ٢٠٢٢م كنا قد انتهينا من جمع قصائدنا؛ فكان الكتاب على وشك الاكتمال. واتخذنا قرارًا بعدم تضمين أي قصائد مكتوبة أثناء النضال، كما أوردنا في مقدمتنا: «إنّ القصائد المنشورة على الصفحات الشخصية أو صفحة الانترنت مباشرة بعد الحدث النضالي ليست قصائد جيدة عادةً (وتتطلب وقتًا للتأمل)».

سوهيني باساك: سيني وشاش، هل تفاجأتما من بعض قصائد الشعر أو مقطوعاته أثناء بحثكما عن ترجمات للأعمال السنهالية والتاميلية؟

سيني سينيفيراتني: إن أشد ما أذهلني أثناء العمل على هذا الكتاب هو شعوري بالخسارة لعدم إتقاني للغة الأم لوالدي وبالتالي عدم قدرتي على الإسهام في ترجمة القصائد المكتوبة باللغة السنهالية.

أما فيما يتعلق بالترجمات التاميلية فقد كنا محظوظين لأننا تمكنا من الاعتماد-عند الضرورة- على مهارات الترجمة الممتازة لشاش. ولقد ساعدها تواصلها مع مجتمع المترجمين بشكل كبير؛ وبالتالي حصلت على ترجمات جيدة من السنهالية. وكما ذكرنا في المقدمة: «نأمل أن يغدو الالتزام بترجمة الشعر التاميلي والسنهالي أولوية في البلاد في المستقبل، مع تقديم التمويل والتوجيه والمساعدة التحريرية لجيل جديد من المترجمين. وبناءً على عمل شيلفا كاناجاناياكام ولاكشمي هولمستروم ورانجيني أوبييسكيري ولاكشمي دي سيلفا (على سبيل المثال لا الحصر)؛ فإنهم سيتمكنون من الحفاظ على قصائد الماضي الشاهدة على نوائب العصر».

سوهيني باساك: ذكرتِ في المقدمة أنه «لم يظهر تهجين متبادل» عندما تطورت الثقافتان الشعريتان بالتوازي بعد الاستقلال؛ فهل تقولين-مع ظهور الإنترنت- بوجود تفاعل حالي بين أشعار هاتين اللغتين؟

شاش تريفيت: نعم. فمن المؤكد أن الجيل الأصغر من الشعراء يتجاوزون الفجوة اللغوية، وغالبًا ما يتعاونون أو يترجم كل فريق أعمال الآخر. إنه لأمر رائع أن نلاحظ ذلك. لقد اعتدنا هذه الأيام مشاهدة إلقاء شعراء تاميل وشعراء سنهاليين لأعمالهم جنبًا إلى جنب في محافل إطلاق الأعمال أو الإلقاء الشعري.

كانت الترجمات التي واجهناها مزيجًا مختلطًا حقًا. يحتاج المترجمون-بل تحتاج الترجمة نفسها- إلى إعادة صياغة شاملة في سريلانكا. ويجب الاعتراف بفن الترجمة بوصفه عملاً إبداعيًا يقوم به المترجم، مع منحهم سلطة اتخاذ القرار في ترجماتهم.

سوهيني باساك: فيديان، إذا كان بإمكاني توجيه السؤال نفسه إليك: مع استمرار ظهور الشعر باللغة الإنجليزية من البلاد وشتاتها، فهل لاحظت أنماطًا من الاستيعاب أو المقاومة للشعر التاميلي والسنهالي؟ وكيف يتطور الشعر الإنجليزي السريلانكي على خلفية الشعر الأنجلو أمريكي؟

فيديان رافينثيران: إن الشاعر السريلانكي وشاعر الشتات الذي يختار الكتابة باللغة الإنجليزية لا يفعل ذلك (على الأقل الوارد ذكرهم في



الكتاب) بدافع من كراهية الذات، أو الشوق إلى أن يكون المستعمر، أو التوق إلى أن يبدو من أصحاب البشرة البيضاء. وبمعنى ما فقد نشأ الشعر الإنجليزي التقليدي في المستعمرات؛ وهو مجموعة من النصوص النموذجية التي تعطي صوتًا لما كان يسمى ذات يوم بالطبيعة البشرية العالمية. وتلاحظ غوري فيسواناثان أنه «في وقت مبكر يعود إلى عشرينيات القرن التاسع عشر، عندما كان المنهج الكلاسيكي لا يزال يحكم إنجلترا [...] اعتبرت دراسة اللغة الإنجليزية دراسة للثقافة لا مجرد دراسة للغة، وقد وجدت بالفعل ملاذًا في المنهج البريطاني الهندي». لقد حاز السريلانكيون كافة الأسباب التي تشعرهم بالغربة بسبب النصوص الإنجليزية التي فرضت عليهم؛ لكن بعضهم شعروا بأن اللغة وآدابها ليست شيئًا يحتاجون إلى الاستيلاء عليه أو استعادته؛ بل إنها إرث ممتد.

وفي وقت لاحق في القرن العشرين حدث تحول في منتصف القرن شمل كيفية فهم هذه الأمور. ففي عام ١٩٥٤م–قبل عامين من إعلان قانون اللغة السنهالية لغة رسمية وحيدة للبلاد، وقبل أن يشن البلطجية حملة على اللافتات التي تحمل علامات التاميل أو الإنجليزية– زعم جودفري جونيليك أنّ اللغة الإنجليزية السريلانكية (المشتقة والمشوهة) لا تصلح للأدب: فـ«جزء كبير من تصوراتنا ... ومواقفنا في علاقتنا مع البشر



الآخرين لا تجد حيزًا فطريًا في اللغة الإنجليزية التي نتحدث بها». ومع ذلك فقد أعلن عن جمهورية سريلانكا ـ التي لم تعد سيلان ـ في عام ١٩٧٢م. ثم حلت فترة من الزمن كتب راجيفا ويجيسينها عنها قائلًا: «لقد لاقت الكتابة باللغة الإنجليزية احترامًا مرة أخرى في سريلانكا، بعد الازدراء في العقدين السابقين الذي بدا وكأنه نتيجة طبيعية لتحقيق الاستقلال». لقد دفعت هذه الروح جاميني سالجادو للكتابة. فكان سالجادو أول أستاذ دكتور للأدب في إنجلترا ملون البشرة في جامعة اكسيتر. وقد تمكن من الكتابة عن اكتشافاته بينما كان طفلا؛ حيث وجد في أعمال شكسبير نباتات وحيوانات غريبة عما عهدها في شواطئه، لكنه لم يشعر



بالغربة: «فقد تكون الزنبقة التي نمت في العقل مِثال نباتي لا يمكن التعرف عليه، لكنها نموذج حقيقي لنبات أو زهرة نور».

سوهيني باساك: ما إن قرأت القصائد المضمنة في الكتاب، حتى فكرت فيما كتبتموه في المقدمة: «تمثل هذه المختارات تداخلاً مع مجال حقوق الإنسان، وسجالاً يطرحه بلد مصاب بفقدان الذاكرة، حيث إنكار ماضيه. إنها قضية توثيق!». وتغدو شخصية الشاعر مثيرة للاهتمام في هذا الصدد. إنكم تكتبون عن الشعراء في المنفى، والشعراء الغائبين ممن لم يُضَمَّنوا في المختارات. لقد كتبتم كيف أن الغالبية العظمى من الشعراء في سريلانكا كانوا «مصورين، وموظفين حكوميين، وروائيين، وصحفيين» ثم توجب عليهم أن يصيروا شعراء حتى يُنصت إليهم. فما أحلامكم للشاعر المستقبلي في سريلانكا؟ ومن الشعراء المعاصرين الذين يجب على العالم - بمن فيه من ناشرين يقرؤون هذه العمل - أن ينتبهوا إليهم؟

سيني سينيفيراتني: بالنسبة لي فإن هذه المختارات رائدة باعتبارها تتداخل مع مجال حقوق الإنسان

بتوثيق الأمور وكسر الصمت «حتى لا يتمكن العالم مرة أخرى من القول إنه لم يكن يعرف». إنها تعلن حق الشعراء في التحدث والكتابة عن شتى الموضوعات. وآمل أن نستطيع إقامة روابط تلملم الانقسامات التي فرضت علينا عبر إنشاء ما تحدث عنه فيديان في رسالة بريد إلكتروني مبكرة وأطلق عليه اسم «تحالف الشعراء السريلانكيين».

شاش تريفيت: لقد نفدت طبعات شعراء كثر الآن، فكم من الرائع أن نرى أعمالهم متداولة مرة أخرى. تتجلى ألفريدا دي سيلفا المتوفاة عام ٢٠٠١م، كإحدى الأمثلة على هذا الموضوع، وقد كان إبداعها ممتعًا. كذلك فإن أحد شعرائي التاميليين المفضلين، وهو براميل (الذي توفي في تسعينيات القرن العشرين) لم تنشر أعماله في مجلد مترجم مستقل. إنني مغرمة بالشعراء الشباب تحديدًا ممن استجابوا لدعوتنا، ولم نكن لنلتقي بهم لولا ذلك الحدث. إنهم شعراء يكتبون باللغة الإنجليزية في سريلانكا مثل ميغان داكشيني، ومادري كالوغالا، وسامود بورواغاماج (الذي فاز للتو بعقد نشر مع دار نشر بيرنسايد ريفيو في الولايات المتحدة). وأيضًا الشاعر التاميلي الشاب كاسرو، الذي ترجمت نيدرا رودريجو شعره ترجمة بديعة صدرت ضمن مختاراتنا. ويجب-أيضًا- قراءة شعر شارانيا مانيفانان على نطاق أوسع، وهي كاتبة قصصية معروفة تعيش في الهند. وفي بريطانيا؛ سعدنا باكتشاف س. نيروشيني، ونيثا كوناراتنام (التي نشرت في دار بلو ديود للنشر مجموعتها الثانية، كوك/آسيوية)، وكذلك راميا جيجاثيسان.

إننا ندرك تمامًا كل ما لم نستطع فعله مع هذه المختارات، ونأمل أن يكون هذا الكتاب مجرد نقطة انطلاق يمكن من خلالها استكشاف الشعر السريلانكي وانتشاره بين القراء. أحب أن أسجل ملاحظات بإصدار طبعة ثانية (!)، لكنني آمل-أيضًا- أن نكون قد بدأنا عملية الانخراط في شعر سريلانكا التي سيبني عليها آخرون وسيطورونها.



ولد فيديان رافينثيران في ليدز لأبوين تاميليين سريلانكيين، ومن أشهر أعماله (إلى مولاني – زهرة الوجود ذات المليون بتلة). رشحت أعماله لعدد من الجوائز الهامة. تولى عدة مناصب في كامبريدج ودورهام وبرمنجهام، ثم عمل مدرسًا في جامعة هارفارد.



سيني سينفيراتني كاتبة من أصول إنجليزية وسريلانكية، ومن مؤلفاتها (القرفة البرية وبشرة الشتاء، ٢٠٠٧م – قلبها، ٢٠١٢م- الجندي المجهول ٢٠١٩م). نشر عملها الأخير بتوصية من جمعية كتب الشعر، واختير ضمن مختارات اليوم الوطني للشعر، وحظي بإشادة كبيرة في جوائز Forward Poetry لعام ٢٠٢٠م. تعيش سينفيراتني في ديربيشاير ببريطانيا.



شاش ريفيت شاعرة تاميلية من سريلانكا ومترجمة للشعر التاميلي إلى الإنجليزية. هربت من الحرب الأهلية وجاءت إلى بريطانيا. نشرت كتابها من أرض مستعارة عام ٢٠٢١م. شاركت شاش في لجان تحكيم الجوائز الترجمةPEN ، كما شاركت في معرض لندن للكتاب وعملت مترجمة في المركز الوطني للكتابة. مارست شاش النقد، ومراجعات الكتب في عدة منصات، كما أنها عضو مجلس إدارة في مؤسسة ترجمة الشعر الحديث. تعيش شاش في يورك ببريطانيا.

مصدر المقال

a-persisting-inheritance-interview-sohini-basak-seni-/07-2023/https://wordswithoutborders.org/read/article
/seneviratne-shash-trevett-vidyan-ravinthiran



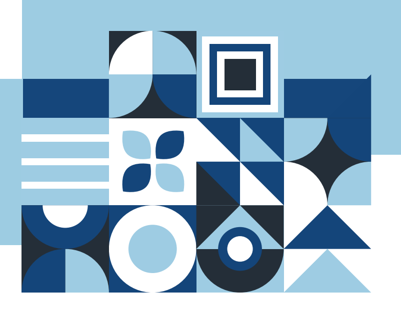


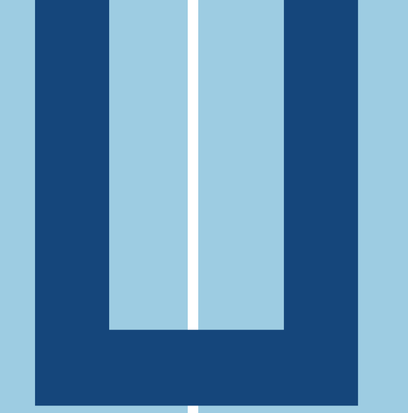


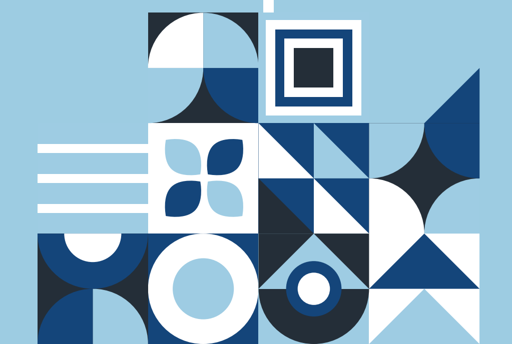
04

فسيفساء

فسيفساء









د. فارس الرحاوي

كاتب عراقي

المهـــارات الإبـــداعية اللغـــوية وأثرها في ثقافة التنمية المستدامة

مقدمة

يكتسب مفهوم التنمية في العصر الحديث اهتمامًا كبيرًا؛ فقد اهتمت به الدول المتقدمة بوصفه معادلاً موضوعيًا ومرتكزًا علميًا أساسيًا للتقدم وضمان المستقبل الإنساني. ولأهميته في وضع أي تخطيط استراتيجي للتقدم الإنمائي والبشري، ولما يترتب على تفعيل هذا المصطلح من النتائج والآثار الإيجابية في كل مجالات الحياة، وتأثيره الحساس والمباشر في حياة الأفراد والمجتمع على وجه عام، لذلك وُضعت الخطط الاستراتيجية المدروسة في سبيل تحقيق أنواع لا حصر لها في التنمية المختلفة، ولعل هذا ما جعل خطط التنمية أن تكون متواصلة ومستمرة مما جعل هذا المصطلح أن يأخذ مداه الأوسع في (التنمية المستدامة).

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها محاولة لتوضيح وتأكيد فعالية اللغة العربية ودورها في تفعيل المهارات

التنموية الإبداعية المعرفية، وإمكان توسيع القدرات والمهارات البشرية في بناء تنمية بشرية مستدامة حقيقية من خلال فعل اللغة نفسها، إذ ليس من شك أن دراسة التنمية البشرية المستدامة اكتسبت أهميتها الكبيرة من خلال النتائج الإيجابية التي تحققت من خلالها على الصعيد العالمي، بعد أن أصدر برنامج الامم المتحدة الإنمائي تقريره الأول حول أهمية التنمية البشرية في العالم عام ١٩٩٠م. فاكتسب مفهوم التنمية البشرية اهتمامًا خاصًا ومتزايدًا منذ ذلك العام، حيث قام البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بتكوين فريق من الخبراء للبحث في مفهوم التنمية البشرية وتقديم تقرير سنوي عنهُ، داعيًا بذلك إلى مراعاة الجوانب الحياتية الخاصة بالبشر عند تطبيق السياسات الاقتصادية الكلية، لاسيما بعد ما أصبحت السياسات الاقتصادية الليبرالية الداعية إلى تبني اقتصاد السوق موضع التطبيق، وما رافقها من آثار اجتماعية وإنسانية بالغة الخطورة.

كما أن إيجاد مقاييس متنوعة بحسب جوانب الحياة البشرية، أعطت بوضوح مدى تقدم المجتمعات في مجال التنمية البشرية، ومنها موضوعة التمكين وتوسيع القدرات البشرية، لما لها من أهمية في إيجاد تنمية بشرية حقيقية، لا سيما بعد حصول الانفجار المعلوماتي الذي أخذ بالاتساع مع نهاية القرن العشرين وظهور تطبيقاته المختلفة، في شبكة الانترنت وثورة المعلومات، وتغير مفهوم الإنتاج لصالح الإنتاج المعرفي التكنولوجي، وفي سهولة الوصول إلى المعلومات والمعارف، وفي تطوير الصناعات التقليدية وزيادة فعاليتها وإنتاجيتها، وفي تحديث العلوم والأبحاث وتطبيقاتها في مختلف مجالات الحياة.

قسمنا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث: يتناول الأول مفهوم التنمية المستدامة من التعريف إلى التطبيق. والثاني فعالية التنمية اللغوية المستدامة وأثرها في المهارات الإبداعية. والثالث الأثر المجتمعي في صناعة وإنتاج المهارات اللغوية وعلاقتها بالتنمية البشرية المستدامة.

مفهوم التنمية المستدامة من التعريف إلى التطبيق

عرف مصطلح «التنمية المستدامة» لأول مرة من خلال منشور أصدره الاتحاد الدولي من أجل حماية البيئة ١٩٨٠م. بيد أن تداوله على نطاق واسع لم يحصل إلا بعد أن أُعِيد استخدامه في تقرير مستقبلنا المشترك المعروف باسم تقرير برونتلاند، والذي صدر ١٩٨٧م عن اللجنة العالمية للبيئة والتنمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، تحت إشراف رئيسة وزراء النرويج آنذاك غرو هارلم برونتلاند.



وقد عرّف التقرير التنمية المستدامة بأنها «التنمية التي تستجيب لحاجيات الحاضر دون أن تُعرِّض للخطر قدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها» (١).

ويركز هذا التعريف ضمنيًا كما وصفته القنوات الإعلامية حينها على فكرتين محوريتين هما: « فكرة الحاجيات، وخصوصًا الحاجيات الأساسية للفئات الاجتماعية الأكثر فقرًا التي تستحق أن تُولَى أهمية كبرى؛ وفكرة محدودية قدرة البيئة على الاستجابة للحاجيات الحالية والمستقبلية للبشرية، في ظل أنماط الإنتاج والاستهلاك السائدة والتقنيات المتوفرة» (٢).

ولأهمية هذا الموضوع يترتب علينا وعي مفهوم التنمية بوصفها اللغوي والاصطلاحي؛ إذ عرف اللغويون أنّ أصل كلمة (التنمية) من الفعل «نمى، والنماء: الزيادة. ونمى ينمو نميًا ونماء: زاد وكثر. وربما قالوا ينمو نموًا. المحكم: قال أبو عبيد قال الكسائي: ولم أسمع ينمو، بالواو، إلا من أخوين من بني سليم، قال: ثم سألت عنه جماعة بني سليم فلم يعرفوه بالواو، قال ابن سيده: هذا قول أبي عبيد، وأما يعقوب فقال: ينمي وينمو، فسوى بينهما»

« قال الأصمعي: التنمية من قولك نميت الحديث أنميه تنمية بأن تبلغ هذا عن هذا على وجه الإفساد والنميمة، وهذه مذمومة والأولى محمودة، قال: والعرب تفرق بين نميت مخففًا وبين نميت مشددًا بما وصفت» (٣).

يتبين من ذلك أن لفظة (التنمية) في اللغة العربية مشتقة من كلمة (نَمى) أو(نمّى) بمعنى الزيادة والانتشار، أي مأخوذة من الفعل (نما ينمو نموًا) بمعنى الزيادة في الشيء، فيقال مثلاً نما المال نموًا. و(التنمية) هي اسم يأتي بمعنى الزيادة، والنماء، أو الكثرة، والوفرة، والمضاعفة في الشيء.

أما معنى (التنمية) اصطلاحًا كمفهوم حديث كثر استخدامه في أكثر من مجال، ثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، فقد اختلفت مفاهيم التنمية اصطلاحًا وفق ما يقصده أو يعنيه المتحدث ضمن اتجاه ومجال محدد ومقصود. ولكن الجامع في استخدام هذا المصطلح لا يتجاوز المعنى اللغوي الذي تعنيه كلمة التنمية. وتفعيل هذا المصطلح لا يمكن تحويله إلى تطبيق عملي في الحياة إلا من خلال السعي باتجاه البحث والدراسات التطويرية في مختلف مناحي الحياة. وبذلك يكون المقصود بما يسمى بالمصطلح الحديث المتداول بالتنمية المستدامة. وهي التنمية التي تسعى إلى استغلال واستثمار الموارد والطاقات البشرية والمادية المتاحة من خلال وسائل التقدم والتطور العلمي والتكلوجي على وجه أخص لتلبية حاجات المجتمع مع شرط مراعاة حق الأجيال القادمة في ضمان موارد وآليات تقدمها. وهذا ما أكدت عليه جميع الدراسات المتخصصة بالتنمية المستدامة.





ومن أجل الإحاطة بمفهوم التنمية المستدامة لابد من الوقوف على بعض التعاريف التي وردت فيه، فقد ذهب اهتمام الباحثين في دراسة هذا المصطلح بأبعاد فكرية متعددة الاتجاهات، ولعل من أهم هذه التعاريف ما جاء في بحث مشترك بعنوان التعليم من أجل التنمية المستدامة

تعريف وفاء أحمد عبدالله (١٩٨٣): «التنمية المستدامة هي مجموعة السياسات والإجراءات التي تتخذ للانتقال بالمجتمع إلى وضع أفضل باستخدام التكنولوجيا المناسبة للبيئة، لتحقيق التوازن بين بناء الموارد الطبيعية وهدم الإنسان لها، في ظل سياسة محلية وعالمية للمحافظة على هذا التوازن.»

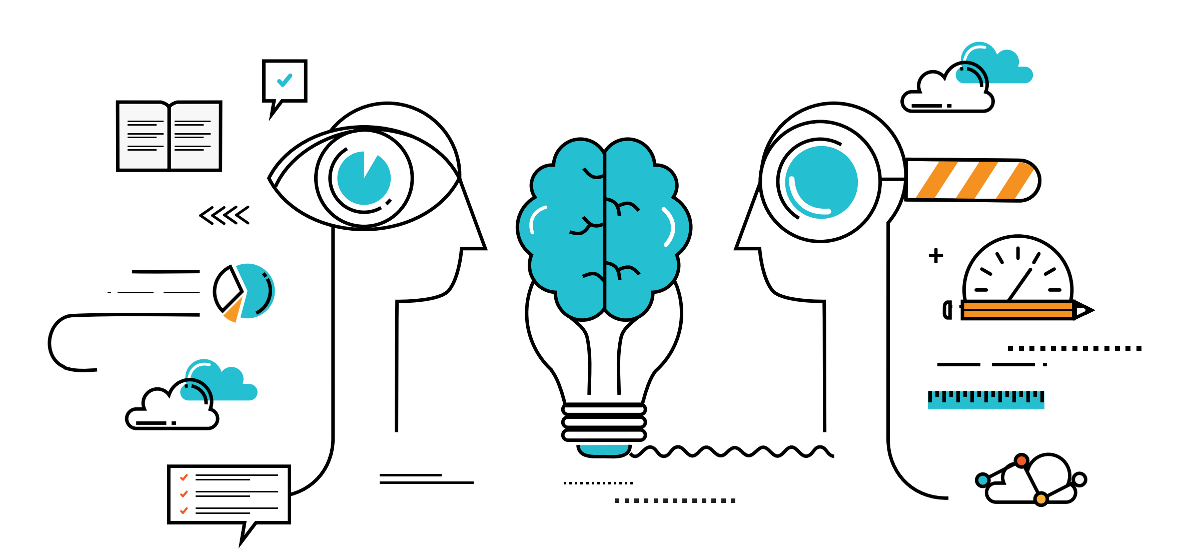
تعريف سحر قدري الرفاعي (٢٠٠٩): ا«لتنمية المستدامة هي تنمية تفاعلية حركية تأخذ على عاتقها تحقيق المؤاءمة بين أركانها الثلاث: البشر والموارد البيئية والتنمية الاقتصادية.»

تعريف ماهر أبو المعاطي (٢٠١٤): «التنمية المستدامة هي تنمية حقيقية مستمرة ومتواصلة هدفها وغايتها الإنسان.

(١) «١٩٩١- The United Nations World Commission on Environment and Development». مؤرشف من الأصل في ٢٠١٣-١١-٠٣. اطلع عليه بتاريخ أغسطس ٢٠٢٠.

(٢) www.aljazeera.ne

(٣) لسان العرب، ج١٤، مادة نمي.



وتؤكد على التوازن بين البيئة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بما يسهم في تنمية الموارد الطبيعية وتمكين وتنمية الموارد البشرية وإحداث تحولات في القاعدة الصناعية والتنمية على أساس علمي مخطط وفق إستراتيجية محددة لتلبية احتياجات الحاضر والمستقبل على أساس من المشاركة المجتمعية مع الإبقاء على الخصوصية الحضارية للمجتمعات.»

تعريف محمد كامل شرقاوي (٢٠١٤): «التنمية المستدامة هي العملية التي تهدف إلى تحقيق الحد الأعلى من الكفاءة الاقتصادية للنشاط الإنساني ضمن حدود ما هو متاح من الموارد المتجددة وقدرة الأنساق الحيوية الطبيعية على استيعابه والحرص على احتياجات الأجيال القادمة» (٤).

يبدو مما تقدم من تعاريف أن مفهوم التنمية المستدامة هو فعل إرادي مرتبط بحاجات المجتمع من منظور علاقة المؤسسة/الدولة أو المنظمات ذات الشأن فيما يتعلق من خطط سياسية واجتماعية واقتصادية ، ترمي جميعها إلى استمرارية التغيير بهدف التطوير والانتقال بالمجتمع من حالة إلى أخرى من خلال استغلال كل الطاقات والموارد البشرية والمادية وفق خطط ودراسات ومشاريع بناءة وبمشاركة المجتمع نفسه.

أما أشكال هذه التنمية فهي متعددة بتعدد الأهداف المخطط لها من قبل الدولة/المؤسسة. ولعل أول أشكالها والذي كان سببًا في الشروع بكل أنواع التنمية والذي كان الهدف الأول الذي انطلقت منه فكرة التنمية المستدامة فقد بدأت مشاريع التنمية بالتنمية الاقتصاديّة التي تهدف إلى تشجيع الأفراد على العمل، والإنتاج، والإخلاص في العمل النابع من الضمير الداخلي للشخص، والحرص على المصلحة العامة.

ومن أجل الشروع بالتخطيط الاستراتيجي لكل انواع التنميات وتحقيقها؛ فلا بد من وجود ما يعرف بالتنمية الإدارية، التي تقتضي استمرارية تطوير برامج العمل الإداري بمفهوم الإدارة القيادية الناجحة، وبما يخدم ويسهل على المجتمع إنجاز معاملاته، وتحقيق أكبر قدر من الإدارة الأنموذج.

أما النوع الآخر فهو ما يسمى بالتنمية الاجتماعيّة التي تسعى إلى تحقيق استقرار الوضع الاجتماعي للمجتمع بما يسهم في تشجيعه على المشاركة الفعالة في المناسبات الاجتماعية، ونشر روح العمل الجماعي المشترك فيما بينهم.

---

(٤) ينظر: التعليم من أجل التنمية المستدامة (بحث) مشترك (مجلة الخلدونية /www.asjp.cerist.dz): يونسي عيسى - جامعة زيان عاشور بالجفلة، عماري عائشة - المركز الجامعي بأفلو، ميطر عائشة - جامعة أبو القاسم سعدالله - الجزائر.

ولما كانت إدارة البلدان من خلال حكومات سياسية تقود البلاد ومؤسسات الدولة فلا بد أن يكون هناك ما يسمى بالتنمية السياسيّة التي تهدف إلى زيادة قدرة الأفراد على المشاركة في العملية السياسية، وصنع القرارات، والقدرة على الاختيار السليم.

إن تحقيق أي نوع من أنواع التنمية لابد أن يرافقه وعي ثقافي بها. ولعل هذا ما جعل التنمية الثقافيّة الفكريّة من الأولويات المهمة في نجاح مسارات التنمية، والتي تعتمد على توفير البرامج الثقافية والفكرية التي تسعى إلى رفع وتحسين ثقافة المجتمع وزيادة الوعي لديه، من خلال نشر التعليم ومحو الأمية وفتح قنوات التواصل الفكري والثقافي بين أفراد المجتمع. وهو محور بحثنا.

فعالية التنمية اللغوية المستدامة وأثرها في المهارات الإبداعية

مما لاشك فيه أن مساحة التنمية الفكرية الثقافية والعلمية وفضاءاتها تكاد أن تكون من أوسع المجالات التي يمكن للمجتمع أن يمارس فيها مختلف مواهبه الفكرية بشقيها العلمي والثقافي الإنساني. ومن هذه الممارسات ما يتعلق باللغة وفقهها وآدابها، حيث أن ارتباط اللغة بالمهارات الإبداعية يعتمد على مديات الوعي باللغة ووظائفها الفنية. وبما أن المتشكل اللغوي(النص) الإبداعي هو الوجه الجميل للغة؛ فإنه يعكس قدرات الناص ومهاراته وإمكاناته الإبداعية. وبذا تصبح المهارات الإبداعية اللغوية من أهم العوامل الجوهرية في نمو التفكير اللغوي؛ وهذا لا يقتصر على مدى الارتباط والعلاقة بين اللغة ونمو التفكير حصرًا؛ وإنما هناك علاقات امتداد بين استراتيجيات كل من اللغة والثقافة، مما يجعل اللغة ذاتها في تغيرات مستمرة، وبما يخدم تنمية المهارات الإبداعية تنمية مستدامة لا حدود لها من خلال تعدد الاستخدام والقراءات وانفتاحاتها على التأويل.



لقد أصبح المتشكل اللغوي بوصفه نصًا عالمًا يستقبل المتلقي على مدار الزمن ، نصًا مفتوحًا للقراءات الإبداعية. وذلك من خلال فهم جديد لعلم النص ذاته، حيث انتهى المفهوم القديم لعلم النص من تصريف المفردات، ونحو الجملة وتراكيبها، إلى نحو النص، فخاض في أعماق علوم اللغة كلها، وربط كل ذلك بالعلوم الأخرى؛ فلم يقف على علم يمكن الاستفادة منه ويقبل الانضمام إلا وضمه إليه. ويقوم هذا العلم على ربط أجزاء الكلام، والجمل والتراكيب - أعني- يقوم بعملية الربط الداخلي للنص، ثم ينتقل إلى ربط النص بالعالم الخارجي، سواء كان أعلامًا، أو علومًا أو نحو ذلك، متبعًا في سبيل تحقيق ذلك منهجه المتميز، متمكنًا من أدواته، متحملاً نتائج وتبعات التداخل المعرفي الذي ينعت به هذا العلم. هذا والترابط يتم باجتماع سبعة معايير هي: السبك والحبك والقصدية والمقبولية والإعلامية والموقعية والتناص. كما يتم بإرجاع العناصر الإحالية إلى العناصر الإشارية (٥).

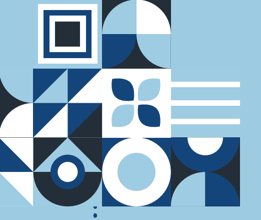
إن التنمية الابداعية اللغوية تسهم وبشكل كبير وفعال في التنمية الفكرية بما يجعل هذا النمط من التفكير إبداعيًا ومبتكرًا يفتح آفاقًا جديدة أخرى في عموم مجالات التفكير الإبداعي المعرفي إلى مديات استكشاف مجاهيل اللغة في تأدية معانيها. وهذا ما أثبتته الدراسات العلمية بأن التفوق في اللغة يرتبط بالتفوق في التحصيل في العلوم الأخرى - على سبيل المثال - لا الحصر.

لقد شكلت الدراسات اللغوية الحديثة مسارات جديدة في كيفية استعمال اللغة من خلال تناول أنظمتها الفاعلة في المهارات الإبداعية (صوريًا وصوتيًا وصرفيًا ونحويًا) بما ينقلها إلى مستويات عالية من التواصل الإنساني (٦)، وبما يحقق للفضاءات الإبداعية مجالات الاستكشافات المعرفية في كثير من الأحيان.

---

(٥) ينظر: التوحد الإبداعي في نحو النص - قصيدة «زحلة» لأمير الشعراء نموذجًا محمد خليفة محمود. مجلة الدراسات العربية، ع١٩، مج٤، ٢٠٠٩، ١٤. (بتصرف)

(٦) الابداعُ اللغويُّ ومكوناته عند الدكتور تمام حسان، قصي سمير عبيس العزاوي. (٢٠٢٠)، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع (ع/٥٠، مارس، ٢٠٢٠)، مجلة دولية محكمة تصدر من دولة الإمارات العربية المتحدة، ٤٩-٦٨.



لقد اهتم النقاد المحدثون بالنص من خلال صورته الكلية المتشكلة اهتمامًا كبيرًا؛ فهو نسيج من التشكيل اللغوي القابل للقراءات والكشف عما هو مخبوء. حيث أظهرت الدراسات الأسلوبية أن التشكيل اللغوي يمثل الركيزة الرئيسة في كشف اللثام عن النص، وأنه الأداة الرئيسة في الدراسة الأسلوبية. وقد وقف أحمد طاهر على ذلك في قوله « وهكذا تمثل التشكيلات اللغوية إحدى ظواهر التحليل التي لا ينبغي أن تغفل في التحليل الأسلوبي على وجه الخصوص» (٧). إن الوعي بفضاءات اللغة إنما هو وعي بوظائفها الفنية التي تحتم على المستخدم الفعال (المبدع) إدراك ما للغة من أدوات يمكنه من توظيفها بوصفها جملة من تلك الأدوات المتكاملة، التي تفضي إلى تشكيلات لغوية تفضي على النص الإبداعي وحدة وتكاملاً، فتتضح فيه العلاقة بين أجزاء النص، وحاجة كل جزء منه إلى الآخر (٨).

إن المتتبع للمهارات اللغوية والتغيرات التي جرت على اللغة ذاتها في الاستخدام يجد أن اللغة ومن خلال وظائفها الفنية وإمكان انفتاحها على كل من الناص/ المبدع والمتلقي قد أتاحت –وبشكل كبير– لمستعمليها في المجالات الإبداعية مستوى آخر من مستوياتها المتعددة وهو المستوى الإبداعي تبعًا للمديات الثقافية(للمبدع والمتلقي) كليهما، كما أتاحت لهما القدرة على اكتشاف أسرار اللغة، وماهية المهارات الإبداعية، من خلال إعادة تشكيل اللغة من حيث مفرداتها وتراكيبها بصورة متجددة، بما يثري القاموس العربي، ومستويات اللغة من صرف وصوت ونحو ودلالة بمعان جديدة وأساليب مبتكرة (٩).

الأثر المجتمعي في صناعة وإنتاج المهارات اللغوية وعلاقتها بالتنمية البشرية المستدامة

من الأمور البديهة أن المجتمعات بغض النظر عن هوياتها ومعتقداتها تمر بتغيرات مجتمعية في كل مظاهر مجالات حياتها دون توقف، وأن كل مرحلة زمنية لها خصوصياتها وسماتها السوسيولوجية والعلمية والثقافية. ومن هنا يكون مفهوم التنمية البشرية في كل مجالاتها صورة تعكس حالة المجتمعات من حيث الارتقاء أو الانحدار والتراجع أو السكون.

ولكي نتعرف على الفعاليات الثقافية المجتمعية، لا بد من فهم واضح لمفهوم البناء الاجتماعي، حيث تناوله العديد من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا، ومن منطلق التنوع الاجتماعي لدى الشعوب وتكوينها وطبيعتها الحياتية وفعالياتها المجتمعية والثقافية. نرى أن راد كليف براون (رائد ومؤسس علم الاجتماع والأنثروبولوجيا) عرف البناء الاجتماعي بأنه شبكة من العلاقات الاجتماعية الفعلية التي تقوم بين سائر الاشخاص في المجتمع (١٠).

أما ايفانز بريجاردس فقد عرفه بأنه « تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات والتي تتميز بدرجة عالية» (١١).

في حين عرفه رايمند فيرث بأنه «مجموعة العلاقات المنظمة التي تربط الأجزاء بالكل الذي تعمل فيه» وهذا يعني أن فيرث يؤكد على فهم البناء الاجتماعي على أساس دراسة العلاقات الواقعية المتحققة بالفعل في المجتمع مع ضرورة فهم العلاقات المثالية والعلاقات التي تتحكم فيها قواعد الضبط الاجتماعي، ويتحقق ذلك الفهم لطبيعة تلك العلاقات المثالية عن طريق دراسة السلوك المتوقع (١٢).

يتبين مما تقدم من تعاريف أن علماء الاجتماع والانثروبولوجيا يؤكدون على طبيعة العلاقات الاجتماعية في وحدة مجتمعية تعيش في مكان وزمان معينين، تجمعهما وحدة ثقافية تشكل صفة عامة

---

(٧) الأسلوبية العربية دراسة تطبيقية، أحمد طاهر حسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ٢٠٠٠، ١٩٣.

(٨) ينظر: التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص– دراسة تطبيقية زيد خليل القرالة ، ص ٢١٢. (مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السابع عشر، العدد الأول، ٢١١– ٢٣٩، ٢٠٠٩.

(٩) ينظر: الإبداعُ اللغويُّ ومكوناته عند الدكتور تمام حسان. ٤٩–٦٨. (مصدر سابق).

(١٠) ينظر: التكوين الاجتماعي والثقافي ودورهما في التنمية المستدامة، إيمان محمد الطائي، وحسن محمود الفلاحي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، ع١١، (http://www.novapdf.com) نقلاً عن: رادكلف براون، قباري محمد إسماعيل، منشأة المعارف للنشر، الاسكندرية، ١٩٧٧: ٢٤٤.

(١١) نفس المصدر السابق. نقلاً عن: الجبايش، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٠، ٥٤.

(١٢) نفس المصدر السابق.

لهم، وهذا يعني أن المجتمعات تختلف فيما بينها من مكان إلى آخر ومن زمن إلى آخر.

لقد شهدت المجتمعات (على مستوى الدول والحكومات) – وتحديدًا- من تسعينيات القرن الماضي نشاطات كبيرة ومتقدمة في التعامل مع ثورة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، بعد أن ثبت أن مجالاتها ستحدث تغييرًا في مفاهيم المجتمعات التي ترنو إلى مستقبل جديد على كافة الأصعدة. فظهرت مفاهيم جديدة مثل «مجتمع المعلومات»، و«مجتمع المعرفة» الذي ينبثق عنه مفهوم تنمية التفكير العلمي والثقافي المجتمعي.

مما لا شك فيه أن الثقافة بكل أنواعها ومجالاتها وفضاءاتها تعكس ثقافة الذات الفردية والمجتمعية، وهي صورة حقيقية لهوية المجتمعات في مختلف مراحل تطورها، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن تراث الشعوب هو الصورة الحية لهوية واقعهم، وما الآثار والفنون والكتابة إلا واحدة من ملامح هذه الهوية.

لذا يمكن القول أن للمهارات الإبداعية الثقافية أهمية كبيرة في حياة المجتمعات، وأنها في تزايد مستمر وملحوظ، ولعل ما يقوم به معهد غوته من نشاطات في هذا المجال، يعكس وبشكل ملفت مدى مساهماته، وذلك من خلال خدماته في استحداث هياكل تنظيمية وإنتاجية مستقلة ومستدامة في الصناعات الإبداعية، حيث تتيح المناهج والممارسات متعددة التخصصات الفرصة لإبراز المفهوم الموسع للثقافة الراسخ في



المؤسسة. من أجل تحقيق أهدافه في مجال الصناعات الثقافية والإبداعية (١٣).

لذا يمكن القول أن المهارات الإبداعية الثقافية أصبحت صناعات وابتكارات واسعة، ولعل سائلاً يسأل: كيف أصبحت المهارات الإبداعية اللغوية صناعة ...؟ فنقول – على سبيل المثال لا الحصر– أن لغة الإعلام وكل أنواع الفنون الإعلامية من إذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح أمست اليوم في عصر البراجميات والاتصالات والمعلومات صناعات احترافية لها معاهدها ومؤسساتها التنظيمية، وتبحث عن ربح مادي ومجتمعي، فصياغة الأخبار صناعة لغوية تتجاوز الوضع اللغوي المجتمعي السائد إلى وضع المنتج الذي يهدف إلى الكسب. وكذلك في لغة المسرح التي تعتمد على مساحة اللغة وإعلانها ومديات التأثير بالمستمع المشاهد، حتى أمسى الكثير من الجمل والعبارات (مثلًا) متداولاً على ألسنة الناس على مر العصور.

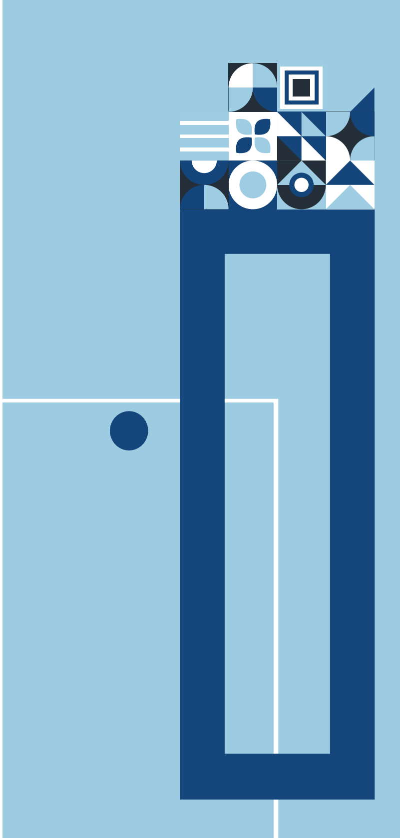
إن حصيلة القول إن تفعيل المهارات اللغوية هو نتاج مهارات ثقافية مجتمعية، استدعت البحث في تنمية هذه المهارات من قبل مؤسسات ومعاهد ووضع برامج علمية لتكون صناعة الخبر –مثلاً– مظهرًا من مظاهر الإنتاج.

إن الأداء اللغوي والتنمية المستدامة في عصر المعرفة أصبح فنًا مستدامًا يتجاوز حدود المعرفة السائدة للغة المتداولة بين عوام مستخدميها، كما يتجاوز ملامح الثقافة السائدة قبل عصر الاتصالات والمعلومات، وذلك لأنّ اللغة أصبحت سلعة ثقافية فيها معالم وخصوصيات الإنتاج، كما أصبحت الثقافة ذاتها عالمًا صناعيًا منتجًا بلا حدود.

(١٣) ينظر: الصناعات الثقافية والإبداعية وأبعادها التنموية، إيمان مرعي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. https://acpss.ahram.org.eg.







الزي الوطني العماني للرجال

إظهار الذوق الشخصي، تأكيد الهوية الوطنية

ترجمة حنان علي

شـهدت السـنوات الأخيـرة اهتمامًـا أكاديميًـا متزايـدًا بثقافة وتـراث منطقـة الخليـج العربـي؛ ممـا أدى إلـى الإسـهاب فيمـا يخصّ الأفكار المتعلقة بـ «الأمـة» و«المواطنـة» و«الهوية الوطنية». كمـا أسـهم نشـوء الـدول الحديثـة في المنطقـة ومـا لحقـه مـن اكتشـاف النفـط والثـروة في اسـتفاضة المناقشـات الأكاديميـة حـول العلاقـات الدوليـة والأمـن والسياسـة النفطيـة. خاصـة أنّ النجاحـات الاقتصاديـة الأخيـرة لفتـت الأنظـار لمـدن الخليـج المزدهـرة ومـا تحملـه مـن تحديـات محتملـة؛ كمـا خلقـت انتباهًـا دوليًـا إلـى الهجـرة المتزايـدة التـي غمـرت المنطقـة بالمغتـربين.

لعبـت المواضيـع الدوليـة والإقليميـة الخاصـة بسـلطنة عمـان (الواقعـة في الركـن الجنوبـي الشـرقي مـن شـبه الجزيـرة العربيـة، بمواجهـة بحـر العـرب والمحيـط الهنـدي) جنبًـا إلـى جنـب مـع الموقـع الجغـرافي والتاريـخ الطويـل للعلاقـات التجاريـة أدوارًا مهمـة في تحديـد كيفيـة تمايـز المواطنـين والمقيمـين العمانيـين عـن خطابـات الهويـة الوطنيـة لجيرانهـم الخليجيـين. هـذا يشـمل الإمبراطوريـة العمانيـة منـذ القـرن التاسـع عشـر، الممتـدة عبـر المحيـط الهنـدي مـن شـرق أفريقيـا إلـى جنـوب آسـيا، تاريـخ الإسـلام الإباضـي في البـلاد، ومؤخـرًا السياسـة الخارجيـة المتميـزة للدولـة، كمـا يشـير العمانيـون–أيضًـا– إلـى أهميـة الاسـتقلال عـن النفـوذ الاسـتعماري الغربـي الكبيـر وتوجيهـات السـلطان الحكيمـة كامتيـازات مشـروعة.

تعـد هـذه الورقـة بمثابـة مناقشـة تمهيديـة لتأكيـد رمـز الهويـة الوطنيـة وتجسـيدها في ملابـس الرجـال في العاصمـة العمانيـة مسـقط، خاصـة أن موضـوع اللبـاس وزينـة الجسـم، كثيـراً مـا يتـداول في المقـام الأول؛ ضمـن سـياق إظهـار هويـة تراثيـة ثقافيـة متميـزة في الأدبيـات المتعلقـة بالملابـس النسـائية. ومـع ذلـك فـإن السـياقات الاجتماعيـة والتاريخيـة و«الحيـاة الاجتماعيـة» لـ



«الملابس كثقافة مادية» في جنوب شرق الجزيرة العربية لم يطرح إلا فيما ندر في المنشورات الصادرة باللغة الإنجليزية.

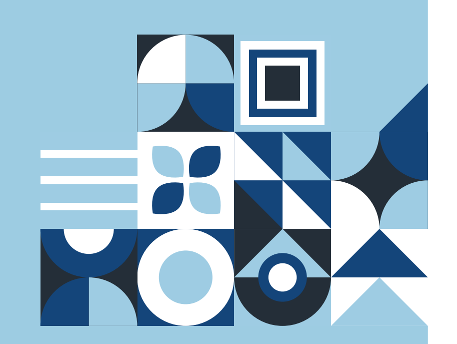
وبالنظر إلى أنماط اتجاهات الموضة المتغيرة في جميع أنحاء الشرق الأوسط في القرن العشرين، نجد أن ملابس الرجال والنساء تطورت بطرق متباينة، وتدعي المؤلفتان يديدا كالفون ستيلمان ونورمان أ. ستيلمان في كتابهما اللباس العربي: تاريخ قصير: من فجر الإسلام إلى العصر الحديث أنه مع تزايد شعبية الأزياء الأوروبية الأمريكية، خصص اللباس «التقليدي» للاحتفالات والمناسبات الرسمية، حيث تخلى الرجال عن ملابسهم التقليدية بسرعة أكبر من النساء. لكن لا يبدو هذا الادعاء صحيحًا في السياق الخاص بشبه الجزيرة العربية. ففي عُمان يشكل الحفاظ على اللباس «التقليدي» للرجال وابتكار اتجاهات «حديثة» في لباس المرأة تحديًا لمفهوم المرأة كممثلة مرئية للأمة. ونظرًا لتناسق اللباس الوطني للرجال وابتكاراته مع أنماط اللباس الإقليمي التقليدي للمرأة والأزياء الحديثة، يقدم الرجال العمانيين كممثلين للأمة.

ستوضح هذه الورقة الدور الاجتماعي العام للرجال وسبل تصويره، كذلك الاستمرارية النسبية لعناصر وأنماط لباسهم على مدى القرن الماضي، والتي تمثل وسائل توريث الهوية العمانية والحفاظ عليها من خلال الخط الذكوري. وبالرغم من الافتقار لفئة لباس إسلامي محدد، إلا أن الدين أساس آخر يحدد وفقه اللباس الشخصية والهوية. فهو يسهم في «نظام لباس» فريد من نوعه في جميع أنحاء العالم العربي، حيث تعتبر الملابس مجمعًا ثقافيًا يلعب فيه الدين دورًا، صحيح أن العمانيين واعين للتأثيرات الإسلامية المنصبة على الإملاءات الثقافية فيما يتعلق بالاحتشام والنظافة وإدارة الانطباع، مع ذلك لا يعتبر الدين العامل الوحيد في الاختيارات الفردية للملابس المناسبة.

إنّ تمايز الزي العماني الوطني يبدو بجلاء بالمقارنة مع الجيران الخليجيين. فعادات الرجل في اللباس – أي تطوره في أنماط الاستهلاك والأذواق الشخصية، فضلًا عن توقعاته وأفعاله – توفر نظرة ثاقبة لفكرة الهوية العمانية، وهذا ما عرضه بروس إنغام في كتابه لغات اللباس في الشرق الأوسط، من خلال مقدمة سليمة للعديد من العناصر المشتركة لملابس الرجال والزينة الشخصية في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، بما في ذلك الأثواب الطويلة حتى الكاحلين، والملابس الداخلية المناسبة، إضافة إلى أغطية الرأس، والإكسسوارات الإضافية التي ترتدى في المناسبات الاحتفالية.

تُعرّف عناصر اللباس عن مرتديها بأنهم يتشاركون الهوية العربية، كما توضح من خلال تفاصيل الحياكة والتطريز، كيف تميّز كل دولة خليجية نفسها عن جيرانها. وفي عمان يتكون الزي الوطني للرجال من ثوب طويل (دشداشة) ذات عنق مستدير وإزار داخلي، أما لباس الرأس فهو العمامة أو(ما يسمى المصر) ذات الألوان المتعددة. والكُمّة وهي طاقية مطرزة باليد بأشكال وزخارف جميلة. تكشف تفاصيل اللون والقطع والزخرفة وطريقة ارتداء هذه القطع عن تراث وثقافة الشعب العماني، إضافة إلى العلاقات التاريخية مع شرق إفريقيا وشبه القارة الهندية.







عمان والخليج والمحيط الهندي

تتميز سلطنة عُمان بموقع استراتيجي يمكنها من الوصول إلى أهم ممرات النقل البحري على مستوى العالم وبذلك تتمتع بسهولة الوصول والربط مع دول الخليج العربي وأفريقيا وشبه القارة الهندية. ظلت عمان المستقلة عن الحكم الأجنبي منذ عام ١٦٥٠م، باستثناء فترات احتلال قصيرة من قبل الفرس والبرتغاليين، مدركة أهمية تنوعها الثقافي والعرقي – نتيجة لتاريخها العالمي – فيما تعمل في الوقت نفسه على الترويج لفكرة المواطنة العمانية المتجانسة والموحدة. وبالرغم من أن الاختلافات العرقية والثقافية في مجتمع اليوم متعلقة بالبنيات الاجتماعية أكثر من الاختلافات المتأصلة. إلا أن النظام الأساسي للدولة العمانية قائم على تعزيز المساواة بين جميع المواطنين بغض النظر عن «الجنس، أو الأصل، أو اللون، أو اللغة، أو الدين، أو الطائفة، أو الموطن، أو الوضع الاجتماعي».

وفي عهد السلطان (في الجرائد الرسمية سمي بالسيد) سعيد بن سلطان (حكم من ١٨٠٦م إلى ١٨٥٦م)، وصلت سلطنة مسقط وعمان إلى ذروتها كإمبراطورية تجارية عالمية، وحافظت على روابط تجارية عمرها قرون مع شبه القارة الهندية وشرق أفريقيا. وفي عام ١٨٣٢م نقل السلطان سعيد بلاطه إلى زنجبار الغنية بالموارد، وشجع العمانيين على الاستقرار هناك؛ مما أدى إلى إنشاء نخبة عربية جديدة على ساحل شرق إفريقيا. وعلى الرغم من أن أبناءه قاموا في نهاية المطاف بتقسيم الإمبراطورية بين زنجبار ومسقط، إلا أن روابط الهجرة بين الموقعين استمرت حتى حلول القرن العشرين، حيث غادر العديد من العمانيين البلاد بسبب الصعوبات الاقتصادية، ليرجع عدد منهم بعد الحركات القومية الأفريقية إبان الستينيات، وفي عام ١٩٦٤ وحدت جزيرة زنجبار مع البر الرئيسي تنزانيا. ولا تزال روابط عُمان في جنوب آسيا قوية مع الساحل الغربي للهند والسواحل الجنوبية لإيران وباكستان المعاصرتين.

العلاقات العابرة للحدود الوطنية والاتجاهات القومية

ما انفكت هذه العلاقات في المحيط الهندي جزءًا لا يتجزأ من التاريخ الاجتماعي لجيران عمان. إذ ازداد نشاط التجار العابرين للحدود من أصول عربية أو فارسية أو هندية واستقروا في المدن الساحلية في جميع أنحاء منطقة الخليج لعدة قرون. ولم يعترف بالأصل الإقليمي أو العرقي للشخص كعلامة مهمة على الهوية إلا في النصف الأخير من القرن العشرين. وبتأثير النفوذ الغربي المتزايد الناجم عن صناعة النفط وبقايا التاج البريطاني، إلى جانب التهديد المتصور للحرب الإيرانية العراقية، شهدت أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات إعادة توجيه ثقافي على مستوى المنطقة إضافة إلى إعادة

تأكيد وحدة الهوية الخليجية، والتي سلط الضوء عليها إنشاء مجلس التعاون الخليجي عام ١٩٨١م. ليصبح التمييز بين المواطن وغير المواطن ذا أهمية قصوى في السنوات التالية، مما أدى إلى خلق مجتمع من المواطنين المميزين الذين يرتبطون ببعضهم البعض بالتضامن الوطني.

جمع جلالة السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور طيب الله ثراه، بين الاستمرارية التاريخية والعلاقات الثقافية عبر المحيط الهندي للمساعدة في إنشاء سردية وطنية عمانية، والتي تعتمد على المفهوم الحديث لمواطنين متحدين بغض النظر عن الخلفية العرقية. وما لبث اسم جلالته يزين الطرق الرئيسية والموانئ والمستشفيات والمساجد والمدارس ومراكز التسوق والوزارات الحكومية والمنازل كتذكير دائم بإيديولوجية عصر النهضة عام ١٩٧٠م التي يجسدها ويمثلها.

كذلك تلعب وزارة الثقافة والرياضة والشباب جنبًا إلى جنبٍ مع وزارة التراث والسياحة أدوارًا رائدة في تعزيز أصالة الثقافة والهوية العمانية من خلال تفعيل أنشطة الحفاظ على التراث، كمثل إنشاء المتحف الوطني بمرسوم سلطاني ليمسي ذا شخصية اعتبارية؛ بما يتوافق والتجارب والمعايير العالمية المتعارف عليها في تصنيف المتاحف العريقة.



أما رموز التراث المحلي فلا تزال تزهو بالساحات ومداخل المدن والمناطق الرئيسية، ما يحدد النظر إلى الأمة على أنها مزيج من الثقافات الجغرافية المختلفة، واحتضان للتنوع.

دور اللباس

يمتد مشروع التأميم المستمر في سلطنة عمان إلى المستوى الفردي، حيث يتجلى في الزي الوطني المعاصر للرجال والمشتمل على العناصر الأساسية المتمثلة بالدشداشة وغطاء الرأس (المصر والكمّة بأشكالها المختلفة) كجزء لا يتجزأ من المشروع المستمر للحفاظ على التراث الثقافي وبناء الهوية الوطنية العمانية.

في المناسبات الأكثر رسمية (خارج مكان العمل وأثناء



التفاعلات الاجتماعية اليومية) يتزين الرجال بالخنجر العماني المطرز والمصنوع من الفضة الخالصة ومواد أخرى، وأحيانًا يلف الشال حول الوسط فوق حزام الخنجر وهو من نوع ولون العمامة نفسه، ويكتمل الزي بلبس البشت فوق الدشداشة وهو عباءة رجالية مطرزة الأكمام والأطراف.

يُلزم الرجال العاملين في القطاع العام بارتداء الدشداشة البيضاء؛ كما يمكن للعاملين في القطاع الخاص اختيار ارتداء اللون الأبيض أو الألوان المحايدة الأخرى، وفي مناسبات مختلفة يمكن اختيار الألوان الأكثر جرأة، مثل النيلي أو الأخضر الداكن، وكذلك ألوان الباستيل.

تكون الدشداشة ذات عنق مستدير يحيط بها شريط رفيع قد يختلف لونه عن لونها، وتتدلى على الصدر (الفروخة أو الكركوشة) التي عادة ما تضمَّخُ بالعطور والبخور. أما الإزار العماني فهو نوع من أنواع اللباس الداخلي الأساسية للرجل، ويكون شكل الإزار مستطيلاً في كل الاحجام، وينسج تقليديًا على النول، وعادة ما يكون أبيض أو كريمي اللون، مع حافة مزخرفة.

أما لباس الرأس عند العمانيين فيشتمل على الكمّة؛ الطاقية المطرزة باليد بأشكال وزخارف جميلة، وغالبًا ما ترتدى بمفردها أو تحت المُصر للحفاظ على مظهر أنيق. أما المصر فهو عبارة عن قماش مربع كبير منسوج تقليديًا من الصوف الكشميري عالي الجودة، كما يمكن صناعته من مزيج القطن والصوف غير المكلف أو الأقمشة الاصطناعية الأخرى. ويلف المصر حول الرأس العاري أو حول الكمة بأسلوب العمامة.

الفروق الإقليمية والمواقف المحلية

يميز الزي الوطني العماني العمانيين عن غيرهم من مواطني الخليج العربي. فالقَصّة الخاصة بالدشداشة العمانية ذات أسلوب فريد من نوعه في البلاد، وتختلف عما يرتدى في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية، حيث تُعرف بالثوب، أو الكندورة في الإمارات العربية المتحدة.

وعلى الرغم من استخدام ألوان وأنماط وأوزان قماش أخرى لكن الأثواب الآنفة الذكر تتماثل بكونها ملابس ذات أكمام طويلة تتسدل مباشرة حتى الكاحلين وعادة ما تكون بيضاء اللون. أما الثوب الذي يرتدى في قطر والبحرين والكويت والمملكة العربية السعودية واليمن فطويلٍ حتى الكاحل، مع أزرار على الصدر وياقة صلبة. وقد يحتوي على جيب وأزرار أكمام. فيما يُلبس سروال أبيض تحت الثوب (بنطلون خفيف الوزن، من الشالفار الفارسي). فيما تشترك الدشداشة العمانية والكندورة الإماراتية بكونهما بلا ياقة، ذات مقاس أوسع وأكثر مرونة حول الجذع، مع انسدال باقي الثوب على شكل الحرف A وصولاً

للكاحلين. تحتفظ الأكمام بالعرض عينه بدءًا من الكتف وصولاً إلى الرسغ، لتقوم القطع الثلاثية الزوايا بربط الجسم والكم، ما يمنح الثوب تأثيرًا يشبه منحنى الثوب المصمم.

وعُمان هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط العربي التي يرتدي فيها جميع المواطنين الذكور الكمة كجزء من الزي الوطني. فيما يرتدي الرجال في دول الخليج العربي الأخرى وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي أشكالاً مختلفة من القلنسوة البيضاء الأصغر حجمًا.

وفي هذه الأيام ما من رجل أو فتى عماني لا يرتدي الكمة على نحو منتظم. وبالعودة للقرن التاسع عشر نشهد كيف شكلت قبائل من عمان مجتمعًا عربيًا عمانيًا جديدًا في الشتات في زنجبار ومدن ساحلية أخرى في شرق إفريقيا، ممن تميزوا بجلاء بارتداء الجلباب الفضفاض (كانزو ؛ عبارة عن ثوب أبيض طويل يشبه الدشداشة، وسترة الجوهو المماثلة للبشت)، والعمائم (كيليمبا، على غرار المصر الملفوف)، إضافة إلى الخناجر.

وقد ازدهرت النخبة الجديدة اقتصاديًا واجتماعيًا على مدى أجيال عديدة في زنجبار. وبعد الحركات القومية الأفريقية في الستينيات وتولى السلطان قابوس طيب الله ثراه السلطة عام ١٩٧٠م عاد العمانيون الزنجباريون واستقروا في مسقط وغيرها، محافظين على ثقافتهم وعاداتهم، بما في ذلك اللغة السواحلية، وطقوس الطعام، والاحتفالات، وتقاليد اللباس، مثل الكمّة.

تؤثر القصات والأنماط المتنوعة للدشداشة وأغطية الرأس المصاحبة لها على قدر كبير من حرية الحركة والسلوك الجسدي، فضلاً عن تصورات مرتديها. ففي الأماكن العامة في مسقط كمراكز التسوق والمقاهي المطلة على الشاطئ، يمكن بسهولة تمييز العمانيين عن جيرانهم الخليجيين، فالقطع الفضفاض للكندورة الإماراتية والدشداشة العمانية يؤدي إلى مشية أكثر استرخاءً؛ بدورهما الكمة والمصر يوفران فرصًا لتحويل الدشداشة إلى ملابس رسمية أو غير رسمية وفقاً للسياق الاجتماعي. فخلال ساعات العمل النهارية، يمكن رؤية المصرات المطوية بشكل أنيق حول الكمة التي ترتدى تحتها. أما في المساء وفي عطلات نهاية الأسبوع يمسي ارتداء الكمة أكثر شيوعًا.

يُظهر تأثير نمط اللباس على السلوك الجسدي والمظهر العام إحدى سبل مطالبة العمانيين للتميز عن جيرانهم الخليجيين وعن المغتربين المحليين. ومن النادر أن نرى غير العمانيين- سواء أكانوا عرباً آخرين من الخليج أو المغتربين الأوروبيين والآسيويين- يرتدون الزي الوطني العماني.

سياسة التعمين

وبينما يسعى العمانيون إلى تمييز أسلوبهم الخاص في الملابس عن جيرانهم، ما لبثت الأسواق توفر أنماط أخرى وقفت لها السلطات العمانية بالتحذير من «المساس والإساءة أو القيام بالتجاوزات التي تسيء للملابس والأزياء العمانية التقليدية» من خلال خياطة أو رسم أو طباعة شعارات أو علامات تجارية لأندية خارجية أو وضع رسوم مخالفة للذوق العام عليها أو من خلال الدمج بين تصاميم بين الكمة والمصر والعباءة بأشكال ونماذج تخل بمظهر هذه الأزياء العمانية التقليدية".

إلى جانب السلطات الحكومية ظل دور السلطان قابوس طيب الله ثراه كمبدع وقائد للهوية الوطنية العمانية الحديثة جزءًا لا يتجزأ من سياسة التعمين، ذلك عبر الصورة الدائمة للسلطان المُصلح، مرتديًا لباس البلاط الكامل المتمثل في الدشداشة البيضاء والبشت المزخرف، والخنجر العماني على خصره والعمامة السعيدية المعقودة بدقة على رأسه.

الحداثة والثقافة المادية الحياة الاجتماعية للزي الوطني العماني

ما لبثت اختيارات الفرد وتطوير العادات فيما

يتعلق بالألوان والأقمشة والأنماط وغيرها من التفاصيل تنطوي على الذوق الشخصي واتجاهات الموضة. خاصة أن الاختلافات الدقيقة والاختيارات الشخصية في الألوان والقصات وأنماط الزي الوطني العماني مرتبطة بـ «حياة اجتماعية» متميزة، أما اتجاهات الاستهلاك وتوافر المواد اللازمة لتصنيع مختلف جوانب الزي الوطني في السوق فتكشف عن القوة الشرائية الفردية والمكانة الاجتماعية لمرتديه. تفاصيل مماثلة تسهم في المشروع الأوسع لبناء الأمة، خاصة وأن الحملات السياحية تروج للتعايش بين «الحداثة» و«التقاليد» باعتبارهما متأصلين في الثقافة والهوية العمانية.

الجماليات والذوق الشخصي

تشمل الألوان العصرية للدشداشة درجات الأحمر والبرتقالي والأزرق والأخضر، فيما لا توجد فروق واضحة بين الألوان التي تعتبر «تقليدية» وتلك الأكثر «معاصرة»، أو بين الألوان التي تفضلها الأجيال الشابة أو الأكبر سنًا. ففي ظفار على سبيل المثال؛ تحظى الدشداشة المصبوغة باللون النيلي وتلك ذات الألوان العميقة بشعبية خاصة، حيث يعتبر التقليد المحلي أن اللون النيلي علامة على الحظ والحماية والجمال. ومع ذلك فإن جميع الألوان يرتديها الأفراد في مختلف الأعمار في جميع أنحاء عمان.





وخلال أشهر الشتاء الباردة يرتدي الرجال الدشداشة ذات الألوان الداكنة والقماش الأثقل قليلاً، وخلال أشهر الصيف تحظى بالشعبية الأقمشة الفاتحة خفيفة الوزن. أما تغيير الأنماط فيعتمد على التفضيلات الشخصية للألوان والزخارف والإكسسوارات، حيث نجد الرجال المهتمين بالموضة في المناطق الحضرية في مسقط يحرصون على مطابقة التطريز الملون للدشداشة مع تلك الموجودة في المصر أو الكمة. وقد تختلف التفاصيل الدقيقة لأنماط التطريز باختلاف كل دشداشة بيضاء يملكها الرجل.

أغطية الرأس

مثلما يعد لبس الكمة وربط المصر أمران فريدان في عمان، كذلك أسلوب ارتدائهما يعتبر استثنائيًا لكل عماني. فكل رجل لديه طريقة مميزة لارتداء الكمة والمصر يشرع بتطويرها منذ طفولته. ويميل الرجال في مسقط إلى الاهتمام بمظهرهم أكثر من نظرائهم في أي مكان آخر في عمان، وغالبًا ما يرتدون الكمة تحت المصر لإعطائه مظهرًا أنيقًا. وخارج العاصمة- خاصة بعد ساعات العمل- لا يهتم الرجال كثيرًا بدقة طيات المصر، وغالبًا ما يرتدونه بدون الكمة مع بعض الحواف لحماية مؤخرة العنق من الشمس، ويحتفظ للمناسبات الرسمية بالمصرات أو الكمات عالية الجودة، المطرزة يدويًا على يد النساء العمانيات.

تتكون الكمة من قطعتين من القماش متميزتين، قطعة علوية دائرية تعلو الأسطوانية الملتفة حول الرأس

بحيث يمكن تجعيدها بطرق مختلفة تختلف من مرتدٍ إلى آخر؛ كما يتميز بعض الرجال وسط حشد من الناس من خلال أسلوبه المميز في تجعيد الكومة.

وتتميز الكمة التي ينتجها صانعون هنود وفلبينيون بخيوط أقل جودة وغير مكلفة، في حين تكون تلك التي تطرزها المرأة العمانية ذات خيوط أعلى جودة وتتطلب وقتًا أطول لتصنيعها. من الصعب التمييز بين الكمة المطرزة يدويًا أو آليًا؛ لذلك يشير أصحاب المتاجر إلى أن الأخيرة تكون بلمسٍ أكثر صلابة من الأولى.

إضافة إلى كونه قطعة أساسية في خزانة ملابس أي رجل عماني، فإن المصر لا يزال قطعة عملية لتغطية الرأس. إذ يعتبر الصوف بمثابة عازل جيد ضد الحرارة والبرودة، خاصة الصوف الكشميري فهو النوعية الأفضل المتوفرة في جميع أنحاء عمان. ولطيه وعقده حول الرأس طرق عديدة تغيرت على مر العقود. ووفقًا للأنماط الشائعة للرجال العاملين في القطاع العام - سواء في مسقط أو في جميع أنحاء البلاد - كجزء من زيهم الرسمي، يربط المصر بإحكام ودقة حول الكمة بحيث يغطي جزءًا من الأذنين، فيما تتدلى قطعة قماش مثلثة من مؤخرة العنق. فيما يميل الرجال والأئمة المتدينون إلى ارتداء المصرات البيضاء البسيطة دون وجود كمة تحتها. ورجال مدينة صور شرقي عمان يضعون المصر مطويًا مرات ثلاث على الجبهة دون تغطية الأذنين؛ ويمكن طي القطعة المثلثة أو تركها طويلة معلقة فوق الكتف. تشتمل الأنماط الظفارية على مصر مربع مع شرابات في الزوايا والحواف، ملفوفة حول الرأس مع نهاية ملفوفة فوق الكتف، كما في الطراز الصوري، أو مطوية للخلف فوق الرأس.

إن المجموعة الرائعة من الألوان والأنماط للكمة والمصرات الحديثة، يعرضها أصحاب المتاجر في سوق مطرح، منها المحلية أو المستوردة من كشمير، المصنوعة من أجود أنواع الصوف والمطرزة يدويًا، إلى جانب أنواع أقل تكلفة مصنوعة من الصوف أو البوليستر أو القطن منخفض الجودة.

الخنجر

في المناسبات الرسمية قد لا يحتاج الرجل شخصيًا لامتلاك الشالات أو البشتات المطابقة ؛ لكن لا بد أن يقتني الخنجر لأنه رمز الرجولة. يكون الخنجر عادة متناسب الحجم مع سنّ مرتديه؛ وتعد الخناجر الصغيرة ذات قيمة أقل من نظرائها الموروثة من الوالد أو العم أو الجد. في حين لا توجد طقوس أو احتفالات معترف بها على المستوى الوطني أو الثقافي لاستلام الخنجر، إلا أن الفتى غالبًا ما يتلقى خنجره الأول خلال مناسبة خاصة، مثل عيد ميلاد أو احتفال بعيد.





لطالما ازدهرت صناعة وتجارة الفضة في سلطنة عمان، باعتبارها الحرفة الأعلى جودة في شبه الجزيرة العربية. أما الخناجر المزدانة بالفضة (إلى جانب المجوهرات الفضية وغيرها من الحلي والزينة الفضية) ما انفكت رموزًا قيمة للثروة والمكانة والذوق المميز. وبينما يقوم الحرفيون بتصنيع نصال الخنجر ومقابضه، غالبًا ما تقوم النساء بتزيين الأغماد المزخرفة بأنماط فضية معقدة.

ثمة أنواع خمسة للخناجر أولها الخنجر السعيدي ومن أهم ما يميز هذا النوع من الخناجر هو المقبض الجذاب الأنيق الشكل والمغطى بنقوش رائعة من الفضة، أما غمد الخنجر فهو مكسو بخيوط فضية أو مذهبة على أشكال طولية وعرضية، بينما ينتهي الجزء العلوي من غمد الخنجر بالقبع المصنوع من الفضة والمنقوش بطريقة رائعة جميلة.

أما الخنجر النزواني فيرجع أصله إلى منطقة نزوى، وله تصميمات متداخلة مستوحاة من المنطقة ومزخرفة بعناية فائقة على اللوح الفضي المغطي للجزء السفلي من غمد الخنجر والذي يصنع من الخشب، ويرتبط هذا اللوح الفضي بغطاء فضي موضوع على المؤخرة، أما مقبض الخنجر النزواني فيصنع من العاج أو مواد أخرى ويغطى بالفضة وزخرفته بطريقة متداخلة.



ثقافة

أما الخنجر العماني فيتميز بتصميماته التقليدية الجميلة وسلالة الخناجر الرائعة، ومقبض هذا الخنجر مغطى بغطاء من الفضة منقوش عليه بدقة متناهية، ويوجد ثلاث حلقات دائرية-أو أكثر- تتصل بعضها البعض بالسلاسل الفضية الدقيقة التي تربط بين جزئي الخنجر، ويتميز هذا النوع من الخناجر بارتباط الحزام بطرف القطاعة عن طريق سلسلة من الفضة معقودة ومثبتة بطرف القطاعة تسمى «القائد» وتساعد على تأمين الخنجر بالحزام.

يتميز الخنجر الصوري بصغر حجمه وخفة وزنه نسبيًا، ويصنع بصفة خاصة في ولاية صور بمحافظة جنوب الشرقية، ومقبض هذا الخنجر مغطى ومطلي بالذهب أو الفضة، أما الجزء السفلي من غمد الخنجر فهو مصنوع من الجلد ومزين بالأسلاك والخيوط الفضية المطرزة بالذهب أو الفضة وينتهي بالقبع المصنوع من الفضة والمنقوش عليه أشكال فنية جميلة.

يعرض متحف بيت الزبير في مسقط القديمة مجموعة واسعة من الخناجر، بما في ذلك الطراز الفريد الذي كان يرتديه مؤسس المتحف محمد الزبير. على الرغم من الرجل ليس أحد أفراد العائلة المالكة، إلا أنه كان ذو مكانة رفيعة في مسقط التاريخية، ويعكس خنجره هذه المكانة الجلية في صورة أرشيفية تظهر الزبير وهو يرتديه بالإضافة إلى المصر السعيدي المخطط متعدد الألوان.

يعد الخنجر موروثًا ورمزًا للانتماء والاعتزاز والأصالة والهوية العمانية؛ فلا يكتمل الزي التقليدي إلا

به، ويلبس في المناسبات الرسمية والاجتماعية، كل هذا جعله يمثل مع سيفين متقاطعين شعار الدولة في سلطنة عمان، ويظهر في علم الدولة وعلى المؤسسات الحكومية والعملات النقدية وعلى الوثائق الرسمية.

السيرة الثقافية والتقاليد المبتكرة للزي الوطني العماني

تحرص وزارة التراث والسياحة على الترويج للزي الوطني للرجال كمثال للتقاليد المستمرة في عمان المعاصرة؛ فيما نشاهد ذائقة العمانيين عبر تحديث ملابسهم التقليدية بمهارة من خلال اختيار الألوان بالإضافة إلى قصة القماش وجودته عبر تفاصيل تكشف عن القوة الشرائية والوضع الاجتماعي لمن يرتديها. تؤثر الثروة المتزايدة على تغيرات نمط الحياة، كما يتضح من السيارات الفارهة المركونة أمام الفلل الفسيحة، والهاتف المحمول الأحدث في جيب دشداشة الرجل العماني، وميضُ خاتمه الفضي أو الذهبي، ونوع النظارات الشمسية المتكئة فوق كمته، أو نوعية العود، أو البخور، أو العطور الغربية التي يستخدمها لتعطير الكركوشة.

«عماني» بامتياز

ما فتئ العمانيون يقدرون النظافة وأناقة المظهر. وتدل نوعية الدشداشة على وضع الرجل الاقتصادي؛ فقد يعتني بغسل ملابسه بنفسه، أو كما هو شائع حاليًا، ترسل الدشداشة لتنظيفها وكيها بشكل احترافي. أما التعطر فهو عادة يمارسها الرجال والنساء على حد سواء، خاصة مع وجود العديد من محلات العطور التي تلبي احتياجاتهم، وتقدم روائح محلية الصنع جنبًا إلى جنب مع علامات تجارية عالمية.

بالنسبة للرجال العمانيين، وممن يتعاملون معهم سواء أكانوا مواطنين أو وافدين (غربيين وغير غربيين)، ذكورًا أو إناثًا – فإن ارتداء الدشداشة والكمة أو المصر هو اللباس الوطني وجزء لا يتجزأ من المشروع الوطني الشامل لخلق هوية عمانية فريدة.

مصدر المقالة

https://quod.lib.umich.edu/a/omani-mens---/13441566.0047.013/ars national-dress-displaying-personal-taste?rgn=main;view=fulltext#N1

آيسا مارتينيز: مستشار في باركر لانجهام في لندن وعضو في مجلس أمناء المؤسسة البريطانية لدراسة شبه الجزيرة العربية. عملت سابقًا في المتحف البريطاني وفي SOAS بجامعة لندن في مشاريع تتعلق بالثقافة المادية والتراث في شبه الجزيرة العربية.





محمد البوسعيدي

نائب مدير دائرة الوثائق
جامعة السلطان قابوس



الإسهامات العلمية في توثيق وضبط الإنتاج الفكري العماني

يمثل الإنتاج الفكري حصيلة المجهود الذي يقوم به الإنسان، وما ابتكره من أفكار وخبرات فهو يعكس تطور ورقي الشعوب وتقدم الحضارات الإنسانية، ويشمل الإنتاج الفكري علوم شتى من التدوين والتأليف وصناعة الكتاب ونشره.

بالتالي لابد من إيجاد السبل الكفيلة لحفظ ذلك الإنتاج من التشتت والاندثار، وإدارته وتنظيمه وفق منهجية علمية رصينة بما يحقق الاستفادة منه، وفق أسهل الطرق وأنجعها. ويمثل توثيق الانتاج الفكري أو ما يطلق عليه علميًا في علم المكتبات والمعلومات «الضبط الببليوجرافي» للإنتاج الفكري على اختلاف أساليبه وأنواعه من الطرق الكفيلة التي تحقق حفظه وصيانته وسهولة إتاحته والوصول إليه.

وتأتي أهمية توثيق الإنتاج الفكري الذي يقصد به، رصد حركة التأليف والنشر لكافة مصادر المعلومات، وما يتبع من سلسلة من الإجراءات الفنية من الإيداع القانوني للمصنفات وإصدار الترقيمات المحلية والدولية، وإصدار الببليوجرافيا الوطنية، والفهرسة أثناء النشر، وغيرها من إجراءات التوثيق.

بالتالي يعتبر وسيلة ينظم بها الإنتاج الفكري على المستويين الوطني والعالمي لغرض الوصول والإدارة والتواصل الحضاري بين الشعوب. ومن المهم وجود سجل كامل لجميع منشورات المخرجات الفكرية للشعوب.

وجاء اهتمام توجيه اليونسكو والاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات بتوثيق الإنتاج الفكري



(١)، أن يبدأ بالتوثيق والضبط الببليوجرافي الوطني لكل دولة على حده؛ ويؤدي إلى عالمية الضبط الببليوجرافي ويبلغ ذروته في الإتاحة العالمية للمطبوعات. بما يضمن حصول المستفيدين على المعلومات المطلوبة في الوقت والمكان المناسبين، بالتالي، ومن أجل أن يكون الضبط الببليوجرافي ناجحاً ويتميز بالشمولية على كل دولة أن تجمع نتاجها الفكري المنشور في محيطها الجغرافي وتعمل على إصدار الببليوجرافيا الوطنية والتي تعتبر تجسيداً للإنتاج الفكري للدولة المتمثل في العلم والفكر والتراث.

ويسهم الضبط الببليوجرافي في إدارة وتنظيم الإنتاج الفكري بأشكاله وأنواعه سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي، بأدوات مقننة متعددة منها الببليوجرافيات والفهارس والكشافات، فينظم ذلك الإنتاج بطرق علمية وفق معايير الوصف الببليوجرافي لتيسير الاستفادة منها وفقًا للحاجة والهدف من إعدادها. ويجب الوصول إلى مصادر المعلومات سواء المطبوعة أو غير المطبوعة وتنظيمها للاسترجاع. وذكر تايلور (٢)، أهمية أدوات استرجاع المعلومات من مثل، الببليوجرافيات، والفهارس، والكشافات، والملخصات والأدلة وما إلى ذلك، لأداء فعال للضبط الببليوجرافي، ومن المهم ملاحظة أن الإيداع القانوني هو أساس الضبط الببليوجرافي.

ويوفر الضبط الببليوجرافي الوطني نظامًا يعزز إمكان تحديد هوية مصادر المعلومات داخل حدود الدولة؛ بالإضافة إلى جمع المصادر والحفاظ عليها، وبناء التسجيلات الببليوجرافية التي تصف تلك المطبوعات. (٣)

وبالتالي يمكن القول بأن الضبط الببليوجرافي الوطني على أنه قائمة منهجية لإدارة المطبوعات أو التراث الفكري لبلد ما، وجعله متاحاً عند الحاجة إليه من قبل الأفراد داخل المجتمع وخارجه

وتلبية حاجة مؤسسات المعلومات المختلفة، وبالتالي الحفاظ على التراث الفكري لبلد معين لأجيال المستقبل، بما يستلزم حصر، وجمع ووصف الإنتاج الفكري، بطريقة علمية ممنهجة وفق المعايير والمقاييس الدولية بما يوفر الدراية الكاملة من قبل أفراد المجتمع بمدى توافر مصادر المعلومات، ومكان وجودها، وطريقة الحصول عليها.

بالإضافة إلى ما سبق فأن أهمية الضبط البيليوجرافي العالمي تكمن في الإتاحة العالمية للمطبوعات بما يضمن للأفراد والجماعات والمؤسسات في جميع أنحاء العالم الحصول على أي مطبوع للاستخدام، في أي مكان أو زمان نشر.

وتوفر الانترنت إمكانات جديدة لمشاركة البيانات عالميًا وخارج نطاق المكتبة، ولكنها تظهر-أيضًا- الحاجة إلى بيانات معيارية وموثوق بها. بما جعل مفهوم الضبط البيليوجرافي ساريًا ويستحق دعم الإفلا المستمر والترويج له، حيث تتوج الجهود المبذولة في الإتاحة العالمية للمطبوعات للمستفيدين منها. (٤)

ولقد أدى الانفجار المعرفي الذي حدث في العصر الرقمي إلى انتشار وتنوع المطبوعات بحيث يواجه المستفيدون مشاكل في كيفية تحديد المعرفة وتحديد موقعها. وممارسات الضبط البيليوجرافي تعزز إمكان تحديد مصادر المعلومات المتنوعة والوصول إليها. لذلك يمكن تعريف ممارسات الضبط البيليوجرافي على أنها تشمل جميع الأنشطة التي تقوم بها المؤسسات أو الهيئات البيليوجرافية لضمان الحصول على موارد المعلومات وتنظيمها وإدارتها والحفاظ عليها بشكل كاف وشامل، ونشرها، ووضع الوسائل المناسبة ليسهل الوصول إليها والاستفادة منها.

وتتضمن ممارسات الضبط البيليوجرافي لمؤسسات المعلومات-ومن ضمنها المكتبات الوطنية- تفعيل الإيداع القانوني للمطبوعات، وفهرسة مصادر المعلومات وتصنيفها، والحفاظ على معايير الفهرسة، وتجميع وإنتاج البيليوجرافيا الوطنية، وخدمات التكشيف والاستخلاص، وأعمال أخرى تشمل إنتاج الأدوات البيليوجرافية، وإنشاء وصيانة الملفات الاستنادية، وإنشاء وتجميع وصيانة الفهرس الوطني لمصادر المعلومات كافة، والحفاظ على معايير النشر للمطبوعات.

وتعتبر البيليوجرافيات على اختلاف أشكالها وأنواعها من أشهر الأدوات الرئيسية التي يقوم عليها الضبط البيليوجرافي، حيث تؤدي دورًا كبيرًا في تقدم المعرفة البشرية، فتمثل أداة للبحث العلمي لأنها تيسر الوصول إلى أهم الاعمال المتصلة فتختصر الوقت وتقلل الجهد، وتعمل على الإحاطة الجارية والمستمرة للباحثين بأهم الدراسات والبحوث في مجال تخصصهم، بالتالي فهي تساعد على التعمق والتخصص الموضوعي، بالإضافة إلى ذلك فأنها تعمل على تنظيم المعرفة البشرية وخاصة مع الانفجار المعرفي للمعلومات وتعدد وسائله وأشكاله، من رصد التطور الثقافي والحضاري للمجتمعات في شتى جوانبه المادية والمعنوية، عن طريق دراسة وتحليل الإنتاج الفكري والذي لا يمكن التعرف عليه الا إذا كان مجمعًا في صورة بيليوجرافيات سواء المطبوعة منها أو الالكترونية.

وفي تقرير المسح لمنظمة اليونسكو ومكتبة الكونجرس عام ١٩٥٠م لخصت أهداف ووظائف البيليوجرافيات كما يلي:

١. إن هدفها تمكين العاملين في حقل المعرفة والتعليم من أن يعرفوا المنشورات ويسجلوا تطوراتها كل في ميدان تخصصه واهتمامه ليس فقط في بلدانهم، ولكن حيثما تنشر في أقطار العالم.

٢. تعزيز فعالية مشروع معين في البحث.

٣. الإسهام في التنمية الثقافية ومتعة الفرد التي يمكن أن تعتمد على السجلات الحضارية ومصادر المعرفة.

٤. المساعدة في تعزيز التطبيقات المفيدة للمعرفة الموجودة وفي صنع التطبيقات التي طورت في بلد واحد، وجعلها معروفة على نطاق دولي واسع.

ويعد الوصول السريع والسهل إلى المعلومات أمرًا حيويًا لتطوير العلوم والمعارف المختلفة. وفي هذا

الصدد تلعب الببليوجرافيا دورًا مهمًا إمكان التعرف على وجود الوثائق في تخصص معين من المعرفة. من خلال معرفة البيانات الببليوجرافية، بالإضافة إلى أنها يمكن أن تكون بمثابة أداة اختيار الكتب لأمناء المكتبات. فعن طريق البيانات الببليوجرافية يمكن تحديد مكان المواد.

ومن أهم الببليوجرافيات التي تعنى بتنظيم وتوثيق الإنتاج الفكري الوطني الببليوجرافيا الوطنية التي تحصر وتسجل الانتاج الفكري الصادر في دولة معينة وفق ضوابط معينة، وتصدر هذا النوع من الببليوجرافيات عن جهة رسمية مسؤولة داخل كل دولة، تكون عادة المكتبة الوطنية، أو أحد المراكز الاخرى التي تعتمدها الدولة للقيام بهذه المهمة، على أن تتمتع بحق قانون الإيداع للمصنفات الفكرية الذي يعنى بإدارة وتنظيم الإنتاج الفكري الوطني بتحديد مكان الإيداع ووقته وعدد النسخ والعقوبات، وعن طريقه يمكن القيام بمهمة الحصر والتجميع للنتاج الفكري الوطني.

وتلعب المكتبات الوطنية دورًا مهمًا في تفعيل ممارسات الضبط الببليوجرافي من خلال وظائفها القانونية التي تتعلق بمسؤولية الضبط الببليوجرافي، فهي مسؤولة عن تطوير الببليوجرافيا الوطنية والخدمات الببليوجرافية الوطنية الأخرى. وبذلك فأن تفعيل الضبط الببليوجرافي للإنتاج الفكري الوطني، يسهم في تعزيز ممارسات الضبط الببليوجرافي.

وعليه يتطلب من المكتبات الوطنية ونتيجة للتغييرات التي أحدثها العصر الرقمي أن تتبنى بفعالية معايير تضمن جمع وحصر كافة مصادر المعلومات وتنظيمها وإدارتها، كما يتطلب-أيضًا- ضمان توافق المعايير المعتمدة لضمان الإتاحة والاستفادة منها، وهذا ما يوفره العصر الرقمي.

والأمر ذاته يتطلب من أمناء المكتبات، خاصة في المؤسسات الببليوجرافية، مراجعة طريقة عملهم باستمرار وإعادة تأهيل وابتكار أنفسهم وإعادة تجهيزهم ليظلوا مناسبين ويتبنون ممارسات الضبط الببليوجرافي.

وفيما يتعلق بالإنتاج الفكري العماني، ونتيجة لغياب المكتبة الوطنية لم تصدر الببليوجرافيا الوطنية الشاملة، وإنما صدرت العديد من الأعمال ذات العلاقة والتي أسهمت في توثيق وتنظيم ذلك الإنتاج الفكري، فجاء اهتمام الباحثين والمؤلفين مبكرًا فظهرت العديد من المؤلفات والمطبوعات التي كان لها عظيم الأثر في التعريف والتوثيق للإنتاج الفكري العماني.

توثيق الإنتاج الفكري العماني

لم يحظى الإنتاج الفكري العماني، بالتوثيق أو الضبط الببليوجرافي الذي يسهم في التعريف به، وضبطه، من خلال أداة حصرية شاملة، والتي تتمثل في الببليوجرافيا الوطنية، نتيجة لغياب المكتبة الوطنية، إلا أنه وجدت بعض الأعمال والجهود على مستوى الأفراد والمؤسسات على





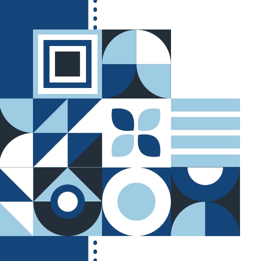
مدى فترات زمنية وتاريخية متفاوتة، فمنها المؤلفات المطبوعة من مثل، البيليوجرافيات العامة والمتخصصة التي ظهرت في بدايات القرن العشرين، والكتب التاريخية والتراثية المرجعية، ومقالات الدوريات، والفهارس المطبوعة، بالإضافة إلى الدراسات والاطروحات الأكاديمية، والمنصات الالكترونية باختلاف أنواعها ومناهجها، ويمكن تناولها وفق الآتي

- الكتب: ومن أبرزها رسالة في معرفة كتب أهل عمان، والتي تكاد أن تكون أقدم عمل اعتنى بضبط وتوثيق الإنتاج الفكري العماني، ومؤلفها مجهول عاش في القرن العاشر الهجري أو بعده بقليل. ولقد اعتنى بها سلطان بن مبارك بن محمد الشيباني، ونشرت سنة ٢٠١٤م ضمن سلسلة ذخائر التراث العماني التي تصدر عن مؤسسة ذاكرة عمان ، وتقع في ٥٦ صفحة من الحجم الصغير، وتنقسم الرسالة إلى جوامع وأجزاء، ضمنها الباحث مقدمة تتحدث عن الكتاب ومسرد للألفبائي الخاص بالمصنفات المذكورة في الرسالة، والتي تبدأ بهذه الجملة: «وجدت عدد كتب أهل عمان ثلاثمئة وستة عشر كتابًا، لعله غير المناثر والأراجيز والسير». ويقول الشيباني «قد تبدو الرسالة لأول وهلة ليست مما يكترث به، فهي صغيرة الحجم، مجهولة المؤلف، متأخرة التأليف، غير أنها ذات شأن معتبر من جانبين: أولهما ندرة ما أُلِّفَ في فنها في التراث العماني، وربما تكون هي الأقدم تاريخًا، ثانيهما: أنَّ ابن النديم في كتابه الفهرست وحاجي خليفة في كتابه كشف الظنون، ومن نحا نحوهما لم يذكروا معشار ما قيدته هذه الرسالة من أسامي الكتب العمانية».

ومن المؤلفات التي تناولت الإنتاج الفكري العماني بشكل عام وبتفصيل وافي وشامل للمحتوى الموضوعي وركزت على مصادر التاريخ العماني، كتاب إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان من تأليف الشيخ سيف بن حمود بن حامد البطاشي، والذي يعد من أهم مراجع التاريخ العماني. وقد أوضح المؤلف السبب في تأليف الكتاب وهو فقدان العديد من المؤلفات الفكرية العمانية بسبب الحروب والنزاعات القبلية، حيث أشار لبعض الكتب العمانية التي فقدت، وترجم لكثير من الشخصيات العمانية على امتداد العصور التاريخية. ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، فالجزء الأول والثاني احتوى على ترجمة الكثير من الشخصيات العمانية على امتداد العصور التاريخية، فخصص الجزء الأول عن أعلام عمان من العلماء والصحابة والتابعين من القرن الأول الهجري وحتى القرن الثامن، أما الجزء الثاني فتناول علماء عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين. أما الجزء الثالث فقد احتوى على تراجم لـ (٢٤١) شخصية من أعلام عمان، ظهروا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.

أما المؤلفات التي تناولت الإنتاج الفكري العماني بشكل عام وجاءت بسرد مختصر عن تلك المؤلفات، وفي أغلب الأحيان يأتي بالمؤلف والعنوان فقط، كتاب غير منشور عنوانه المكتبة العمانية لمؤلفه مهنا بن خلفان بن عثمان بن خميس الخروصي، فقد تضمن الجوانب الإعلامية للعلماء والقضاة والمؤلفين والمدرسين والأدباء والشعراء ويحتوي على المدارس والمكتبات والمعاهد والمؤلفات.

ومن المؤلفات الحديثة التي تناولت الإنتاج الفكري العماني وخاصة ذات العلاقة بالفقه الإسلامي ومقاصد الشريعة كتاب مائة كتاب إباضي لمؤلفه محمد كامل الدين أمام، أستاذ الشريعة الإسلامية، بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية، نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بمسقط سنة ٢٠١٣م، ويقع في ٣ مجلدات، وقد عمل المؤلف على سرد وصفي للكتاب ابتداء بالبيانات الوصفية في أعلى الصفحة ومن ثم يأتي بملخص موضوعي تفصيلي عن الكتاب، وهذا الكتاب يمثل أهمية علمية بارزة في توثيق الإنتاج الفكري العماني وخاصة في احتوائه على عرض للمحتوى الموضوعي للكتاب.



وكتاب بعنوان نوادر المخطوطات العمانية المحفوظة في دار المخطوطات: المحفوظة في دار المخطوطات بوزارة التراث و الثقافة تأليف سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني ومحمد بن عامر بن سيف العيسري، نشر من قبل وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان ٢٠١٥م. تناول الباحثان في كتابهما المخطوطات العمانية المحفوظة في دار المخطوطات بوزارة التراث و الثقافة، من عدة جوانب إدارتها وتنظيمها وأهم خصائصها الفنية وسماتها الشكلية، وسرد للبيانات الوصفية للمخطوطات والنساخ وغيرها من البيانات التي توثق للمخطوطات وتبرز دورها المعرفي.

وأخيرًا من المؤلفات التي تناولت الإنتاج الفكري العماني في موضوع متخصص كتاب شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان تأليف محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي نشر سنة ١٩٨٩م، وأعيد طباعته سنة ٢٠١٦م. يمثل الكتاب موسوعة معجمية في أسماء شعراء عمان. والكتاب منظومة شعرية من تأليف الشاعر قام بشرحها بنفسه ثم يتوسع في ذكر شعراء عمان منذ القديم الى العصر الحالي. يمثل الكتاب إضافة كبيرة إلى المكتبة العمانية خاصة والمكتبة العربية والعالمية عامة؛ لما يحويه من سير للشعراء وأخبارهم.

بالإضافة إلى الكتاب الآخر التخصصي معجم المسرح العماني تأليف محمد بن سيف الحبسي وسعيد بن محمد السيابي، نشر سنة ٢٠٠٦م. وهو عبارة عن رصد وتوثيق للنصوص والعروض المسرحية العمانية يقع في ١٦٠ صفحة، تناول المسرح بكل أطيافه من المسرح المدرسي، إلى مسرح الأندية، ومسرح الشباب، والمسرح الجامعي، وأخيرًا مسرح الفرق الأهلية.

ومن القوائم الببليوجرافية غير المنشورة والتي جاءت ضمن بحث استراتيجي بعنوان مصادر تاريخ العلاقات العمانية بأفريقيا الشرقية خلال الفترة من ١٦٢٤-١٩٦٣: قائمة ببليوجرافية من إعداد إبراهيم الزين صغيرون وباحثين آخرين، حيث هدفت إلى التعريف بأهم المصادر المحلية والأجنبية الأساسية التي تناولت تاريخ العلاقات العمانية بشرق أفريقيا لتكون هاديًا ومرشدًا للدارسين والباحثين. وقد توجت هذه الدراسة بقائمة ببليوجرافية حيث جمع أكثر من ٤٠٠٠ نسخة رقمية وفوتوغرافية من الوثائق والتقارير ذات الصلة بموضوع الدراسة.

- مقالات الدوريات: ومن المقالات التي تناولت الإنتاج الفكري العماني على شكل قائمة ببليوجرافية بعنوان «ببليوجرافيا في تاريخ عمان» إعداد الدكتور فاروق عمر فوزي، مجلة المورد، العراق، ١٩٧٤، المجلد ٣، العدد ٤، الصفحات ٢٧٥-٢٨٠. تتكون المقالة من قسمين الأول يتناول بالشرح المبسط أمهات الكتب العمانية والتي تعتبر من أهم مصادر التاريخ العماني من مثل كتب: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، وتحفة الاعيان في سيرة أهل عمان، وأنساب العرب. والقسم الثاني تناول فيه المقالات والبحوث في تاريخ عمان من خلال الدوريات والمجلات الأجنبية، والبالغ عددها ٤٦ مقالة فيذكر البيانات الوصفية المتعلقة لكل مقالة من عنوان المقالة والمؤلف وعنوان المجلة والسنة والمجلد والعدد والصفحات، ومن يأتي بملحق يمثل مفتاح رموز المجلات والدوريات.

ومقال أخر بعنوان «الإباضية في أعمال المستشرق البولوني تادوز ليفيتسكي: ببليوجرافيا» لكاتبه محمد عيسى موسى، عالم الكتب، دار ثقيف للنشر والتأليف، الرياض، ١٩٨٤، المجلد ٥، العدد ١، الصفحات ٨٣-٨٩. قائمة ببليوجرافية تمثل حصيلة الأعمال المخصصة للإباضية للمستشرق البولوني الشهير تادوزليفيتسكي Tadeusz Levicki هو مدير معهد اللغات الشرقية في جامعة JAGELLONNE ورئيس اللجنة الخاصة بالعلوم الشرقية في أكاديمية العلوم البولونية، وهو صاحب أعمال علمية كثيرة أغلبها معتمدة على مصادر شرقية استفاد منها لدراسة وتفسير الأحداث في مجالات عديدة كالجغرافيا والتاريخ السياسي والاقتصادي.

الفهارس المطبوعة

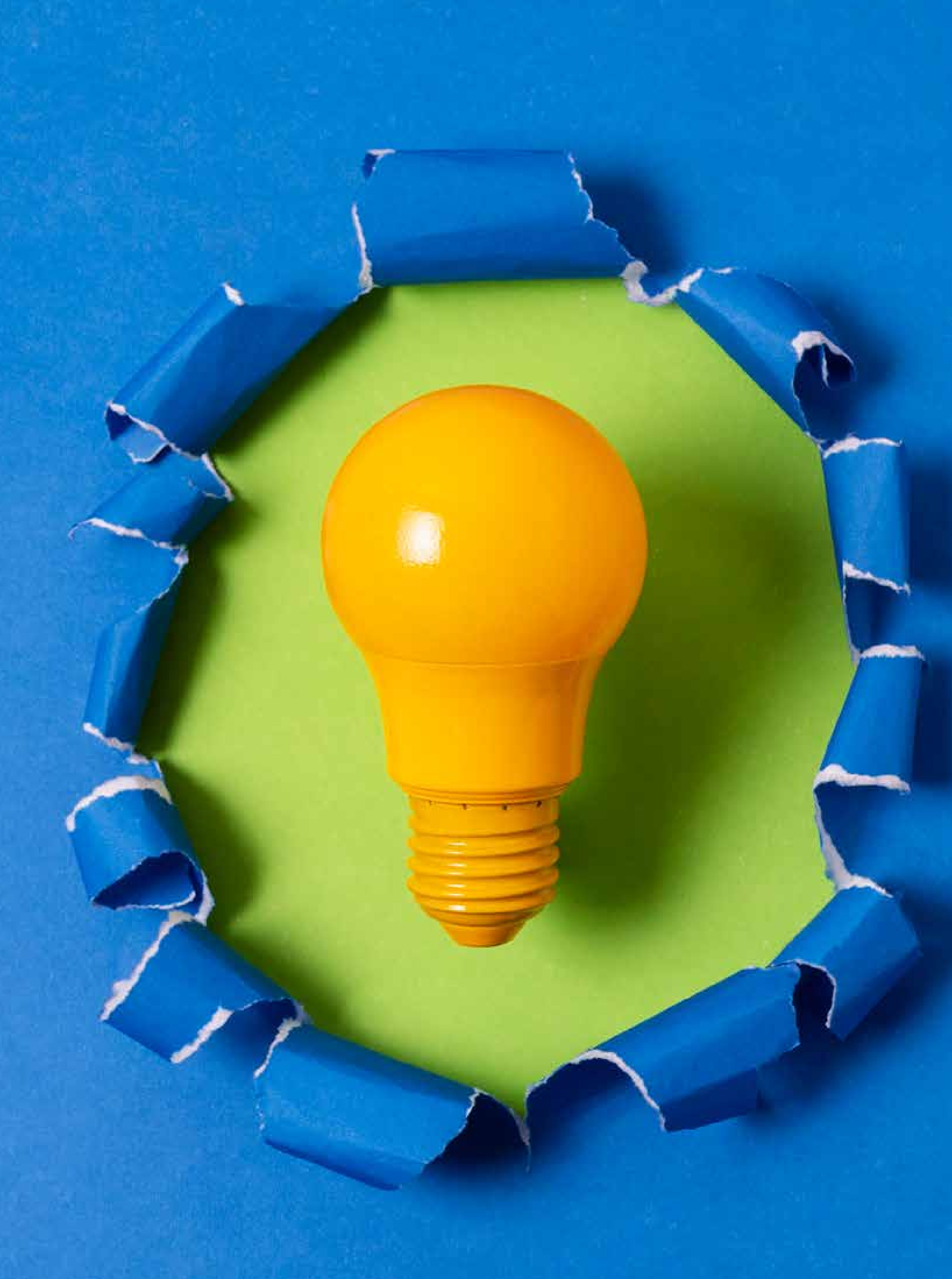
تمثل الفهارس إحدى الأدوات المعرفية التي تعرف بالإنتاج الفكري، وظهرت العديد من الفهارس في سلطنة عمان وخاصة في العصر الحديث وجاءت بجهود مؤسسات حكومية وأخرى فردية، أسهمت جميعها في حصر وتوثيق الإنتاج الفكري، ومن أبرز تلك الفهارس على النحو الآتي

- فهارس مخطوطات وزارة الثقافة والرياضة والشباب: تضطلع الوزارة بدور حيوي في القيام بكافة الإجراءات الفنية والعلمية المتعلقة بالمخطوطات والوثائق. وتتمثل هذه الإجراءات في جمعها وترميمها وصيانتها وتجليدها وحفظها وتصويرها وتحقيقها ونشرها. وفي هذا الشأن ومنذ سنة ١٩٩٥م حرصت الوزارة على إصدار فهارس تفصيلية للمخطوطات التي تمتلكها، حسب اختلاف مواضيعها وتعدد فنونها، فأصدرت العديد من الفهارس شاملة لجميع بيانات المخطوط، لتعريف الباحثين والدارسين الراغبين في تحقيقها ودراستها، في مختلف فنون المعرفة البشرية من الفقه، وعلوم القرآن، والطب، واللغة العربية، والأدب، والتفسير والحديث.

- فهارس مخطوطات ذاكرة عمان: يعد مركز ذاكرة عمان من المؤسسات الأهلية الرائدة في مجال العناية بالتراث العماني المخطوط جمعا وتحقيقا وفهرسة. فقد أصدر سلسلة من الفهارس المطبوعة، ففي سنة ٢٠١٦ م دشن مركز ذاكرة عمان سلسلة فهارس تمثل خزائن المخطوطات العمانية منها فهرس مخطوطات خزانة الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى الحارثي، والكتاب الثاني بعنوان فهرس خزانة المخطوطات بمكتبة بدية واعتنى بصناعته الباحث محمد بن عامر العيسري، وتوالت الإصدارات، وكان من ضمنها فهرس مخطوطات خزانة الشيخ المر بن محمد بن عبد الله الحوسني، اعتنى بصناعته فهد السعدي في سنة ٢٠٢٠م، ويشتمل كل فهرس على تصدير بمقدمة عن صاحب الخزانة ومكان وجودها ولمحة من تاريخ تكوينها وتطورها وعدد مخطوطاتها ونوادرها لتكون مدخلاً للقارئ يعطيه تصورًا عن الخزانة المفهرسة ومحتواها كما ألحق كل فهرس بصور منتقاة من مخطوطات الخزانة.

- الببليوجرافيات: صدرت العديد من الببلوجرافيات التي قام بها الأفراد والمؤسسات التي ساهمت في توثيق الإنتاج الفكري العماني على مر العصور، من مثل

الإنتاج الفكري العماني دراسة تحليلية للمؤلفات العمانية الموسوعية من تأليف موسى بن ناصر المفرجي وخلفان بن زهران الحجي، صدر عن وزارة التراث والثقافة سنة ٢٠٠٦م. وهو من الأعمال الببليوجرافية التي اتسمت بالنوعية لأنه تناولت شكل محدد من الإنتاج الفكري، حيث ركزت على المؤلفات العمانية الموسوعية والتي عرفها المؤلفان بالمخطوطات التي يتألف عدد أجزائها أو مجلداتها



من أربعة فأكثر. وكان الهدف الرئيسي للعمل إبراز للمؤلفات الموسوعية العمانية كعنوان على إسهام العمانيين في نهضة الأمة الإسلامية في النواحي العلمية. ويتكون العمل من ثلاثة فصول رئيسية تناول الفصل الأول نظرة تاريخية حول المدارس العلمية وأثرها في حركة الانتاج الفكري العماني، أما الفصل الثاني فقد ركز على جهود الحكومة في الحفاظ على المخطوطات العمانية، وستعرض الفصل الثالث التحليل الموضوعي للمحطوطات العمانية التي درست.

- الببليوغرافيا الوطنية الراجعة للإنتاج الفكري العماني المطبوع ١٩٩٣-٢٠٠٠م وهو من إعداد محمد الرابحي، نشر سنة ٢٠٠٧م. ويعد من الاعمال الببليوجرافية العامة الراجعة، تناولت بالحصر والتسجيل الإنتاج الفكري العماني الذي سبق نشره، وشملت مختلف الفنون وعلوم المعرفة البشرية المتعلقة بالإنتاج الفكري العماني، فجاء المجموع الكلي للوثائق المحصورة (٩٨٠) وثيقة منها (٨٧٦) باللغة العربية و(١٠٤) باللغة الإنجليزية. ويعتبر العمل من البحوث الممولة والمحكمة من جهة أكاديمية من قبل جامعة السلطان قابوس، بالإضافة إلى أن معدها من المتخصصين في مجال علم المكتبات والمعلومات، وأن جهة نشرها مؤسسة حكومية ممثلة بوزارة التراث والثقافة والتي تعتبر في الوقت الحاضر الجهة المعنية بحفظ وتنظيم الإنتاج الفكري الوطني.

- حكايات شعبية عمانية: فهرس مشروع من إعداد إيغيس جلوزيماير وصالح البلوشي ونجاح البوسعيدية، صدر سنة ٢٠٠٨م من قبل جامعة السلطان قابوس. واهتم هذا العمل الببليوجرافي المتخصص بالتراث العماني الشفوي، حيث حوى في مادته العلمية ما كتب عن الحكايات الشعبية العمانية، وفق منهجية علمية تميزت بالتحقيق والمقارنة وذلك بالوقوف على النصوص وقراءتها بشكل متأني وتبيان أوجه النقص والكمال فيها.

- جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم: توثيق لسيرة عطره ومسيرة مباركة قائمة ببليوجرافية من إعداد محمد بن خميس البوسعيدي وصالح بن سليمان الزهيمي صدر سنة ٢٠١٢م. وتعتبر من الأعمال الببليوجرافية الرائدة في مجالها، ويطلق عليها ببليوجرافية الأفراد وهي التي تحصر الإنتاج الفكري في سير الأعلام والمشاهير التي تعرف بأعمالهم أو الأعمال التي تتحدث عنهم.

يمثل هذا العمل توثيقًا ببليوجرافيًا يرصد ويحصر أهم الأعمال الفكرية المنشورة حول سيرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد - طيب الله ثراه، والتي تربط دراسة تطور سلطنة عمان بعهده. وغطت الببليوجرافية العديد من الكتابات والوثائق بلغت (١٠٠٠) مادة تنوعت في أشكال عدة وأخذت جوانب موضوعية وزمنية مختلفة، وهي من الأعمال الصادرة من جهة أكاديمية من قبل جامعة السلطان قابوس، بالإضافة إلى أن معداها من المتخصصين في مجال علم المكتبات المعلومات.

- ببليوجرافية استيفن وكنج، King and Stevens: ببليوجرافية انتقائية راجعة للأعمال الفكرية التي نشرت عن عمان، خلال الفترة عام ١٩٠٠ - ١٩٧٠، صدرت سنة ١٩٧٣م، من إعداد أر. كينغ، وجي. أتش. ستيفنس. وهي عبارة عن ورقة عمل لمركز الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية بجامعة دورهام البريطانية. وأعدت في عام ١٩٧٣، وتتكون من ٢٩ صفحة من الحجم الكبير. يعتبر هذا العمل من أوائل الأعمال الرائدة والنادرة التي تناولت حصر وتجميع الإنتاج الفكري العماني خلال تلك الفترة. ومن الأعمال الممولة من شركة تنمية نفط (عمان) المحدودة، بالتعاون مع فريق من جامعة دورهام، بإشراف البروفيسور أتش بون-جونس H.Bowen_Jones.

وتمثل الببليوجرافية إضافة ثقافية ذات أهمية بالغة تكمن في أقدميتها، وفي قيمتها التاريخية، وذلك لأنها ترصد الإنتاج الفكري المتعلق عن عمان خلال تلك الفترة الزمنية وفي تلك الأوضاع الصعبة التي تقل فيها مثل هذا النوع من الأعمال التوثيقية، وبالتالي فهي تمثل من أقدم الأعمال الببليوجرافية الموجه لحصر الانتاج الفكري العماني.

– ببليوجرافية اعلام إي حماد، Alam E. Hammad: من الببليوجرافيات الموضوعية المتخصصة في مجالات الزراعة والثروة الحيوانية ومصادر المياه ومصايد الأسماك في سلطنة عمان. وتعتبر من المصادر الأولية في المجال، وصدرت في سنة ١٩٨٧م. وتعتبر هذه الببليوجرافية إضافة متميزة في العلوم الزراعية والثروة السمكية وتميزت بالحداثة، حيث هي المرة الأولى التي يتم فيها حصر وتجميع هذه المواد والتعامل معها بأكثر الطرق اكتمالاً وتفصيلاً، حيث غطت المواد المنشورة وغير المنشورة، وبالتالي فإنها تعتبر من الأعمال الببليوجرافية المتميزة في مجالها وخاصة في تلك الفترة الزمنية.

– ببليوجرافية جوستير وفرد: تعد من الاعمال الببليوجرافية الرائدة في مجالها وموضوعها صدرت في ١٩٨٠، ومن إعداد أ. د. فريد شولز ومساعدوه. وتعتبر من الأعمال المؤسسية الممولة والمحكمة من جهة أكاديمية من قبل مركز الشرق الأوسط للوثائق في ألمانيا. بالإضافة إلى أن معديها من المتخصصين في الدراسات والبحوث التاريخية.

تناولت الببليوجرافية بالحصر والتسجيل الإنتاج الفكري المتعلق عن سلطنة عمان، فجاء المجموع الكلي للمواد المحصورة (٢٢٣٤) وثيقة منها (٨٧٦) باللغة العربية و (١٠٤) باللغة الإنجليزية، وركز على السياسة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية باعتبارها المجالات الرئيسية التي تهم مركز الشرق الأوسط للوثائق.

– ببليوجرافية برونو وكوليتي، Bruno: تعتبر من الأعمال الببليوجرافية العامة، ومن إصدار وزارة التراث والثقافة، نشرت في عام ١٩٨٠م. أعدها باحثان فرنسيان هما برونو و كوليت لي كور جراندميشن (Bruno and Colette Le Cour Grandmaison) لتلبية احتياجات بعثتهم خلال عملهم الذي استغرق أربع سنوات في سلطنة عمان. وتناولت بالحصر الإنتاج الفكري ذات العلاقة بسلطنة عمان، وعليه فأنها تعتبر من الأعمال الأوائل التي حصرت المصادر التي تناولت التاريخ والتطور الحضاري في سلطنة عمان في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وكان من الصعوبة التعرف عليها في الوقت الحاضر بدونها، وبالتالي فهذا العمل أسهم في التعريف بتلك المواد، وترتيبها في عمل واحد يسهل الرجوع إليه والاستفادة منه.

– ببليوجرافية فرانك كليمنتس، Frank A. Clements: ببليوجرافيا شارحة، مؤلفها فرانك كليمنتس، مدير خدمات المعلومات في كلية سانت مارك وسانت جون في بليموث بإنجلترا، وكان محاضرًا واستشاريًا في الكثير من الدول العربية. ولد عام ١٩٤٢م. وألف العديد من الدراسات والكتب التاريخية والجغرافية المتعلقة بشبة الجزيرة العربية، وخاصة منطقة دول الخليج العربي، وفي هذا الإطار فقد ألف العديد من الببليوجرافيات ذات الطابع الوطني منها ببليوجرافيات الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، والكويت.

يغطي العمل جوانب الحضارة والتطور في سلطنة عمان، بما في ذلك تاريخها، واكتشاف النفط، والنزاعات الداخلية، والتطور الاجتماعي والاقتصادي، وبلغ مجموع تلك المواد (٨٩٠) مادة علمية، وصدرت الببليوجرافية ضمن سلسلة ببليوجرافيات عالمية حملت رقم (٢٩)، وصدرت خلال هذه الفترة في طبعتين الاولى سنة ١٩٨١م، والثانية ١٩٩٤، للناشر سانتا بربارا بالمملكة المتحدة.

– ببليوجرافية جاياوردان، Jayawardan: ببليوجرافية متخصصة بالأعمال الفكرية في المجال الطبي والرعاية الصحية عن سلطنة عمان والمنشورة محلياً بالإضافة إلى تلك المواد المنشورة في الخارج، خلال الفترة عام ١٩٥٦ – ١٩٩٠م نشرت في عام ١٩٩٣، ومن إعداد ك. و. أي جاياوردان والذي عمل سابقًا –كما يشار في مقدمة العمل– في المكتبة الطبية بالمستشفى السلطاني، وله العديد من المؤلفات في الرعاية الصحية. يتكون العمل من (٦٤٧) مادة علمية في ٧٨ صفحة من الحجم الكبير A4. يعتبر العمل من أوائل الاعمال الرائدة والنادرة التي تناولت حصر وتجميع الإنتاج الفكري ذات العلاقة بسلطنة عمان العماني خلال تلك الفترة الزمنية.



وتمثل البيليوجرافية إضافة ثقافية وعلمية ذات أهمية بالغة وذلك لأنها ترصد الإنتاج الفكري المتعلق عن عمان خلال تلك الفترة الزمنية، ولا يوجد مصدر بيانات واحد لجميع المنشورات الطبية وشبه الطبية حول الرعاية الصحية في سلطنة عمان، بالتالي تمثل هذه البيليوجرافية ريادة في موضوعها، وتكتسب قيمة علمية وتوثيقية.

المنصات الالكترونية

من الضرورة بمكان الاستفادة من التقدم التقني والتكنولوجي وخاصة في عصر المعلومات الذي يعيشه العالم، فاستغلت المؤسسات البحثية والمكتبات ومراكز المعلومات هذه التقنية في التعريف بمحتواها الفكري وإتاحته من خلال بناء منصاتها الالكترونية، التي تمثل في واقعنا الحالي ضرورة ملحة للبحث العلمي وللباحثين والدارسين والتي بدورها تسهم في التنمية الثقافية والاقتصادية للمجتمع، ومن أبرز تلك المنصات

– المستودع البحثي العماني: يمثل المستودع البحثي العماني-المعروف اختصارًا بشعاع- في الوقت الحاضر ركيزة أساسية في جمع الإنتاج الفكري الوطني، وتنظيمه، وإتاحته للباحثين والدارسين. كما يسهل الشراكة بين المؤسسات، ويتوافق مع توجهات الدولة نحو التخطيط الاستراتيجي، ورؤية عمان المستقبلية، وتسهيل صناعة القرار، والعمل ضمن مبادئ الوصول الحر للمعلومات. هذا وقد صممت قاعدة بيانات المستودع وفق برنامج D-Space المفتوح المصدر عن طريق شركة متخصصة، ويشتمل على مجموعة من السياسات، مثل سياسة الوصول الحر، وسياسة المحتوى، وسياسة الأرشفة أو الإيداع، وسياسة التعامل مع البيانات، وسياسة الاختيار والاستبقاء والاستبدال والسحب، وسياسة حقوق الملكية الفكرية، وسياسة ضبط الجودة، وسياسة الحفظ، وسياسة المؤامة والمراقبة، وسياسة التنازل عن الحق. هذا ويتيح الموقع العديد من المصادر الالكترونية ذات العلاقة بسلطنة عمان وخاصة نتاجات الجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية بما يسهم في إثراء المحتوى الرقمي للإنتاج الفكري العماني.

– المنصة الالكترونية الخاصة بالمخطوطات العُمانية: مشروع المنصة الالكترونية الخاصة بالمخطوطات العُمانية، من إعداد وزارة الثقافة والرياضة والشباب، الذي يتيح للباحثين والمختصين والمهتمين من مختلف دول العالم من قراءة واقتناء المخطوطات بمبلغ رمزي. حيث تملك الوزارة أكثر من أربعة آلاف مخطوط في مختلف العلوم جمعت ورممت ورقمنت. ويعتبر هذا المشروع هو الأول من نوعه على مستوى السلطنة. ويمثل هذا الموقع رافدًا علميًا مهمًا للتعريف بالمخطوطات العمانية وتيسير سبل الاستفادة منها.

– المقصورة: منصة رقمية حديثة تمتلكها شركة عبر الخليج لتقنية المعلومات. ومن خلالها تمكن المكتبات المشاركة من رقمنة ونشر إسهاماتها العلمية والفكرية ضمن مساحة سحابية خاصة بها. وتتيح لها الإسهام في بناء معرفة وطنية وعربية وعالمية ضمن قاعدة بيانات موحدة، تتيح للباحث التعرف على الإنتاج الفكري للمؤسسة في مختلف مجالات المعرفة. وتوفر المنصة خيارات واسعة لعرض مختلف أنواع مصادر المعلومات، وبالتالي فإن المنصة تشكل محور ثقافي وعلمي للإنتاج الفكري العماني، وتسهم في التعريف به، وإبرازه في الفضاء الالكتروني الواسع.

– الفهارس الالكترونية للمكتبات ومراكز المعلومات: تمثل فهارس المكتبات ومراكز المعلومات وخاصة المتاحة على شبكة الانترنت موردًا مهمًا ورافدًا من روافد التعريف بالإنتاج الفكري العماني لما تشكله من أهمية في سبيل تسهيل الوصول إليها وإتاحتها للقراء والباحثين بالإضافة الى الجانب التوثيق والحصري الذي تقوم به؛ فالفهارس الآلية تعمل على إيجاد وتجميع الإنتاج الفكري وفق استراتيجيات



بحثية معينة، والتي بدورها تعمل على دقة الاستفادة والاسترجاع لذلك الإنتاج الفكري. ومن أهم الفهارس في هذا الشأن فهرس مكتبة جامعة السلطان قابوس الذي يمثل المرتكز الأساس في التعريف بالإنتاج الفكري، وفهرس مكتبة الشموخ، وفهرس مكتبات مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم.

وبالرغم من الأهمية العلمية والفكرية التي تمثله هذه الأدوات على اختلاف أشكالها وأنواعها من اعتبارها مصدرًا مهمًا من مصادر توثيق وحصر الإنتاج الفكري العماني، وتعطي قراءة أولية عن حجم هذا الإنتاج الفكري المتناثر في عدة مصادر وعدة جهات، إلا أن كثيرًا ما يتكرر ورود الإنتاج الفكري بها، بالتالي فإن إصدار البيليوجرافيا الوطنية يتطلب النظر في هذه المصادر مجتمعة لاستبعاد المتكرر وضبط العناوين والتأكد من البيانات البيليوجرافية الأخرى من خلال عقد المقارنات فيما بينها، للخروج بقائمة عناوين موحدة، ومن الضروري أن تقوم إحدى الجهات بالعمل على إصدار بيليوجرافيا وطنية شاملة.

وفي الختام نرى أهمية إصدار بيليوجرافيا وطنية راجعة لتغطية الفترات التاريخية الممتدة من أول مطبوع ولغاية ابتداء صدور البيليوجرافيا الوطنية. والحرص على حصر وجمع مصادر المعلومات المطبوعة والإلكترونية لمخرجات المطبوعات الوطنية كإيداع قانوني ونشرها في البيليوجرافيا الوطنية، وجمع الأطروحات والمنشورات العلمية الأخرى مثل المحاضرات الافتتاحية ووقائع المؤتمرات، وغيرها.

____

(1) IFLA. Professional statement on universal bibliographic control, 2012, Available from: http://www.ifla.org/publications/ifla-professional-statement-on-ubc

(2) Taylor, A. The Organization of Information. New York: Greenwood Press Inc, 2004.

(3) Akidi, Juliana (2020). Assessment of bibliographic control practices of the National Library of Nigeria in the digital age. Library Philosophy and Practice (e-journal). 4664.

https://digitalcommons.unl.edu/libphilprac/4664

(4) Holley, R. P. (2014) Self-publishing: a new challenge for universal bibliographic control. Retrieved from http://creativecommons.org/licenses/by/30



تمثُل القصيدة ومرجعيات المعنى في الشعر العُماني المُعاصر طالب المعمري أنموذجًا



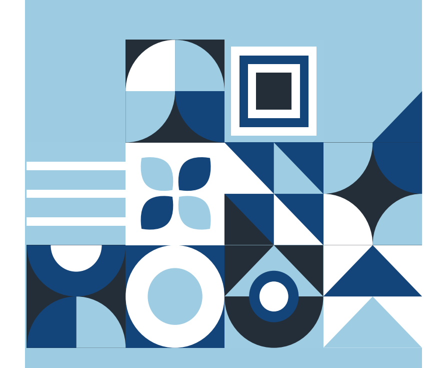
د. محمد صلاح زيد

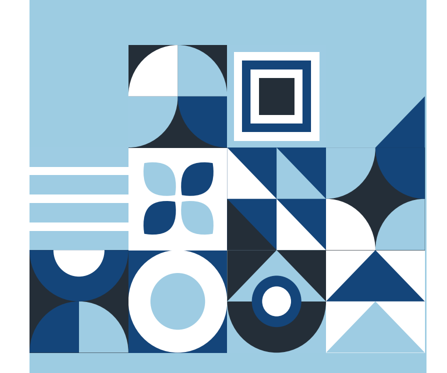
ناقد وأكاديمي مصري

تقديم

إن هذا المستوى من مساءلة المفاهيم، يسعى إلى البحث في تحول الشعر في القصيدة العُمانية المعاصرة. والقصيدة العُمانية المعاصرة هي جزء من القصيدة العربية المعاصرة، تتأثر بها وتأخذ منها، وتتطور بتطورها. حيث أنجزت القصيدة العربية المعاصرة -عامة- والعُمانية -خاصة- مقولاتها الحداثية، وعبر هذه المقولات المنجزة يمكن أن نرصد التحولات التي مرت بها تلك القصيدة المُعاصرة الحداثية. وفي هذا السياق يمكن أن نختزل المشهد الشعري في العقود الخمسة الأخيرة في ثلاثة اتجاهات كبرى شأنه في ذلك شأن كافة الأجناس الأدبية. ينزع الاتجاه الأول نزعة تحديثية؛ فيواصل تحديث تقاليد النص الشعري الكلاسيكي والتقليدي التي بدأت تلوح منذ بداية عقد السبعينيات في القرن الماضي، للقصيدة العربية الحداثية. وهو اتجاه شعري يسعى إلى خلخلة أساليب الكتابة الشعرية التقليدية الكلاسيكية التي اعتمدت خطية البناء والمعنى والتراكيب التقليدية للقصيدة إلى حد بعيد، وفسحت المجال لتدخل الشاعر العالم بالكون والحياة والفلسفة والموجودات وعلم الجمال وهو يوجه مصائر الحكايات الشعرية ويكيف المتخيل الشعري لرؤيته الطامحة؛ وفاء لطموح كبير قد يفرط في إحالتها المرجعية للقديم بشكل أو بآخر. واتجاه ثان يعتقد أن النزعة التحديثية السابقة لا تزال قادرة على ابتكار قصائدها النموذجية. لقد جاء ذلك عبر نتاج شعري متجدد ونابض يستمد طاقته الإبداعية من إعادة طرح إشكالية تمثل القصيدة ومرجعيات المعنى، وهو في ذلك يتمثل راهنية النزعة التحديثية المتعلقة بالاتجاه الأول. إن مفاد ذلك «أن كل مرحلة عظيمة هي مرحلة تحول، وهي مرحلة وحدة وتناقض بين أزمة من ناحية وتجديد من ناحية أخرى، وبين خراب وولادة جديدة» (١).

أما الاتجاه الثالث فهو اتجاه الكتابة الشعرية الحداثية، فقد ظهر هذا الاتجاه منذ أواسط الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضي، بوصفه حركة فنية واعية بضرورة التجاوز وخوض مغامرة الشكل(البناء) والمعنى(النص). إنها كتابة شعرية تحيد بشكل ظاهر عن الطرق المألوفة لتصوير النص الشعري التقليدي الكلاسيكي، إما في تنظيم عملية بناء القصيدة(تمثُل القصيدة)، وإما في مرجعيات المعنى، وإما في كليهما من أجل إحداث خلخلة في أساليب الكتابة الشعرية الكلاسيكية -كما





سلف القول-. ومع ذلك يمكن أن نرصد نزعتين ظاهرتين: نزعة أحدثت ما يشبه القطيعة الإبستمولوجية، وهي تدعو إلى تأصيل النص الشعري في منظومة الأجناس الأدبية التراثية، ونزعة انفتحت على التجارب العالمية، وتطور الحركة الشعرية كما ظهرت في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، وآداب كافة الشعوب ذات الرصيد الحضاري والأدبي. وفي الحالتين أصبحت الكتابة الشعرية الحداثية مجالاً واسعًا لاختبار الأشكال الفنية وأساليب الشعر الحديثة، ومع ذلك يبدو لنا أن القصيدة الحداثية العربية -عامة- والعُمانية -خاصة- تشهد منذ نهاية العقد الأخير من القرن الماضي تحولاً واضح المعالم. كما يبدو لنا أن اتجاهًا جديدًا في كتابتها يظهر وهو يواجه حركة ما بعد الحداثة الشعرية -أيضًا-. وهذا ما تتضح معالمه عند الشاعر العُماني طالب المعمري، من خلال دواوينه الشعرية: نهارٌ غامضٌ، ولا شيء، وأيامٌ بمفاتيح صدئة.

تمظهرات الخطاب الشعري الجديد

إنه يمكننا أن نطلق على هذا الاتجاه «الحداثة الشعرية»، فهو يبدو لنا كأنه بمثابة ردة فعل قوية على نظريات الحداثة الفنية ومقولاتها النابعة من رحم النظرية الفلسفية، إذ يعود النص الشعري إلى مقولات النزعة التحديثية ويلبسها ثوبًا جديدًا مغايرًا لتظهر بمظهر استثنائي، إنها قصيدة الحداثة وما بعدها، أو الكتابة الشعرية الجديدة، كما قد يحلو لنا أن نسميها.

إن ما نسميه بـ «الكتابة الشعرية الجديدة»، هو ما قد نسميه -أيضًا- بـ«قصيدة الحداثة»، أو «الكتابة الشاعرية المعاصرة»، لكن «الكتابة الشعرية المعاصرة» هي تسمية زمنية، قائمة على التحديد الزمني لوقت كتابتها، وهو الزمن المعاصر، المحدود بأطر زمنية متفق عليها؛ وذلك لأنه لن تظل كتابة بعينها معاصرة طوال الوقت. أما قصيدة الحداثة فهي تلك الكتابة الشعرية التي تفيد من معطيات وأدوات تيار الحداثة، وتتبنى وجهة نظره، وتقوم في بنائها وجوهرها على خصائصه. والكتابة الشعرية الجديدة تقترب بشكل أو بآخر من التعريف الذي نفهم به ماهية قصيدة الحداثة؛ فهي تجديد في قالب البناء الشعري والشكل الفني، ليس هذا فحسب بل تجديد يطال طبيعة موضوعاتها، ومحكياتها الشعرية، وكذلك متخيلها الشعري الذي تخاطب بها جمهور المتلقين، فهي تتخذ من الحصار والغياب والانتهاك والتلاشي والعدم أسسًا لها، وهذه الأسس منها ما هو بنائي فني ومنها ما هو موضوعاتي، يتعلق بموضوع النص الشعري وفكرته. وهذا بالضرورة يطرح تساؤلاً مهمًا: ماذا اعتمد الشاعر «طالب المعمري» من أسس تبنى

من خلالها أدوات الكتابة الشعرية المعاصرة أو قصيدة الحداثة أو الكتابة الشعرية الجديدة؟ هل عاد في كتابته الشعرية إلى تمثل مقولات الكتابة الشعرية التقليدية من حيث الشكل والموضوع؟

يبدو لي الأمر ليس كذلك، ففي ديوان «نهارٌ غامض» تتضح ملامح الكتابة الشعرية الجديدة والحداثية بشكل أكبر لدى الكاتب «طالب المعمري»، حيث تجاوز الكتابة الشعرية الكلاسيكية شكلاً وموضوعًا، شأنه في ذلك شأن القصيدة الحداثية العُمانية والعربية مؤخرًا، إن كتابته الشعرية جاءت كتابة جديدة ومغايرة، كتب لها الصمود أمام النص الشعري الحداثي، والدرس النقدي المعاصر، الذي يستمد مادته من نظريات الحداثة وما بعدها. يقول في قصيدته «في البدء»

«في الطرق الجبلية

التي سلكناها، صغارًا

كان الحصى

وهو يتطايرُ

بين أقدامنا

مجسَّ نبضٍ

بأنَّ حياتنا

كالسهم تكون

في تلك الطفولة

المبكرة

عرفنا أنَّ

طريقًا وعرًا

ينتظرنا» ص١١(٢).

في النص الشعري السابق يتحدث الشاعر عن ذلك البطل التائه الشريد القادم منذ الصغر، الذي بدأت محاولاته الأولى للحياة تصيبها الخيبة المتكررة، كذلك كانت الخيبة الشاملة هي قدر محاولاته في الطرق الجبلية التي سلكها بصحبة أقرانه صغيرًا. لقد كان الحصى يتطاير بين أقدامهم بوصفه مجس نبض لهم، يؤشر بأن حياتهم كالسهم. إنهم في تلك الطفولة المبكرة أدركوا أن طريقًا وعرًا ينتظرهم؛ والشاعر هنا لعله ينعم بعدها أخيرًا براحة الفشل، الذي يتسق مع روح الانهزامية التي سرت داخله؛ مما جعله يحيا حياة سديمية بائسة، تلاشى فيها الحضور، وتساوى مع الغياب، بل التلاشي.

تسعى الدراسات التي تتناول الكتابة الشعرية الجديدة إلى تقديم مقاربات نظرية وأخرى تأويلية لمظاهر التطور في «قصيدة الحداثة» على مستويين: «الحداثة وما بعدها»، و«الكتابة الشعرية الجديدة» (شعر الحداثة وما بعدها / النصوص الشعرية الجديدة) وخصائصها.

ولعل اتجاه الحداثة في هذه الكتابة الشعرية الجديدة كان من أهم الانشغالات والمساءلات التي طرحها النص السابق للشاعر «طالب المعمري»، الذي ظل ينشد دائمًا البحث عن أنساق شعرية مغايرة، بإمكانها تجاوز بنية النص الشعري التقليدي، خاصة في أطروحاته الكلاسيكية والعينية.

وقد اشتغلت هذه الكتابة الشعرية الجديدة الحداثية في بحثها الدؤوب عن هذا المتغير، على كل ما من شأنه أن يجعل خطابه مخالفًا للسائد الخطي والواقعي، ومكسرًا لنمطية الساكن، عبر تمظهرات الخطاب الشعري الجديد، الذي جعل النص الشعري إلى وقت قريب شبه تقليدي.

لقد قامت هذه النصوص بالعمل على مراجعة المكونات الشعرية وطرائق توظيفها، بحيث شكلت لنفسها منهجًا جديدًا في مسار المحكيات الشعرية، استنادًا إلى قناعات فنية مغايرة آمن بها شعراؤها. يقول الشاعر «طالب المعمري» في قصيدته «لا أمل»

«ماذا .. لو تركنا

النهاراتِ كلها

على السرير

نرقب ذبولَها بصمتْ.



نهاراتنا
بين الضحى والضحيّة
كأنَّ الأمرَ
لا يعنينا
بين العشية وضحاها.
نهاراتنا
تلك التي اعتدنا
أن نمرّغها الوحلَ

تلك التي تمرّغت
أوحالُها
وليس أمامَها
إلا السوقُ والطريقُ.
ومن فمِ الحياةِ
أخذنا ما يُطفيءُ
البطونَ
بقليلٍ من المعنى.

وإذْ لم نجدْ
القواميس.. القواميسَ
بثمنٍ بخسٍ
تملأُ فمَنا بالكلماتِ
التي
تعلَّقنا بها
عُلِّقنا
وعُلِّقت
على الأستار والمنابر
بالوزن والإيقاع
أو بغير ذلك

لم يلتفت
الحائطُ إلينا
الذي استقامت عليه
والباب.

لن نصلَ بالكلماتِ
أعلى من ريشِ
عصفورٍ
ولا أمل لنا
أكثر.

السماواتُ
حوضُ سباحةٍ
لمن يعوم ويجدِّفْ
والأرضُ جافَّةٌ
وماكرةٌ.

لهذا، كلّما
أبصرنا ريشةً
لطائرٍ
تذكّرنا النسرَ
من قالَ
أنَّ ثمّةَ أملًا لغريقٍ» ص١١: ١٤(٣).

في النص الشعري السابق، يقف الشاعر أمام محكيات شعرية متداخلة ومتقاطعة في الآن ذاته، يتساءل تصريحا، ماذا لو تركنا النهارات كلها على السرير نرقب ذبولها بصمت؟ ثم تتوالى الأسئلة الضمنية تلميحًا: في حالة الحضور أم الغياب؟ ماذا عن تلك المحكيات الشعرية التي مر بها الشاعر داخل القصيدة؟

أضف إلى ذلك التوظيف الجديد لمكونات النص الشعري المعروفة داخل بناء القصيدة، من خلال إدخال عنصري «المفارقة» و «العجائبية» في تشكيل مسار المتخيل الشعري وبنية المحكيات الشعرية فيها؛ وعيًا من الشاعر بأن أشكال التعبير المكرسة شعريًا قد استنفدت إمكاناتها، وأصبحت من ثمة جديرة بأن توضع موضع المساءلة والتشكيك، وبالتالي وجوب البحث عن سبل جديدة مغايرة في توظيف هذه المكونات.

ولعل مما زاد في جمالية هذا النص الشعري وانفتاحه على القراءة هو استثماره للموروث الثقافي لمجتمعه، فالمحكي الشعري المتعلق بالنهارات بين الضحى والضحية، يمثل مفارقة شعرية، وعجائبية في تشكيل مسار المتخيل الشعري وبنية الحكاية الشعرية فيه، استنادًا على ذلك الموروث الثقافي لمجتمع الشاعر والذات الشاعرة على حد سواء، فالموروث الثقافي لهما معًا مغاير لهذه المفارقة، وقد يكون رافضًا لها تمامًا، إذ إنه ليس من المعلوم عن هذا الموروث الثقافي لبيئة الشاعر والذات الشاعرة معًا، أن تكون

هـذه هـي الأمنيـات المرجـوة مـن النهـارات، فالإنسـان العربـي تشـبع بثقافة التفـاؤل الخيـر والبحـث عنه وافتقـاده. ولعل في هـذا اسـتحضار محطـات تاريخيـة وثقافيـة ثابتـة وراسـخة داخلـه، هـي مـن عمـق ذاكـرة شـعوبها. ولقـد تبلـور ذلـك كلـه في نـص شـعري مفتـوح علـى التأويـل اللانهائـي، وعلـى عتبـات الآتـي والمتخفـي.

وممـا تجـدر الإشـارة إليـه أن النصوص الشـعرية للشـاعر «طالـب المعمـري» قد خلقـت واقعًا جديـدًا، مـن خلال بنيتهـا الفنيـة المتغيـرة، بحيـث اسـتطاع الشـاعر ابتـداع واقـع فنـي معـادل لواقـع الحيـاة، بفضـل التشـخيص الأسـلوبي للغـة داخـل قصائـده. وهـذا عنصـر أساسـي مـن عناصـر الحداثـة في الخطـاب الشـعري الجديـد. يقـول في قصيـدة «غربـاءٌ»

«لقد هَرِمنا

كبرنا آليًا

كبرامج التلفاز

تنسلخُ أعمارُنا

كجلد الثعابينْ.

قدرُنا المحتوم

نخطو به كالغراب

والحجلْ

لهذا تنزلق خطوتنا

يد أو قدم

على زجاج الحاسوب

الذي منه

نُوردُ ماءَ المعرفة

بمشقّةٍ، لظمأ

لحظتنا المليئة

بالظلام

نحن ضيوفك الكسالى

أيّتها الحياةُ

عابرون يكنسنا التاريخ

كبضاعة فاسدة

وأرض الخيرات والنفط

تسوّد الوجوه

والأمكنة

يوم لا تبيضُّ الجغرافيا

على القلوب النضرة

يوم أن نقف

عراةً كسحابة

لا تسترها السماء

وتبْخل بمائها الأرض

يوم نعودُ

كما خُلقنا أول الأمر

ذرّةً من طين

ولكي نحيا

على صورتنا الآدمية

علينا أن نشعل

في قلوبنا النارَ

لنولـد مـن جديـدْ»ص٣٣ : ٣٥(٤).

في النـص الشـعري السـابق خلـق الشـاعر واقعًـا جديـدًا، مـن خلال بنيتـه الفنيـة المتغــيرة، بحـيث اسـتطاع ابتـداع واقـع فنـي معـادل لواقـع الحيـاة، بفضـل التشـخيص الأسـلوبي للغـة داخـل القصيـدة، لقـد جـاءت اللغـة بوصفهـا إنسـانًا يبـوح بالكثيـر مـن أسـرار الحيـاة ومـفرداتـها داخلـه، فأنسـنة الخطـاب اللغـوي شـعرًا ووصفًـا للمحكيـات الشـعرية التـي تضمنتهـا القصيـدة، جعلـت مـن اللغـة داخـل النـص إنسـانًا ينبـض بالكثيـر مـن التقلبـات الشـعورية، ويمـوج داخـل طوفـان لا نهائـي مـن التسـاؤلات المقلقـة، يقـف علـى جدليـة السـؤال وإشـكالية الحيـاة، وتقلباتهـا.

ولعـل مـا سـبق ذكـره قـد شـكل دافعًـا كبيـرًا للتعمـق في الكتابـات الشـعرية الجديــدة؛ بقصــد فـك بعـض شـفرات هــذه النصــوص التـي تسـتمد مرجعياتهـا مـن الواقـع أولاً، ولكـن بعـد أن تغيبـه في ثنايـا العجيـب المؤطــر بلغــة شـاعرية، تنبـذ التفاصيـل، وتنشـد الإطلاق، لخلـق نـص شـعري حداثـي يصمـد أمـام المتغيـر، ويراهـن علـى الجديـد المتأصـل. ويفيـد مـن إنجــازات النظريـات النقــدية والفــلسفية والفنيـة الجديـدة التـي تهتـم ببنيـة النصـوص، قــبل أن تركـز بشـكل كامـل علـى المضامين. نجـد صـدى كبيـرًا لذلـك عنـد الشـاعر «طالـب المعمـري» في قصيدتـه «وداع»، يقول:

«لا يفي الكلامُ

صوته الإنساني

سألتقي بكَ

في عيون النهار

سألتقي بك عاليًا، هناك

حيث السفرجل

وأعناب الروح

سألتقيك، وفي

فمي نبيذ الضجر

المعتق بتعب السفر

دون عناء خذني

إلى دمعةٍ أزليّة

خذني إلى دمعة الوداع

فأنا مرهقٌ بالنهايات

وبالتاريخ

كلّ وداعٍ

بصيرة بعد بصر

لو أنّكم نظرتم

شمس قمته

وروح عصافيره العالية

لشممتم رائحة الطرقِ فيه

هناك أحذيةٌ مبلّلةٌ

بالحنين

وداع، برموشٍ

غير مغمضة العيون

كلّ تلك المسافة

المؤرقة

التي تحدَّرت من

«سيوح» الروح

مدن دون أغصان

شجرة أسفارٍ

في حقيبة

كلّما اتسع الكلامُ

تصفّدت

الدماءُ في الشرايينْ

كلّ وداعٍ تفاحة

بيد امرأةْ

كلّ قلب سكين

أيُّ وداعٍ هذا

لقصيدة اكتملت

على مشرحة البياض والقراءة.

الوداعُ حتفٌ

والقصيدةُ

الخنجرُ المسمومة

بكلمات الاكتمال» ص٥٣ : ٥٦ (٥).

في النص الشعري السابق تتضح لدى الشاعر «طالب المعمري» ملامح الحداثة الشعرية، والتي أصبحت جزءًا من تاريخ الكتابة الشعرية الجديدة العالمية، ومن أهم الروافد المهمة التي طورت هذا النوع من الكتابة الشعرية؛ فإنها لم تكن يومًا على هامش ما طرأ على هذا النوع، الذي عرف دون غيره تغيرات شتى على مستوى الشكل والمحتوى وهذا ما نلمسه داخل قصيدة «وداع»، بحيث نلمح تغيرات البناء الداخلي لها من حيث مكونات بناء القصيدة وتنوع المحكيات الشعرية، والتي استندت في حداثتها إلى تشكيل المتخيل الشعري المفتوح على التأويل اللانهائي، الذي يطرح من جديد إشكالية تمثل القصيدة، ومرجعيات المعنى في شعر الحداثة. حيث إن الكتابة الشعرية الجديدة / شعرية الحداثة، كانت تسعى إلى خلخلة البناء الشعري السائد في القصيدة التقليدية -بشكل عام-، وزعزعة طقوس التلقي القديمة التي ربطت المتلقي بالشعر منذ زمن بعيد. كذلك نجد لدى الشاعر «طالب المعمري» صدى لذلك في ديوان «لا شيء»، حيث يقول في قصيدته «احتمالات»

«سحابةٌ أنتَ

في هذا السديم

بيدِكَ قلبُك

بشرايين مُتعبة

لا يُفارقُكَ الأمل

وأنت في المضيق

لأنك تملك قلبًا

وفيًا للمسافات

ذكرى جارحةً بالحنين

كورقةٍ غادرت

شجرتَها على الرصيف.

من عينيكَ ينبثق

رصاصُ الاشتياقِ

دمعة تتركها

على مقعدٍ فارغٍ

في حديقةٍ أو توّدعها

موجةَ بحرٍ برغوةٍ بيضاء

لا تمل من معانقة

شاطيءٍ مهجور

استراح على

رملهِ ذات زمن

نسرٌ راكم عزلتَه

تنظر إلى الأشياء

كما، لم تنظر إليها من قبل

كغريبٍ

يقف الكلامُ بينكوالآخر

كصحراءِ الربع الخالي

ستأتي الريحُ

سيأتي اليبابُ

وأنا أنتظر

المطر» ص١٣، ١٤(٦).

في النص الشعري السابق طغت على النص ملامح الكتابة الشعرية الجديدة / شعر الحداثة، والتي تعيد النظر في تمثل القصيدة، ومرجعيات المعنى في النص الشعري الحداثي، مع تميز كل نص تبعًا لإمكانات كاتبه من حيث القدرة على التجدد والابتكار، ومن حيث التحكم في بناء النص شعريًا، وهذا ما امتلكه ببراعة الشاعر «طالب المعمري»، وأبان عنه النص الشعري السابق. وهو ما يعني أن شعراء الحداثة يسعون إلى ألَّا يقعوا في فخاخ التنميط والتقليد، والمحاكاة للنصوص الشعرية الكلاسيكية، لا داخل التجربة الشعرية عامة، ولكن – أيضًا– داخل التجربة الفردية الخاصة بالذات الشاعرة. وفي هذا السياق تكتسي هذه الكتابة الشعرية أهميتها الخاصة، من حيث كونها تنشد نمطًا شعريًا مُغايرًا، يكمن في ذلك التجديد والابتكار المتمثل في ذلك الخطاب الشعري الحداثي، الذي يسعى إلى خلخلة التقليدي والكلاسيكي، والبحث عن فعاليات شعرية، وفنية، وجمالية بديلة ومغايرة؛ لتأسيس خطاب شعري حداثي متميز.

إن الوقوف عند تجليات الكتابة الشعرية الحداثية، يمكن أن يعتمد على ما يقوم في أساسها من مفاهيم سابقة وأخرى لاحقة لم تتطرق إليها، والتي يمكن أن تمثل قوانين أمست مستقرة، هي بمثابة الوحدات النقدية التي تقولها وتدفع بها تجربة النص في مغامرة الحداثة والتحديث، ولعل هذا ما يتضح لدى الشاعر «طالب المعمري»، في قصيدته –أيضًا– من نفس الديوان «حتى يسودُ النهار»، يقول

«أسمكة أنتَ

في بحر النص

تعوم في السرد شعرًا

وفي الشعر سردًا

يدك خاليةٌ من الرسالات

لا أنت مفكر أو صوفي

لتكتب من علٍ

في سماوات التجريد

اكتب حياتكَ بدخانِها

وضجيجها

علّك أن تستطعمها

بخفة إنسان

يكتب يومَه

بقدمين عاريتين

يومه الذي يمسرحه

في هذا القحط

يومه النسبي، العابرُ، والتافه

وحيث إنه في كل مكان

السواد يشبه البياض

ولا شيء يمكث

في الأرض

إلا رغوةُ الروح

التي ابْتُلّت بحنينٍ وذكريات

ستشتم رائحة الموت

الذي طردك من

جنّته وأنت غرّ

ها هو

يفقس بيضته

بالقرب منك

جسدك –الآن–

يتمدد مبعثرًا

أمام النهارات الرتيبة

إلى «المولات» الجديدة

لتطلق ساقيك

فوق السيراميك اللامع

تتأمل قهوتك

التي تشربها ببطء ولا مبالاة

حتى يسود النهار» ص٣٧ : ٣٩(٧).

في النص الشعري السابق تتضح لدى الشاعر ملامح التجديد، القائمة على مغامرة البحث عن الإبداع، والمتمثل في المنزع الجمالي والفني الذي يخص بنية الكتابة الشعرية الحداثية، لغتها وأسلوبيتها، فضاءها التخيلي، وخصائصها التعبيرية، ومحكياتها الشعرية، ومتخيلها الشعري، دون أن تغيب هذه الكتابات الشرط الفني للنص الشعري الأصيل أحيانًا، بل عليها أن تستوعبه في تعميق جذوره، ونشر ظلاله في دائرة الرؤية الخلاقة التي تتيح للنص الشعري أن يتوفر على حداثته الشعرية، وليس فقط على صورة لمفردات الحياة المتحركة فيه بشتى أوضاعها وأزماتها، إن على هذا النص أن يتوفر على أدبيته الخاصة، فالشاعر اعتمد في النص الشعري السابق المونولوج (حديث الذات الشاعرة داخل نفسها)، وما هو أشبه بالديالوج (حديث الذات الشاعرة مع نفسها خارجيًا)، ليرسم لنا التفاصيل عبر متخيل ومحكيات شعرية مغايرة ومتباينة، لكنه يقدم هذا العالم الشعري في قالب شعري حداثي (قصيدة الحداثة)، يستند فيه إلى فضاء تخييلي رحب عبر المتخيل الشعري المفتوح على اللانهائي من التأويل، وخصائص تعبيرية لها منزعها الجمالي.

وفي قصيدة «عيناي» يتراجع النص الشعري أمام القارئ فاتحًا له المجال، كي يقول ما يشاء، ويظل المبدع مغيبًا نهائيًا في هذه العملية، ولعل نظرية القراءة والتأويل التي نقارب بها هنا هذه النصوص الشعرية الحداثية نقديًا، قد ظهرت وانتشرت في أوربا، وبالضبط في ألمانيا وامتدت إلى أمريكا، وقد سميت في أمريكا (نقد استجابة القارئ)، أما في أوربا فتدعى (نظرية التلقي). يقول الشاعر

«تلويحة في نهار العمر

عينايَ روح

وفي الماء نطفةٌ

آن السفر.

يا صاحبي.. لا تلم، حالك

في الهواء المعبأ

بماء الترحّل

وأنتَ، القصيدة مهرّبة

ساعة صحو أو سكر

يا صاحبي.. في دروس الفراغ

وملء الفراغ، تمهل

إن استطال السؤالُ، في غيّه

أو قَبّل القُبل.

يا صاحبي، في حصة البوح

أو ورشة العلل

يصفعُك الدهرُ، في ختّلة الوصل،

هل تصل!

كل مطار، يساوره الشك

فيكَ

كأنك أنتَ الخطر

تدحرجَتَ في العمر

بين السيول وماء البحر

رسمت بروحك –تلك–

قلب الحجر» ص٥٨، ٥٩ (٨).

في النص الشعري السابق أراد الشاعر أن يجعل من نصه زمنًا مفتوحًا، مدى مشرعًا على لحظة تسع الأزمنة جميعها، نصًا ترافعه طموحات وانكسارات الذات الشاعرة في الآن ذاته، تعثر وقلق، اندفاع وانكفاء، تشظي وسديم، انشطار واغتراب، ونظرة استشراف للآتي، ولكنه نص يرتبط بخلفية النص الشعري العربي الذي يعد المرجع الأساس في أي عملية إبداع شعري، باعتباره يتوفر على خصائص جمالية متنوعة، سواء على مستوى متونه وبنائه الشعري، أو على مستوى متخيله ومحكياته الشعرية.

إن هذه النصوص الشعرية الحداثية تسعى –بشكل أو بآخر– إلى تفكيك أو تحطيم النص الشعري التقليدي من خلال تقنيات عدة؛ لتخدم الخطاب الشعري الجديد ومرجعيات المعنى، من خلال تشكيل شعري مغاير، فالشاعر في مثل هذه النصوص الحداثية قد يبدو حاضرًا في عمله، وهو بمثابة الصلة التي تخرج بالكلام من حيز الهمهمة بالأشياء إلى حيز النطق بها والتعبير عنها شعرًا. أي إن عالم الأشياء هو الناطق، ومفردات الحياة لدى الشاعر هي واسطة بين المتخيل الشعري وبين القارئ، ما دام خيال المتلقي يخلق قوانينه الخاصة، وينزع إلى الوعي بعملية توالده، انطلاقًا من مداركه ومن معطيات المقروء. ولعل هذا ما يتجلى لدى الشاعر «طالب المعمري»، في نصوص ديوانه «أيام بمفاتيح صدئة»، يقول في قصيدته «خديعة»

«قريبًا من مرآة يومك

المتشظي

فوق أرض الخديعة

اليد ذراعٌ لآلة صماء

كمغناطيس

لا روح في خليج

ولا محيط بأشرعة سفر

أنت رقمٌ بينهما

غَنِمَ كل هذا الانحراف

وفي يدك قبضُ الريح

أيها العابر

بالكلمات بلا رحمة

كم جلدًا لك تَغَيّر

كم اشتهاك الزمن

واشتهيته

بحنينٍ كاذب

عليك أن تناظرَ الخدائع

في لؤم وردةٍ حمراء

بشوك قاتل

فكلُّ ما يقال عن كلماتك البيضاء

سوادٌ في الروح

أرى قلبك الخشبي

يحترق ليصنع رماده بيده

وأرى الموت

حيًّا يتمشّى

ليجدّد نفسه فيك

وأراك هنا»ص٧، ٨ (٩).

في النص الشعري السابق تتجلى هذه الكتابة الشعرية الجديدة الحداثية، التي حاول فيها الشاعر أن يقرأ الواقع كما هو، بكل تشظيه وانشطاره، وتناقضاته، وينقل لنا توترات الإنسان والذات الشاعرة، وصراعاتها الشخصية والفكرية والنفسية، ويثير التساؤلات التي قد تبدو مقلقة –شيئًا ما– ومبعثرة هنا وهناك، كما يحتفي بالإنسان المأزوم كسياق لخطاب ثقافي. فالشعر الحداثي وما بعده هو التشكك إزاء الثابت والمستقر. هذا التشكك هو بلا شك نتاج التقدم في العلوم التجريبية والإنسانية –

أيضًا- خاصة الفلسفة منها.

إن الوظيفة الحكائية في النص الشعري قد تفقد عناصرها الوظيفية، وعالمها العظيم ومخاطرها العظيمة وهدفها العظيم، إنها تتبعثر في سحب من عناصر لغوية حكائية وتتشظى شعريًا وفنيًا، لكن أيضًا إشارية وتقعيدية ووصفية وما إلى ذلك. ولعل ذلك تتضح معالمه بوضوح لدى الشاعر «طالب المعمري» في قصيدته «آثام»، يقول

«دَعْهُ لا يمرّ

ارمِ شوكةً في الموعد

دَعْهُ لا يمرّ

نهارُه ثقيل

لكنّكَ

تستطيعُ تلميعَ البياض

بسكّينٍ صدئة

تعوي فوقَ رقبته

دَعْهُ لا يمرّ

بلا دمٍ على البلاط

حتى يعرفَ أنكَ لست

قاطع طريقٍ ولا

لصَّ كلماتٍ ولا خائنَ حبٍّ

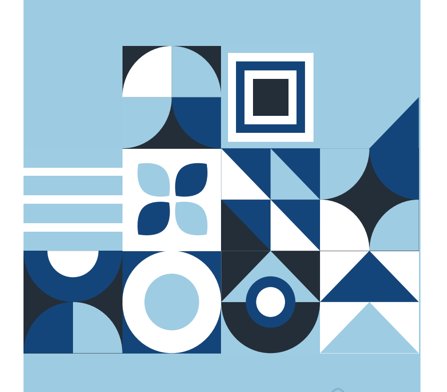
أنتَ الريحُ

وخلْفَكَ تثرثرُ أوراقه

بالآثام» ص٤٣،٤٤ (١٠).

في النص الشعري السابق تقترب الحكاية الشعرية عند الشاعر «طالب المعمري» من الواقعية المعيشة، والمستوحاة من رحم المعاناة، لكنها واقعية قائمة على طرح التساؤلات العميقة التي تحتاج تفسيرات فلسفية وعقلانية ومادية لكثير من الظواهر الإنسانية والحياتية المعقدة، وهي نوع من المواكبة للأطروحات الفلسفية والإنسانية التي تفسر الكثير من أزمات وتيه الإنسان المعاصر؛ مما يعني أن الحداثة الشعرية وما بعدها، بكافة أشكالها، تسقط الإنسان العظيم، والمخاطر العظيمة التي يواجهها، والهدف النبيل الذي يحمله، وتشتمل على الانتهاك والتيه والانعدام؛ لأنه يشكك في كثير من القناعات والمسلمات التي يحملها الإنسان العظيم نفسه في النص الشعري التقليدي القديم، إن لم يشكك في ذاته بمثاليته غير الواقعية، وهذا ما عمد إليه الشاعر في نصه الشعري السابق؛ لذا تأتي الكثير من النصوص الشعرية الحداثية، حافلة بالشذرات، والتشظي، والسديم والتيه والاغتراب، والتي تعبر في إشاراتها عن هذا التشكك بشكل جمالي وفلسفي؛ لذا يتعين على الشاعر الحداثي أن يشكك في قواعد الكتابة الشعرية المعتادة، فيجب أن يضع موضع التساؤل قواعد الإبداع الشعري كما عرفها وتلقاها من سابقيه، ولابد أن تلك القواعد سرعان ما ستبدو له وسيلة للخداع وللزيف وللإغراء وللطمأنة، مما يجعل من المستحيل عليها أن تكون صادقة تحت اسم التصوير والأدب، تجري قطيعة غير مسبوقة.

ختامًا لقد جاءت نصوص الشاعر «طالب المعمري» الشعرية عبر دواوينه الثلاثة «نهارٌ غامضٌ»، و«لا شيء»، و«أيامٌ بمفاتيح صدئة» نصوصًا استثنائية ومغايرة، يتحول القارئ فيها من مستهلك، هدفه المتعة، إلى قارئ يهدف إلى أبعد من النص، وهو القارئ المؤول، الذي يسعى إلى كشف المسكوت عنه في النص، وهنا يحدث التفاوت بين النقاد؛ لأنه كلما زادت ثقافة القارئ وقدرته على الكشف في مجاهيل النص، زادت قيمته واتسعت مجالاته. فالنص قبل القراءة ميت، والقارئ من يبعث فيه الحياة، والاستمرار في القراءة هو ما يضمن له الوجود، ولهذا ليس لزمن قدرة على القضاء بموت نص أو حياته، فالقدم والجدة ليسا معيار حضوره، بل قد يصبح النص القديم الذي نسي منذ زمن



بعيد نصًا له كيان ومعترف به، إذا جاء من يقوم بإعادة قراءته، وفي مقابل هذا قد يصبح النص الذي لا يفصلنا عن كتابته سوى يوم واحد، نصًا منسيًا، إذا امتُنِع عن قراءته.

ولعل هذا هو دور المقاربات التأويلية التي اعتمدت منهجًا لهذه الدراسة النقدية للدواوين الشعرية الثلاثة –سالفة الذكر– للشاعر «طالب المعمري»، تلك المقاربات التي تستقرئ النصوص، عبر قراءات متعددة، تحاول الاقتراب شيئًا ما من بواطن النصوص ودواخلها، تسعى إلى الكشف عن كوامنها، وفق آليات منهجية تأويلية، فشرط ربط صفة الاحتمال بالقراءة ضروري فيها؛ وذلك حرصًا من القارئ على فتح باب القراءات، وعدم تقييد النص بمعنى معين؛ لهذا فعملية التأويل لا تهدف إلى إدراك المعنى لأنها لا تنطلق من اللغة العادية، بل تقيم المعنى على أساس الفهم، وبالتالي إضفاء بعض الذاتية على النص، وهذا ما يجعل المعنى الحقيقي للنص غائبًا وسط مقاربات احتمالية متعددة ناتجة عن قراءات مختلفة.

****

الهوامش:

(١) جورج لوكاتش، بلزاك والواقعية الجديدة، تر: محمد علي اليوسفي. المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٥، ص١٧.

(٢) طالب المعمري، نهارٌ غامضٌ (ديوان شعر)، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط(١)، ٢٠١٣م، ص٩.

(٣) السابق، ص ١١ : ١٤.

(٤) السابق، ص٣٣ : ٣٥.

(٥) السابق، ص٥٣ : ٥٦.

(٦) طالب المعمري، لا شيء (ديوان شعر)، دار سؤال للنشر، بيروت – لبنان، ط(١)، ٢٠١٧م، ص١٣، ١٤.

(٧) السابق، ص٣٧ : ٣٩.

(٨) السابق، ص٥٨، ٥٩.

(٩) طالب المعمري، أيام بمفاتيح صدئة (ديوان شعر)، الآن ناشرون وموزعون، الأردن – عمان، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، مسقط – سلطنة عُمان، ط(١)، ٢٠٢٠م، ص٧، ٨.

(١٠) السابق، ص٤٣،٤٤.



د.حسن المودن

أكاديمي مغربي

الإيديولوجيا والتحليل النفسي

ملاحظات وأسئلة وافتراضات

المُلاحَظ أن العلاقة الإشكالية بين الإيديولوجيا والتحليل النفسي لم تنل ما تستحق من الاهتمام في الدرس الفلسفي أو النقدي العربي. ويمكن أن أتساءل: أيعود ذلك إلى أن التحليل النفسيَّ نفسَه لا يحتلّ إلى الآن مكانته بين العلوم الإنسانية الحاضرة في المشهَد الفكريّ العربيّ أم أنّ هناك قناعة داخلية مضمرة بأن لا شيء يمكن أن يقوله التحليل النفسي للإيديولوجيا كما لا شيء يمكن أن تقوله الإيديولوجيا للتحليل النفسي؟

ماذا لو افترضنا عكس تلك القناعة: أن هناك علاقة وثيقة بين الإيديويوجيّ والنفسيّ، وأنّه لا تمكن الإحاطة بما تعنيه «الإيديولوجيا» إلا إذا كانت الاستعانة واسعةً ومعمّقةً بالتحليل النفسي؟ لكن ماذا عن العلاقة بين الإيديولوجيا والتحليل النفسي؟ أكان مفهوم الإيديولوجيا حاضرًا أم غائبًا عند فرويد؟ هل

تناول مؤسِّسُ التحليل النفسي هذا المفهوم بالدرس والتحليل؟ وما بعد فرويد، أقاربَ المُحلِّلون النفسيّون الإيديولوجيا بتصورات نظرية وأدوات منهجية ومفهومات إجرائية جديدة؟ هل هناك من دراسات نفسية معاصرة طوّرت تحليل الإيديولوجيا من منظور التحليل النفسي؟ هل هناك من تحليلٍ نفسيٍّ لإيديولوجيةٍ من الإيديولوجيات الكبرى في مجتمعنا وعصرنا؟ وماذا عن إيديولوجية التحليل النفسي ذاته؟ ما الموقف الإيديولوجي للتحليل النفسي؟ وهل شهدت محتويات هذا الموقف الإيديولوجي للتحليل النفسي تحولات وتغيّرات؟

سيجموند فرويد والإيديولوجيا

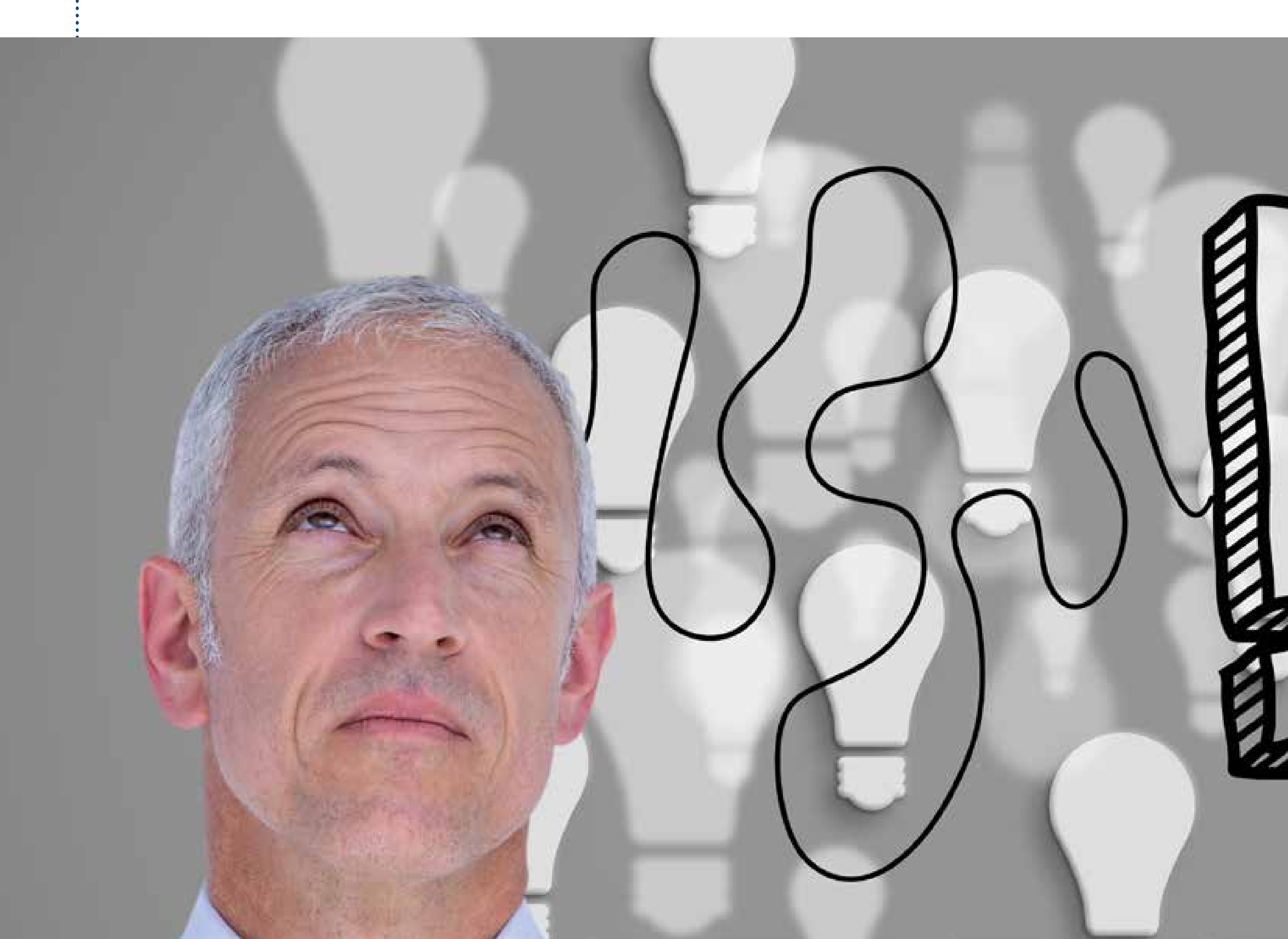
ماذا عن فرويد والإيديويوجيا؟

يمكن أن أفترضَ أنَّ فرويد لم يكتبْ أيَّ شيءٍ يكون خاصًّا بمفهوم الإيديولوجيا(كاييس، ٢٠١٦، ص ٣). لكن لا بدَّ من توضيحاتٍ قد تكشفُ أن التفكير في الإيديولوجيا لم يكن غائبًا كلَّ الغياب في أعمال مؤسِّس التحليل النفسيّ ودراساته

سيظهر المصطلح في مؤلَّفه: محاضرات جديدة في التحليل النفسي(١٩٣٢)، وخاصة في المحاضرة الرابعة حيث يُقدّم مختلف سجلات الشخصية النفسية، مُعرِّفًا الأنا الأعلى بأنّها: تُمثّل الإكراهات الأخلاقيةَ كلَّها والطموحَ إلى الكمال؛ وبأنّها ترتبط بالتأثير الذي يمارسه الآباء والمربّون؛ وبأنّها تتشكَّل لا انطلاقًا من صورتهم بل انطلاقًا من صورة أناهم الأعلى. فهذه الأخيرةُ تمتلىء بالمحتوى نفسه، وتُصبح ممثِّلةً للتقاليد ولكلِّ أحكام القيمة التي تَنتقلُ بين الأجيال (نفسه، ص٣).

وفي محاضراته، يستدعي فرويد دراسته الصادرة سنة ١٩٢١: سيكولوجية الحشود وتحليل الأنـ

(Psychologie des masses et analyse du Moi) حيث يميّز بين الأنا والأنا الأعلى، ويكشف الدور الذي يؤديه التماهي بوصفه أساسًا ليبيديًّا للرابط الاجتماعي: حَشدٌ(من الناس) سيكولوجي هو جمعٌ



من أفرادٍ مختلفين جعلوا شخصًا واحدًا يستقرّ داخل أناهم الأعلى؛ وبفضل هذه النقطة المشتركة، فإنهم يمارسون التماهي مع بعضهم البعض داخل أناهم (نفسه، ص٤).

وانطلاقًا من هذه الدراسات الفرويدية، قد يكون التفكير في الإيديولوجيا عند فرويد من خلال ثلاثة محاور كبرى

تتميّز الإيديولوجيا بأنها من وظائف المثاليّ؛ فهي تشكيلٌ للوهم في ولائه للأنا الأعلى ولمثاليّ الأنا. وبعد فرويد، اهتم عددٌ من المحلّلين النفسيين بهذا المعنى للإيديولوجيا: فـ ج. شاسكي- سميرجيل J. Chasseguet- Smirgel) اعتبرت الإيديولوجيا من «أمراض المثالية»(١٩٧٣)؛ وهناك مَن عدَّ الإيديولوجيا تكوينًا للأنا في علاقة بالسجلات المثالية(الأنا المثالية؛ مثاليُّ الأنا؛ الأنا الأعلى). ولكن تحليل أندري غرين(André Green) كان الأكثر إحكامًا بخصوص العلاقة بين الإيديولوجيا ووظيفة المثاليّ؛ ففي دراسة نشرها سنة ١٩٦٩، تناول فيها العلاقة بين الجنسية(sexualité) والإيديولوجيا عند ماركس وفرويد، موضّحًا أن هذا الأخير يميّز بين نوعين من الأنشطة: أنشطة تستهدف التحكم في العالم الخارجي من أجل إشباع الحاجات، وأخرى تستهدف إشباعًا تعويضيًا للاندفاعات العاطفية التي لم تتلقَّ جوابًا. وبهذا يتشكَّل حقلان: حقل الأشياء الواقعية وحقل الأشياء المثالية(نفسه، ص ١٠). وبهذا الحقل الثاني ترتبط الثقافة والحضارات ومؤسَّسات الثقافة من دين وفن وفلسفة...؛ والإيديولوجيا، مثل الدين، تتحدد بواسطة علاقتها بالمثلنة(L'idéalisation): في نظر غرين، لابد من تصور للأيديولوجيا لا يعدّها لا إيجابية ولا سلبية، لا حسنة ولا سيئة، بل يعرّفها على أنها نسقٌ من التحويلات التي تعمل على تجميع تأثيرات تلك المثلنة الأولية(L'idéalisation primaire).(نفسه، ص١٠). فالإيديولوجيا هي « بنيةٌ للمَثلنة»، بمعنى أنها تحقّقٌ للرغبة النرجسية عن طريق الاستيهام. وعددٌ من الماركسيين اهتموا بهذا المعنى الذي يقارب الإيديولوجيا بوصفها معرفةً وتمثّلاً مريضين، أي أنها فكرٌ مزيَّفٌ.

الإيديولوجيا هي بتعبير فرويد(Weltanschauung): أي رؤية للعالم ذات طابع كلِيانيٍّ، وبناءٌ عقلانيٌّ نسقيٌّ ومزيَّفٌ؛ إنها انحرافٌ في التفكير.

الإيديولوجيا وظيفةٌ اجتماعيّةٌ ضروريةٌ للوجود الجماعيّ، وهي راسخةٌ في الحياة النفسية. وتشتغل بوصفها بناءً للثقافة وبوصفها تكوينًا نفسيًّا.

الإيديولوجيا والتحليل النفسي والماركسية

سؤالٌ مهمٌّ لا بدّ من طرحه: ما هي التطورات التي شهدها التحليل النفسي في احتكاكه بالماركسية؟ ماذا عن الوظيفة الاجتماعية للأيديولوجيا؟ ألا ينبغي لنا هنا أن نستحضر بعض الأسماء: يونج، أدلر، رايش؟ ألا ينبغي لنا هنا أن نستدعي السؤال الأساس عند فرويد: كيف سيكون التفكير من منظور التحليل النفسي في التشكّلات التي تؤدي دور الوساطة بين البنيات النفسية والبنيات الجمعية، الاجتماعية والثقافية؟

وفي هذا الإطار يستحق تفكير فيلهيلم رايش الاهتمام: وفي هذا الكتاب يطوّر نظريته بخصوص الإيديولوجيا: سيكولوجيا الحشود عند الفاشية La psychologie de masse du fascisme(١٩٣٣) لكنه كان قد قدّم بعض المنطلقات منذ كتابه: المادية الجدلية والمادية التاريخية والتحليل النفسي.

لاشك في أنَّ هناك ما يُميِّز رايش عن فرويد، لكنَّ الأولَ طوّرَ فكرةَ الثاني: لا بدَّ من مراجعة فكرة الماركسية التي تفصل بين الكائن الاقتصادي والكائن الاجتماعي، والتي تَعدُّ الإيديولوجيا ووعيَ الناس محدَّدَيْن بشكلٍ مباشرٍ وحصريٍّ بواسطة الكائن الاقتصادي، واضعةً بذلك تعارضًا ميكانيكيًّا بين الإيديولوجيا والاقتصاد، بشكلٍ يَمنعُ الماركسيةَ من أنْ تفهم أنَّ الإيديولوجيا تؤثرُ في الاقتصاد أيضًا؛ فالإيديولوجيا لا تعكس السيرورات الاقتصادية فحسب، بل إنَّ لها القدرة على ترسيخها في البنيات النفسية لأفراد المجتمع.

وفوق ذلك فالماركسية لا تعترف بالسيكولوجيا؛ وفيلهيلم رايش كان يؤسِّس تحليلاً نفسيًا يهتمّ بدور الذات في التاريخ، وبدور البنية الإيديولوجية التي يشكلّها الأفراد في مجتمع معين وعصر محدد. وفي نظر رايش الإيديولوجيا قوة مادية قادرة على قلب التاريخ وتغييره، ولكنها تستمدّ هذه القدرة من سيكولوجية الأفراد في مجتمع معيّن وعصر محدد.

وبعد ماركس وإنجلز يًقبلُ رايش بوجود تباعد بين التطور والاجتماعي والرغبات الأصلية للكائن الإنساني؛ ومثل فرويد، يَقبلُ أنَّ هناك رغبات وحاجيات ثانويةً موضوعاتُها هي بدائلُ سوسيوثقافية(تعويضٌ سوسيوثقافي) للموضوعات الحقيقية. والإيديولوجيا- في نظر رايش- هي انعكاسٌ لذلك النقص ولذلك التعويض.

ولكن بالنظر إلى ما قدَّمه رايش، يمكن أن أتساءل: هل استطاع رايش أن ينجح حيث فشل التحليل النفسي: التفكير في التشكّلات النفسية- الاجتماعية؟ هل استطاع رايش- والتحليل النفسي- النفاذ إلى هذه المنطقة البينية المعقدة: الداخل والخارج؛ النفسي والإيديولوجي؛ النفسي والسوسيوثقافي؟

الإيديولوجيا والتحليل النفسي: دراسات نفسية معاصرة ومفهومات جديدة

٤-١- أصدر المحلِّل النفسيّ الفرنسيّ المعاصر رونيه كاييس(René Kaës) كتابًا بعنوان: الإيديولوجيا: المثاليّ والفكرة والمثل الأعلى(L' idéologie : l'idéal, l'idée, l'idole)؛ وذلك سنة ١٩٨٠؛ وفي سنة ٢٠١٦ ظهرت طبعة جديدة، مزيدة ومنقّحة. وفي هذه الأخيرة يحتفظ الكتابُ بأغلب الافتراضات التي وضعها المؤلِّفُ خلال الثمانينيات من القرن المنصرم من أجل النظر إلى مسألة الإيديولوجيا من منظور نفسانيٍّ. لكن السنوات الفاصلة بين الطبعتين قادت المحلِّلَ النفسيَّ رونيه كاييس إلى تصورات ومفهوماتٍ فرضتْ عليه مراجعةَ المعطيات الاكلينيكيةٍ والتشييدات النظرية التي كان ينطلق منها في السابق. ومن جهةٍ ثانيةٍ فالسياق الثقافي والجيو- سياسي قد غيّر من الأشكال المعاصرة لما سماه كاييس قلق - الوجود malêtre داخل الحضارة (وذلك عنوان كتاب أصدره سنة ٢٠١٢). ولا مبالغة في القول إن لهذا السياق تأثيراتٍ تظهر من خلال التشكلات الأيديولوجية الجديدة، بل هي ظاهرةٌ على فضاء الواقع النفسي، بأشكاله ومحتوياته وسيروراته، عند الأفراد والمجموعات كما عند الجماعات والمؤسسات.

لقد جاء المؤلَّف في سنة ١٩٨٠ وليدَ حاجة ضرورية إلى إيجاد أجوبة لأسئلة مصدرها طبيٌّ اكلينيكيّ (حالات مَرَضيةٍ) وعمليٌّ نظريٌّ (التحليل النفسي للجماعة). وما كان يسند هذا العمل هو تلك التغييرات العميقة التي جاءت مع أحداث ١٩٦٨.

لقد كان المحلل النفسي رونيه كاييس يلاحظ- وقتئذ- كيف يتأسّس الموقف الإيديولوجي-عند الذات الفردية- على أسسٍ هي من تلك التي تقوم عليها نفسيةُ الطفل، وعلى «نظرياتٍ» هي من تلك التي تطوِّرها تلك النفسية من أجل معالجة مجموعة من الأسئلة-الألغاز: الأصل؛ الميلاد؛ الإغراء؛ الاختلاف بين الجنسين...؛ وعلى أساس هذه الأجوبة، وبالقدر الذي تهيمن به تلك القوة الجبّارة للفكرة على تشكيلها، وتلك المقتضيات النرجسية القديمة المتعلقة بما هو مثاليٌّ، وتلك السيطرة المرتبطة بالصنم أو بالمثل الأعلى، تكون تلك الأسس قد ترسّخت انطلاقًا ممّا يسمّيه فرويد بـ-: Weltanschauung: أي انطلاقًا من رؤية للعالم، متماسكة ومهيكَلة بما فيه الكفاية، توفِّر- وبطريقةٍ غير ملموسةٍ- كلَّ الأجوبة لكلّ الألغاز التي تواجه الذات.

وكانت فكرة كاييس- وهو يدافع عنها إلى اليوم- هي أن الأفراد والجماعات والمؤسّسات ينتظمون حول ثلاثة مواقف ذهنية رئيسة تتطابق مع رؤًى للعالَم (Weltanschauunge): الموقف الإيديولوجي (idéologique)؛ الموقف الطوباوي (utopique)؛ الموقف الأسطورشعري (mythopoëtique). ولا يتعلق الأمر هنا بنظامٍ تطوريٍّ، فهي مواقف تتشكّل وتستقرّ في أوقاتٍ معيّنةٍ من التنظيم الذهني

للأفراد والجماعات والمؤسّسات. وكلُّ واحدٍ من هذه المواقف يتألف في صورة نسقٍ أكثر أو أقلّ انفتاحًا من أجل تفسير العالَم. وعند الذوات تكون تلك النظريات الجنسية المرتبطة بالطفولة هي الرَّحم الذي منه تتولّد هذه الأنساق التفسيرية.

وخلال الثمانينيات كان كاييس يُعرِّف الموقف الإيديولوجي من خلال ما يتشكّل من استيهامات وتماهيات وآليات للدفاع تعمل على إنتاجٍ تكوينٍ نفسيٍّ يتميّز بالقوة الجبّارة للفكرة، وبسيطرة وظائف المثاليّ، وبالصورة المستحوذة للمثل الأعلى(الصنم). وبذلك يتأسَّس الموقفُ الإيديولوجيُّ على ضرورةِ بناءِ تفسيرٍ كونيٍّ على أساس مبدأ السبب الواحد.

ويميّز رونيه كاييس بين الموقف الإيديولوجي الذي يتأسّس على مثاليِّ الأنا والإيديولوجيا التي تتأسّس تحت تأثير الأنا المثالية:

فالموقف الإيدبولوجيّ الأول يتبلور داخل الأنا بوصفه شكلاً عليه أن يتحقّق بواسطة التماهي مع أشخاص محبوبين؛ ودورُه الحاسم في تشكيل التكتّلات والجماعات والمؤسّسات سجّله فرويد سنة ١٩٢١ في دراسته: سيكولوجية الحشود وتحليل الأنا(Psychologie des masses et analyse du Moi)؛ وهو موقفٌ مفتوحٌ على التحول وعلى التوافق مع مبدأ الواقع. ويُعَدُّ أندري غرين (André Green) من المحلِّلين النفسيين القلّة الذين تخلّوا عن ذلك التصور السلبيّ في كلِّيته من الإيديولوجيا، فهو يركِّز في تحليله على الرغبة التي تَسنِدُ الإيديولوجيا أكثرَ من التركيز على طابعِها الضارِّ والسلبيّ والتخريبيّ.

أما الموقف الإيديولوجيّ الثاني فهو موقفٌ جذريٌّ راديكاليٌّ يخضع لنداءات ملحاحة صادرة من تلك القوة الجبّارة التي تأسّست على النرجسية الطفولية. وهو موقفٌ إيديولوجيٌّ يفرض نفسه ضدّ اللايقين وضد المجهول، وذلك بوصفه فكرةً ضدّ فعل التفكير، أو بوصفه عجزًا حقيقيًّا عن التفكير. ومن أهمّ خصائصه أنه موقفٌ يأمر بفعل ويبرّره، ذو طبيعة أمريّة، تشكيكيّة، لا يَقبَل بأيِّ اختلاف ولا بأيٍّ غيريّة، ويعلن أشياءً ممنوعٌ التفكيرُ فيها. وبعبارةٍ واحدة فالموقف الإيديولوجيّ الراديكاليّ هو تنظيمٌ نرجسيٌّ قائمٌ على رفض جماعيٍّ لأيِّ إدراكٍ للواقع لصالح القوة الجبّارة للفكرة، ولصالح تمجيدٍ للمثاليّ، ولصالح تثبيتٍ للمثل الأعلى أو الصنم.

ويسجل رونيه كاييس أن هناك في التحليل النفسي غيابًا لهذا التمفصل بين حقلَيِّ الواقع النفسي للذات والواقع النفسي للجماعة، مع أنه في هذا التمفصل تتشكّل وتتبلور تمثّلات العالَم؛ ويوضّح أنّ المتن النظريَّ الخاصَّ بالتحليل النفسي للفرد لم يُستثمَر بعدُ في مقاربة الإيديولوجيا نفسانيًّا، وأنْ ليس هناك من تمييز كافٍ بين الإيديولوجيا بوصفها خطابًا نوعيًّا حول واقع العالَم خاصٍّ بمجموعةٍ اجتماعية وبين الموقف الإيديولوجي الذي أسّسته ذاتٌ فرديةٌ ومجموعةٌ معينة.

وفي الطبعة الجديدة للكتاب (٢٠١٦)، يؤكّد رونيه كاييس على فكرة استمرارية الإيديولوجيا بوصفها موقفًا ذهنيًا؛ وبوسائل جديدة، يحاول استكشاف ما فيها من أبعاد جديدة، مركِّزًا على السؤال الآتي: كيف يستمرُّ الوهمُ بأن الأوهام قد ماتت؟

وفي أواخر السبعينيات كنّا لا نزال تحت تأثير ما فعلته تلك الإيديولوجيات الخطيرة بالإنسانية (النازية؛ الفاشية؛ الانحرافات المتوحِّشة للماركسية - اللينينية والماوية..)؛ لكن الإيديولوجيات الكبرى، التي تأسّست أواخر القرن التاسع عشر وخلال ثلثي القرن العشرين، قد بدأت تسقط وتنهار) سقوط جدار برلين سنة ١٩٨٩). ولكن بالمقابل ومع انطلاق العولمة، ستبدأ مجموعاتٌ إيديولوجيةٌ جديدةٌ في الظهور: وهي ذات نزعة ليبرالية أو قومية أو أصولية دينية.

ومنذ الثمانينيات كان رونيه كاييس من الباحثين القلائل الذين يدافعون عن فكرة أنه إذا انهارت الأنساق الإيديولوجية الكبرى التي سادت لقرنين من الزمن، فإن ذلك لا يعني إلا موتًا سطحيًّا

للإيديولوجيـة. ويفتـرضُ المحلّـل النفسـيُّ أن الموقـفَ الإيديولوجـيَّ هـو اسـتعدادٌ دائمٌ مـن الفكر الإنسـانيّ، وأن إظهـارَ ذلـك الموقف يكون تبعًا لثوابتَ نفسـية في علاقتهـا بسـياقات اجتماعيـة محـددة. والفكـرةُ هنـا هـي أنَّ الموقـفَ الإيديولوجـيَّ يبقـى موجـودًا حتـى عندمـا تتغيّـر محتوياتـه، وهـو يَظهـر في شـكل ذرّات وشـذرات متفرقـة مـن دون تنظيـم نسـقيّ قبـل أن يجتمـع في أنسـاقٍ إيديولوجيـة جديـدة.

والحجـة علـى أن الإيديولوجيـات تمـوت لتعـود مـن جديـد هـو مـا وقـع مـن الأحـداث بعـد ذلـك (١١ شـتنبر ٢٠٠١ بنيويـورك؛ ١١ مـارس ٢٠٠٤ بمدريـد؛ باريـس ٢٠١٥...) مـا سـمح بتشـكُّلِ إيديولوجيـات يبـدو أن الأصوليـاتِ الدينيـةَ هـي أهمُّهـا... هنـاك مخـاوفُ قديمـةٌ اسـتدعتْ دفاعـات صارمـةً وعنيفـةً وقاسـية: الخـوفُ مـن الإخصـاء، القَلـقُ مـن التأنيـث (féminisation)، الهجـــرةُ الخارجيـــة المرفوضـة، واكتسـاحُ الإسـلام المرفـوض، هشاشـةُ الهُويـة، تمجيـدُ العنـف... والأحـداثُ الإرهابيـة التـي شـهدتْها الألفيـةُ الجديـدة هـي مـن تمظهـرات الإيديولوجيـات التـي تسـندها وتدعمهـا؛ ولابـد أن نفهـم كيـف ترتبـط هـذه الأحـداث الدمويـة بتلـك الإيديولوجيـات الراديكاليـة، وأن نسـتوعب محدداتهـا وسـيروراتها النفسـية، وأن نتسـاءل: مـا سـببُ هـذا الرعـبِ كلِّـه؟ ولماذا يبقـى هـذا الشـرُّ الراديكالـيُّ المدمِّـرُ للإنسـانية داخـلَ كل كائـن إنسـانيّ مـن أجـل تلـك الفكـرة ذات القـوة الجبّـارة، مـن أجـل ذلـك الشـيء المثالـيّ العنيـف، مـن أجـل ذلـك المثـل الأعلـى الدينـي؟ وأن نحـاول أن نتمثّـل كيـف يكـون اللاوعـي أمـام هـذا الرعـب الـذي يثيـره الإرهـاب: كيـف يكـون ردّ فعـل اللاوعـي، كيـف يكـون فعلـه، ومـا هـي الدفاعـات التـي يسـتثيرها داخـل الـذات وداخـل الجماعـة؟

ومـع ذلـك كلـه يبقـى الافتـراض الأسـاس عنـد رونيـه كاييـس في الطبعـة الجديـدة مـن كتابـه: الموقـف الإيديولوجـي، سـواء كان شـذريًا أو نسـقيًا، لابـد لـه مـن ثلاثـة مكونـات: القـوة الجبّـارة للفكـرة؛ شـيءٌ مثالـيٌّ نموذجـيٌّ؛ مثـلٌ أعلـى مهيمـنٌ (صنـم).

منـذ أبحاثـه خلال الثمانينيـــات، بـدأ تحليـل رونيـه كاييـس يغتنـي بمفهومـات عديـدة: يحتـلّ فيهـا مفهـوم الترابطـات اللاواعيـة (alliances inconscientes) مكانـة مركزيـة؛ وعمـل علـى اسـتعارة مفهـوم الرابـط الاسـتبدادي (lien tyrannique) مـن التصـورات التـي وضعهـا د. ملتـزر (D. Meltzer) سـنة ١٩٦٨. وقـد أخـذ منـه بالأخـصّ تلـك الفكـرة التـي تقـول إن الاسـتبداد هـو دفـاعٌ ضـدّ مخـاوف الإحبـاط والاكتئـاب. والإيديولوجيا بوصفهـا شـيئا اسـتبداديًا، تعمـل علـى تنظيـم أمريـن: الأول علاقـات الخضـوع للشـيء الاسـتبدادي، والثانـي روابـط السـيطرة علـى الفـرد والجماعـة الخاضعيـن لهـذا الشـيء الاسـتبدادي، وذلـك مـن أجـل مقاومـة تلـك المخـاوف.

في طبعتـه الجديـدة، كمـا في طبعتـه السـابقة، هـدف هـذا الكتـاب ليـس هـو تحليـل إيديولوجيـة محـددة، بـل إنـه يحـاول أن يؤسِّـس بعـضَ العناصـر التـي تسـاعد علـى القيـام بتحليـلٍ نفسـيٍّ للذهنيـات؛ وهـو يحـاول، فـوق ذلـك، التوسـع مـن أجـل مقاربـة المواقـف الثلاثـة (الموقـف الإيديولوجـي؛ الموقـف الطوبـاوي؛ الموقـف الأسـطورشـعري)، وهـو في كل ذلـك يضـع صلاحيـة تطبيـق التحليـل النفسـي علـى الذهنيـات الجماعيـة موضـع سـؤال.

٤-٢- لنقـفْ قليـلا عنـد هـذه المفهومـات النقسـانية الجديـدة التـي يمكـن أن نسـتعين بهـا في مقـــاربة الإيديولوجيـا مـن منظـور التحليـل النفسـي

مفهـــوم: التـــحالف اللاواعـــي (alliance inconsciente)

اقتـرح رونيـه كاييـس هـذا المفهـوم مـن أجـل النظـر في علاقـات العنصـر بالمجموعـة، ومـن أجـل النظـر في الطريقـة التـي يتكـوّن بهـا اللاوعـي داخـل تشـكلات الروابـط التذاوتيـة(مـا بيـن الـذوات) وسـيروراتها، أخـذًا بعيـن الاعتبـار تأثيـرات اللاوعـي في تلـك التشـكلات والسـيرورات. وهكـذا فـكلّ واحـد منّـا في حاجـة إلـى الآخـر مـن أجـل تحقيـق رغباتـه اللاواعيـة التـي لا يمكنهـا التحقـق مـن دون الآخـر، وبشـكلٍ متبـادل. والغايـة مـن هـذه التحالفـات هـو العمـل علـى كبـت أو رفـض أو محـو أو إنـكار كل مـا يجعـل تلـك الروابـط في موضـع خطـر. وينتـج عـن ذلـك اتّفـاقٌ لاواعٍ هـو المؤسِّـس للاوعـي كلّ واحـد؛ وبهـذا المعنـى فـإنّ التحالفـات اللاواعيـة تعمـل علـى هيكلـة الحيـاة

النفسية لكل ذاتٍ، بوصفها ذاتًا للاوعي وذاتًا لتلك التحالفات.

انطلقت أبحاث كاييس في موضوع التحالفات اللاواعية منذ ١٩٧١، مسجِّلا أنه ليس من الممكن أن تكون إيديولوجيا (idéologue) أو مؤمنًا(croyant) بإيديولوجيا لوحدك، بل لابد من أن يدعمك الآخر ضدّ الشك واللايقين. فأنْ نعتقد جماعةً وننضمّ إلى تلك الفكرة القادرة على كل شيء، إلى ذلك الشيء المثالي، إلى ذلك المثل الأعلى الذي يحمينا من الموت، ذلك كله هو الذي يحفظ للمتن الإيديولوجي وحدته، ويجعل كلّ واحد مرتبطًا بالآخر داخل المجموعة الاجتماعية. وهذا كله جعل كاييس يكتشف في ما بعد أن التحالفات اللاواعية هي التي تؤسِّس الموقف الإيديولوجي، وهي التي تتجلى وظيفتها في تأكيد قدرتنا على أن لا نفكّر وأن نحافظ على التماسك المتخيَّل بين أنا تلك الذوات والمجموع الذي تشكّله. لكن كاييس يعود ليسجل أن الإيديولوجيا ليست تنظيما دفاعيا فحسب، بل هي بناءٌ لليقينيات الأساس الموضوعة لكل فعلٍ أو تفكيرٍ جماعيّ. وفي الواقع-ومن أجل أن نفكّرَ ونتصرّفَ جماعةً- لابد أن يتأسّس اتّفاقٌ لاواعٍ كي لا نفكّر في بعض موضوعات التفكير: كي نقوم بكبتها ورفضها ووضعها في الخارج، في مكانٍ نفسيٍّ آخر، في«خارج الذات» الذي يبقى مع ذلك جزءًا من الذات.

وقد ميّز كاييس بين أنواع من التحالفات اللاواعية، وقام بتحليل الميثاق النرجسي، وتحالفات الإخوة، والتحالف الرمزي مع الأب...إلخ. وهذان نوعان مهمّان من هذه التحالفات:

التحالفات المهيكلة: الميثاق النرجسيّ: الميثاق النرجسي مكوّنٌ أساسٌ في الجهاز النفسي-الجماعي؛ وهو ميثاقٌ يُعيّن لكلّ واحد مكانًا معينًا حدّدته له الجماعة، ودلالة ذلك المكان يمنحها مجموع الأصوات التي تتمسك بخطاب معين مطابق للأسطورة المؤسِّسة للجماعة. ويكون مفهوم الميثاق النرجسي مناسبًا عندما يعمل على وصف ذلك المكوّن الذي يُهيكِل استثمارَ الجماعة للذات نرجسيًا.

ميثاق الإنكار: وضع كاييس هذا المفهوم من أجل وصفِ كلِّ ما يكون مآله- داخل مجموعة من الذوات المتفاعلة- هو الكبت والإنكار والرفض. ووظيفة الميثاق تتجلى في أن الروابط تنتظم وتتقوى في تكامل المصالح. وبذلك يبدو ميثاق الإنكار كأنه الوجه الآخر المكمِّل للميثاق النرجسي. ولميثاق الإنكار قطبان: قطب تنظيمي وقطب دفاعي: فكل مجموعة من الذوات إلا وبينها استثمارات متبادلة واستيهامات متبادلة، ومجموعة مشتركة من المعتقدات والمثل العليا؛ لكن داخل هذه المجموعة تنتظم أشياء أخرى أيضا: التضحية؛ الكبت؛ المحو؛ الرفض؛ بقايا؛ دعْ ذلك جانبًا..إلخ. وبهذا فهو ميثاق يخلق داخل المجموعة أشياء غير قابل للدلالة وغير قابلة للتحويل، ومناطق للصمت، وجيوب التسمّم، هي التي تجعل الذات غريبًا عن حكايته الخاصة.

الإيديولوجيا هي لا-مُفكَّرُ الجسد، هي لا-كلامُ الجسد:

من الواضح أن الكلام يكون صادرًا عن الجسد، والجسد هو مكان الرغبة، وإذن فكل كلام هو رغبة؛ لكن الكلام يحاول أن يمارس التبادل وأن ينسج ثوبًا مخادعًا يتوهَّم من خلاله أنه مستقلّ عن الجسد؛ ولهذا فهو باللغة وداخل اللغة يعمل على خنق كل ما هو مقلق داخل الجسد. وفي النهاية فإن كلَّ كلام منظَّم، مفكَّر فيه، ممأسَس، هو كلام يَشتغل من أجل أن يَنكر(وجود) الجسد.

وفي علاقة بالجسد، يمكن أن أتساءل: كيف تتأسَّس الإيديولوجيا؟ باول شيلدر (P. Schilder) من المحللين النفسيين الرواد المعاصرين لفرويد، نشر سنة ١٩٣٦ مقالاً بعنوان

Theanalysisofideologiesasapsychotherapeutic method , especially in group treatment وهو يُسجِّل في هذا المقال أن الإيديولوجيات تأتي من الوضعية الليبيدية للطفولة الأولى، وهي على علاقة وثيقة بموقف الطفل الانفعالي والشعوري تجاه آبائه وباقي أعضاء محيطه، وهي تتأسَّس بالتقمُّص (التماهي) أو بالتقليد (المحاكاة). لكن رونيه كاييس يسجِّل (ص٩٠) أن الفكرةَ الأصيلة

عنـد شـيلدر لا تتعلـق بمـا سـجلناه أعـلاه، بـل بالعلاقـة التـي يقيمهـا بين الإيديولوجيـا وصـورة الجسـد. ويسـجل شـيلدر أنَّ انشـغالَك بالجمال وببنيـة جسـدك يـؤدي دورًا مهمًّـا عنـدك كما عنـد كلِّ كائن إنسـاني، وهـو الـذي يشـكّل جزءًا مـن نظام أفـكارك. وفي الواقـع فتقييمـك لجسـدك الخاص هـو في الوقـت نفسـه تقييمٌ يهـمُّ القـوةَ والصحـة، النشـاطَ والسـلبية، الذكـورة والأنوثـة، المـوت...: إنـه حـول هـذه التقييمـات تتأسَّـس الإيديولوجيـات. ويـدرس شـيلدر عـددًا مـن المرضـى: أحدهـم كان مكرَهًـا علـى كتابـة كلمـات فاحشـة حـول الله الـذي يتصـوره رجلًا طـويلًا وقويًّـا، فإيديولوجيتـه تعطـي القيمـة للطـول والقـوة اللذين يعنيـان الشـيءَ الكثيرَ للطفـل الصغيـر الضعيـف. وهنـاك مريـض آخـر يتميـز بالمثلية، وهـو يشـكو مـن صعوبـة التفاهـم مـع الآخريـن الذيـن يسـعون إلـى الهيمنـة عليـه ومراقبتـه وإغرائـه واختزالـه في وضعيـة سـلبية...؛ وهـو يخـاف مـن مواجهـة الأب بسـبب قدراتـه الفيزيقيـة، ولكنـه لا ينتبـه إلـى قدراتـه الفيزيقيـة الخاصَّـة بـه، ويبـدي عدوانيـةً عنيفـةً تجـاه أبيـه أو بديلـه: وراء الأب، ترتسـم صـورة الأمّ العدوانيـة. يسـجل شـيلدر أن أغلـب المرضـى لا يحكُمـون علـى أنفسـهم بالضَّعـف والعجـز الفيزيقـي فقـط، بـل بنقـصِ الشـجاعة في علاقاتهـم الاجتماعيـة وعجزهـم عـن التأثيـر في الآخريـن: وحياؤهـم الاجتماعـي لـه علاقـةٌ وثيقـةٌ بعدوانيـةٍ قويـة. وبخصـوص الذكـوريِّ والنسـويّ، يسـجل شـيلدر أن الخـوفَ مـن أن تكـون مؤنَّثًا بزيـادة يتأسَّـس مـع الخـوف مـن أن تكـون سـلبيًّا وخاضعًـا لأحـدٍ آخـر أكثـر قـوة. وهنـا لا يتعلـق الأمـر بالخـوف مـن الأب وقضيبـه فحسـب، بـل بالخـوف مـن أمٍّ تملـك عضـوًا جنسـيا مدمِّـرًا. ويظـن شـيلدر أن تحليـل الإيديولوجيـات ممكـن ومُسـتحَبّ: إنـه جـزءٌ مـن تحليـل الأنـا(Moi). وفي البدايـة يهتـمّ التحليـل بالمحتـوى الواعـي للإيديولوجيـة والمنطـق الـذي ينتظمـه، والسـؤال النهـمّ في نظـره هـو: لماذا تبنَّـى هـذا الفـرد/ أو الجماعـة هـذه الإيديولوجيـة بالذات؟

لكـن السـؤال الأكثـر أهميـة هنـا هـو: مـاذا عـن الايديولوجيـا، بوصفهـا لامفكـر الجسـد، عندمـا يكـون الجسـد ذكـرًا أو أنثـى؟ هـل يتـذوق الولـد التجريـدات النظريـة لأنـه في حاجـة ضروريـة وسـريعة إلـى تفسـير نهائـي ووحيـد أمـام العضـو الجنسـي للبنت ومـا يشـكّله مـن تهديـد لولـوج ذكـره؟ وإذا كانـت الوظيفـة والإشـكالية الأبويتـان مختلفتـان بالنسـبة إلـى الولـد والبنـت، فـإن الاسـتيهامات الهذيانيـة (البارنويديـة) الذكوريـة أو الأنثويـة التـي تقـوم عليهـا كل إيديولوجيـة تمنـح الامتيـاز للقبضـة الأمومية التـي لا يمكـن الانفـلات منهـا إلا بصناعـة آخـر (Autre) بالقـرب مـن هـذا الكائـن- المـرأة الأول الـذي ينتمـي إلـى عالـم مـا قبـل اخـتلاف الجنسـين (ص٩٥). (موسـم الهجـرة إلـى الشـمال، لعبـة النسـيان) تقترحـان اسـتيهامًا تقـوم عليـه إيديويوجيـا الشـخصية المحورية: إن هـذه الشـخصية هـي نتـاج الأمّ مـن دون تدخـل الأب، هـي ليسـت مـن صنـع الأب، بـل مـن صنـع الأمّ وحدهـا، إنهـا مـن نسـل لا- أبـوي).

ولننظـر الآن في الإيديولوجيـا والنظريـات الجنسـية الطفليـة: سـؤال يطرحـه الطفـل الصغيـر: مـن أيـن يأتـي الأطفـال؟ ولا يحصـل الطفـل إلا علـى جـواب متملـص أو توبيـخ أو حكايـة. والطفـل المخـدوع قـد لا يصـدق الحكايـة، فيشـكّ في أن الكبـار يخفـون معرفـة سـرّية ممنوعـة ومرغوبـة. صمـت الآبـاء وجنسـه يدفعـان الطفـل إلـى ابتـكار نظريـات خاطئـة وزائفـة: النظريـة الأولـى أن الكائنـــــات الإنسـانية تملـك كلهـا قضيبًـا. هـو يلاحـظ أن البنـت لا تملـك قضيبًـا، لكـن القيمـة الإيروسـية التـي تمنحهـا ذاتـه للقضيـب تمنعـه مـن أن يتصـور شـبيهًا لـه مـن دون هـذا العضـو الضـروري، ولأن هـذا الاعتقـاد يسـمح لـه -أيضًـا- بـأن يتمثـل الخصـاء. والنظريـة الثانيـة يحكمهـا الجهـل بالفـرج؛ بالعضـو الجنسـي النسـائي. وتتضمـن هـذه النظريـة اسـتيهامًا بـأن الرجـل يمكـن أن يكـون حـاملا مثـل المـرأة! والخلاصـة أن هنـاك» ثلاثـة عناصـر: توفيـر تفسـير؛ وبنـاء منطـق قـادر علـى جعـل التجربـة عقلانيـة؛ واقتـراح فكـرة سـهلة الاسـتعمال؛ هـذه هـي الأسـس المشـتركة بين النظريـة الجنسـية الطفليـة والإيديولوجيـا: فهـذه أو تلـك تعـزّز يقينًـا ضعيفًـا. فالنظريـة الجنسـية الطفليـة

تفكّر ضد الرغبة في معرفة الرغبة: إنها « معرفة –ضدّية (R. Gori «contre-savoir, 1978, p138) تجعلك تتجنّب المعرفة بالنقصان» (كاييس، ص٩٨).

والآن لنفكّر قليلاً في الجسد والشفاهية في علاقتهما بالإيديولوجيا: « تستمدّ الإيديولوجيا –من علاقتها بالشفاهية– واحدة من وظائفها الكبرى: إنها تنشأ ضدّ الانفصال، وضدّ الانقطاع. تتكلّم الإيديولوجيا من دون أن تنفصل شفتاها عن الثدي. ولذلك –فهي عندما تتكلم– فإنها بالكاد تتواصل، إنها تتجنّب الخصاء الشفوي، والأفضل أنها تنكره، بما أن الثدي يجري التحقق منه هنا، بدلاً عن الكلام الذي يَشهد على ضياعه. فالإيديولوجيا تجد نفسها في وظيفتها الصوتية(جدار صوتي: R. Gori, 1975)، في همهماتها وغمغماتها، المتكررة والدائرية: تسدّ الثغرات، وتعزّز، وتكرّر» (كاييس، ص٩٩).

والآن ما هي العلاقة بين الإيديولوجيا والجسد والشرجية وصورة الأمّ الشرجية: يبدو أن التكافؤ المزدوج للوظائف(التخلص، الاحتفاظ؛ التدمير– التحكم) موجود في قلب النظام الإيديولوجي.(ص ١٠٠). والمحتوى الجسدي هو الشكل الأكثر بدائية للملْكيّة؛ وفي تلك المرحلة، كان الشعور بالأشخاص والأشياء كأنهم ممتلكات يمكن الاحتفاظ بها أو التخلّص منها(ص١٠٠). إن إبعاد شيء ما أو ضياعه يمكن أن يَعدّه اللاوعي سلوكًا تدميريًا ساديًا كما يمكنه عدّه إخراجًا شرجيًّا(ص ١٠٠). إن بناء نظام من الأفكار والمُثُل يبدأ في الاشتغال من أجل ضمان الدفاع ضد مخاطر ضياع شيءٍ ما: أشياء داخلية؛ أشياء جماعية ومشتركة؛ الشيء– الجماعي المشترك. وإن استثمار الأفكار المزودة بالقوة– الكلية من أجل الاحتفاظ– الهيمنة أو التخلص– التدمير يحصل على طاقته من هذا التنظيم الغريزي للسادية أو الإيروسية الشرجية. وتتهيكل الإيديولوجيا انطلاقًا من هذه الأزواج المتعارضة، المانوية، الدوغمائية، المكرّسة للقضاء على الشك والتناقض الوجداني.(ص١٠١). « إن الإيديولوجيا–بوصفها نسقًا، هي التي تُمثِّل صورة « الأمّ الشرجية»؛ فإليها تعود القدرة على المراقبة والإبعاد والمقاومة والمطالبة–تمامًا– كما يُسنَد إلى «الأمّ الشرجية»–احتراسًا– التحكم المطلق في الفضلات والمحتويات الداخلية للأمعاء والمثانة.» (ص ١٠٢). (في لعبة النسيان: الهادي في اجتماع حزبي حاسم– بعد حملة القمع من النظام الحاكم– يدعو أعضاء الحزب إلى الحديث عن الأم؟ هناك اقتناع عند الطفل بأن التحكم الذي تمارسه «الأمّ» يعكس اهتمامها بالحصول ومراقبة المحتويات الداخلية للجسد، محتوياتٌ تصبح في ملكية الأمّ بعد أن كانت في ملكية الطفل، إنها تملك القدرة على « التحكّم في الأشياء» كما سجل M. Torok سنة ١٩٦٤. المنفذ الوحيد الذي يجده الطفل أمامه من أجل التحرر من سلطة مراقبة كلية، وحرمان « الأمّ» من تلك السلطة، ومقاومة الرغبة التي يشعر بها تجاهها، هو أن يَنقل الاستثمار الليبيدي المتعلق بالمحتويات المعوية، نحو الأنشطة الذهنية، وذلك بمعالجة الإنتاجات الذهنية–أي الأفكار– بوصفها أشياء شرجية(ص ١٠٢).//. الإيديولوجيا معالجة للمخاوف الاعتدائية الداخلية (دفاع ضد الغرائز العدوانية السادية– الشرجية) وللمخاوف الإحباطية(دفاع ضد ضياع ذلك الشيء الما قبل تناسلي objet prégénital).(ص ١٠٤).

وأخيرًا بماذا يمكن أن أختم تقرّبي المتواضع من موضوع إشكاليّ معقّد: الإيديولوجيا والتحليل النفسي؟

هل يكفي أن أسجل الملاحظات الآتية:

أن الإيديولوجيا ترتكز في بنيتها كما في العلاقات التي تقيمها ذواتها (الفاعلون/ الذوات الفاعلة ses sujets) معها على النرجسية. وكما أن النرجسي لا يتجاوب مع أي شيء آخر غير صورته، فإن الإيديولوجيا تحيل باستمرار على الشبيه، تتضاعف من خلال عناصرها، وتستعيد تدوير موضوعها داخل دائرة تبقى الذوات سجينتها(ص١٠٧). الإيديولوجيا قريبة منا يسميه أندري غرين(١٩٧١) بالشيء العبر– نرجسي (objet transnarcissique): فهي تضمن، بواسطة لعبة التقمصات والتماهيات، الوساطة بين البعد النرجسي الأولي والبعد الاجتماعي للتبادل. والمصطلح الذي اقترحه أندري

غرين ينطبق على الفن، وليس من دون سبب: ينتمي الفن إلى نظام «المفتوح»(l’ouvert) في حين تنتمي الإيديولوجيا إلى نظام الإغلاق(نظام خياطة الجرح ordre de la suture).

أن مصير النرجسية في مسار التطور الذي يعرفه الموقف الأيديولوجي يستدعي الحديث عن ثلاث لحظات: في البداية هناك شهر عسل: الإيديولوجيا تدعم الأنا الضعيفة القلقة الخاضعة للتمزق والمهدَّدة باللاندماج؛ في اللحظة الثانية تتحول الإيديولوجيا إلى موضوع حب؛ أما اللحظة الثالثة، فتتميز بضياع حدود الأنا وبتبدّد الشخصية: تختفي الحدود، وتُعاش الأفكار على أنها واقعية، والسيرورات الذهنية التي لم تعد محتواة في حدود الأنا تُدرَك من طرف الأنا الجسدية على أنها قادمة من الخارج. فتصبح الكلمات أشياء، والفكرة هي التي تحكم وتسود.

أن من الضروري الحديث عن الإيديولوجيا وفكر الجسد: مفهوم» فكر الجسد esprit du corps » ظهر عند فرويد في نهاية الفصل التاسع من كتابه: سيكولوجيا الحشود وتحليل الأنا: في المجتمع هناك فكر مشترك، فكر الجسد: لا ينبغي لأحد أن يتقدم إلى الأمام، ينبغي لكل واحد أن يكون مثل الآخرين وأن يحصل على الشيء نفسه: فكر الجسد ليس إلا نتاج تماهٍ متبادل يُعدّ حلًا للمأزق الذي تقود إليه الغيرة. يتشكل فكر الجسد داخل التماهي المتبادل بين أعضاء الجماعة بفضل الوهم أن كل عضو هو محبوب حبًا متساويًا من موضوع الحب: القائد، صورة الأخ الأكبر، وهذا بديل عن الأب. وتضمن الإيديولوجيا مناعة الجماعة من خلال الصورة المثالية للجسد الموحَّد والملتحم والبعيد عن التفرقة والانقسام. ولا ينبغي أن تكون هناك رؤوس كثيرة، بل رأس الجماعة فحسب. والجسد الجماعي هو موضوع نرجسي يتجسد في جسد القائد.





د.حسام الدين درويش

باحث ومفكـر

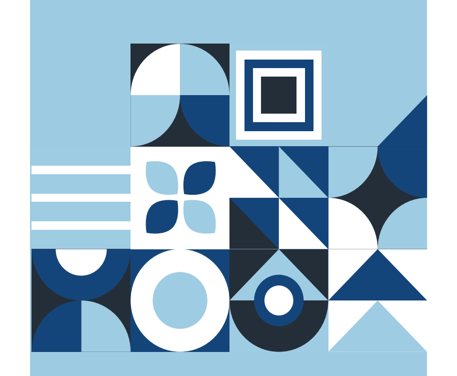
في مفاهيم الهرمينوطيقا الريكورية وفلسفة الاعتراف بالآخر

يجرى الحديث عن الهيرمينوطيقا، عادةً، بوصفها إحدى الفلسفات، فهناك حديثٌ عن الهيرمينوطيقا الفلسفية أو الفلسفة الهيرمينوطيقية، وعن كونِ الهيرمينوطيقا أحد الحقول أو التخصّصات الفلسفية. وكما ذكرت، فأنا مختصٌّ بالهيرمينوطيقا، ورسالة الدكتوراه كانت عن هيرمينوطيقا بول ريكور تحديدًا. وسبق لي أن بينت بالتفصيل، في نصٍّ آخر، تفضيلي تعريب مفردة الهيرمينوطيقا، وعدم ترجمتها، من خلال البحث عن مقابل عربي لها (فلسفة أو علم التأويل أو الفهم، الفسارة، التأويلية، فهم الفهم ... إلخ)؛ لأنّ الهيرمينوطيقا، لا تنحصر في دراسة التأويل، أو الفهم، أو التفسير، أو الترجمة ... إلخ، بل تهتم بكلّ ذلك وغيره. على الرغم من ذلك، أرى أنّ الموضوع الرئيس والأهم، وربمّا الأوحد للهيرمينوطيقا هو التأويل. ولا يعني ذلك أنّ مسائل الفهم، والترجمة، والتفسير، ليست مهمةً في الهيرمينوطيقا، بل يعني أنّ هذه المسائل مهمةٌ وهيرمينوطيقيةٌ، بوصفها مسائل تأويليةً. فالفهم–أيضًا– تأويلٌ صريحٌ أو مضمورٌ، وكذلك هو حال التفسير والترجمة، وكلّ رؤيةٍ معرفيةٍ عمومًا. وقد كانت هذه الفكرة هي أطروحتي الأوّلية في مشروع الدكتوراه الذي قدّمته، في قسم الفلسفة في جامعة بوردو الثالثة. وقد أردت–آنذاك– أن أبيّن أنّ المعرفة الإنسانية– كلّ معرفة– تأويليةٌ بالضرورة، وأنّ ذلك ينطبق على كلّ العلوم، بغضِّ النظر عن كونها، إنسانيةً أو طبيعيةً، وبغضِّ النظر عن كونِ بعضها يسمّى بـ «العلوم الهيرمينوطيقية»، وبعضها الآخر لا يحظى بهذه التسمية.

في التأويل (الهيرمينوطيقي)

المركزي والمحوري في فكرةِ التأويل أنّها تتضمّن مفهوم التعدّد، بمعنى إنّ القول بالتأويل يعني–بالضرورة– القول بالتعدّد؛ بتعدّد التأويلات. فكلّ تأويلٍ يتضمن بالضرورة القول بمشروعيةِ الاختلاف عنه. وهذه فكرةٌ ساحرةٌ وجميلةٌ، ويمكن استثمارها ليس في الميدان المعرفي فحسب، للقول بتعدّدِ المنظورات والإمكانية المبدئية، وربمّا الفعلية، لتكاملها، على الرغم من تعارضها، وبسببه؛ بل يمكن استثمارها، أيضًا، في الميادين الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية... إلخ.

ويمكن النظر إلى التأويل على أنّه ليس مجرّد موضوع أو ميدانٍ فلسفيٍّ، ولا مجرّد فلسفة، بل هو الفلسفة بحدّ ذاتها، من حيث هي رؤى متعارضةٌ لا يمكن لإحداها أن تقصي أيّة رؤيةٍ



أخرى أو تنفي حقها في الوجود والدفاع عن ذلك الوجود، أو ينبغي أن يكون هذا هو حال التفلسف دائمًا. فالفلسفة، بتعدّد مذاهبها، ومنظوراتها، وشخصياتها، ومناهجها، وغاياتها، وأسسها، تجسّد ماهية التأويل. والتأويل ممارسةٌ فلسفيةٌ، أو فلسفةٌ، ضمنيةٌ أو صريحةٌ. وقد يختلف كثيرون معي في رؤيتي للفلسفة وللتأويل، لكن لا مشكلة في هذا الاختلاف، طالما أنّه اختلافٌ فلسفيٌّ تأويليٌّ، أي اختلافٌ يعترف كلّ طرف فيه بأحقيةِ الآخر في التعبير عمّا يراه حقًّا، والمحاجة لصالح رؤية ما أو لمعارضةِ أخرى. والاختلاف بين التأويلات لا يتعلّق بوصف الواقع أو بالأحكام والمفاهيم الوصفية فقط؛ بل يتعلّق-أيضًا وخصوصًا- بالأحكام المعيارية؛ أي برؤيتنا لما يجب أن يكون عليه هذا الواقع، وهي الرؤية المحايثة أو الملازمة، صراحةً أو ضمنًا، لكلِّ المفاهيم والأحكام المعرفية، لدرجةٍ أو لأخرى. وحتى إنْ كانت التعدّدية المعرفية لا تعكس تعددًا وجوديًا، وإنّما تعبّر عن قصورِ الإنسان عن إدراك الواحد، والجمع بين المنظورات المتعدّدة في معرفة مطلقة كلية، فإنّ التعدّد المعرفي نتيجةٌ حتميةٌ لشرطنا اللغوي. فاللغة نتاجٌ إنسانيٌّ أو نتاجٌ لعلاقة الإنسان بكلّ ما هو إنسانيٌّ، وبما هو مغايرٌ للإنسان أيضًا. وهي ذات تاريخ يجعلها محملةً بالكثيرِ من الأحكام والتقييمات التي قد لا يكون مفكّرًا ببعضٍ منها-على الأقل- عند استخدامها، ولهذا فهناك فائض معنى دائمًا فيما نقوله، حيث تقول لغتنا أكثر مما نريد أن نقوله، وغير ما نريد أن نقوله أيضًا.

في التعددية الأنطولوجية والمعرفية والأخلاقية والسياسية

انطلاقًا من هذا التعدّد المُحايث للغة-وبالتالي للمعرفة ككل- للفهم والتأويل والأحكام والمفاهيم الوصفية والمعيارية، يمكن للإنسان أن يصل إلى قناعة بأنّ الاختلاف ضروريٌّ ولا يمكن اجتثاثه، ليس معرفيًا فحسب؛ بل أخلاقيًّا وسياسيًّا أيضًا. وإذا كانت المعرفة تتعلّق بفهم هذا الاختلاف ومناقشته النظرية، فإنّ السياسة تتعلّق بإدارةِ الاختلاف بالدرجة الأولى. وتكون السياسة ديمقراطيةً وإيجابيةً، بقدر ما تكون هيرمينوطيقيةً، أي بقدر ما تسمح بوجود الاختلافات التي يتقبّل كلٌّ منها أو يقبل-على الأقل- الاختلافات الأخرى. ففي الديمقراطية ينبغي لكلِّ طرفٍ سياسيٍّ أن يفهم ذاته، أو ما يتبناه من أفكارٍ على أنّه تأويلٌ، أو مجرّد تأويلٍ من تأويلاتٍ أخرى، لها-أيضًا- الحق في الوجود، بقدر احترامها لحق التأويلات الأخرى في الوجود. وفي مجال التأويل يبقى صراع التأويلات المختلفة قائمًا من دون إمكان لكلمة أخيرة؛ لأنّ مثل هذه الكلمة تكون-في مثل هذا السياق- عنفًا (كما أشار ريكور) أو استبدادًا. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الحال في السياسة، حيث ينبغي أن يكون أيّ حسم للاختلاف، عن طريق الانتخاب والاقتراع وما شابه، حسمًا مؤقتًا وجزئيًا، يترك مجالاً لسيادة طرفٍ أو أكثر عن طريق تولي مسؤولية الحكم، مع بقاء طرف معارضٍ أو أكثر يمارس اختلافه ويسائل باستمرار الطرفَ المسؤول، ويتحيّن الفرص التي ينبغي أن تكون متاحةً دوريًا، لأن يكون هو الطرف المسؤول. ويمكن قياس ديمقراطية أيّ نظامٍ سياسيٍّ بمدى سماحه بالاختلافات، وبنوعية ضبطه للصراعِ القائم بينها، وبمدى تعامله المُنصف معها. وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نفهم لماذا تُقاس ديمقراطية النظام السياسي بمدى قوة المعارضة، أو بمدى إمكان أن تكون المعارضة قويةً، وليس بمدى قوّة السلطة الحاكمة.

وإنَّ وجود القناعة المعرفية النظرية بأنّ الاختلاف من «طبيعة» الحياة الإنسانية، معرفيًا وأخلاقيًا وسياسيًا، لا يفضي بالضرورة إلى تبني صاحب تلك القناعة للديمقراطية في المجالِ السياسي. فللحياة العملية منطقها الخاص ودوافعها المختلفة. والقناعة المذكورة ليست إلّا إحدى تلك الدوافع، وقد لا تكون من أهمها أو أقواها. فثمّة رؤية الشخص أو تقديراته للمصالح والمنافع-بالدرجة الأولى- والممكنات والمخاطر والغايات، بالإضافة إلى تحيّزاته وتوّجهاته وتفضيلاته القيمية أو الأخلاقية والأيديولوجية، بالدرجة الثانية. فأسس الخيارات السياسية، الديمقراطية أو غير الديمقراطية، لا تكمن في الوعي المعرفي النظري

فقط أو بالدرجة الأولى، وإنّما تكمن في البنية وعلاقات القوة والمصالح والممكنات المتاحة والتقديرات والتوّجهات والتفضيلات المذكورة. وعمومًا فلم يحصل نشوء الديمقراطية، ولا يحصل نتيجةً لحملاتِ تبشيرٍ قيمية، ولا نتيجةً لتنامي الوعي والمعرفة بأخلاقية الديمقراطية أو قيمتها المبدئية، ولا-أخلاقية الأنظمة غير الديمقراطية في العالم المعاصر، وإنّما حصل ويحصل-بالدرجة الأولى- على أساس صراع المصالح وعلاقات القوة.

من الضروري إدراك محدودية ممكنات استثمار ما تقدّمه لنا الهيرمينوطيقا، وتوّفر الاستعداد-مسبقًا- للذهاب إلى ما ورائه. قد يكون هذا الإدراك خطوةً «إلى الوراء»، لكنه شرطٌ ضروريٌّ لأيّة خطوةٍ إيجابية «إلى الأمام». إنّ المحدودية المذكورة ناتجة عن أنّ المعرفة الفلسفية الهيرمينوطيقية والفلسفية-عمومًا- تخصّصيةٌ أو محصورةٌ بعددٍ محدودٍ من الناس غالبًا. ولنشر منطقها التعدّدي الديمقراطي، ثمّة حاجةٌ إلى سلطة تتبنى ذلك المنطق في ممارساتها، عن قناعة، أو بفعلِ وجودِ صراعٍ متوازنٍ بين القوى السياسية المختلفة. وهذا ما حصل في الألمانيتين بطرقٍ مختلفة بعد عام ١٩٤٥. ففي ألمانيا الغربية أصبحت الثقافة السياسية ثقافةً تعدديةً ديمقراطيةً؛ لأنّ الدولة بكلّ مؤسساتها عملت، في ممارساتها ودستورها وقوانينها ومؤسساتها الإعلامية والتربوية وغيرها على نشر تلك الثقافة. في المقابل كانت ألمانيا الشرقية محكومةً بسلطة غير ديمقراطية، فكانت ثقافة التعدّدية ضعيفةً وشبه معدومة، وترك ذلك أثره هناك حتى بعد توحيد الألمانيتين. وظهر ذلك على سبيل المثال في الارتفاع الكبير في نسبة التوّجهات العنصرية في شرق ألمانيا مقارنةً بغربها.

في ضرورة تجنّب الأمثلة الأخلاقية للفيلسوف

ينبغي تجنّب الأمثلة الأخلاقية للفيلسوف أو الضليع معرفيًّا بأمرٍ ما. فالفلاسفة لم يكونوا-دائمًا أو حتى غالبًا- حكماءً؛ بالمعنى الأخلاقي أو الإيجابي للكلمة. فثمّة أمثلةٌ كثيرةٌ على سوءِ أخلاق فلاسفة كثر. وليس هذا ناتجًا عن جهل أو عدم معرفة، إلّا إذا اتفقنا مع سقراط/ أفلاطون أنّ ثمّة تطابقًا بين الحقيقة والخير، وافترضنا أنّ من يعرف الحقيقة يعرف الخير ويمارسه بالضرورة. والاتفاق المذكور ينبغي أن يتأسّس على رؤيةٍ دوغمائية/ وثوقيةٍ للحقيقة بأنّها واحدةٌ منسجمةٌ داخليًّا مع ذاتها، وغير قابلةٍ للتعدّد والتشظي والتناقضات الداخلية. وهذا مغايرٌ لمنطق التأويل ولتأويليةِ المعرفة البشرية عمومًا.

وربّما كان من المناسب-في السياق النظري الذي نناقشه- وفي السياق العملي الذي نعيشه (بعد مضي أكثر من عشرة أشهرٍ على عمليات قصف غزّة واجتياحها الدموي من قبل الجيش الإسرائيلي، وبعد مقتل ما يقارب الأربعين ألف فلسطينيٍّ، الأغلبية الساحقة والمسحوقة منهم من المدنيين والأطفال)، الإشارة إلى أنّ يورغن هابرماس فيلسوف العقل التواصلي والمجال العام والديمقراطية، وراينر فورست فيلسوف التسامح والاعتراف، قد أصدرا مع المفكر القانوني كلاوس غُنتر وعالمة السياسة نيكول دايتلهوف-في الثالث عشر من هذا الشهر/ نوفمبر ٢٠٢٣م-بيانًا بعنوان «أسس التضامن»، يتضمن حديثًا عن «أساس التضامن المفهوم حقًّا مع إسرائيل واليهود في ألمانيا»، وتسمية هجوم حركة حماس في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م بالمذبحة، ورفضًا وانتقادًا لوصف ما فعلته إسرائيل في ردّ فعلها على الهجوم بـ «الإبادة الجماعية»، والتشديد على أنّ من حق إسرائيل-من حيث المبدأ- القيام بالانتقام أو ردّ الفعل المذكور، أمّا كيفيته فـ «موضوع نقاش مثير للجدل»! ورغم أنّ البيان القصير يتحدّث باسم الأخلاق وحقوق الإنسان-بالدرجة الأولى- يمكن رؤية أنّه بيانٌ مخزٍ وعديم أو عادم للأخلاق؛ بسبب بعض ما تضمنه، والكثير مما



غيَّبه، أو لم يتضمنه، على حدٍّ سواء. وقد لا يكون يسيرًا معرفة إلى أيّ حدٍّ كان ذلك البيان المخزي ناتجًا عن الجهل أو التجاهل أم عن العقد النفسية والأخلاقية التاريخية للأمة الألمانية، والتحيّزات الأيديولوجية المتأسّسة عليها، جزئيًّا على الأقل.

لا أودّ أن أترك انطباعات سيئة عن أخلاقياتِ الفلاسفة عمومًا، ولهذا السبب ولغيره أودّ الإشارة إلى أنّه في مقابل الأصوات الفلسفية القليلة نسبيًّا التي أظهرت دعمًا لإسرائيل، ولممارساتها الوحشية، ولا مبالاةً، أو استخفافًا بالمعاناة الهائلة للفلسطينيين من جرّاء هذه الممارسات، اتخذت أغلبية الأصوات الفلسفية البارزة والحاضرة في المجال العام العالمي، موقفًا أخلاقيًّا متوازنًا ومنصفًا-عمومًا إلى حدٍّ كبير- فانتقدت الممارسات الإسرائيلية المذكورة، بالإضافة إلى انتقادها لهجمات حماس على المدنيين الإسرائيليين. وهذا ما ظهر-على سبيل المثال- في النداء أو الرسالة المفتوحة الموسومة بـ"فلسفة من أجل فلسطين"، التي وجهتها فيلسوفات وفلاسفة من الأكاديميات الأوروبية والأمريكية، الشمالية واللاتينية، ومن بينهم إتيان باليبار ونانسي فريزر وجوديث بتلر (التي سبق لها أن كتبت نصًّا مهمًّا في هذا الصدد تحت عنوان بوصلة الحداد)، وفي الرسالة المفتوحة التي وجهتها سيلا بن حبيب إلى الموّقعات على الرسالة المفتوحة السابقة، وفي خطاب الفيلسوف السلوفيني سلافوي جيجيك في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب. وباختصار فليس نادرًا أن تكون الفلسفة ما يرى كثيرون أنّه ينبغي لها أن تكونه دائمًا.

(فلسفة) الوعي الذاتي والاعتراف بالآخر

يُقال إنّ ما يميّز الإنسان عن (بقية) الحيوانات هو أنّه يملك القدرة على أن يفكِّر في تفكيره؛ أي أن يجعل تفكيره موضوعًا لتفكيره. هذا الوعي للوعي، أو الوعي للذات، أو الانعكاس؛ يسمّى تفكُّرًا، عندما يتخذ طابعًا منتظمًا ومديدَ المدّة أو طويلها. والفلسفة-عمومًا- تفكّريةٌ بامتياز؛ وهي- بهذا المعنى- إنسانيةٌ أو وثيقة الصلة بالخاصيّة المميّزة للإنسان. لكن التفكُّر يجعل الذات عينها آخرًا لتلك الذات، أو يجعل الذات منقسمةً إلى أنا تُفكِّر وأنا أخرى تتأمّل تفكيرها. وهذا يعني أنّ ثنائية الأنا والآخر هي ثنائيةٌ في الذات وداخلها، وليست ثنائيةً خارج الذات، أو بين الذات وما يغايرها فحسب. وثمّة حالاتٌ عديدةٌ يفقد فيها الإنسان هذه القدرة التفكّرية، وهذا يحصل-على سبيل المثال- في بعضِ حالاتِ السُكر أو تدخين الحشيش، حيث يكون الإنسان-حينها- قادرًا على التفكير والتحدّث بمنطقية ما، من دون أن يكون واعيًا لذاته كلّ الوعي. وفي مثل هذه الحالات لا يكون الإنسان قادرًا على تذكُّر ما حصل معه، حين كان سكرانًا أو متأثّرًا بالحشيش.

لكن الآخر قد يعني أيضًا أنا أخرى «alter ego”. والآخر-هنا- هو أنا مثلما أنا أنا، لكن هذه أنا الآخر، أو هذه الأنا الأخرى، مختلفة-أيضًا- عن أناي. وعمليًّا يتجسّد هذا الآخر، أو تتجسَّد هذه الأنا الأخرى، إمّا في «أنت» حاضرٍ معي، أو في «هو/ هي» غائب. والآخر الذي أنشغلُ به-غالبًا- هو الغائب؛ خصوصًا حين يكون ذلك الغياب مترافقًا مع، أو ناتجًا عن تغييبٍ قسريٍّ وطمسٍ مقصودٍ له. فعلى الصعيد المعرفي يظهر هذا التغييب ظهورًا واضحًا وشديدًا في التوّجه أو الموقف الأحادي الوثوقي/ الدوغمائي الذي يقتصر على تبنّي منظورٍ ضيقٍ واحدٍ ويفرط في وثوقيته، حيث لا يرى أيّة معقوليةٍ أو موضوعيةٍ في أيّ منظورٍ آخر مخالفٍ له، أو حتى مختلف عنه. ولهذا السبب قد يجد الإنسان نفسه مضطرًا إلى الدفاع عن المنظورات التي يغيِّبها أيّ موقفٍ أحاديٍّ وثوقيٍّ، أو مستحضرًا لها، بغضِّ النظر عن مدى عدم قناعته بالمنظور الأحادي الوثوقي أو بالمنظورات التي يغيِّبها ذلك المنظور. وهذا الصعيد المعرفي متداخلٌ ومتشابكٌ مع صعيدٍ أخلاقيٍّ. فالمحور الأساسي أو الأوّل للأخلاق ليس علاقة الأنا مع أناها، ولا علاقتها مع الأنا الأخرى

بوصفها «أنت»، وإنّما علاقة الأنا مع الغائب/ الغائبة «هو/ هي». فهنا ينبغي للأنا أن تأخذ الأنا الغائبة في الحسبان، وأن تكون مُنصفةً تجاهها. ويقتضي ذلك الأخذ في الحسبان استدخال الأنا الغائبة في الذات/ الأنا المفكّرة وجعلها ندًّا أو قرينًا ناقدًا لها. وفي هذه الحالة يعني التفكّر أو انعكاس الأنا على ذاتها حضور الآخر أو الأنا الأخرى في الذات/ الأنا.

ونتيجةً للتحوّط والرغبة في تجنّب الإفراط في الهوس بإنصافِ الغائب؛ من المهم أو الضروري ألاّ يفضي التشديد على أولوية العلاقة مع الغائب أخلاقيًّا، وضرورة استحضاره معرفيًّا، إلى إنكار أهمية الإنصاف الأخلاقي والمعرفي، في علاقة الأنا مع «الأنت»، ومع ذاتها. وثمّة جدلٌ ضروريٌّ-رغم صعوبة إقامته، فضلاً عن إنجاحه وجعله إيجابيًّا- بين انفتاح الأنا على المختلفِ الموجود لدى الآخر(الهو والأنت) ومحاولةِ الإقرار بهذا الاختلاف والتعلّم منه-من جهة-ومحاولة الأنا المحاججة لصالح رؤيتها المعرفية المخالفة لرؤية ذلك الآخر، أو المختلفة معها، من جهةٍ أخرى. وتكمن صعوبة إقامة هذا الجدل-فضلاً عن إنجاحه- في أنّه-من ناحيةٍ أولى- بحاجةٍ إلى إقامة توازنٍ بين طرفين، يبدو في أحيانٍ كثيرةٍ، ومن الناحية الموضوعية، أنّ كلاًّ منهما مضادٌّ ومنافٍ للآخر؛ ومن ناحيةٍ ثانية بحاجةٍ إلى تفاعلٍ إيجابيٍّ من الطرفين المشاركين في تلك العلاقة. وعندما تنجح تلك العلاقة تكوِّن ما أسميه حوارًا. وقد كانت تلك العلاقة الحوارية موضوع أطروحتي في الدكتوراه، حيث سعيت إلى تأسيس هيرمينوطيقا للحوار انطلاقًا من هيرمينوطيقا بول ريكور للنصّ والفعل، وبحثت في بعض أهم الأسباب الذاتية التي يمكن أن تُعيق ذلك الحوار، واقترحتُ نموذجًا معرفيًّا أخلاقيًّا لتجاوز تلك الأسباب.

فهم الآخر بين الهيرمينوطيقا والتفكيكية وفلسفة الاعتراف

لتوضيح مدى حاجة كلّ «أنا» لـ «آخر» من خلال الربط بين ميادين أو نظريات الهيرمينوطيقا والتفكيك-من جهةٍ- ونظريات أو فلسفة الاعتراف، من جهةٍ أخرى.

تهدف الهيرمينوطيقا إلى إحدى مسألتين أساسيتين أو إلى كليهما؛ تتمثَّل المسألة الأولى في تجنّب سوء الفهم في التفاعل مع الآخر، في حين أنّ المسألة الثانية تتجسَّد في تحسين عملية الفهم المتبادل في التواصل بين الناس. في المقابل، الفلسفة التفكيكية فلسفةٌ هيرمينوطيقية من حيث إنّها تتناول مسألةَ فهم الآخر، لكنّها، على عكس الهيرمينوطيقا التقليدية، تنطلقُ من وجودِ تناقضٍ ذاتيٍّ، في كلّ نصٍّ تتفاعل معه، كما تشدّد على آخرية الآخر، وعلى أنّ هذه الآخرية تتضمن اختلافًا لا يمكن إلغائه من قبل الأنا، وجعله أليفًا أو مألوفًا لها. والرؤيتان الهيرمينوطيقية والتفكيكية متكاملتان، على الرغم من تناقضهما، وبسبب هذا التناقض أيضًا؛ فلا تكامل إلا بين المتناقضين، أو المختلفين، على الأقل. فالهيرمينوطيقا (التقليدية) تشدّد على إمكان فهم الآخر، والتفكيك يبرز حدود أو محدودية-ليس فهمنا للآخر فحسب- بل فهمنا لذواتنا أيضًا.

وتُظهر نظريات أو فلسفة الاعتراف البعد الاجتماعي للإنسان-إظهارًا أكبر وأقوى- من خلال التشديد على أنّ اعتراف الآخرين بي، ونظرتهم إليّ، يسهمان إسهامًا كبيرًا ومؤثّرًا في صياغة علاقتي مع ذاتي ومع الآخرين. ويمكن للاعتراف أن يتخذ صيغة الحب، كما في العلاقات العائلية مثلاً، أو صيغة الاحترام، كما في المجال السياسي خصوصًا، أو صيغة التقدير، كما في المجال الاقتصادي مثلاً. وانطلاقًا من هذه المكانة لاعتراف الآخر بي، يمكن فهم لماذا رأى بعض الفلاسفة، كروسو وفيشته وهيغل وأكسل هونيت وتشارلز تايلور، أنّ الرغبة في الاعتراف تمثّل محرّكًا أساسيًّا أو المحرّك الأساسي للإنسان. ولا تنفي السمة الانطولوجية/ الوجودية للرغبة في الاعتراف إمكان تحوُّل تلك الرغبة إلى حالة مرَضية تعتمد فيها الأنا اعتمادًا كليًّا على الآخر في تقييمٍ أفعالها وذاتها. وهذا ما ينبغي العمل على تفاديه في السعي إلى الانفتاح على الآخر.

ليس هناك ريبية معاصرة على الطريقة السفسطائية والبيرونية القديمة مثلاً؛ ثم وجدتُ في اتجاهِ

الهيرمينوطيقا المعاصرة تجسيدًا للرؤية المعرفية التي تنسجم مع الريبية. فالموضوع الأوّل للهيرمينوطيقا هو الفهم والتأويل. والحديث عن وجود تأويل ما لنصٍّ أو موضوع ما يعني-ضمنًا وبالضرورة- إمكان أو فعلية وجود تأويلاتٍ أخرى. ويتضمّن ذلك إقرارًا مبدئيًّا بالاختلاف، وبمشروعية ذلك الاختلاف. وتتضمّن الرؤية الهيرمينوطيقية القائلة إنّه لا يمكن لفهم أو تأويلٍ أو منظورٍ معرفيّ واحد أن يستنفد ممكناتٍ أو معانيَ الموضوع الذي يفهمه أو يؤوّله توجُّهًا مضادًّا كليًّا للدوغمائية أو الوثوقية، وإقرارًا جازمًا بمحدوديةِ المعرفة وبنسبيتها الدائمة. وهذه النقطة الأخيرة هي إحدى أهم النقاط في تفكيكيةِ (أبو التفكيك عمومًا) وبول دو مان (أبو التفكيك الأمريكي) التي يمكن النظر إليها على أنّها هيرمينوطيقا مضادةٌ للهيرمينوطيقا التقليدية أو الأساسية المعاصرة، هيرمينوطيقا غادامر وريكور، ومن قبلهما شلايرماخر ودلتاي وهايدغر وبولتمان ... إلخ. فالتفكيكية المذكورة تشدّد على أنّ الفهم لا يمكن أن يحيط أو يستوعب كلّ آخرية الآخر، وأنّه يبقى في تلك الآخرية ما هو عصيٌّ على الاختزال وغير قابل لأن تستوعبه الأنا بالكامل، كما يمكن أن يُفهم من رؤية الهيرمينوطيقا الريكورية والغادامرية مثلاً. عدم القدرة على الفهم الكامل للآخر، وعدم القدرة على الفهم الكامل لأنفسنا، وكوننا غير قادرين على السيطرةِ الكاملة حتى على نتاجنا الفكري الخاص؛ هذه الأطروحات، وأسسها، وتفصيلاتها، ونتائجها تستحق كل اهتمامٍ وتفكيرٍ وبحثٍ.

وقد كان ريكور حريصًا على البعد النقدي في فلسفته، وفي تنظيره للهيرمينوطيقا وممارسته لها. والنقد لديه-على غرارِ النقد عند كانط - يتألف من جانبين مختلفين ومتكاملين في الوقت نفسه. فهو يتضمّن-من جانبٍ أوّلٍ- إبرازًا لمشروعية ما ينتقده أو إيجابياته، ومن جانبٍ آخر حدود تلك المشروعية. وهذه الطريقة المُنصفة والمتوازنة في النقدِ هي ما تبتغي محاكاته-قدر المستطاع- في النصوص النقدية. وشدد ريكور على تداخل المعارف أو الفروع المعرفية والمناهج المختلفة وإمكان تحقيق التكامل فيما بينها، وضرورة ذلك التكامل. ولهذا عُرِف بنزعته التوفيقية عمومًا. ومنذ سنوات ليست قليلةً أصبحتُ أستندُ في أبحاثي ونصوصي إلى فروعٍ معرفيةٍ مختلفة، وأجمع بين أطرافٍ مختلفة إلى حدِّ التعادي والإقصاء المتبادل في كثيرٍ من الأحيان. فبالإضافة إلى محاولة الجمع بين الهيرمينوطيقا والتفكيك، أصبحتُ أحاول الجمع بين تأمليةِ الفلسفة القارية (الفينومينولوجية) وتحليليةِ الفلسفة الأنجلوسكسونية (التحليلية)، وبين الانهمام المعرفي النظري والانهمام الأخلاقي العملي، بين الرؤيةِ التحليلية الوصفية والرؤية المعيارية التقييمية، بين الفلسفة الغربية والفكر العربي، بين المنظورِ الفلسفي ومنظورِ عددٍ من العلوم الاجتماعية (التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا مثلًا). ولا أدري إلى أيّ مدىً تأثرتُ بنزعة ريكور التوفيقية، معرفيًّا ومنهجيًّا، وهي المهيمنة في نصوصه، عمومًا؛ لكنّني أتشارك مع-ومع معظم الفلاسفة العرب- الذين حاولوا التوفيق أو الجمع بين رأيي الحكيمين(كالفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد) فيها. وتظهر لديّ تلك النزعة في ما يبدو موقفًا وسطيًّا بين العلماني والديني-على سبيل المثال- حيث إنّني أحاول تجنّب هذه الاستقطابات والمواجهات الصدامية الجبهية، وتجاوزها قدر المستطاع.

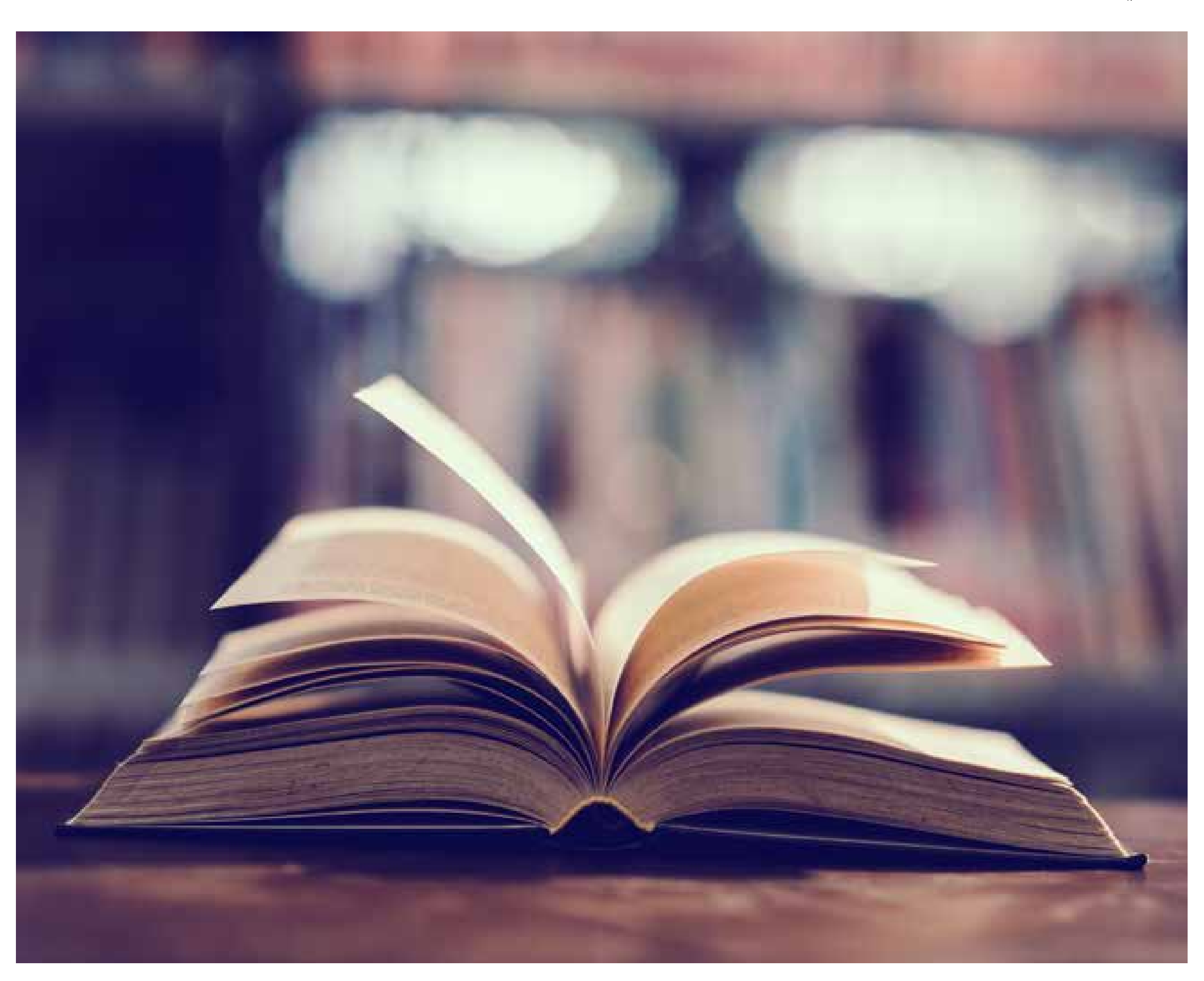
في المفاهيم الهيرمينوطيقية (الريكورية): التفسير، والتأويل، والتأمّل، والتفكُّر، و(سوء أو عدم) الفهم

هذه المفاهيم/ المفردات مركزيةٌ في فلسفة بول ريكور، وأظنّ أنّ اختلاف المفردات العربية المستخدمة لترجمةِ كلٍّ منها قد أفضى إلى درجةٍ ما من عدم أو سوء الفهم في هذا الخصوص. قبل توضيح مكامن أهميتها في فلسفةِ ريكور، سأحاول شرح معنى كلٍّ منها على حدة، مع وضع المفردة المقابلة لها في اللغتين الفرنسيةِ والإنكليزيةِ.

مفردة التفسير استخدمت لترجمة مفردتين/ مفهومين متمايزين ومختلفين في الفلسفة عمومًا، وفي فلسفة ريكور خصوصًا. فوجيه أسعد استخدمها لترجمة مفردة interpretation في حين أنّني أرى-مع منذر عياشي وآخرين- أنّه من الأنسب الاحتفاظ بمفردةِ التفسير كمقابل لمفردة (explication, explanation)، وترجمة interpretation بالتأويل.



وبوصفه (explication, explanation)، يحيل التفسير-في سياق الحديث عن المعرفة العلمية وهيرمينوطيقا ريكور- على المعرفة العلمية التي تحاول شرح ظاهرةٍ أو مسألةٍ ما، من خلال الكشفِ عن الترابط السببي أو البنيوي بينها وبين أسبابٍ أو عوامل ما أسهمت في إنتاجها، أو في التأثير فيها وفي ذلك الإنتاج، أو في تحديدِ ماهيتها أو معناها. وإضافةً إلى التفسير السببي الكلاسيكي، شدّد ريكور على أهميةِ التفسير البنيوي الذي يفسّر نصٍّ ما، من خلال شبكةٍ من العلاقات التفاعلية بين أطرافٍ منتميةٍ إلى النصِّ بوصفه بنيةً. وعلى العكس من غادامر-على سبيل المثال والخصوص- الذي وضع الحقيقة الهيرمينوطيقية في حالة تعارضٍ وتنافرٍ مع المنهج العلمي، لدرجةٍ جعلت كثيرين يقولون، بحقٍّ، إنّ العنوان الأنسب لكتابه، الأبرز والأهمّ، ينبغي أن يكون «الحقيقة أو المنهج»، وليس «الحقيقة والمنهج»، كان ريكور من أبرز الهيرمينوطيقيين الذين



شدّدوا على أهمية التكامل والجدل الإيجابي بين التفسير العلمي والفهم الهيرمينوطيقي (,compréhension understanding). ويعني الفهم-من حيث المبدأ- الإمساك المباشر والتلقائي بالمعنى، في إطار كليةٍ ما للمعنى. لكن ريكور رأى أنّه ينبغي لهذا الفهم المباشر قبل النقدي أن يتعرّض للنقد والتوّسط عبر التفسير العلمي؛ ليصل الإنسان إلى فهم نقديٍّ أو بعد نقديٍّ. هذه العلاقة الجدلية، بين التفسير والفهم، كانت موضوع أطروحتي في الدكتوراه عن فلسفة ريكور التي اتخذت منذ سبعينيات القرن العشرين من القول التالي شعارًا لها «تفسيرٌ أكثر من أجل فهم أفضل expliquer plus pour comprendre mieux". وقد عرَّف ريكور التأويل بهذه العلاقة الجدلية بين الفهمِ والتفسير، والتي تبدأ بفهم أوليٍّ مباشر، ثم تمرّ عبر تفسير علميٍّ، لتصل- لاحقًا- إلى فهم أكثر تعمّقًا وغنىً للموضوع الذي تتناوله. ويعني التأويل (interpretation)-عمومًا- الفهم غير المباشر، أو الفهمَ الذي نصل إليه بعد تفكيرٍ وتأملٍ أو بحث ونقاشٍ. والقول بالتأويل يعني الإقرار بإمكان تعدّدِ الأفهام أو وجود أكثر من إمكان لفهمٍ أو تأويل موضوعٍ ما.



وفي أطروحة الدكتوراه، تحدثت عن وجود ست سمات أساسية للفهم تميّزه عن سوء أو عدم الفهم.

أولاً، يرتبط الفهم-أساسًا- بالمعنى؛ فما ينبغي فهمه هو المعنى. وفي المقابل، عدم الفهم مرتبطٌ باللامعنى أو بغياب المعنى، أو بعدم القدرة على تحديد المعنى، بشكلٍ تلقائيٍّ. ثانيًا، فهم شيءٍ ما يعني القدرة على وضعه ضمن كليَّة متَّسقة، يكون له معنىً ضمنها؛ في المقابل، يسودُ التنافر، لا الاتّساق، في حالة اللافهم، ولا يمكننا-حينها- وضع الشيء المُدرَك ضمن كليَّةٍ متَّسقة دالَّة. ثالثًا، يصبح المعنى وفهمه مشكلةً هيرمينوطيقيَّةً، عندما نواجه شيئًا ما يبدو غريبًا بالنسبة إلينا. ويقوم الفهم على تملُّك ما كان غريبًا في البداية، وعلى جعله جزءًا من عالم المعنى المألوف والمتَّسق بالنسبة إلينا. أمَّا في حال عدم الفهم فيبقى الغريب غريبًا. رابعًا، يختلف الفهم، ويتنوَّع، تبعاً لما ينشده، ويمكن له أن يحقِّق النجاح-على صعيدٍ ما- وأن يُخفق، في الوقت نفسه، على صعيدٍ آخر. وفهم ما يقوله الكلام لا يُفضي-بالضرورة- إلى فهم ما يريد المتكلِّم قوله. خامسًا، الفهم-بالضرورة- محدودٌ ومؤقّتٌ وغير مكتملٍ. ولا يمكننا الحصول على فهمٍ قطعيٍّ كاملٍ. ونحن نقتصر دائمًا على درجةٍ من الفهم، نعتبرها كافيةً أو وافيةً بالغرض. لكنَّ معيار «الكفاية» لا يكون متماثلاً لدى كلِّ الأشخاص. فما قد يعتبره شخصٌ ما فهمًا كافيًا، يمكن ألا يكون كذلك بالنسبة إلى أشخاصٍ آخرين، أو قد يجد الشخص نفسه لاحقًا أنَّ هذا الفهم لم يعدْ كافيًا، أو أنَّه لم يكن كذلك أصلاً. فالفهم الكافي، من منظورٍ ما، يمكن ألاّ يكون كذلك، من منظورٍ آخر. ويمكن-بالتالي- أن يُعتبَر عدم فهم أو سوء فهمٍ. وكلُّ فهمٍ يتضمَّن درجةً ما من عدم الفهم؛ لأنَّ الفهم دائمًا جزئيٌّ وانتقائيٌّ وغير تامٍّ. وبهذا المعنى، نستطيع فهم معنى قول شلايرماخر: «لا يمكن أبدًا أن يتبدَّد عدم الفهم بشكلٍ كاملٍ». سادسًا، يُمكن للفهم أن يكون، في البداية، مباشرًا؛ أي أن يتمَّ بشكلٍ عفويٍّ وتلقائيٍّ، من دون اللجوء إلى عمليات التأويل والتفسير. ولكنَّ يمكن،-أحيانًا- أن يُفضي العجز عن إدراك المعنى، إدراكًا مباشرًا، إلى حالةٍ من عدم الفهم. وتستدعي هذه الحالة التأويل لتجاوزها، بما يسمح ببلوغ حالةٍ أو درجةٍ مقبولةٍ ما من الفهم.

أما التأمّل (meditation/meditation, contemplation) فيعني التفكير النظري المحض في أمرٍ أو مسألة أو فكرة ما. لكن التأمّل الذي اهتم به ريكور وضمَّنه في فلسفته هو التفكُّر (réflexion, reflection)، والذي يعني انعكاس الفكر على ذاته، حيث تكون الذات المفكّرة هي الموضوع المفكَّر فيه، في الوقت نفسه. وقد رأى ريكور أنّ الخبرة المباشرة الفينومينولوجية والانعكاس الذاتي التفكّري غير قادرين على الوصول إلى هدفهما، ومعرفة الذات، إلا من خلال انعطافةٍ هيرمينوطيقية تتمثّل في معرفة الآخر عبر معرفة ما يقدّمه الآخر أو ينتجه من نصوص وفنون وآداب ومعارف ... إلخ. وبهذا المعنى فإنّ الشعار السقراطي «اعرف نفسك» أصبح يتخذ-عند ريكور- صيغة «اعرف نفسك من خلال معرفة غيرك». وعلى العكس من الاعتقاد الشائع بأنّ معرفتنا لذواتنا أمرٌ سهلٌ، لقربنا من ذواتنا أو التصاقنا بها، يمكن القول- مع نيتشه- بأنّ هذا القرب أو الالتصاق هو-تحديدًا أو خصوصًا- ما يجعل معرفة الذات لذاتها أمرًا غايةً في الصعوبة.

ومن الواضح الأهمية المركزية لهذه المفاهيم في الهيرمينوطيقا عمومًا، وفي الهيرمينوطيقا أو الفلسفة الريكورية خصوصًا. فالفهم والتأويل يمثلان الموضوع الأساسي في أية هيرمينوطيقا. ويحظى التفسير العلمي بمكانة رئيسة في الهيرمينوطيقا الريكورية، حيث حاول ريكور-دائمًا- إظهار التداخل والتكامل بين الفروع المعرفية المختلفة، بين الفلسفة والعلم، وبينهما وبين الدين أو اللاهوت، إضافةً إلى إظهاره وتجسيده للتداخل والتكامل، وليس القطيعة أو التباعد، بين الاتجاهِ الفلسفي القاري (الفينومينولوجي

الهيرمينوطيقي) والاتجاه الأنجلوسكسوني التحليلي، حيث رأى أنّ الانشغال بمسألة اللغة-على سبيل المثال- يمثل قاسمًا مشتركًا بين الطرفين. ولإظهار أهمية التفكُّر في فلسفة ريكور، ربما تكفي الإشارة إلى أنّ ريكور أعلن صراحةً (وأظهر ذلك، بوضوح، في تفلسفه) انتماءه إلى تقليدِ الفلسفة التفكّرية، إلى جانب تبنيه للهيرمينوطيقا؛ لكنه شدّد-من جانبٍ آخر- على أنّه ينبغي للفلسفتين المذكورتين أن تتطعما بالهيرمينوطيقا، أو تتكاملا معها، لتحقيق أهدافهما المعرفية.

خاتمة

يمكن للتأويل (الهيرمينوطيقي) أن يكون أنموذجًا معرفيًّا مرشدًا للإقرار بالتعددية في الأنطولوجية ونظريات المعرفة والسياسية والأخلاق. وبالاستناد إلى مثل هذا النموذج وإلى فلسفة الاعتراف المعاصرة، يمكن الارتقاء بالاعتراف بالآخر والوصول إلى أقصى درجات قبوله أو حتى تقبله. لكن التأويل (الهيرمينوطيقي)، على الطريقة الغادامرية والريكورية، له حدودٌ ينبغي له ولنا إدراكها والإقرار بها وتجاوزها - بالمعنى الهيغلي للكلمة - من خلال علاقةٍ جدليةٍ بينه وبين الرؤية التفكيكية التي صاغها ومارسها كل من جاك دريدا وبول دو مان. وفي حين تقتصر المقاربة التفكيكية، عند دريدا (أبو التفكيك عمومًا) وبول دو مان (أبو التفكيك الأمريكي)، على جدلٍ سلبيٍّ، على طريقة أدورنو (صاحب كتاب الجدل السلبي)، لا يتضمّن أي تركيبٍ-على الطريقة الهيغلية- بين قطبي الجدل، فمن الممكن والضروري أن يفضي يكون الجدل بين الهيرمينوطيقا والتفكيك إيجابيًّا بحيث يتضمّن تركيبًا ما بين قطبي الجدل من دون أيّ زعم أو افتراضٍ للمطلق الهيغلي. وتبين المفاهيم الأساسيّة في الهيرمينوطيقا عمومًا-وفي الهيرمينوطيقا الريكورية خصوصًا- أن التعددية قدرنا المعرفي في الفلسفة وخارجها، في العلم وخارجه، وأن إقامة الجسور بين المعارف المتشظية، أو بين المنظورات أو وجهات النظر المتنوعة، قد أصبحت إحدى المهمات المعرفية المعاصرة. ويمكن للفلسفة أن تسهم بقوةٍ في إنجاز هذه المهمة. وهذا يعني أن القائلين بموتها لا يعلمون أنها كانت وما زالت حيةً حتى بعد أن ظنوا أو تمنوا أن تكون عظامها قد صارت، أو ستصبح قريبًا، رميمًا.





د. أحلام الجهورية

باحثة وكاتبة في التاريخ

تاريخنا قِيَم
موسوعة الضياء نموذجًا

تُمثّل القيم الأخلاقيّة الأساس المتين لبنية المجتمع العُماني، لما لها من تأثير قوي على تنظيم العلاقات الاجتماعية، وهي قيم أسست لبناء الأُسرة ومؤسسات المجتمع المختلفة. وقد خضعت هذه القيم لضوابط أخلاقية صارمة مستمدّة من القرآن والسنّة والتّقاليد المتوارثة.

تعددت تعريفات القيم في اللغة، فعند ابن منظور: «والقيمةُ: واحدة القيم، وأصله الواو، لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمةُ: ثمنُ الشيء بالتقويم». «والاستقامة: التقويم: لقول أهل مكة: استقمتُ المتاع، أي قوَّمته. وفي الحديث قالوا: يا رسول لو قومت لنا، فقال: اللّه هو المقومُ، أي لو سعَّرت لنا، وهو قيمة الشيء، أي حددت لنا قيمتها». فالقيم بهذا المعنى تأتي بمعنى قيمة الشيء وثمنه، وتعني-أيضًا- إعطاء الشيء حقه، وتأتي-أيضًا- بمعنى الاستقامة، وكلها معان تدل على الثبات والدوام والاستمرار. أما القيم اصطلاحًا فتأتي بمعان متعددة-أيضًا- فهي معيار لمعرفة الصالح من الفاسد، وهي صفات ومعاني قد تكون فكرية أو سلوكية، وهي ذاتية وثابتة ومطلقة، لا تتغير باختلاف من يصدر الحكم عليها.

انطلق السلطان قابوس -طيّب اللّه ثراه- في بناء عُمان الحديثة من خلال رؤية عميقة قائمة على مجموعة من المرتكزات لعل أهمها المجتمع العُماني كمكون رئيس ومُنطَلَق أصيل في الوصول إلى عُمان الحديثة التي نستظل اليوم بظلها وننعم بخيراتها ونعمل بإخلاص من أجل أن تظل سامقة شامخة في كل آن. وقد رسَّخ هذه القيم فكر جلالته المتشرِب بقيم المجتمع العُماني بفهمه العميق لمكونات هذا المجتمع المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ، والثقافة المتنوعة القائمة على: التنوع المذهبي، واللغوي، والسكاني، والبيئي، الذي أكسب هذا المجتمع خصوصية وهُوية متفردة انعكست على قيّم



وعـادات وتقاليـد المجتمـع العُمانـي. مؤكـدًا عليهـا -رحمـه الله- في خطاباتـه، قـائلاً في إحداهـا: "إن قيـم مجتمعنا-عمومًـا- وعلاقتنـا بالعالـم الخارجـي كل هـذه وغيرهـا مـن جوانـب حياتنـا نتناولهـا بفكـر واع متفتـح».

واليـوم يؤكـد جلالـة السـلطان هيثـم بـن طـارق -حفظـه الله- علـى هـذه القيـم الأصيلـة للمجتمـع العُمانـي، وعلـى أهميـة إيلاء النشء التربيـة الصالحـة للمحافظـة عليهـا مـن خلال تعميـق الوعـي لهـذا الجيـل بقيـم مجتمعـه ووطنـه، وتربيـة النـشء علـى التواصـل الايجابـي مـع وسـائل التكنولوجيـا الحديثـة بمختلـف أنواعهـا وقوالبهـا بمـا يخـدم المجتمعـات ويعلـي مـن شـأن الأوطـان.

وممـا يقـال في هـذا المقـام أن المجتمعـات في كل حقبـة زمنيـة تتعـرض لتحديـات يختلـف تأثيرهـا علـى منظومـة المجتمـع بالكثيـر مـن العوامـل يأتـي علـى رأسـها الحصانـة التـي تتشـكل لـدى المجتمعـات مـن خـلال الوعـي، وهـذا الوعـي يتشـكل عبـر قنـوات عـدة: الأسـرة والمدرسـة والمسـجد وقنـوات الإعـلام المختلفـة. وكلمـا اسـتطاعت هـذه المؤسسـات تعميـق الوعـي بقيـم وثوابـت ومبـادئ المجتمـع كلمـا كان التأثيـر السـلبي لأي تحـدٍ كان محـدود وقابـل للاحتـواء والمعالجـة.

إن قـراءة التاريـخ قـراءة واعيـة تعنـي اسـتخلاص العبـر وفهـم الحاضـر واستشـراف المسـتقبل، وهـذا لا يتأتـى إلا بمعرفـة المكونـات العميقـة لهـذا التاريـخ ويأتـي علـى رأسـها القيـم التـي تعـد روح الحضـارة متـى مـا ذبلـت آلـت الحضـارة للسـقوط ومتـى مـا كانـت قويـة حاضـرة سـلوكاً كانـت درعـاً حصينـاً لأي سـقوط ودافعـاً للنهـوض لأي تهـاوٍ. وتاريخنـا الطويـل والممتـد عبـر الزمـان والمـكان مـا هـو إلا منظومـة متكاملـة مـن القيـم التـي شـكلت البنـاء الحضـاري لعُمـان، التـي مـا أن يُذكـر اسـمها تتبـادر إلـى الذهـن عـدد مـن الصـور تُشـكل في مجملهـا صـورة ذهنيـة عـن الإنسـان العُمانـي.

وهنـا يبـرز دور الباحـثين في نشـر وتعميـق الوعـي بمنظومـة القيـم المجتمعيـة التـي كانـت نتـاج تراكـم زمنـي طويـل، وقـد حـوت الموسـوعات الفقهيـة العُمانيـة مـادة تربويـة مجتمعيـة ينبغـي اسـتخلاصها واسـتحضارها في ذهـن هـذا الجيـل. وفي هـذا المقـام يقـول الأسـتاذ الدكتـور إبراهيـم القـادري بوتشـيش: «... إن التاريـخ الاجتماعـي يشـكل خطابًـا معرفيًـا جديـدًا يقـدم فهمًـا آخـر للتاريـخ، ويفتـح أبوابًـا كانـت موصـدة أمـام المؤرخين». مـن هـذا المنطلـق تعـد الموسـوعات الفقهيـة العُمانيـة مـن الأبـواب التـي فتحـت آفاقًـا بحثيـة مهمـة لتدويـن التاريـخ العُمانـي في الجانـب الاجتماعـي والتربـوي. وعمومـاً، تتضمـن الموسـوعات الفقهيـة العُمانيـة مـادة تاريخيـة ذات أهميـة كبيـرة للباحـثين والمشـتغلين بالتاريـخ وهـي بذلـك تعـد مصـدرًا مـن مصـادر الحصـول علـى المعلومـة التاريخيـة، ويعـد التاريخ الاجتماعـي إحـدى مجـالات الدراسـة التاريخيـة التـي لـم تعـط حقهـا مـن الدراسـة والعنايـة مـن قبـل الباحـثين للكثيـر مـن الأسـباب لعـل أبرزهـا نـدرة المعلومـات التاريخيـة في المصـادر ولما كانـت كتـب الفتـاوى والنـوازل الفقهيـة إحـدى المصـادر الثريـة بالمعلومـات التاريخيـة في الجوانـب الاجتماعيـة أصبـحت مصـــدرًا مهمًـا للباحـثين.

ويمكـن الإضـاءة علـى بعـض القيـم المسـتخلصة مـن إحـدى الموسـوعات الفقهيـة العُمانيـة وهـي موسـوعة الضيـاء لمؤلفهـا الشـيخ العلامـة الفقيـه المـؤرخ سـلمة بـن مسـلم بـن إبراهيـم العوتبـي الصحـاري المكنـى بأبـي المنـذر. وجـاءت تسـميته بالعوتبـي نسـبة إلـى قريـة عوتـب بمدينـة صحـار. وتباينـت الآراء في تحديـد العصـر الـذي عـاش فيـه، فقـدره بعـضٌ بأواخـر القـرن الثالـث أو أوائـل القـرن الرابـع الهجـري باعتبـار الغايـة الزمنيـة التـي حددهـا المؤلـف لكتابـه (الأنسـاب) وهـي سـنة ٣٤٥هـ، واعتبـره بعـضٌ مـن القـرن الرابـع وأوائـل القـرن الخامـس الهجـري استئناسًـا برجوعـــه إلـى مصـــادر تنتهـي بتلـك



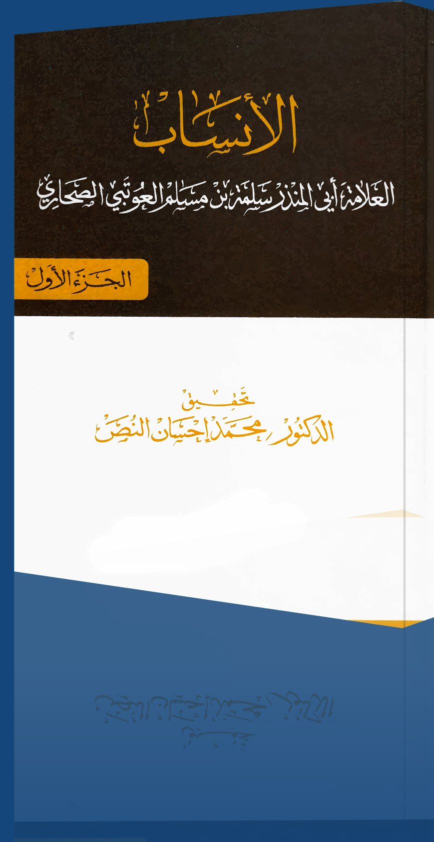


الفترة، وعده آخرون من علماء القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري لنقله عن علي بن أحمد ابن حزن الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) في كتابه الأنساب، ونقله عن أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) في موسوعته الضياء على ما بينه وبينهم من بعد المكان.



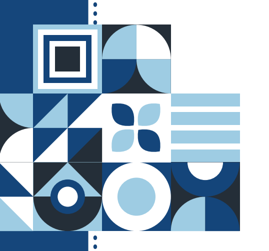
عاش العوتبي في عصر ازدهرت فيه العلوم، وهو من علماء المدرسة الرستاقية، وعاصر علماء كثيرين منهم: أبو علي الحسن بن أحمد بن نصر الهجاري (ت: ٥٠٢هـ)، وأبو بكر أحمد بن عمر بن أبي جابر المنحي (ت: ٥٠٢هـ)، وأبو بكر أحمد بن المفضل (ت: ٥٠٤هـ)، وأبو عبدالله محمد بن عيسى السري (حي: ٥٠٠هـ)، ومحمد بن إبراهيم الكندي النزوي (ت: ٥٠٨هـ)، ونجاد بن موسى المنحي (ت: ٥١٣هـ).

وقد حظي العوتبي باهتمام الباحثين والدارسين، وأقيمت أكثر من ندوة لدراسة شخصيته وآثاره؛ منها: ندوة أقامها المنتدى الأدبي بوزارة التراث القومي والثقافة في ٩-١٠ ديسمبر ١٩٩٥م، بعنوان: (قراءات في فكر الصحاري العوتبي) ، تناولت جوانب تراثه اللغوي والأدبي والفقهي والتاريخي، وندوة أخرى بعنوان: (العوتبي الصحاري) أقامتها وحدة الدراسات العُمانية في جامعة آل البيت بالمملكة الأردنية الهاشمية خلال الفترة ١٩-٢١ مارس ٢٠٠٨م، وكانت فعالية علمية أكثر شمولاً واتساعًا، حيث اشتملت على أكثر من ٤٥ بحثًا.



هذا ويعد العوتبي من أشهر علماء زمانه في عُمان ومن المكثرين في التأليف، وقد ترك تراثًا علميًا متعدد المجالات؛ وأشهر مؤلفاته

الإبانة في اللغة: معجم لغوي يؤصل لمعاني الألفاظ والمفردات، ويهتم بالظاهرة الصوتية ويربطها بالبعد الدلالي، ويعتني بمسائل النحو والصرف، ويكثر من الاستشهاد بالآيات والأحاديث والأشعار، ويعد الإبانة مرجعًا لدارسي اللغة العربية، طبعته وزارة التراث القومي والثقافة سنة ١٩٩٩م في أربعة مجلدات بتحقيق



عبد الكريم خليفة وآخرين من أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني.

الأنساب: كتاب اشتمل على مادة من بدء الخليقة وتاريخ البشرية وصولاً إلى العصر الإسلامي، وذكر فيه أصول القبائل العربية؛ عدنانية وقحطانية، وأفاض في القبائل العُمانية التي هي الغرض الأساس من تأليفه. نال الكتاب اهتماماً من علماء التاريخ والأنساب، قال عنه الشيخ أحمد بن سعود السيابي: «ما من مؤلف في التاريخ العُماني إلا وأصل مادته في الأدوار الأولى من التاريخ العُماني من كتاب العوتبي، وما من مؤلف في الأنساب العُمانية أو مهتم بالأنساب إلا والعوتبي له إمام».

الضياء: موسوعة فقهية اشتملت على مجمل أبواب الفقه، يعد الضياء من كتب الفقه المقارن؛ فكثيرًا ما تورد أقوال العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية، يتضمن ٢٤ جزء. رتب العوتبي موسوعته الفقهية كما تُرَتَّبُ كتب الفقه العُمانية حيث تتميّز بمقدمة في العقائد قبل البدء في الأبواب المعروفة في العبادات وفصول العلم والفُتْيَا وأصول الفقه وغيرها. وكتاب الضِّياء جاءت تسميته من النور والضوء أقوى من النور، قال تعالى:«هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا». وتتمحور مضامين موسوعة الضياء تحت ثمانية مضامين كبرى، هي: محور العلم والتوحيد، ومحور الأصول والأسماء والفِرَق، ومحور التزكية والأخلاق، ومحور الطهارة والعبادات، ومحور الأحوال الشخصية، ومحور الجنايات والأحكام القضائية، ومحور الوصايا والمواريث، ومحور المعاملات المالية. وعن المصادر التي استعان بها العوتبي في موسوعته يمكن القول أنها مصادر متنوعة، فهناك مصادر إباضية خاصة في المواد الشرعية، وهناك مصادر غير إباضية سيما في المواد الأدبية والتاريخية.

ومما جاء في تقديم عبدالله السالمي وزير الأوقاف والشؤون الدينية في تميز طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عن طبعة وزارة التراث القومي والثقافة: «... استيعاب الرجوع إلى كل المخطوطات المتوافرة، بحيث يمكن الاطمئنان إلى خلو النص من خطأ فادح، أو نقص لا يُرأب صدعه. ... ضبط النص ومقارنته بما توافر من نصوص فقهية متقدمة أو متأخرة. وما تجاهل المحققان أن الكتاب الضخم من كتب الفقه المقارن، فعمدا إلى تتبع مصادره ومراجعه في الكتب الفقهية الأخرى الإباضية وغير الإباضية، بحيث يمكن تتبع الأصول والمصادر عن طريق الإحالات، وإيضاح الاقتباسات».

وبالعودة إلى القيم، فموسوعة الضياء تزخر بالكثير من القيم الإنسانية عموماً، والقيم التربوية والاجتماعية على وجه الخصوص، ويمكن رصد بعض القيم الواردة في موسوعة الضياء للعوتبي، كالآتي

العلم

تتضح قيمة العلم كأحد القيم التربوية التي يحفل بها كتاب الضياء من خلال مقدمة العوتبي في الجزء الأول حيث يوضح السبب الذي دعاه لتأليف هذا الكتاب فيقول: «... فهذا كتاب دعاني إلى تأليفه وحداني إلى تصنيفه ما وجدته من دروس آثار المسلمين، وطموس إيثار الدين، وذهاب المذهب ومتحمليه، وقلة طالبيه ومنتحليه، فرأيت الإمساك عن إحيائه مع القدرة عليه، ووجود السبيل إليه ذنبًا وشؤمًا، وذمًا ولؤمًا، فألفته على ضعف معرفتي، ونقص بصيرتي وكلة لساني، وقلة بياني، طالبًا للأجر لا للفخر، وللتعلم لا للتقدم، وللدراسة لا للرياسة، غير مدع للعلوم تصنيفًا، ولا مبتدع للفنون تأليفًا؛ لكن لأحيي به نفسًا، وأفرغ إليه أنسًا، وأرجع إليه فيما أنسى، ولأستصبح بضيائه مهتديًا، وأصبح بما فيه مقتديًا، إذ التشكك معترض، والنسيان ذو عنون، والحفظ خؤون، ولكل شيء آفة، وآفة الحفظ النسيان».

ويمكن قراءة الكثير من المضامين من هذه العبارة، فالعوتبي يقدم نفسه كنموذج وقدوة لطلاب العلم، كما يقدم التواضع كقيمة أخلاقية وهي من شيم العلماء. هذا ويشير العوتبي إلى أداة ووسيلة من وسائل حفظ العلم وهي التدوين وهو ما قام به من خلال تأليفه لكتاب الضياء، ويستشهد بحديث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فيقول: «روي عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم من طريق أنس بن مالك أنه قال: «قيدوا العلم بالكتاب» . وروي أن رجلاً شكا إليه صلى اللّٰه عليه وسلم النسيان، فقال: «استعمل يدك» يعني: اكتب حتى ترجع إذا نسيت إلى ما كتبت».

ويضيف في توضيح منهجه في تأليف كتابه الضياء: «وجعلت هذا الكتاب ذا أصول وآداب وفصول وأبواب، ولم أخله من حكمة عجيبة، وكلمة غريبة، ومثل ساير، وبيت نادر، وسنن وأخبار، ومواعظ وأشعار، إذ كانت العلوم تتشابك اتباعاً، والمعاني تتشارك اتساعاً، والفنون تستدعي الفنون، والحديث ذو شجون». وهذا يعد منهجًا من مناهج العلم التي تُعلم لطلاب العلم. فعمومًا نخلص من مقدمة العوتبي إلى تعزيز وترسيخ قيمة العلم والعلماء وتوضيح لمناهجه وأخلاقياته.

كما تظهر قيمة العلم من خلال الباب الثاني من الجزء الأول من كتاب الضياء، فقد أوضح العوتبي تصنيفات عديدة للعلم، فذكر وجوه العلم: القرآن الكريم، ومحمد صلى اللّٰه عليه وسلم، والكيمياء، والشرك والكفر، والعلم المعروف وهو ضد الجهل. واسترسل العوتبي في تصنيفات عديدة للعلم فذكر: "العلوم أربعة: علم الأديان، وعلم الأبدان، وعلم اللسان، وعلم الإنسان. فعلم الأديان علم الحلال والحرام، وعلم الأبدان علم الطب، وعلم اللسان علم الفصاحة، وعلم الإنسان علم الأنساب".

ومن خلال ما ذكره العوتبي من تصنيفات وتفريعات مختلفة للعلوم نخلص بتنوع العلوم التي عرفها المسلمون، وهي: العلوم العقلية: «العلم علمان: القرآن، والفقه، والباقي تلهٌّ». والعلوم النقلية: "علم اللغة والنحو، ورواية الشعر وحفظ الأخبار والسَّيَر والمغازي وأيام الناس، والطب والنجوم والحساب، وعلم الهيئة وأشباه ذلك». وأسهب العوتبي أكثر في بيان أقسام العلم بين العلم الديني والعلم الدنيوي، وتقسيم كل فرع منهما، فالعلم الديني هو قسط العلماء والحكماء وينقسم إلى علم عام ظاهر، وعلم خاص باطن خفي. أما العلم الدنيوي فهو قسط من أراد اكتساب الأموال والمراتب في الدنيا.

كما تظهر قيمة العلم عند العوتبي من خلال التفصيلات الكثيرة التي أوضحها في بيان وجوه العلم، وأقسام العلم، وانتقال العلم، وفي العلم والملك، ورفع العلم، وفي صنوف العلم وضروبه، وفي المعرفة التي عرفها: «المعرفة: ضد الإنكار، كما أن الجهل ضد العلم»، وفي جنس العلم، ويذكر العوتبي بعض الصفات الأخلاقية التي ينبغي التحلي بها فيقول: «وعن بعض العلماء أنه قال: العلم ذو مفاصل كثيرة؛ فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وفهمه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله سعة المعرفة، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره سعة الرأي، ومحله الأناة، وسلطانه العدل، ومملكته القناعة، ورئيسه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسراجه لين الكلام، وسفه الرجاء، وقوسه القناعة، وسهمه المحبة، ورمحه التقوى، وفرسه المداراة، وجيشه المشورة، وماله الأدب، وحربه المكابدة، وذخيرته التوبة، وزاده المعروف، ومأواه المواعدة، ودليله الهدى، ورفيقه مودة الأخيار».

والباب التاسع: «في الحث على العلم وتعليمه»، فقد اجتهد العوتبي في هذا الباب في بيان أهمية طلب العلم والارتحال في سبيله مستشهداً بالكثير من الأحاديث المروية عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، ومستشهداً كذلك بالأقوال التي وردت في الآثار مما يحث طلاب العلم على الجد في طلبه. وفي المقابل يعالج العوتبي في الباب الحادي عشر: «ما يجب على العلماء في التعليم»، موضحًا بعض الأخلاقيات والأدبيات التي ينبغي أن يتحلى بها العلماء، مدعمًا ذلك بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم، فعن النبي صلى اللّٰه عليه



ضِيَاءُ الضِّيَاءِ
تأليف الشيخ الفقيه العلامة



وسلم أنه قال: «لا تمنعوا العلم أهله، فإن في ذلك فساد دينكم وفساد بصائركم»، وفي حديث آخر: «من كتم علمًا يُحسنه ألجمه اللّه بلجام من نار». وأشار العوتبي: «ويجب على العالم مجانبة العجب؛ فإنه بكلٍ قبيح وبالعلماء أقبح، وهو مناف للفضل(...) ويجب أن يكون حسن الخلق، متواضعًا رفيقًا بالمتعلمين، محتملاً لتكرار المتفهمين، واسع الصدر، كثير الصبر، عديم الضجر، حليمًا كريمًا رفيقًا شفيقًا رحيمًا حييًا عفيفًا؛ لأنه بمنزلة المتطبب الذي يعالج الأمراض، فينبغي أن يرفق في معالجته، ويعطف بحلمه ليحيي بمعرفته. ويجب أن يكون كثير الصمت والوقار والسكينة».

وفي الباب الثاني عشر: «ما يجب على المتعلم لمعلمه، وما يؤمر به من الآداب في تعليمه»، وقد جمع العوتبي هذه الآداب في فقرة جامعة: «اعلم أن الذي يجب على المتعلم لمعلمه أشياء كثيرة يطول بها الكتاب، ولا يستوعبها باب؛ فأولها: إذا جاء إلى مجلسه أن يسلم على أهل المجلس عامة، ثم ليفرده بالسلام خاصة، ثم ليجلس بين يديه متذللاً، وبوجهه عليه مقبلاً، وليقلّ النظر إليه، وليتواضع له، ويعظمه ويبجله، ولا يسأله في أول لقية؛ بل يعاوده مرة بعد مرة، ثم يسأله التعليم، فإن أجابه شكر له ودعا له، وإن منعه عذره وانصرف عنه، فربما كان ذلك من العالم نظرًا في أمره واستبراء لرغبته، ثم ليعاوده صابرًا على ترداده، ولا يضجر ليظفر بمراده، وليرفق له في أقواله، ويتملق بفعاله. فقد روي عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «ليس المَلَقُ من أخلاق المؤمن إلا في طلب العلم».

وقد خصص العوتبي أبوابًا مختلفة في آداب المتعلم عند بعض أوجه العلوم، كالفقه. وجاءت الأبواب تحت عناوين: «في آداب المسؤول والسائل والفتيا والجواب عن المسائل»، موضحاً آداب السؤال وآداب المعلم، والإفتاء بغير علم، وآداب المفتي، ومشاورة المفتي من حوله، وأدب الجواب، والفتيا، ومخارج الفتوى، ومراعاة أحوال المستفتي، وفي مفهوم الفتيا، والسائل والسؤال وغيرها من التفصيلات المتعلقة بكل ما يتعلق بالفقه علمًا ومتعلمًا.

وفي باب مهم خصصه العوتبي لطرح بعض المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بطلب العلم ومدلولاتها بعنوان: «الدرس والمذاكرة والمِراء والمناظرة»، فالدرس: درس الكتاب للحفظ، والاستذكار: الدراسة للحفظ، وعن النبي صلى اللّه عليه وسلم: «لقحوا عقولكم بالمذاكرة، واستعينوا على أموركم بالمشاورة». والمراء والامتراء والتماري والممارة كله واحد بمعنى الجدال. والمناظرة: أن تناظر أخاك في كل أمر مشكل/ كل منكما ينظر فيما يأتي به، وهو المجادلة. والجدل: تردد الكلام بين اثنين، ولإثبات فيما يروم كل واحد منهما إثباته، ودفع ما يروم دفعه، والجدال: الحِجاج. وقد أورد العوتبي الكثير من الآراء حول الجدل والجدال والمجادلة لا يتسع المقام لتفنيدها. كما استعرض الكثير من المفاهيم الأخرى المتعلقة بطلب العلم: الدليل، والحُجة، والبيان، والعلة، والنظر، والاجتهاد، والوحي، والحقائق، والإجماع، والترجيح وغيرها.

وفي الباب الثامن عشر ناقش العوتبي: «في طلب العلم وما له وعليه من التحليل والتحريم»، موضحًا بعض الآداب، وأجرة المعلم، وتأديب المعلم لليتيم والصبيان، ووجوب تعليم الأطفال، فيذكر العوتبي: «وينبغي للآباء وللقوَّام بأمر الأطفال أن يعلموهم الأذان والإقامة والصلاة وشرائع الإسلام إذا صاروا في حال يعقلون ذلك؛ لئلا تذهب طائفة من الزمان عند بلوغهم في التعليم؛ لأنهم إذا كانوا قبل البلوغ عالمين أتوا بالعبادات عند البلوغ على الفور، وهذا من التعاون على البر والتقوى الذي أمر اللّه تعالى به».

مما تقدم نخلص أن العوتبي أوضح العلم كقيمة عظيمة، ثم انتقل للحديث عن العملية التعليمية بأطرافها الثلاثة: المعلم والمتعلم والوسيلة، فعقد



للمعلم بابين لأهميته، الأول «في آداب العلماء» في ذاتهم، ربط فيه بين الأدب والعلم، وذكر فيه أن من آداب العلماء أن يؤدبوا أقوالهم ويهذبوا أفعالهم، والباب الآخر: ما يجب على العلماء في التعليم من مجانبة العجب وعدم كتمان العلم، وتوسم المتعلم بفراسته ليعلم بها استحقاق حالت، ومبلغ طاقته، فيعطيه ما يحتمله، ولا يزيده فيذهبه. وبعد أن أوضح ما يجب على المعلم والمتعلم كلاً على حدة، انتقل للحديث عن العلاقة التي تربطهما وهي العملية التعليمية فنظمها وأوضح وسائلها المختلفة.

الحكمة

تظهر قيمة الحكمة عند العوتبي من خلال استفتاحه في الباب الثالث بها، مستدلاً بقول الله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ). ومن الملاحظ أن العوتبي في ذكره لهذه القيمة يقرنها بالعلم، فالحكمة هي اسم العقل، وهي القرآن والفقه والعلم. وما يعزز ذلك الرأي التسلسل الذي يأتي في الأبواب اللاحقة للضياء في جزئه الأول، فالباب الرابع يواصل الحديث عن العلم كقيمة ويورده العوتبي بعنوان: «في مدح العلم وتفضيله»، والخامس: «في ذم الجهل وتضليله»، والسادس: «في العقل». والسابع: «في تفضيل العلماء وإعظامهم وتبجيلهم وإكرامهم». وفي هذا الباب يقدم العوتبي للقارئ عموماً ولطالب العلم على وجه الخصوص قيمة العلماء من خلال إدراجه الكثير من الأحاديث النبوية التي توضح مكانة هذه الفئة فيذكر العوتبي: «الأحياء: العلماء، والأموات: الجهّال». والباب الثامن: «في مراتب العلماء وأحوالهم وما جاء في أقوالهم وأفعالهم»، فأورد العوتبي أن العلماء على رتب وطبقات ومنازل ودرجات بعضها أرفع من بعض كارتفاع السماء على الأرض. كما أوضح العوتبي معاني تسمية العلماء وصفاتهم، موضحاً العالم والمعلم والرباني، والحِبّر، فيقول: «الربانيون هم العلماء والفقهاء، والأحبار: علماء دون الأنبياء في العلم. وكل رباني حِبّر وليس كل حبر ربانياً، والأحبار أيضاً: كتبة العلم، واحدهم حَبر وحِبر».

التقوى

يحمل مفهوم التقوى معان متعددة كلها تمثل الأخلاق، ويقدم العوتبي في الضياء هذه الأخلاق من خلال أجزاء وأبواب متعددة، وهي في مجملها سلوك يقترن بالمسلم الحق؛ فالدين المعاملة، ويستشهد العوتبي بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يهلك من هذه الأمة ستة أناسين لست خصال: الأمراء بالجور، والأغنياء بالكبر، والعلماء بالتحاسد، والتجار بالخيانة، والعرب بالعصبية، وأهل الرساتيق بالجهل». ويتضمن الجزء الرابع من الضياء هذه القيم تحت عنوان: «كتاب الأخلاق وأعمال القلب»، فالعوتبي يتحدث عن الصدق والكذب والوفاء والشكر والورع والسخرية والنميمة والغيبة. ويمكن ذكرها بشيء من الدقة، الباب ٣٣: في شيء من النهي، وما جاء فيه من لعن. والباب ٣٤: في الكذب وما جاء فيه. والباب ٣٥: الصدق. والباب ٣٦: الوفاء. والباب ٣٧: في كتمان السر. والباب ٣٨: في الحياء. والباب ٣٩: الوعد والوعيد والعهد. والباب ٤٩: في الورع والعفة. والباب ٥٢: النهي عن السخرية والألقاب. والباب ٥٣: في الظن والغيبة. والباب٥٤: في النميمة. كل تلك الأبواب تحمل قيم أخلاقية عميقة تجسد بحق أن «الدين المعاملة».

ومن الملاحظ أن العوتبي في كتاب الأخلاق وأعمال القلب ركز على الكبائر والصغائر، فكما ذكر صغائر الذنوب والتي ذكرت آنفًا، ذكر كبائر الذنوب، حيث أشار إلى الزنا واللواط والملاعنة، والقذف والشتم، مستشهدًا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنوازل الفقهية والحوادث التاريخية عبرة وعظة وترهيبًا وترغيبًا، فيذكر العوتبي حادثة فيقول: «حفظ سعيد بن الحكم عن بشير بن محمد عن

عزان بن الصقر في حفظ له أخبرنا الإمام الصلت بن مالك أن عشيرة بن عبدالله كان واليًا على سمائل، وأن رجلًا قال بين يديه وبين يدي أصحابه: إن فلانًا زانٍ لرجل غائب، فكتب عشيرة إلى غسان الإمام يسأله عن ذلك، فكتب إليه: إن قامت عندك بينة عادلة على قولٍ فاجلده الحدّ، وإن لم تكن بينة إلا أنت وواحد فارتفع إليَّ أنت والشاهد حتى تشهدا بين يديَّ، وأكون أنا الحاكم عليه. قال الإمام الصلت بن مالك: فقامت عليه البينة العادلة مع عشيرة وجلده الحد، والمقذوف غائب ولم يعلم ولم يطلب شيئًا».

الإخاء والأخوة وحسن الصحبة

في الجزء الثالث من موسوعة الضياء يقدم العوتبي قيم الإخاء والأخوة والصحبة في عدة أبواب، ففي الباب الخامس بعنوان: «إخاء أهل التقى»، ويخصص فصل بعنوان: «في الأخوة والصداقة» يورد من خلاله الكثير من الأقوال المأثورة والأشعار التي ترسخ قيمة الأخوة والصداقة، منها: «سُمي الصديق صديقًا لصدقه، والعدو عدوًا لعدوه عليك»، وآخر: «سُمي الخليل خليلًا؛ لأن محبته تخلل القلب فلا تدع فيه خلالًا إلا ملأته».

كما يتضمن الجزء الثالث من الضياء باب آخر في موضوع الإخوة والصحبة وهو الباب السابع الذي جاء بعنوان: «حسن الصحبة والمعاشرة في المواطن والمسافرة»، يذكر العوتبي فيه الكثير من الأحاديث عن آداب الصحبة، ويخصص فصلًا بعنوان: «في الرفيق»، وآخر: «في حق الصحبة» يرصد من خلالهما أحاديث نبوية وأقول مأثورة عن الصحابة في بيان آداب الصاحب والرفيق. يقول العوتبي: «الأخوة في الله من أوثق عرى الإسلام، ودرجاتهم في الجنة أعلى الدرجات وليس شيء بعد الفرائض أفضل من إدخال السرور على المسلم».

الاختلاف وقبول الرأي والرأي الآخر

يقدم العوتبي نماذج عدة حول الاختلاف وقبول وتقبل الآراء الأخرى، يتضح من خلال مصطلح «الاختلاف» الذي يذكره، وليس مصطلح «الخلاف»، فيقول: «فما كانت الأئمة والعلماء على كتاب الله وسنة الرسول لم يكن اختلاف في الدين ولا افتراق في الأئمة، ولكن عظم الله تعالى دينه أن يجتمع العلماء والأئمة معًا على خلافه إلى يوم القيامة، فكان الافتراق في الأمة، منه ما كان من زلة الأئمة ومنه ما كان من زلة العلماء».

ويقدم العوتبي مستويات الاختلاف بين العلماء في فهم الحوادث وفي حكم الحوادث وفي الفروع، وضرب العوتبي مثال الاختلاف على الفروع بين القاضي موسى بن علي بن عزرة (١٧٧-٢٣٠هـ) وجده القاضي موسى بن أبي جابر الإزكوي (٨٥-١٨١هـ). كما أن التنوع في مصادر العوتبي في موسوعة الضياء وأخذه من آراء متنوعة لعلماء ومصادر مختلفة يعزز قيمة الرأي الآخر. ويتضمن الجزء الثالث من الضياء باب ٢١ بعنوان: في شيء من اختلاف الفرق والمذاهب والأقاويل، وباب٢٢ بعنوان: اختلاف الناس في المقالات، طرح فيه آراء الكثير من الفرق: المرجئة والحشوية والجهمية والقدرية والمعتزلة وغيرها.

التعايش

عاش العوتبي في مدينة صحار التي كانت ميناء تجاريًا مهمًا استقطب التجار من كل الأجناس والديانات. وهناك أبواب عدة في موسوعة الضياء تعكس وجود الجاليات في المجتمع العُماني، نذكر على سبيل المثال: الجزء الثالث، في الباب ١٨، بعنوان: «أهل الذمة»، متضمناً هذا الباب عدة فصول، فهناك فصل بعنوان: «سيرة المسلمين في أهل الذمة. وآخر بعنوان: «في أحكام أهل الذمة». وآخر بعنوان: «في أحكام أهل الكتاب، في أحكام أهل الذمة».

يوضح العوتبي أسماء الذمة، بقوله: «الذِّمة لها أسماء كثيرة منها: الذِّمة، والعهد، والإل، والبيعة، والصفقة، والعقد، والرِّباب، والتلاء، والخفارة، والجوار، والحبل، والأصر، والوَلْث، والذِّمار، والشرطة، والعصمة، والقسم، والحلف، واليمين، والحرمة، والصفحة، فهذه كلها أسماء الذِّمة قد جاءت عن العرب وهي كلها ترجع إلى معنى الأمان والعهد والحلف ولها شواهد قد ذكرتها».

كما يذكر العوتبي الكثير من المسائل التي توضح قيمة التعايش، ففي مسألة توضح تحاكم أهل الذمة إلى المسلمين: «وإذا رفع واحد من أهل الذمة إلى حاكم من المسلمين خصومة بينه وبين خصمه حكم بينهما بحكم الإسلام، فإن لم يترافعوا إلى حكام المسلمين لم يتعرض عليهم في أديانهم وخصوماتهم إلا أن يطلبوا هم ذلك». وهنا يظهر أن قضاة المسلمين كانوا يفْصِلون بين اليهود في القضايا المختلفة التي تنشأ بينهم.

وفي الجزء الثالث من موسوعة الضياء، عنوان: في المجوس، يقول العوتبي: «يقال: إن المجوس هي فارسية معربة، وأصله موكوس. قال: وذلك أنهم نسبوا إلى رئيس لهم كان كثير شعر الأذنين، فقال له بالفارسية: موكوس، ثم أعربت الكلمة فقالوا: موجوس، ثم أسقطوا الواو الأولى لكثرة ما يجري على ألسنتهم، فقالوا: مجوس، ثم قالوا في النسبة مجوسي». كما يتضمن الجزء الثالث، باب ١٩، بعنوان: «في أطعمة أهل الكتاب وغيرهم من المشركين وذبائحهم ورطوباتهم وأحكام ذلك منهم». حيث ترد الكثير من المسائل التي تستفهم الأحكام حول شراء الأطعمة من النصارى، فمن الظاهر أن النصارى كانوا يصنعون اللبن والزبدة والسمن والجبن. كما أن الفتاوى تُظهر أسئلة دقيقة تجاه أطعمة المجوس، وهو ما اقتضى التعامل معهم، والظاهر أن المجوس كانوا يبيعون الجوز واللوز بكثرة وكان العُمانيون يشترون منهم.

مما سبق يمكن القول: إن هذه الأمثلة لم تكن لتكون حاضرة لولا سيادة جو التعايش بين الأفراد في المجتمع العُماني، كما أن وجود أهل الذِّمة في المجتمع العُماني كانت له أُطر واضحة، مع تمتع هذه الفئة بكافة حقوقها في ممارسة الطقوس الدينية، والحياتية المختلفة.

خاتمة

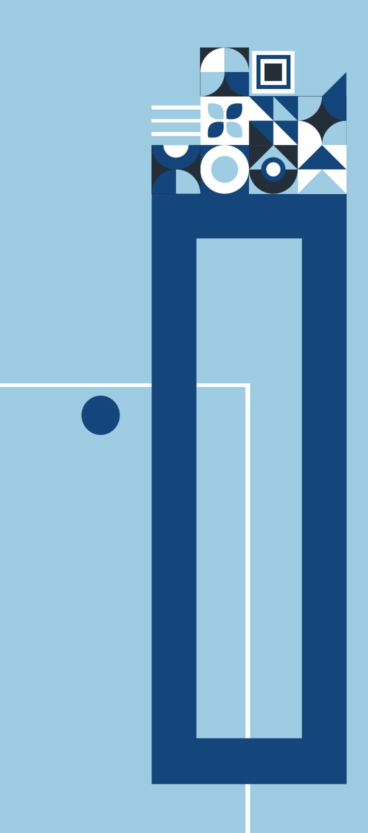
تتضمن موسوعة الضياء الكثير من القيم التربوية والاجتماعية التي عكست قيم المجتمع العُماني في عصر العوتبي في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين. ومن الواضح أن العوتبي قدَّم نفسه نموذجًا لبعض القيم التي تضمنتها موسوعته وأهمها العلم كقيمة وسلوك، والتعايش وتقبل الرأي الآخر. وتظهر تلك القيم الأخلاقية بشكل مكثف ومدعم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والأشعار المسبوكة، مع تقديم بعض الشواهد والأمثلة الدالة عليها.

وفي ظل الهجمة الشرسة والمنظمة على منظومة القيم في المجتمعات تتجلى ضرورة وأهمية الحفاظ على منظومة القيم في المجتمع العُماني، من خلال غرس تلك القيم في نفوس الناشئة عبر قنوات وأدوات منظمة فاعلة ومؤثرة واستحضار ما تتضمنه مصادر التاريخ من الأمثلة والشواهد المختلفة لتك القيم، وتقديم العلماء كقدوات للتمسك بتلك القيم، فكلما تعمقت ثقافة غرس الوعي عبر ما يملك المجتمع من أدوات تعزيز الهوية من خلال مكونات اللغة والدين والتاريخ، كلما سهل التصدي لمحاولات زعزعة القيم الأصيلة في المجتمع.



د.مازن مرسول محمد

باحث عراقي



الثقافة والصحة والمرض: أيَّة علاقة؟

رؤى سوسيولوجية

في هـذهِ الإطلالـة البحثيـة نحـاول الولـوج إلـى معرفـةِ كيفيـة تعريـة العلاقـة بين الثقافـة والصحـة والمـرض بشـكلٍ عـام، والتغييـرات والتنميـط الخاص الـذي مـرَّت بـه ثقافتنـا في ظلِ جائحـة كورونـا، كوبـاء عالـمي أصـاب البشـرية أجمـع، ويكـون ذلـك مـن ناحيـةِ طبيعـة التأثيـر والتأثُّـر ومـا تفرضـه الثقافـة علـى الأفـرادِ مـن حتميـات لابـد مـن الأخـذِ بهـا والسـير وفقًـا لهـا فيمـا يتعلّـق بـكلٍ مـا لـه شـأن بالصحـةِ والمـرض ومواجهـة هـذا الوبـاء وأبـرز المتغيـرات الناتجـة عـن هـذهِ العلاقـة، لذلـك أولـى مراحـل الإطلالـة هـذه هـي تحديـد توصيفـات مهمـة لأهـم المفاهيـم التـي يـدور حولهـا الموضـوع هنـا كالثقافـة والصحـة والمـرض ومـن ثـم التعـرُّض للمنظومـةِ الثقافيـة وأثرهـا في تشـكيلِ صـور الصحـة والمـرض، بعـد ذلـك التطـرُّق للبنـاءاتِ القيميـة والعـادات والتقاليـد والطقـوس ودورهـا في الصحـةِ والمـرض، ومـن ثـم الكـلام عـن الطـب الشـعبي، وسـطوة الغيبيـات، والتمثُّـلات الدينيـة والصحـة والمـرض، بعـد ذلـك الإشـارة إلـى دورِ المريض وفـق المنـاخ الثقـافي، وأخيـرًا توضيـح آليـة التثقيـف الصحـي فيمـا يتعلَّـق بإدامـة الصحـة البشـرية.

ولما كانـت للصحـةِ وعلاقتهـا بالثقافـةِ أهميـة كبيـرة كان لا بـد مـن إماطـةِ اللثـام عـن أبـرزِ مـا تتركـه مختلـف



الثقافات في طبيعة التصرُّف مع الصحة والفرد المريض والأوبئة وما يمكن صناعته من أدوارٍ لكلٍ من المريضِ وللمجتمع الذي يتعامل معه وفق تلك الثقافة وكيفية النظر في تدعيم آليات التثقيف الصحي والطب الحديث بحيث لا تصبح هذهِ الموروثات عائقًا دائمًا ويمكن أن يُلحق الضرر بالصحةِ الإنسانية.

وانطلاقًا من ذلك تندرج الإشكالية وفق عدد من التساؤلاتِ هي:

١. ما علاقة الصحة والمرض بالموروثاتِ الثقافية؟
٢. كيف يمكن أن تتشكَّل صور الصحة والمرض وفق الأطر الثقافية المعمول بها وبالذاتِ صور التعامل الجديدة مع الاوبئةِ؟
٣. ما مصادر قوة التشكَّل الثقافي الطاغية وإسهامها بصياغاتِ تعامل جديدة مع الصحةِ والأمراض والأوبئة؟
٤. وفق المنظور الثقافي المُعاش هل تعومل مع جائحة كورونا كمرض أم كوصمة اجتماعية؟
٥. ما هي السطوة التي فرضها الطب الشعبي وتداخل الغيبيات في التعاملِ مع تمثَّلات الصحة والأمراض والأوبئة؟
٦. ما هو الدور الجديد للمريض وفق هذه التمثَّلات الثقافية الطاغية؟
٧. ما مدى إمكان إيجاد آليات تثقيف صحية تكون بمعزلٍ عن الانصهارِ مع التنميط القيمي الثقافي؟

أولاً: توصيفات مفاهيمية

في استهلالِ الكلام عن صورِ الصحة والمرض-وهي تبرز من خلالِ معطيات الثقافة المُعاشة في المجتمع البشري- بات لزامًا علينا قبل الولوج للبحثِ في دهاليزِ تلك المراحل هو أن نضع بعض التوصيفات لما تنطوي عليه المحاور الرئيسة التي تشكل ثالوثًا بحثيًا هنا، وهذهِ المحاور أو المضامين هي الثقافة والصحة والمرض، وليس المطلوب هنا هو الغور العميق في متضمنات هذهِ المفاهيم، وانمَّا إماطةِ اللثام عنها قدر الامكان؛ لغرضِ السير في البحثِ وفق ما تقتضيه الضرورة العلمية.

لعلِ الارتكاز الرئيس والمهم هنا هو الثقافة (Culture) ومدياتها وتفرَّعاتها في قضايا الصحة والمرض وانعكاساتها على الوجودِ البشري؛ لذلك ما المقصود بالثقافةِ هنا؟ والتي نريد حصر مؤثراتها في إيجادِ سلوكات وتمثَّلات خاصة بالصحةِ والمرض.

لعل كلمة ثقافة هي واحدة من المفاهيم التي يكتنفها التعقيد الشديد في اللغةِ الإنجليزية، إذ لا يفوقها في



ذلك الاَّ كلمة (Nature) الطبيعة، التي يراد بها بأنَّها الضد أو المقابل لها، حيث تُعرف بأنها الأعقد بين الجميع (١).

إن أصل الكلمة الانجليزي لثقافة يعود إلى اللاتينية (Cultura) والتي تعني التربية، بحيث قد شاع استعمال الكلمة بدءًا من منتصف القرن التاسع عشر للإشارةِ إلى القدرةِ الإنسانية الشاملة في التعلَّم ونقل المعارف واستعمالها في الحياة؛ إذ أصبح مفهوم الثقافة من المفهومات المركزية التي قامت الانثروبولوجيا بالتصدَّي لها ومعالجتها في القرنِ العشرين، كمفهوم بات يشمل كل ظواهر الحياة الإنسانية خارج نطاق الوراثة البيولوجية(٢). والمُتتبَّع يرى أن المفهوم قد تطوَّر من ناحيةِ التوصيف أو ذكر ما المقصود به، إذ تختلف وجهات النظر به من الروادِ الاوائل والمفكرين في الوقتِ الحاضر، الأمر الذي يعني وضوح مديات التراكم الفكري الذي قد جعل هناك توصيفات كثيرة ومتنوعة لهذا المفهوم كلاً بحسب رؤاه ومنطلقاته الفكرية وما يناسب طبيعته الثقافية السائدة، مما دعا ذلك إلى وجودِ صعوبة في الاتفاقِ على تعريفٍ واحد جامع لما يُسمى بالثقافةِ.

يمكن القول إن مفهوم الثقافة منذ فترة طويلة قد مثَّل أساسًا لعلم الإنسان، إذ يعرَّفها تايلور عالم الانثروبولوجيا البريطاني في كتابهِ الثقافة البدائية بأنَّها ذلك الكل المُعقَّد الذي يشمل المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعرف، وأية قدرات وعادات أُخرى يكتسبها الإنسان بوصفهِ عضوًا في مجتمع (٣)، وقد عُد هذا التعريف هو الأساس في انطلاقِ التفكير بما تعنيه كلمة ثقافة، لكن لم تستمر الأمور على هذا الوضع وإنَّما تزايدت وجهات النظر حولها واتسعت المدارك التي ترى أن الثقافة يمكن أن ننظر إليها من زوايا أُخرى بها نوع من الدقةِ والتفصيل، لذلك برزت الكثير من التعريفاتِ التي تصف هذا المفهوم.

لقد عرفت الثقافة باعتبارها نمطًا متكاملاً من المعتقداتِ والسلوكات التي يمكن أن تكون مُشتركة بين الجماعات، وتشمل الأفكار واساليب التواصل وطرق التفاعل ووجهات النظر حول الأدوار والعلاقات والقيم والممارسات، والأعراف، وتُشكل الثقافة بتأثيراتٍ مُتعدَّدة منها العرق والمجموعة العرقية والجنسية واللغة والنوع الاجتماعي، وتمتد-أيضًا- إلى الوضع الاجتماعي والاقتصادي والقدرة الجسدية والعقلِية والتوجُّه الجنسي وعوامل أُخرى (٤).

ويُنظر لها من وجهةِ نظر أُخرى على أنَّها العنصر الرمزي للحياةِ الاجتماعية والتي تُصوَّر بأشكالٍ مُختلفة وتُمثَّل-أيضًا- الأنشطة الاجتماعية التي هي في المقام الأول رمزية مثل الفن والموسيقى والرياضة(٥)، وأية فعالية تتمثل بالجانبِ المعنوي أو المادَّي الملموس، إذ تشمل الإشارة إلى رمزيات واضحة في الحياةِ تُشكَّل أنماط مختلفة تُمثَّل نشاطات الإنسان في حياتهِ.

«ويحاجج كروبر وكلوكون بأنَّ الثقافة هي تجريد بالقولِ بأنه لو كانت الثقافة بنفسها سلوكًا لكانت بما هي كذلك موضوعًا لعلم النفس، وبذلك استنتجا بأنَّ الثقافة هي تجريد مأخوذ من السلوكِ الملموس ولكنها ليست سلوكًا بذاتها»(٦).

لذلك لا يمكن حصر التوصيف المفاهيمي للثقافةِ بتعريفٍ واحد جامع مانع، ولا يمكن-أيضًا- أن ندرج هذا المفهوم ضمن أُسس علم دون آخر بالذات، إذ تكلَّمت واشتغلت به العديد من العلوم وتناولته وفق مُنطلقاتها التي تريد الخوض بها.

وفي خضم البحث عن توصيفاتٍ مفاهيمية مُهمة في بحثنا هذا، يمكن القول إن الدراسات الاجتماعية للصحةِ كعلم الاجتماع الطبي بدأت بتأثيرِ تالكوت بارسنز، وبعد ذلك انتقلت إلى علم اجتماع الصحة والمرض، مع التركيزِ بشكلٍ كبيرٍ على الجوانبِ الاجتماعية للمواضيع ذات الصلة بالصحةِ، وكان علماء الاجتماع مُتردَّدين

في معالجةِ المرض في مظاهرِه الفسيولوجية والبيولوجية فحسب، حيث تكون النتيجة هي إفقار التحليل السوسيولوجي، إن علم اجتماع المرض يستكشف العلاقة الجدلية بين الحياة الاجتماعية والمرض (٧).

إن كلا المُصطلحين(الصحة والمرض) هما من المصطلحاتِ اللاتي جرى تعريفهما ثقافيًا واجتماعيًا، وذلك بحسبِ اختلاف الثقافات في تعريفها لما هو «صحي» أو «مُعافى» (٨)، فما هو صحي مُعافى في ثقافة ما قد لا يكون كذلك في أُخرى، وذلك بحسبِ ما تسبغه تلك الثقافات من معانٍ على هذهِ التوصيفات وفق البيئات المُعاشة والتي تنظر للشيء على أنَّه يُمثِّل نوعًا من الصحةِ أو نوعًا من المرضِ.

ووفق تعريف منظمة الصحة العالمية للصحة تصفها بأنها ليست مجرد غياب المرض والإعاقة، ولكنها تُمثِّل الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية، مع التأكيدِ على الاعتمادِ المتكامل بين الرفاهية الجسمية والرفاهية العقلية والذي يُسلِّط الضوء على حقيقةٍ مفادها أنَّ الشعور بالعافيةِ ينبغي أن لا ينحصر فقط بالجوانبِ الجسمية(٩)، وإنَّما يشمل صحة العيش الاجتماعي والفعاليات الاجتماعية التي يقوم بها الإنسان ويعيش من خلالها.

وبالنسبةِ للمرضِ يستعمل كاسل (Cassel) كلمة المرض(Illness) ليرمز إلى ما يشعر به المريض عندما يذهب إلى الطبيبِ إثر شعوره بالألم في جزءٍ من أجزاءِ جسده، وكلمة المرض (Disease) تُشير إلى ما يكون عليه المريض وهو في طريقِ عودته من عيادةِ الطبيب إلى منزلِه، إذ يمكن القول إن المرض(Disease) هو شيء يتعلَّق بعضوٍ من أعضاءِ الجسم، في حين أنَّ المرض بمعنى (Illness) يتعلَّق بالشخصِ نفسه (١٠).

ونظر بارسونز إلى المرضِ على أنَّهُ تهديدًا للمسؤوليةِ الشخصية المُشتركة، لأنَّه يمنح الناس أسبابًا مشروعة للتوقفِ عن العملِ، لذلك بات يحتاج إلى قواعدِ تنظيمية لتجنُّبِ استعماله عذرًا للتحرُّرِ من كلِ الواجبات التي تقع على الفردِ (١١)، فهو يُمثِّل توقف مفاجئ قد شُرِّع للمريضِ وفقًا له أن ينسحب مؤقتًا عن الكثيرِ من الواجباتِ والمسؤوليات التي كانت مُناطة به لحين حصوله على درجاتٍ من الصحةِ التي تمنحهُ حق العودة لممارسةِ أدوارِه مرَّة أُخرى، على أن اطلاق صفة المريض أو المرض يجب أن لا تكون جُزافًا لغرضِ الانسحاب من أدوارِ الحياة وإنَّما لعلاجِ حالة يمر بها الجسد الإنساني يكون معها غير قادر على الإتيانِ بما هو مُكلَّف به كإنسان له أدواره ومسؤولياته وتوقعاته في الحياةِ.

و«لعل المرض لا يُدرك بصفتهِ إرث المُغامرة الفردية لإنسانٍ وُجِد في مكانٍ وزمان معين، وإنَّما بصفتهِ العجز المجهول لوظيفةٍ أو لعضو. إن الإنسان يُصاب بطريقةٍ غير مُباشرة بتلفٍ لا يطال غير جهازه العضوي، ويُطرح المرض كأمرٍ دخيل ناشئ عن سلسلةٍ من السببياتِ الميكانيكية» (١٢).

أمَّا كوفيد١٩ فهو مرض مُعد سبَّبته الفيروسات التاجية المُكتشفة مؤخرًا، وكان هذا الفيروس والمرض الجديد غير معروف سابقًا قبل اكتشافه في ووهان الصينية في ديسمبر ٢٠١٩م، ويعد كوفيد١٩ جائحة أثَّرت على كلِ دول العالم تقريبًا(١٣).

لذلك كانت الغاية من التطرُّقِ لهذهِ التوصيفات المُهمة حول ما يُشكل أُسس بحثنا هنا من مصطلحاتِ الثقافة والصحة والمرض هو لمحاولةِ بناء أساس بحثي يتمثل في إزالة الغموضِ عن مفاهيم البحث، لغرض التوسُّع بمراحلهِ الأُخرى دون التوقُّف عند مراحل قد يشوبها نوع من عدم الوضوح، إذ بات لزامًا علينا هنا أن نتعرَّض لمعطياتِ وصور الصحة والمرض وفق المنظومة الثقافية التي تكوِّنها كل جماعة بشرية في أي مجتمع كان، لغرضِ الوقوف على ملابساتِ هذه

العلاقات الجدلية وكيفية رصد توصيفاتها وما آلت إليه ملامحها، فلم تعد الثقافة يُشار إليها ويحتد الصدام الفكري حولها وفق التعريف المفاهيمي فقط؛ وإنَّما ما تنطوي عليه من تمحورات في داخلِ المجتمع، ولم تعد الصحة تُعرض بشكلها الطبي الأصم فقط وإنَّما عرض صورها الاجتماعية والثقافية، وكذلك التعرُّف على المرضِ ليس بكونه يصيب الجسد الإنساني بيولوجيًا فحسب؛ وإنَّما ما أدَّى إليه اجتماعيًا وثقافيًا واختلاف النظرة إليه من ثقافةٍ لأُخرى.

ثانيًا: الأُطر الثقافية وتشكيل صور الصحة والمرض

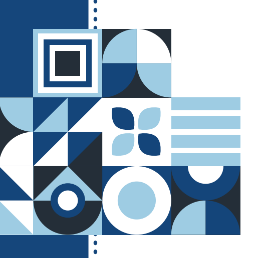
إن مراحل التطوَّر الثقافي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالمرضِ وخاصة الأمراض الوبائية والبيئية حيث كانت مُعدَّلات الأمراض المُعدية منخفضة إلى حد ما في المجتمعاتِ التي تبحث عن الطعام بسبب قلَّة حجمها السكاني وازداد انتشارها في المدنِ قبل الصناعية. وفي العصرِ الحالي ورغم التطوَّر الهائل والتقدَّم العلمي والطبي إلَّا أنَّ المرحلة قد جاءت بأمراضٍ وبائية جديدة ترافقت مع التطورِ الثقافي الحاصل مثل أمراض السمنة وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب وغيرها(١٤)، وبضمنها الجائحة الاخيرة المُتمثَّلة بـ فيروس كورونا، فكل مرحلة زمنية لها كياناتها الثقافية المختلفة وعلى أساسِ هذهِ الكيانات تظهر بوادر الصحة والمرض بحسبِ ما يصنف كصحة وكمرض، لذلك ظهرت أمراض ناسبت آنذاك البيئة المُعاشة وكيفية التصرَّف والعيش وفقًا لها.

كما أن استجابة الآخرين للمرضِ تتحدَّد-غالبًا- وفق العديد من العواملِ الاجتماعية والثقافية، فلكلِ ثقافة لغتها الخاصة في التعبير عن الآلام والأحزان، كما تُحدَّد هذهِ العوامل الثقافية-أيضًا- أي من العلاماتِ والأعراض التي تُفهم كعلامات وأعراض غير طبيعية. وتساعد-أيضًا- على تصويرِ التغيُّرات الجسمية والوجدانية المنتشرة داخل نمط يمكن أن يفهمه المريض والمحيطين به (١٥).

وقد لا يقتصر الأمر على جدليةِ العلاقة بين الثقافة والصحة والمرض؛ وإنَّما بين الثقافة وسلوكات الأفراد أيضًا؛ إذ أكَّدت الدراسات الاثنوغرافية على أنماطِ السلوك وفقًا للنوعِ الاجتماعي على أن هناك اختلافات واسعة في سلوكِ الجنسين، وأن هذهِ الاختلافات هي بناءً على ما تعلَّمه الناس من ثقافتهم حول ما يكون رجلًا أو امرأة (١٦).

كما أنَّ الثقافة باتت لها أهمية حيوية في ميادينِ الصحة والمرض-أيضًا- من خلالِ بيان تأثيرها في نمطِ انتشار المرض بين الناس وطريقة تفسير ذلك المرض ومعرفة أسبابه، الأمر الذي يُظهر





اختلافات كبيرة بين الثقافات في طرقِ التعرُّف على الأمراضِ وكيفية علاجها (١٧)، بحسب ما عهد على الثقافةِ هناك في تشخيصها للشيءِ على أنَّه يُشكِّل مرض وكيفية التعامل معه، ومن أي ناحية ما هي الأشياء التي تجلب الصحة وتذهب بالمرضِ بعيدًا وفق ما يتعامل على أساسهِ.

ولما كان هناك اتفاق بين علماء الاجتماع-عمومًا- على أن الثقافة تتعلم وتنقل بين الأجيال، وينعكس ذلك في قيم المجموعة والمعتقدات والأعراف والممارسات وأنماط الاتصالات، والأدوار العائلية والنظم الاجتماعيةَ الأُخرى (١٨)، لذلك يمكن الإشارة إلى أنَّ سلوكات الصحة والمرض وتمثّلاتهما وكيفية تشخيصهما تتعلم-أيضًا- وفق هذهِ الثقافات وقد تنتقل من جيلٍ إلى آخر بحكم التوارث والاحتفاظ بإرثِ الأجداد، ولا يمكن أن نغض النظر عن كثيرٍ من الممارساتِ اليوم حول التَصوُّرات فيما يخص الصحة والمرض وما يُتخذ تجاههما من أنماطٍ تعاملٍ وسلوكات.

إن الثقافة وقبل كل شيء تُقدِّم لنا رؤية للعالم وتُصوِّر كيفية تنظيمه وكيفية العمل وفقًا لذلك العالم الذي يتلقى المعنى والقيمة من خلالِ الثقافة، لذلك فهي توفِّر نظام القيمة للأطعمةِ التي تُعد صالحة للأكلِ أم لا، وتصنيف قيمة أنواع مختلفة من الموادِ الغذائية مثل جيدة، ضعيفة، قوية، خفيفة(١٩).

لذلك فالثقافة والقوى الثقافية من بين القوى الاجتماعية الأُخرى التي تُكوِّن مُحدِّدات قوية للسلوكات المُرتبطة بالصحةِ (٢٠)، بل أنَّها تلزم الأفراد الذين ينضوون تحتها بعدم الخروج عن هذهِ المُلزمات الثقافية في التعاملِ مع الصحةِ والمرض بل التصرُّف وفقاً لها وحتى التأسيس عليها لغرضِ تناقلها لأجيالٍ أُخرى رغم دخول الحياة مراحل أُخرى من التطوُّرِ والتقدُّم، فتتعاطى الثقافة مع الذي يحدث من تقدُّمٍ بأوجهٍ وصور تُبقي على تراثها دون نسفه.

من ذلك كلهُ يمكن القول «إن الثقافة هي بمثابةِ خشبة المسرح والسيناريو والإضاءة والإخراج في مسرحيةِ المرض والعلاج، ولها مكانتها المؤثِّرة في هذهِ القضية ولكن ليس بدرجةِ نهائية أو حاسمة» (٢١)، إذ تشترك المنظومة الثقافية في صياغةِ كيفية التعامل مع الصحةِ والمرض وكيفية تسميتهما وما يجب التصرُّف وفقًا لهما رغم وجود التقدُّم العلمي والتقني في الصحةِ ومعالجة الأمراض، إلاَّ إنَّها تحاول أن تُحافظ على مدياتِ قوَّتها في تنظيم المجتمع فتتعاطى مع العديد من هذهِ التطورات وتشتق لها قواعد يجب اتباعها مرة أُخرى على أن لا يؤدي ذلك إلى نسفِ الجذور التي نشأت على أساسها هذهِ الثقافة.

ثالثًا: البناءات القيمية والعادات والتقاليد والطقوس وتمثّلات الصحة والمرض

بعد التطرُّق للمنظومةِ الثقافية بشكلٍ عام وما تتميز به من قدرةٍ على التأثير في صناعةِ صيغ وصور الصحة والمرض من ناحيةِ التعامل معهما والسلوكيات الممنوحة وفقًا لهما، لابد لنا هنا من الإشارة إلى ما تتضمَّنه هذهِ المنظومة الثقافية من قيمٍ وعادات وتقاليد وطقوس وطبيعة العلاقة بينها وبين الصحة والمرض في الثقافاتِ الإنسانية.

فالناس في جميعِ أنحاء العالم لديهم معتقدات وسلوكات تتعلَّق بالصحةِ والمرض، والتي تنبع من القوى الثقافية والخبراتِ الفردية والتصورات (٢٢).

لقد سعى علماء الاجتماع وعلماء الأوبئة الذين يدرسون نسب التوزيع والتكرار للأوبئةِ والأمراض بين السكان، إلى تفسيرِ العلاقة بين الصحة والمرض من جهةٍ وعدد من المُتغيراتِ مثل الطبقة الاجتماعية والجنس والعرق والعمر والطبيعة الجغرافية من جهةٍ أُخرى (٢٣).

فعلماء الانثروبولوجيا الطبية قد أبدوا ملاحظاتهم عن الثقافاتِ المُختلفة ووجهات نظرها حول

الصحة والمرض من خلالِ النظر في الجوانبِ البيولوجية والبيئية للمرضِ ووجهات النظر الثقافية وطرق الثقافات في الوقايةِ والعلاج (٢٤)؛ أي قاموا بإحاطة هذا الموضوع بعناية تامة على اعتبارِ أنَّ الصحة والمرض يكتسبان صيغ مُختلفة من ناحيةِ إيجادهما والتعامل معهما بسببِ الثقافة وما ينطويان عليه من تغيراتٍ وتمثُّلات في الواقعِ البشري، مع الإشارةِ إلى عدَّةٍ جوانب منها: هل أنَّ الصحة والمرض يتعلَّقان فقط بالجوانبِ البيولوجية أم أنَّ للأمرِ علاقة بما تتضمَّنه الثقافة من عواملٍ ومُتغيِّرات؟ وتوصَّلوا من خلالِ الدراسات الحقليةِ العديدة إلى أنَّ للثقافةِ دور كبير وجوهري في التعاملِ مع قضايا الصحة والمرض.

ومن بين الأشياء التي أشير إليها على مستوى الأنثروبولوجيا الطبية أنَّ الأمراض التي تظهر في أي جماعة إنسانية وتؤثِّر في أعضائها هي ليست بمحضِ الصدفة، لكنها بفعلِ البيئة والسلوكات والمناخ الذي عاشوا فيه والتربة التي أمدَّتهم بالغذاء والحيوانات والنباتات التي شاركتهم موطنهم وأنشطتهم اليومية وما يمارسونه من عادات غذائية واختيارهم للسكنِ والملبس وبنائهم الاجتماعي وفلكلورهم وأساطيرهم (٢٥). ومن ذلك لاحظنا ظهور كوفيد١٩ في مدينة ووهان الصينية ذات الثقافة الغذائية التي تعتمد على تناولِ الحيوانات بأنواعها دون أدنى محـــــاذير والبيئة الحاضنة للعديدِ من الفيروساتِ. وما تظهر من أمراض في ثقافة معينة قد لا تظهر في ثقافة أُخرى بفعلِ طبيعة التعامل المُتَّبعة هنالك في الأنشطةِ الحياتية وسلوكيات التفاعل والقيم والعادات والتقاليد المُمارسة، والتي قد لا تتوافر بنفسِ الصيغ والصور في غيرها من الثقافاتِ الأُخرى.

فالأساليب الثقافية قد تُحتِّم على الأفـــرادِ اتباع أنماط معينة في صناعة الغذاء مثلًا، وقد يكون هذا الغذاء وصناعته ضارًا للصحةِ أو يؤدي إلى إلحاقِ الضرر بالجسمِ الإنساني من سمنة وترهلات وأمراض تتعلَّق بضغطِ الدم والسُكَّري وغيرها، لكن أتباع هذهِ الثقافة قد اعتادوا على نمطٍ مُتَّبع في تناولِ وصناعةِ هذهِ الاغذية والتغاضي عن أضرارها التي قد تصيبهم وتُرهق صحتهم. في حين توجد هناك ثقافات تتَّبع أساليب وأنماط صحَّية في التعاملِ مع الغذاء من ناحيةِ اختيار الأفضل والأكثر نفعًا وطريقة طهيه وأوقات تناوله والتحكّم بالوجباتِ المفروض تناولها. وقد يوجد هذا التفاوت في داخل المجتمع الواحد الذي تتعدَّد الثقافات به، وكذا الأمر فيما يتعلَّق بطريقةِ السكن واختيار المنازل وطرق ترتيبها، وما يتواجد بها من أماكنٍ وشروط صحية كلها مُدعاة وذات علاقة بالصحةِ والمرض.

لذلك تُمارِس القيم سطوة لتحقيقِ الضبط الاجتماعي (Social Control) ولتمييز كل سلوكات الإنسان منها السوية والشاذة حتى يُثاب أو يُعاقب على أساسِ ما تصرَّف من سلوك (٢٦)، ووفقًا لذلك تضغط القيم على الأفرادِ لاتِّباعِ أنماط ثقافية مرسومة وموضوعة لهم، على أن لا تتجاوز أو يتعدى عليها؛ لذلك ما قد يتعرَّض لهُ الفرد في ثقافتهِ من إصابةِ بمرضٍ وانخفاض مستويات الصحة قد يكون بسببِ التقليد الأعمى لما أكسبته إيَّاه بعض التمثُّلات الثقافية التي يعيش بها إذا كانت ثقافته لا تساعد الصحة على الارتقاء، إلَّا أنَّ الأمر قد لا يشمل كل أولئك الأفراد الذين نشأوا في بيئةٍ ثقافية مُنغلقة لا تعير أهمية لما يُسمى بالصحةِ والمرض بأن يكونوا على قدرٍ منخفض من تدنِّي الصحة لديهم، فقد ينفتح هؤلاء على الجوانبِ التقنية الحديثة في الصحةِ والمُعالجات الطبية ويبتعدوا نوعًا ما عن الأساليبِ التقليدية المُتَّبعة في ثقافتهم في كلِ شيء والتي من شأنها أن تؤدِّي إلى انهيارِ الصحةِ والإصابة بعدَّةِ أمراض.

ويمكن الإشارة إلى المُعتقدات الشعبية على أنَّها موروثات أخذت لها مكانة في عقولِ الناس وشغلت حياتهم وشغفت بها نفوسهم وملكت قلوبهم وصارت معتقدات وأصبح الإيمان والتسليم بها من الأشياءِ البديهية التي لا يمكن الشك بها، وترسَّخت هذهِ المُعتقدات في نفوسِ الناس ترسَّخًا كبيرًا وأصبحت جزءًا هامًا من الوجدانِ الشعبي لديهم (٢٧).

ويمكن ملاحظة أنماط ثقافية مختلفة بشأنِ أنواع المواد الغذائية والنظام الغذائي في البرازيل مثلاً، حيث إنَّ مزيج من الأرزِ والفاصوليا هو أمر أساس لتناولِ وجبه تكون كاملة ومفضَّلة، بدون حتى وجود اللحم، والبعض الآخر بحاجةٍ دائمًا لطبقِ لحم ليشعر بتغذيةٍ جيدة، والصيني يشعر بالارتياحِ تمامًا مع وجبةٍ نباتية في المقامِ الأول (٢٨).

في حين تجد هناك ثقافات أُخرى قد تتناول اللحوم والطعام الدسم لكن يوجد نوع من التنظيم المُناسب لهذا التناول، الأمر الذي قد يُقلَّل من فرصِ حدوث الأمراض، مع خلقِ نوع من التوازنِ بين الطعام وتناوله ومُمارسة الرياضة وعدم الإسراف فيه والاهتمام بقضيةِ النوع وليس الكم. وقد تكون هناك ثقافات- فيما يتعلَّق بالعاداتِ الغذائية وتناول الطعام- من عاداتها وتقاليدها أن لا تتناول اللحوم والطعام الدسم جدًا، وقد يُصاب أغلب أفرادها بالعديدِ من الأمراضِ بسببِ هذا الطعام، وقد يعود ذلك إلى عدم التنظيم في الأسلوبِ الغذائي واتِّباع أساليب خاطئة في تناولِ الطعام قد حدَّدتها عاداتهم وتقاليدهم. وهناك ثقافات قد لا يتعرَّض أعضاؤها للعديدِ من الأمراضِ المُتأتِّية عن طريقِ الغذاء بسببِ حسن التعامل مع نوع وكم الغذاء وفق ما اعتمد عليهِ من المنظومةِ الثقافية المُتَّبعة.

إلَّا إنَّ ذلك لا يعني قطعًا أنَّ الإنسان مُسيَّر بشكلٍ كبير جدًا من قبلِ ثقافته مما تُمثَّل لهُ قالبًا لا يمكن الخروج عنه نهائيًا؛ فهناك الكثير من الأفرادِ قد تعاملوا مع ثقافاتهم وفق التطوَّر المعرفي والتقني والتكنولوجي الحاصل في الحياةِ، أي دمج ثقافته وما تعلَّمه ضمن العصرية الموجودة.

كذلك فأنَّ للعديدِ من مُميزات الحياة العائلية تأثيرًا على الصحةِ والإصابة بالأمراضِ بحسبِ طبيعة الثقافة والعوامل الثقافية المُتَّبعة، فالعوامل الأُسرية ممكن أن تُسهم في خطرِ تطوير المرض العقلي، حيث إن الأُسر التي تتسم بالخلافِ الشديد في العلاقات الزوجية والاكتظاظ والحرمان الاجتماعي يمكن أن تُسهم في ظهورِ المرض العقلي وظروف الاعتداء على الأطفالِ وإهمالهم، والاعتداء الجنسي، مما يُعرَّضهم لخطرِ الاضطرابات النفسية والانتحار (٢٩).

وتتميَّز مُجتمعاتنا العربية-وفق الثقافة المُحافظة جدًا- بأنَّها تسير على خطى أساليب حياتية قد تُحتِّم على الأفرادِ تعرَّضهم في كثيرِ من الأحيانِ للأمراضِ من خلالِ أساليب التعامل التي قد تكون شديدة وصارمة والتي تخلق نوعًا من الكبتِ النفسي وما يتَّبع ذلك من أمراض أُخرى، كذلك النزعة البطريركية التي تمنح الدور الأهم والأساس للرجلِ دون المرأة، وما يترتَّب عليه من ضغوطاتٍ صحية قد تُلحق بالأفرادِ.

لذلك ووجه كوفيد١٩ من قبلِ العديد من الثقافاتِ- وبالذاتِ الثقافات العربية الأقرب لنا وبضمنها الثقافة العراقية- كلاً بحسبِ التمثَّلات التي قامت عليها تلك الثقافات؛ ففي العراق مثلاً تعومل مع هذا الفيروس وفق مُنطلقات قيمية نشيء عليها وترسَّخت بدواخلِ الأفراد، ولاسيما أنَّ المجتمع العراقي مجتمع تسود فيه القيم القبلية والعشائرية التي تدعو إلى اللحمةِ والتواصل والتكاتف والضيافة والكرم والبذخ، وكل تلك التمثَّلات والأنماط الثقافية باتت على الضدِ مما فرضته هذهِ الجائحة وهي التباعد الاجتماعي في بادئ الأمر، فالقيم الثقافية العراقية تحث على التضامنِ والتقارب وليس التباعد، وعلى أساس تلك القيم بُنيت أصالتها، لذلك لم يؤخذ بدايةً بالتوصياتِ الصحية لأنَّها لا يمكن أن تُطبَّق في مجتمع قيمي تربى على ثقافةِ الاجتماع وليس الانعزال والفُرقة، الأمر الذي كبَّد المجتمع خسائر في الإصاباتِ والأرواح، سبَّبه النظر للأزمةِ من منظورِ المُنطلقات القيمية التي لا تسمح بمغادرةٍ أو التوقف لفترةٍ من الزمن عن مزاولةِ ما تبنَّي وتربَّي عليه.

رابعًا: الطب الشعبي، سطوة الغيبيات، التمثَّلات الدينية والصحة والمرض

يُعد الطب الشعبي أحد ميكانزمات الضبط الاجتماعي ووسيلة من وسائله؛ لأنَّ المرض هو مفهوم معروف لدى الجماعات البسيطة على أنَّه انحراف عن قواعدِ المجتمع أو خرق لقواعدِ العرف أو هو ناتج عن الأرواحِ الشريرة، نتيجة عدم تنفيذ الأفراد لالتزاماتهم نحوها، أو بسببِ السحر والشعوذة والحسد، لذلك يصبح العلاج الشعبي وسيلة من الوسائلِ المهمة لديها للتحكَّم في حالاتِ الانحراف والخروج عن قواعدِ المجتمع، حيث يؤدي إلى تهذيبِ سلوك الفرد وتنظيمه (٣٠).

إن اللجوء إلى استعمالِ الطب الشعبي والذي يُعد بديلاً عن الطبِ الرسمي من المؤكَّدِ أنَّه يُعرِّض الصحة الجسدية للإنسانِ إلى مخاطرِ عدَّة قد تصل في كثيرٍ من الحالاتِ إلى الوفاةِ، وذلك بحسب آراء مُستعملي ومُريدي هذا النوع من التداوي بالعلاج الشعبي، إذ يعدُّونه من التراثِ والذي يُشير إلى الأصلِ والإتقان في القيام به بشكلٍ بعيد عن العقاقيرِ الطبيةِ الكيميائية والأساليب العلاجية التي لا تتوافق ومُعتقدات وعادات وتقاليد العديد من الثقافاتِ، فكانت عدَّة ثقافات تقوم بتوليدِ النساء وفق الطرق الطبية القديمة أو ما يُسمى بالطبِ الشعبي عن طريقِ بعض القابلات المأذونات وبأدوات شعبية وفق ما هو مُتعارف عليه في تراثِ هذه الثقافات، والهالة القدسية التي تُحيطها بقضيةِ توليد النساء، التي تتمثَّل بمنعِ ذهاب المرأة إلى المُستشفى أو تكشف عن جسدها لاعتباراتٍ قُدسية لديهم، لها آثارها الكبيرة على صحتها الجسدية، وما يتَّبعه من علاجات قد لا تفي بالغرضِ المطلوب وأدوات ربما تكون مُلوثة ومُسببَّة لنقلِ العديد من الأمراضِ الأُخرى.

وهناك–أيضًا– العديد من الحالاتِ الأُخرى التي يُستعمل معها ما يسمى بالطبِ الشعبي من خلالِ التطبيب ببعضِ الأدوية الشعبية الصنع دون تحضير طبي علمي؛ وإنَّما استعمال بعض الخلطات العشبية، والتي قد لا تنفع في العديدِ من الحالات وقد تنفع في أُخرى.

ومن الأمورِ الأُخرى التي تُستعمل كطب شعبي، الوشم على مناطقِ الألم في الجسدِ باستعمالِ أدوات تقليدية قد تنقل الأمراض، بقصدِ التخلُّص من الألم وفق ما مُتَّبع من موروثات، وكذلك–أيضًا– ختان الأطفال الذكور بطرقٍ قد تكون رديئة وتقليدية لا أساس صحي لها. وكذلك استعمال طرق بسيطة بدائية في إجراءِ عمليات صغيرة لبعضِ أجزاء الجسم وهي بدون دراية وأن استندت إلى بعضِ الخبرة في التداوي فقد تفتقر إلى كلِ ما هو حديث والذي قد يعطي نتائج أفضل بالنسبةِ لقضيةِ التطبيب والتداوي.

وهذا بشكلٍ عام فيما يتعلَّق بالطبِ الشعبي، لكن ما علاقة الطب الشعبي بفيروسِ كورونا الذي ضرب العالم قبل سنوات قليلة ماضية؟ بحسبِ الملاحظات الوصفية البسيطة التي تمَّت ملاحظتها في بغداد وبعض محافظات العراق الأُخرى، فأنَّ العديد من الناسِ الذين خضعوا للوقايةِ يحاولون التطبيب شعبيًا ببعضِ الأعشاب والوصفات التقليدية حماية ووقاية من هذا المرض، والبعض الآخر المُصاب لجأ بشكلٍ



فعلي لهذهِ المُعتقدات وخاصة الذين هم في المراحلِ الأولى من الإصابةِ بالفيروسِ، وهذا مؤشر لتمثُّلاتٍ وصور عدَّة منها ما يتعلَّق بإلزامية التمسُّك بالموروثِ الثقافي الذي لم يكن يعترف بشكلٍ واسع بالطبِ الحديث واعتماد تقنيات الطب الشعبي السائدة آنذاك لعلاجِ العديد من الحالات.

ومـن الأمـورِ الأُخـرى والجوهريـة-أيضًـا- والتـي قـد أثَّـرت بشـكلٍ كبيـر في الصحـةِ والمـرض هـي الإيمـان بالأشياءِ الغيبيـة والسـحر والشـعوذة؛ إذ كثيـرًا مـا تؤمـن ثقافـات عـدَّة بـأن للأرواحِ وأمـور الغيـب علاقـة بالصحةِ والمـرض؛ فقـد يظـن البعـض أنَّ هنـاك أرواح تجلـب الصحـة وأُخـرى تؤدِّي إلـى الامـراضِ، كذلـك مـا يُمـارس

مـن سـحرٍ وشـعوذة والتـي قـد تكـون لجلبِ الصحـة أو الحـاق الضـرر بصحـةِ آخريـن مـن الأفـرادِ، وأصبحـت هنـاك أماكـن خاصـة لهـذهِ المُمارسـات الشـعوذية والتـي تقـوم علـى إيهـام الأفـراد بـأن هنـاك قـوى غيبيـة تكـون مسـؤولة عـن إبعـادِ المـرض عنهـم أو جلـب الصحـة لهـم، وقـد تتسـبَّب هـذه الشـعوذات عنـد تنـاول بعـض التعويـذات أو الخلطـات منهـا في انهيـارٍ صحـي لمـن يتناولهـا سـواء كان الشـخص المُعـد لـهُ هـذا الشـيء أو صاحـب الشـأن ذاتـه. ونحـن هنـا لسـنا بصـددِ الحكـم علـى صحـةِ هـذه المُعتقـدات أم بطلانهـا، وانمَّـا اللجـوء إلـى التوصيـف المُتجسَّـد في تلـك الثقافـات القائمـة علـى اعتقـاداتٍ غيبيـة عديـدة تصطبـغ بهـا حياتهـم.

وترتبـط هـذه الشـعوذات والتعويـذات وأمـور السـحر بقـوةِ المُعتقـدات الثقافيـة التـي تجعـل مـن الأفـرادِ ضحيَّة لهـا ولا يسـتطيعون مـن مغـادرةِ السـير وفـق نظامهـا ومـا تجلبـه لهـم، مُسـتعملة بذلـك أسـاليب تدفعهـم إلـى الإتيـانِ إليهـا مـن قبيـلِ-مـثلاً- إظهـار عجزهـم أمـام كل الأشـياء التـي تحـدث لهـم وأنَّهـم أي المشـعوذين هـم القادريـن علـى تخليصهـم منهـا، فـضلاً عـن انخفـاض الوعـي وزيـادة التخلُّـف الـذي يمكـن أن يجـعلا الفـرد حبيـس كل هـذهِ المُعتقـدات.

لقـد اعتبـر رجـال الديـن في القـرونِ الوسـطى بـأنَّ لهـم القـدرة والإمـكان علـى إنقـاذِ المرضـى مـن شـرورِ المـرض كحُكمـاء، الأمـر الـذي جعـل مـن الأديـرةِ والكنائـس عبـارة عـن مراكـزٍ صحيـة تمنـح العلاجـات المُناسـبة (٣١).

ففـي الكثيـر مـن الثقافـاتِ هنـاك معتقـدات لـدى أفرادهـا بـأنَّ الحصـول علـى الصحـةِ يتطلَّـب الارتبـاط دينيًـا ببعـضِ الأوليـاء والصـالحين مـن خلالِ التقـرُّب إلـى اللّٰه بشـفاعتهم عنـدهِ تعالـى، لذلـك يربطـون شـؤون صحتهـم بهـذهِ الأمـور الدينيـة حتـى وإن كانـت أمراضهـم مُسـتعصية لا يقومـوا بمعالجتهـا بالطـرقِ الطبيـة الحديثـة؛ وإنمَّـا بالتسـليمِ المُطلـق بمـا يؤمنـون بـه.

خامسًا: صناعة دور المريض وفق المناخ الثقافي المُعاش

إن السـلوكيات التـي يتصـرَّف بهـا المريـض ومـا يقـوم بـهِ مـن أدوارٍ في حياتـهِ تكـون مُتَّسـقة مـع التمـثُّلات الثقافيـة الممنوحـة لـه في أي ثقافـة، فهـو يتصـرَّف في مرضـهِ وفـق مـا حـدَّده لـهُ المجتمـع والثقافـة كمريـض، ويسـتقبل منـه الآخريـن تلـك التصرُّفـات بـل يتوقعونهـا منـه ويتـم التعاطـي معـه وفـق هـذهِ الأُسـس.

وقـد تكلـم تالكـوت بارسـونز عـن دورِ المريـض وماهـي السـلوكيات والأنمـاط التـي يسـتعملها عنـد الإصابـة

بالمرضِ وكيفية التعامل مع الآخرين من حولهِ وكيفية اكتساب النظرة له، لغرض محاولة الحد من المؤثراتِ التي خلَّفها المرض له (٣٢).

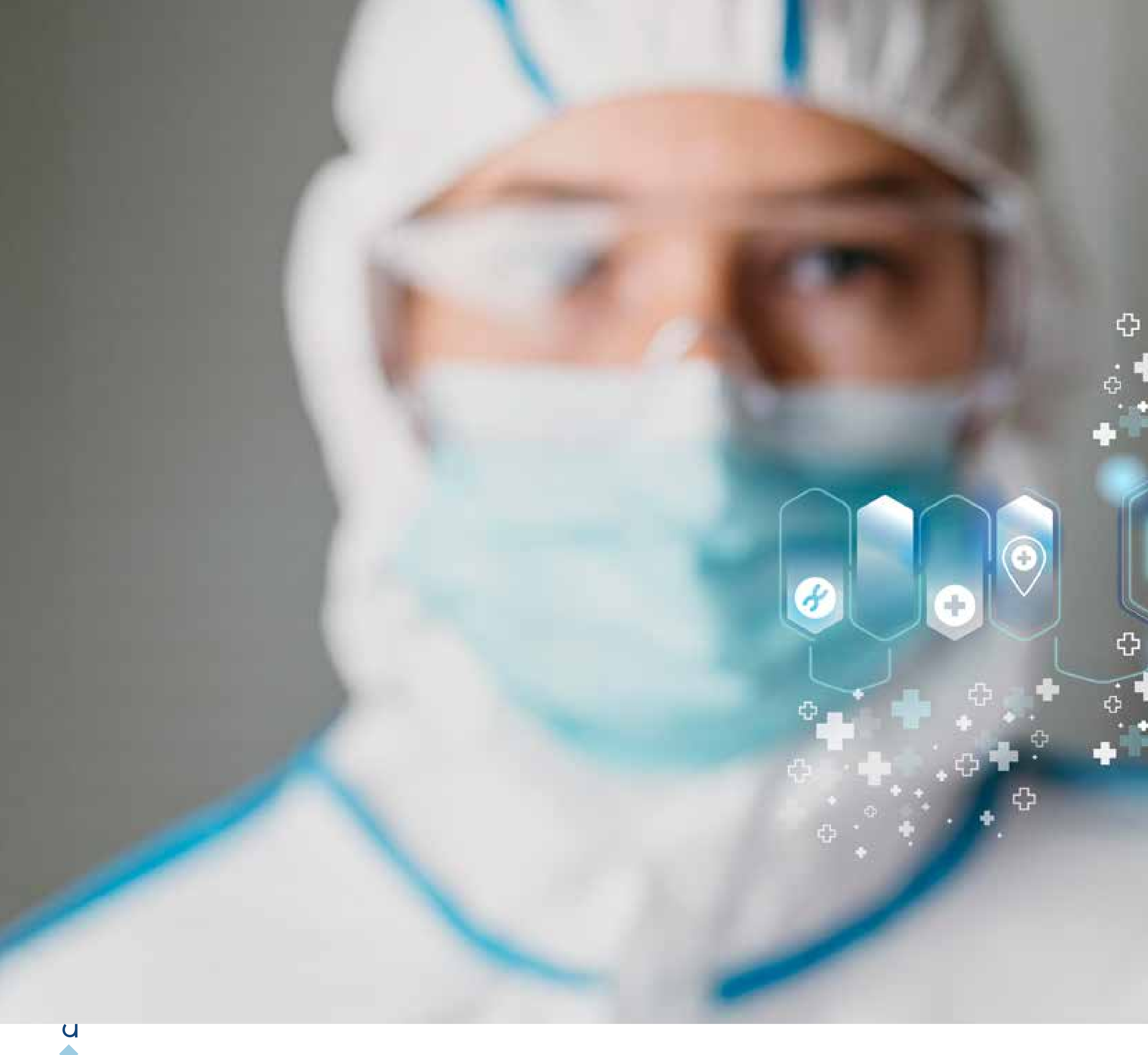
لقد ذكر تالكوت بارسونز أن المريض يجب أن يتقبَّل فكرة أنَّه مريض في باديِّ الأمر، وأن يتقبَّل ما سيُمنح من تصرفاتٍ وما سيقوم به الآخرون من سلوكياتٍ تجاهه، وذلك لغرضِ المساعدة في تخفيف أو إزالة المرض منه ومعرفة ماهي الوسائل الصحية اللازمة لذلك (٣٣).

فالمريض يتخلى عن الكثير من الواجبات والأدوار التي كان يقوم بها في حالتهِ الاعتيادية أو عندما كان سليمًا، ويبدأ بالسيرِ وفق أدوار جديدة تُحتِّمها الحالة المرضية عليه فيتصرَّفً كمريض وليس كشخص صحيح الجسم، بحيث لا يكون مسؤولاً في كثيرِ من الأحيان عن أداءِ عدَّة مسؤوليات اجتماعيةٍ وحياتية، وإنَّما تسقط عنهُ كل هذهِ الالتزامات وفق عنوان المرض، ويُمارس أدوارًا خفيفة لا تجلب له العناء ويتقبَّلها المجتمع؛ بل هو من حدَّد له ذلك في أن يبتعد عن مهام اعتيادية ويلجأ إلى المهام غير ضارة بسببِ حالته الصحية، ولا يتوقَّع منه المجتمع أن يقوم بأشياءٍ وواجبات ومسؤوليات ثقيلة لا يتحملها إلَّا الشخص المُعافى؛ بل يتوقع أن يقوم بما يتناسب مع حالتهِ، ويستجلب-أيضًا- موقع المريض التعاطف والتعاون من قبلِ أفراد المجتمع مع الحالةِ المرضية، بل التعاطي معها بتصرفات وسلوكيات قد تختلف في التعاملِ مع الاصحَّاءِ، إلَّا أنَّ ذلك ليس بقاعدة فليس كل المرضى يُعاملون بطريقةٍ تُحدِّد لهم أدوارًا تناسب كونهم غير أصحَّاء، وإنَّما هناك ثقافات لا تعترف بما يجب أن يكون عليه المريض من منح أدوارٍ جديدة ونظرة أُخرى تختلف عن النظرةِ للأصحَّاءِ، ولكن بعد شفاء المريض من حالتهِ المرضية تعود له أدوارهُ التي كان يُمارسها سابقًا ويطالبهُ المجتمع بالقيام بها وتتغير نظرة المجتمع له مرَّة أُخرى إذ يعودَ النظر لهُ على أنَّه أنسان صحيح الجسم ولا يمكن أن يدخل ضمن الاستثناءات الممنوحة للمرضى الذين يحتاجون إلى تعاملاتٍ وأدوارٍ خاصة.



سادسًا: آلية التثقيف الصحي: نحو صحة دائمة

إنّ العادات والتقاليد والمنظومة القيمية حتَّمت أن تكون الصحة في مفترقِ طرق بمواجهةِ ما يؤدِّي إلى تدهورها، من خلالِ استعمال أدوات غير صحية وأدوية شعبية ربما تكون مُضرة وغير خاضعة لفحص رسمي، وعادات تتعلَّق بالولادات والختان والوشوم والعادات الغذائية المُضرَّة والنظرة القاصرة للطبِ الحديث على اعتبارهِ لا يتفق والإرث الثقافي التي تعيشه الكثير من الشعوب، لذلك لابد من وضع الصحة بمواجهةِ كل هذهِ التناقضات لا من خلالِ نسف الموروث الثقافي؛ وإنَّما التعامل معهُ على أساسِ تطويعهِ



للحاضرِ والمزاوجة بين القديم والحديث بطريقةٍ لا تعزل كل جهة عن الأُخرى.

وعليه بات لزامًا أن يبدأ الإنسان بالاهتمام بصحتهِ وكيفية الاعتناء بها، الأمر الذي ساعد على ظهورِ توجّه جديد هو التثقيف الصحي، الذي يكون الغرض منه معرفة كيفية التعامل مع المرضِ والحفاظ على الصحةِ وفق المُتغيرات المُعاشة (٣٤).

ويُمثّل التثقيف الصحي كل الفعاليات التي ترمي إلى تحسينِ الصحة الشخصية والعامة عن طريقِ ما هو موجود من أساليبِ تغيير السلوك والحماية الصحية، والكشف عما يؤدي إلى الخطرِ مع بناءِ أُسس لغرضِ الحفاظ على الصحةِ (٣٥).

نحن بحاجةٍ إلى رفع مستوى الوعي لدى الأفراد حول ما يتعلّق بالصحةِ وكيفية العناية والاهتمام بها؛ فالأمر ليس دعوة للخلاصِ من التراثِ الثقافي فيما يتعلّق بالتعاملِ مع الحالاتِ الصحية للإنسان، وإنّما إيداع هذهِ الصحة في مستودعات آمنة تتمثّل بالعنايةِ الطبية والصحية الحديثة والخضوع لكلِ ما هو عصري في هذا المجال والابتعاد أو محاولة تغيير الأنماط السلوكية السيئة والضارة والتي تؤدّي إلى هدرِ الصحة وتدنّي مستوياتها.



وذلك لا يتم بهذهِ السهولة التي نطرحها هنا، وخصوصًا أن الأمر يتعلَّق بكيفيةِ التعامل مع الموروثاتِ الثقافية ونظرتها لمجالي الصحة والمرض؛ إذ يتطلَّب ذلك تظافر الجهود الكبيرة لمؤسَّساتِ المجتمع المختلفة لغرضِ زيادة الوعي لدى الإنسان بأنَّ صحته تمثل كل شيء في الحياةِ وعلى أساسها يستطيع أن يستمر في العيش، ويتمكَّن من بناءِ حياته بالشكلِ المطلوب، كذلك لابد للمؤسَّساتِ الطبية والصحية أن تُعزِّز من قدراتها في تحسينِ الصحة العامة والسعي الجاد في تحسينِ البحث العلمي الطبي.

إن الصورة التي يجب أن نبنيها للصحةِ والمرض هي صورة ذا منزلة عالية لا يمكن أن تتعرَّض لمؤثِّراتٍ تبتعد بها عن الجادَّةِ الصحيحة وتنزل بها إلى الهاوية، لذلك يجب أن تُحفظ الصحة بممارساتٍ وأنماط بعيدة عن الخرافاتِ الغيبية والسحر والشعوذة والاعتماد على ما جادت به العقول البشرية في مجالِ تكنولوجيا الطب وهندسة الجسد الإنساني.

استنتاجات

من خلالِ هذهِ السياحة الوصفية التي تعرَّفنا فيها على ما تطرحهُ الثقافات المُختلفة من صورٍ للتعريفِ بأنماطِ الصحة والمرض، تبين أنَّ هناك علاقة وثيقة بين الثقافة وما تفرضه من أنماطٍ وعادات وتقاليد وطقوس وبين الصحة والمرض في الحياةِ الإنسانية. وتبرز هذهِ العلاقة من خلالِ ما تحدِّده المنظومة الثقافية من أدوارٍ وتوقُّعات للمريضِ واتِّباع أساليب حياتية مُتفق عليها تؤدِّي إلى تشكيلِ الصحة والمرض بطرقٍ تختلف عن الثقافاتِ الأُخرى. وما زالت هناك سطوة للغيبياتِ وللتمثُّلات الدينية على الصحةِ والمرض. وأيضًا تختلف كل ثقافة في صيغِ التعامل مع المرضى والنظر إلى الأمراضِ، لذلك تعومل مع فيروسِ كورونا وفق الثقافة المُعاشة، ففي العراق لم تسمح التمثُّلات الثقافية بتطبيقِ التباعد الاجتماعي بصورهِ الحقيقية، وإنَّما مورس بشكلٍ بسيط، لقوةِ هذهِ التمثُّلات ومنطلقاتها الرافضة لهذا التباعد.

ومن ذلك اتضح أنَّه لابد من تثبيتِ أُسس التثقيف الصحي النوعي الذي يرتكز على مقوِّمات تحاول الاعتراف بالطبِ الرسمي وقدرته على الاهتمام بالصحةِ وإدامة الحياة، ومحاولةً التخلِّي عن العاداتِ والتقاليد المعروفة التي تُعنى بالتطبيبِ والصحة لدورها المؤثِّر في تدهورِ الصحة الإنسانية. وكذلك محاولة تعزيز الوعي نحو التخلِّي عن العاداتِ السيئة التي تتعلَّق بصحةِ الإنسان من غذائيةٍ إلى سلوكاتٍ ومُمارسات وأفعال تؤثِّر على الصحةِ وتستجلب المرض.

المصادر:

١. تيري ايغلتون، فكرة الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص١٣.

٢. كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة: د. محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٩، ص٧.

3. Conrad Phillip Kottak, Anthropology, The exploration of Human Diversity, Eleventh edition, Mc Graw hill higher education, New York, 2006, p. 271.

4. Joseph R. Betancourt, Alexander R. Green and J. Emilio Carrillo, CULTURAL COMPETENCE IN HEALTH CARE: EMERGING FRAMEWORKS AND PRACTICAL APPROACHES, The Commonwealth Fund, 2002. www.commonwealthfund.org

5. Bryan S. Turner, Dictionary of Sociology, Cambridge university press, Cambridge, New York, 2006, p. 111 – 112.

٦. كليفورد غيرتز، مصدر سابق، ص٩.

7. Stefan Timmermans and Steven Haas, Towards a sociology of disease, Sociology of Health & Illness Vol. 30 No. 5 2008, p. 659.

٨. أنتوني غدنز، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ترجمة وتقديم: د. فايز الصيَّاغ، المنظمة العربية للترجمة – مؤسسة ترجمان، بيروت ٢٠٠٥، ص٢٣٣.

٩. ميشيل هارا لامبوس، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، ترجمة: د. إحسان محمد الحسن وآخرون، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١، ص٦٥٩.

١٠. د. نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي: ثقافة الصحة والمرض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٧٧-١٧٨.

١١. ميشيل هارا لامبوس، مصدر سابق، ص٧٤٤-٧٤٥.

١٢. دافيد لو بروتون، انتروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣، ص١٨٠.

13. Information about COVID-19 – World Health Organization: www.who.int/covid-19/q&as.

١٤. د. نجلاء عاطف خليل، مصدر سابق، ص١٥١.

١٥. المصدر نفسه، ص١٩١.

16. Esther Jean Langdon, Flávio Braune Wiik , Anthropology, Health and Illness: an Introduction to the Concept of Culture Applied to the Health Sciences : Anthropology, health and illness: www.academia.edu

١٧. د. نجلاء عاطف خليل، مصدر سابق، ص ١٦٧.

18. Matthew W. Kreuter and Stephanie M. McClure, THE ROLE OF CULTURE IN HEALTH COMMUNICATION, p. 440: Publication › www.researchgate.net

19. Op. Cit. p.462.

20. Health Promotion in the Context of Culture: publication›ResearchGatewww.researchgate.net

٢١. د. نجلاء عاطف خليل، مصدر سابق، ص ١٥٠.





22. Culture, Behavior, and Health. p.41: summary› citeseerx.ist.psu.edu.

٢٣. أنتوني غدنز، مصدر سابق ص٢٢٦.

24. Culture, Behavior, and Health, Op. Cit. p. 42.

٢٥. د. نجلاء عاطف خليل، مصدر سابق، ص ١٥١.

٢٦. د. قيس النوري، آفاق التغير الاجتماعي النظرية والتنموية، مطابع التعليم العالي، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٠، ص١٨٠.

٢٧. د. نجلاء عاطف خليل، مصدر سابق، ص١٩٩.

28. Esther Jean Langdon, Flávio Braune Wiik, Op. Cit. P .461-462.

29. Mental Health: Culture, Race, and Ethnicity: A Supplement to Mental Health: A Report of the Surgeon General, 2001, p.27

٣٠. د. نجلاء عاطف خليل، مصدر سابق، ص١٩٨.

٣١. ميشيل هارا لامبوس، مصدر سابق، ص٧٢٠.

٣٢. أنتوني غدنز، مصدر سابق، ص٢٤٠.

33. Culture, Behavior, and Health, Op. Cit. p.45.

٣٤. ميشيل هارا لامبوس، مصدر سابق، ص٧٢١.

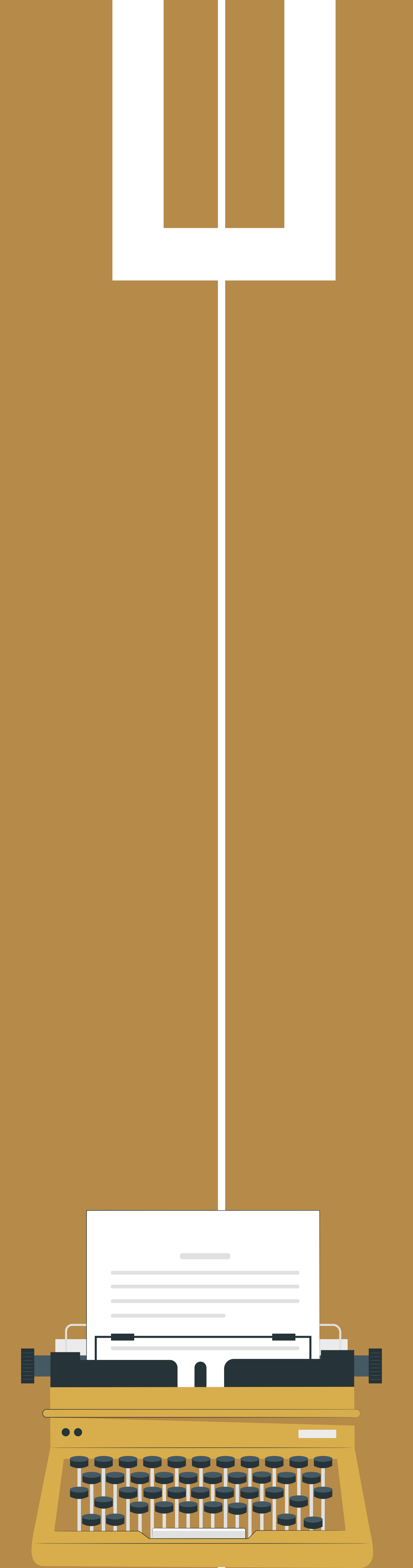
35. Health Promotion in the Context of Culture, Op. Cit.






05
قراطيس


قراطيس

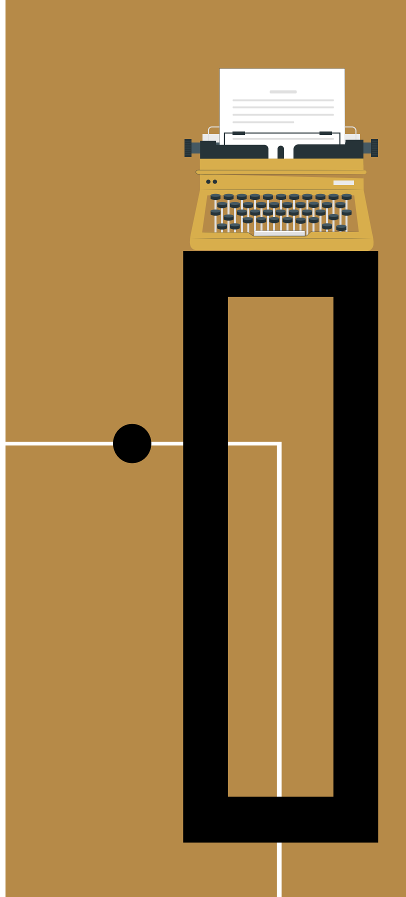




أفضل الروايات المترجمة القائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤

حسب توصيات الكاتبة إلينور واتشتيل

ترجمة أ. د أمير العزب



في كل عام تقرأ لجنة تحكيم جائزة البوكر الدولية عشرات الروايات المترجمة حديثًا إلى اللغة الإنجليزية قبل وضع قائمتها القصيرة التي تشتمل على أفضل الروايات من بينها. تحدثنا مع المذيعة الكندية إلينور واتشتيل، التي رأست لجنة تحكيم الجائزة في هذا العام، عن الستة أعمال التي اختارتها اللجنة هذا العام، بداية من رواية سويدية قصيرة تعتمد على الاختزال تتناول العلاقات المعاصرة حتى رواية أجيال ملحمية التي تدور أحداثها في كوريا في القرن العشرين.

أجرت معها المقابلة: كال فلين، نائبة مدير التحرير

رواية كايروس بقلم جيني إربينبيك، ترجمة: مايكل هوفمان.

الفائزة بجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤م.

كايروس

بقلم جيني إربينبيك، وترجمة: مايكل هوفمان.

الفائزة بجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤م.

أفضل الروايات المترجمة: القائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤م.

رواية ليس نهرا بقلم سيلفا ألمادا، وترجمة: آني ماكديرموت.

١- ليس نهرا: رواية

بقلم سيلفا ألمادا، وترجمة: آني ماكديرموت

أفضل الروايات المترجمة: القائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤م.

٢- المحراث الملتوي: رواية

بقلم إيتامار فييرا جونيور، وترجمة جوني لورنز

أفضل الروايات المترجمة: القائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤م.

٣- ماتر ٢-١٠

بقلم هوانج سوك يونج، وترجمة سورا كيم رسل ويونججي بي.

أفضل الروايات المترجمة: القائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤م.

ما أود ألا أفكر فيه بقلم جنتي بوستهيوما، وترجمة: سارة تيمر هارفي.

٤- ما أود ألا أفكر فيه

بقلم جنتي بوستهيوما، وترجمة: سارة تيمر هارفي

أفضل الروايات المترجمة: القائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤م.

كايروس بقلم جيني إربنبيك، وترجمة مايكل هوفمان.

٥- كايروس

بقلم جيني إربنبيك، وترجمة مايكل هوفمان.

أفضل الروايات المترجمة: القائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤.

التفاصيل: رواية بقلم يا جينبيرج، وترجمة كيرا جوزيفسون.

٦- التفاصيل: رواية

بقلم ايا جينبيرج، وترجمة كيرا جوزيفسون

ما الذي كنت تبحثين عنه أنت وزملاؤك في لجنة التحكيم عندما أعددتم القائمة القصيرة لعام ٢٠٢٤م لجائزة البوكر الدولية، وهي جائزة تُمنح لأفضل عمل تُرجم إلى اللغة الإنجليزية في السنة السابقة؟

كنا نبحث عن أفضل كتاب، ولكننا لم نكن نتبع معايير محددة؛ فالأمر يرجع إلى الحدس إلى حد كبير. والقائمة القصيرة انعكاس لذائقة مختلف أعضاء لجنة التحكيم. قال زميلي في لجنة التحكيم، ويليام كنتريدج، إن ما يبحث عنه «أن أكون مشاركًا في صنع معنى الكتاب»، وهو أمر مثير للغاية، ولكنه -أيضًا- معيار واسع جدًا.

إن ذلك يتيح لنا أيضا فرصة لأن نتعرف على الكتاب الناشئين والمتميزين الذين يحظون بالإعجاب في بلدانهم الأصلية. أنا أعي ذلك منذ فترة. فمنذ ٣٣ عامًا أجري مقابلات مع كتاب عالميين، وأثر ذلك على تقديري لقدرة الترجمة على فتح أفق الخيال، ولم أكن أدرك ذلك من قبل.

وعندما كنت طالبة جامعية، كنت أقرأ الروايات المترجمة - كافكا أو دوستويفسكي أو فلوبير، أو أي كاتب آخر - ولم أكن أعلم حتى أنني كنت أقرأ ترجمة. من المدهش أن ندرك أننا كنا لفترة طويلة نعتبر المترجمين أمرًا مفروغًا منه. كان لا بد أن تكون هناك جوائز مرموقة كهذه الجائزة لإثارة وعي القراء ولفت انتباههم إلى أن الترجمة تتطلب موهبة وحساسية.

بالنسبة لي تتيح جائزة البوكر الدولية فرصة مثالية لذلك. كنا نحن، أعضاء لجنة التحكيم، نأمل في أن نجد كتبًا يمكن أن نوصي القراء الناطقين باللغة الإنجليزية بقراءتها، بحيث يمكننا أن نقول: لقد تجولنا في العالم وجئنا هذه المواهب.

كم عدد الكتب التي كان عليكم قراءتها حتى تصلوا إلى هذه القائمة القصيرة؟

١٤٩ كتابًا. هذا أكبر عدد من الكتب نظرت فيه جائزة البوكر الدولية على الإطلاق.

كيف تعاملتم مع هذا الكم؟

أود أن أقول إننا كدنا نصاب بالجنون. ليست هذه

إجابتي الرسمية. هناك شيء أقدره حقًا بشأن هذه الجائزة، وهو يسري على البوكر الدولي وعلى ما أسميه جائزة البوكر «العادية».

لعلم القراء، جائزة البوكر العادية هي جائزة البوكر السنوية للروايات المكتوبة أصلاً باللغة الإنجليزية.

ويتمثل هذا الشيء في أن كل عضو من أعضاء لجنة التحكيم من المتوقع منه أن يقرأ كل كتاب. لا توجد تصفية أولية، ولا نقوم بتقسيم الكتب على أعضاء لجنة التحكيم، ولا توجد أية تصفية للروايات قبل أن نقرأها كلها. كل عضو من أعضاء لجنة التحكيم له ذائقته الخاصة، وكلهم يطرحون أشياء مختلفة على الطاولة. لكن من المفاجآت السارة للغاية في هذه العملية أنني كثيرًا ما كنتُ أعتقد أنني سأكون الشخص الوحيد الذي يحب كتابًا معينًا، ولكنني أتفاجأ أن زميلاً أو زميلين يضعان الكتاب نفسه في قائمة كتبهم المختارة. لذا فهي عملية معقدة، ولكنني أعتقد أنها عملية ناجحة في نهاية المطاف.

هيا بنا نلقِ نظرة على روايات القائمة القصيرة، واحدة تلو الأخرى. يمكننا أن نبدأ برواية «ليس نهرًا» لسيلفا ألمادا، التي ترجمتها آني ماكديرموت. هل تعطينا فكرة عنها؟

اسمحي لي أن أضع هذه الرواية في سياقها. سيلفا ألمادا كاتبة أرجنتينية مشهورة ومؤثرة، ويمكن مقارنتها بفلانيري أوكونر، أو حتى مقارنتها بويليام فوكنر. صدر لها عشرة كتب، منها روايات وشعر ومجموعات قصصية. وروايتها ليس نهرا جزء من ثلاثية فضفاضة. إنها رشيقة الأسلوب وموجز، إذ تقل عن ١٠٠ صفحة، ومكثفة.

تدور أحداث هذه الرواية حول ثلاثة أصدقاء يذهبون للصيد في منطقة نائية من الأرجنتين وتطاردهم ذكريات حادث مأساوي وقع قبل سنوات. يوجد جو من التوجس وسط العداء المتزايد من جانب السكان المحليين تجاه هؤلاء الرجال الذين يعتبرونهم دخلاء. وكما أشار أحد زملائي المحكّمين، على الرغم من عنوانها أو ربما بسببه، تسير أحداث رواية ليس النهر في تيارات، مثل الماء، إذ تتداخل فيها الأحلام مع الزمن، مما يحوّل قصص الصيادين وذكرياتهم ويشكّلها.

الجزيرة التي أقام فيها أبطال الرواية معسكرهم مليئة بالغابات والحرارة والبعوض والمياه العكرة الهادئة بشكل مشؤوم. هذا الشعور بالخطر والتوجس شعور قوي جدًا، وينبض برغباته وغضبه. بالإضافة إلى ذلك، هناك سمكة شيطان البحر التي تكاد تتخذ طابعا أسطوريا، وهي سمكة يبدو أنها تستفز السكان المحليين ولها معنى بالنسبة لهؤلاء الرجال الذي يشوبهم الحزن.

قالت سيلفا ألمادا إنها أرادت أن تكتب رواية ليس نهرًا لأنها جزء من قصتها حياتها. فالرواية مستوحاة من المنطقة التي وُلدت ونشأت فيها، ومن الأشخاص الذين يسكنون تلك الأرض والذين-كما تقول- مهمشون بسبب السياسات الحكومية التي تحكم عليهم بالفقر وبنقص التعليم والرعاية الصحية. الرواية عبارة عن تقدير الكاتبة لهذه الأرض وسكانها.

هل تشترك هذه الرواية في بعض السمات مع رواية المحراث الملتوي لإيتامار فييرا اجونيور؟ هذه رواية برازيلية، مترجمة عن اللغة البرتغالية الأصلية بقلم جوني لورينز.

نعم. تشترك هذه الرواية معها في بعض الأشياء، ولكن الجوانب الأخرى تختلف بشكل كبير. هذه هي الرواية الأولى لفييرا جونيور. وقد نشر مجموعة قصصية، وأصدر منذ ذلك الحين رواية ثانية. وجاء من خلفية أكاديمية، إذ أنه حصل على درجة الدكتوراه في الدراسات العرقية والأفريقية. وركزت دراسته للدكتوراه على النضالات المستمرة للكويلومبولا، وهي مجتمعات برازيلية أفريقية نظمها العبيد الهاربون وأحفادهم.

تدور أحداث رواية المحراث الملتوي في منطقة باهيا في البرازيل التي أرسل ما يقرب من ثلث الأفارقة المستعبدين إليها خلال ذروة تجارة الرقيق. وهي منطقة نائية في البرازيل. أما رواية ليس نهرًا، فتدور أحداثها في منطقة نائية من الأرجنتين، وتتناول أنواعًا مماثلة من الفقر والعنف. ولكن هناك فرق كبير: فرواية المحراث الملتوي متأثرة أيضًا بالتاريخ العنصري.

رواية المحراث الملتوي إحدى روايتين في قائمتنا القصيرة اللتين تبدآن بداية غير عادية. فتبدأ بداية قوية وغامضة. تدور أحداث الرواية حول شقيقتين تكتشفان سكين جدتهما المخبأة وتجرحان ألسنتهما بها بالخطأ. أصيبت إحدى الأختين بجرح شديد، بينما انقطع لسان الأخرى. وهي إصابات تربطهما عاطفيًا، رغم أن كلتاهما تتحمل ندوبها بطريقة مختلفة.

"بالنسبة لي، القراءة توسيع ضروري للتجربة الإنسانية التي لولا ذلك كانت ستقتصر على منظور واحد أو حياة واحدة"

تتبع القصة الأختين بصوتين متناوبين عبر شظف العيش في مزرعة، بصفتهما مزارعتين تعيشان حد الكفاف في أفقر منطقة في البرازيل، وزواجهما، ووفاة زوجيهما: كان أحد الزوجين مدمنا على الكحول، وكان الزوج الآخر منظّم نقابي تم إطلاق النار عليه. يتم سرد الأحداث من وجهة نظر المرأتين، من زاوية قريبة جدنا من الحياة الدنيا، الرواية مفعمة بتفاصيل عن الحياة اليومية، والاحتفالات، ووالدهما، والمعالج الروحاني. ثم تتراجع زاوية السرد، وتتحول إلى نظرة عامة على الأحداث، وتصف وحشية العبودية، والنضال السياسي، والأسرة.

هناك شيء خالد في هذه الرواية. كنتُ أشعر بالذهول-تقريبًا- عندما تنطلق إحدى الشخصيات على دراجة نارية، لأنني أشعر كأنني في عالم آخر. رواية المحراث الملتوي قصة مفعمة بالحيوية فازت بالعديد من الجوائز الأدبية الكبرى في البرازيل، وأصبحت من أكثر الكتب مبيعًا. وتمدنا بنافذة فريدة على عالم يتضافر فيه إرث المقاومة والنضال من أجل حقوق الأرض من خلال الروايات الشخصية والجماعية لشخصياته. وفي الوقت نفسه تعكس الرواية-أيضًا- النضال العالمي من أجل الحفاظ على البيئة، والعدالة الاجتماعية، والهوية الثقافية.

لهذا السبب، أحب جائزة البوكر الدولية كثيرًا. تلفت قوائمكم الطويلة والقصيرة انتباهنا، في العالم الناطق باللغة الإنجليزية، إلى الكتب التي قد تغيب عن بالنا لولا ذلك، ولكنها تمثل ظاهرة في موطنها الأصلي. ربما يمكننا التحدث بعد ذلك عن رواية ماتر ٢-١٠ للكاتب هوانج سوك يونج؟ وُصِفت هذه الرواية حكاية ملحمية متعددة الأجيال. أخبرينا المزيد.

نعم. إنها رواية كبيرة وطموحة كتبها أحد أشهر الكتاب الكوريين. هوانج سوك يونج، البالغ من العمر ٨١ عامًا، هو المؤلف الأكبر سنًا في قائمتنا القصيرة. وروايته ماتر ٢-١٠ تاسع كتاب له مترجم إلى اللغة الإنجليزية. وهذه-أيضًا- السنة الثالثة على التوالي التي يدرج فيها كتاب كوري في القائمة المختصرة.



وقد أدرج هوانج سوك يونج نفسه في القائمة الطويلة لعام ٢٠١٩م، وحصل على أعلى الجوائز الأدبية في كوريا.

إنه كاتب ملتزم سياسيًا واجتماعيًا للغاية. وفي عام ١٩٩٣م حُكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات بتهمة القيام برحلة غير مصرح بها إلى كوريا الشمالية لتعزيز التبادل بين الفنانين من الكوريتين. وأطلق سراحه بموجب عفو خاص بعد خمس سنوات عندما انتخب رئيس جديد.

تشير ماتر ٢-١٠ إلى قاطرة استولى عليها الجيش الكوري الجنوبي خلال الحرب الكورية أثناء تقدمه شمالاً. وفي عام ١٩٥٠م دمرها الجيش الأمريكي لإبقائها بعيدة عن أيدي العدو. وفي أوائل العقد الأول

من القرن الحادي والعشرين، رممت وأصبحت رمزًا للحرب الكورية وتقسيم البلاد. وكما يقول هوانج سوك يونج في «ملاحظة بقلم المؤلف»: «مثل المومياء في القبر، حفظت ماتر ٢-١٠ كيميائيًا وتحويلها إلى حفرية تذكارية شاهدة على عصر الانقسام".

هذه الرواية قصة ملحمية، كما قلتِ. فهي تجمع بين ثلاثة أجيال من عمال السكك الحديدية على مدار قرن من التاريخ الكوري، وهو تاريخ وطني معقد، تاريخ يجمع بين الاحتلال والحرية، بالإضافة إلى النضالات السياسية للطبقة العاملة.

البداية الروائية الرائعة الذي أشرتُ إليها من قبل تتمثل هنا في مكان نلتقي فيه بعامل سكك حديدية سرح من العمل ينظم احتجاجًا فوق مدخنة مصنع مكون من ١٦ طابقًا. ذلك يشبه أجواء رواية البارون في الأشجار لإيتالو كالفينو. لقد ظل العامل هناك لمدة تزيد عن عام، وخلال هذه الفترة نجد لقطات فلاش باك تسلط الضوء على أسلافه، ونجد محادثات هلوسة بينه وبينهم. تمنحنا هذه الرواية-نحن القراء- لمحة عن تاريخ كوريا في القرن العشرين، مع التركيز بوجه خاص على قصص القمع خلال فترة الاستعمار الياباني من عام ١٩١٠م إلى عام ١٩٤٥م، والتي تدور حول اثنين من أقاربه - هما جده وعمه الأكبر - اللذين يمثلان استجابتين متعارضة للاحتلال: المقاومة أو التعاون.

يقول هوانج سوك يونج إن هدفه من وراء كتابة هذه الرواية كان يتمثل في رأب صدع في الروايات الكورية، التي عادة ما تختزل العمال الصناعيين إلى مجرد ذرات من الغبار التاريخي.

لقد ذكرتِ النجاحات العالمية التي حققتها الرواية الكورية في السنوات الأخيرة. على ضوء نظرتك الواسعة بشكل غير عادي على الأدب العالمي في الوقت الحالي، هل يمكنكِ القول بأن مجموعة لغوية أو مجموعة دول معينة قد تصدرت الواجهة؟



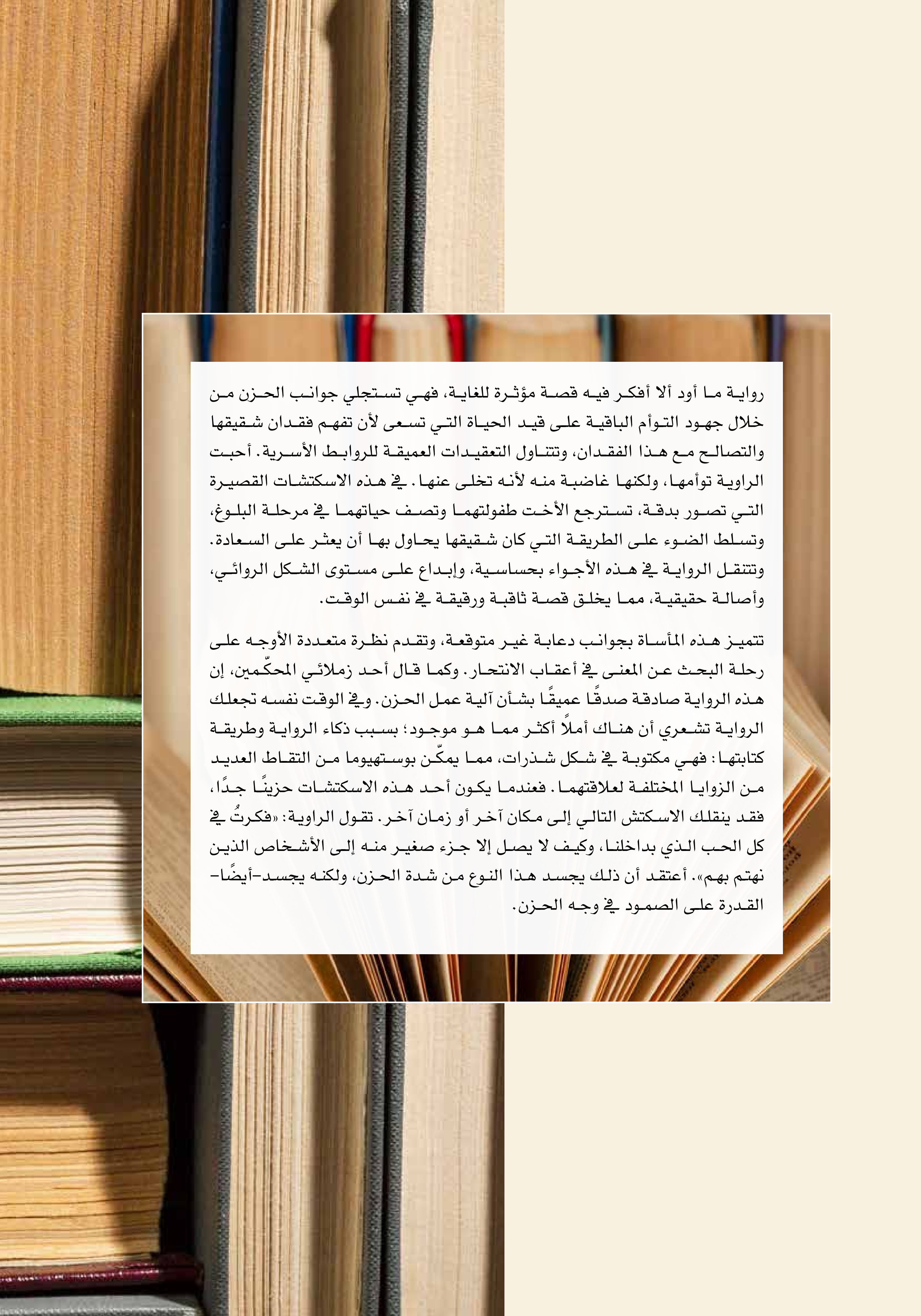


أجرت مؤسسة بوكر دراسة استقصائية للقراء البريطانيين، ووجدت أن الكتب اليابانية تحتل مركز الصدارة في الكتب المترجمة. لستُ أنا التي لاحظت ذلك شخصيًا. من المؤكد أن كوريا الجنوبية تتفوق على اليابان في كل النواحي تقريبًا: ليس فقط على مستوى الأدب، ولكن في السينما والموسيقى والتلفزيون والثقافة بشكل عام. وذلك أمر فريد للغاية.

وهناك مناطق أخرى كذلك. لذا فمن الصعب أن نُصدرتعميمًا فيما يتعلق بأمريكا اللاتينية، لأن بها أكثر من ثلاثين دولة، ولكننا في هذا العام كان لدينا تمثيل قوي لأمريكا اللاتينية، إذ كانت هناك أربعة عناوين من هناك في القائمة الطويلة.

الرواية التالية في القائمة المختصرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤ هي «ما أود ألا أفكر فيه» بقلم جينتي بوستهيوما، وترجمتها من الأصل الهولندي سارة تيمر هاريف.

هذه هي الرواية الثانية لبوستهيوما، وروايتها الأولى التي تترجم إلى اللغة الإنجليزية. باختصار تدور الرواية حول امرأة شابة يفكر شقيقها التوأم-الذي يكبرها بـ ٤٥ دقيقة- في الانتحار. وعليها أن تتناول وفاته وهو في الخامسة والثلاثين من عمره. الرواية مكتوبة في شكل اسكتشات قصيرة تتسم بالألمعية، وحُسن الملاحظة، والقوة، والسيطرة الشديدة. وفيها عدة جوانب عميقة على الرغم مما يبدو على السطح وكأنه سرد ضعيف. لقد أنجزت بشكل مثير للإعجاب يخلو من البهرجة والاستعراض.



رواية ما أود ألا أفكر فيه قصة مؤثرة للغاية، فهي تستجلي جوانب الحزن من خلال جهود التوأم الباقية على قيد الحياة التي تسعى لأن تفهم فقدان شقيقها والتصالح مع هذا الفقدان، وتتناول التعقيدات العميقة للروابط الأسرية. أحبت الراوية توأمها، ولكنها غاضبة منه لأنه تخلى عنها. في هذه الاسكتشات القصيرة التي تصور بدقة، تسترجع الأخت طفولتهما وتصف حياتهما في مرحلة البلوغ، وتسلط الضوء على الطريقة التي كان شقيقها يحاول بها أن يعثر على السعادة. وتتنقل الرواية في هذه الأجواء بحساسية، وإبداع على مستوى الشكل الروائي، وأصالة حقيقية، مما يخلق قصة ثاقبة ورقيقة في نفس الوقت.

تتميز هذه المأساة بجوانب دعابة غير متوقعة، وتقدم نظرة متعددة الأوجه على رحلة البحث عن المعنى في أعقاب الانتحار. وكما قال أحد زملائي المحكّمين، إن هذه الرواية صادقة صدقًا عميقًا بشأن آلية عمل الحزن. وفي الوقت نفسه تجعلك الرواية تشعري أن هناك أملاً أكثر مما هو موجود؛ بسبب ذكاء الرواية وطريقة كتابتها: فهي مكتوبة في شكل شذرات، مما يمكّن بوستهيوما من التقاط العديد من الزوايا المختلفة لعلاقتهما. فعندما يكون أحد هذه الاسكتشات حزينًا جدًا، فقد ينقلك الاسكتش التالي إلى مكان آخر أو زمان آخر. تقول الراوية: «فكرتُ في كل الحب الذي بداخلنا، وكيف لا يصل إلا جزء صغير منه إلى الأشخاص الذين نهتم بهم». أعتقد أن ذلك يجسد هذا النوع من شدة الحزن، ولكنه يجسد-أيضًا- القدرة على الصمود في وجه الحزن.

شكرًا لك. الرواية الخامسة في القائمة القصيرة رواية «كايروس» لجيني إربنبيك. هل يمكنك أن تعطينا فكرة عن هذه الرواية؟

بالتأكيد. ولدت إربنبيك في ألمانيا الشرقية السابقة، أو جمهورية ألمانيا الديمقراطية. هذا هو سياق هذه الرواية. بالمناسبة أتابع أعمالها وأعجبُ بها منذ ما يقرب من عقد من الزمن، وأجريت معها مقابلة حول روايتيها السابقتين، نهاية الأيام والزيارة/ لعنة مكان. أدرجت روايتها الأخيرة يذهب، ذهب، ذاهب في القائمة الطويلة لجائزة البوكر الدولية في عام ٢٠١٨م.

تبدو رواية كايروس مختلفة عن رواياتها الأخرى في بعض النواحي، خاصة في أوجه التشابه بينها وبين حياة إربنبيك–على الأقل من حيث الإطار الزمني– ولكن ليس بالضرورة على مستوى العلاقة المركزية في الرواية. إنها رواية مكتوبة بخبرة وتدور حول التشابك بين التحولات الشخصية والتحولات الوطنية، وتدور أحداثها أثناء الاضطرابات التي شهدتها برلين في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين خلال سنوات احتضار ألمانيا الشرقية.

عنوان الرواية كلمة يونانية يمكن ترجمتها بـ «اللحظة المناسبة».

تدور أحداث هذه الرواية حول علاقة غرامية مزعجة بين طالبة تبلغ من العمر ١٩ عامًا وكاتب متزوج يبلغ من العمر ٥٣ عامًا في برلين الشرقية. في البداية يوجد انجذاب شديد بينهما. فكلاهما يحب الموسيقى والفن. وهو يمكن وصفه بأنه معلم روحي لها. ويلتقيان في السر، وهو أمر درامي للغاية. تبدأ علاقتهما بالحب والعاطفة، ولكنه تتعلق بنفس القدر على الأقل بالسلطة والفن والثقافة، وهو نوع مختلف من الهوس المشترك بينهما. تدور مناقشات الموسيقى والشعر والمسرح في وقت اضطرابات سياسية. إنها رواية تتناول وطأة التاريخ، وكيف أنه يؤثر على حياتنا.

ما يجعل هذه الرواية فريدة للغاية أنها جميلة ومزعجة. لا أتذكر أنني راودني من قبل هذا المزيج الوجداني تجاه رواية ما، على الأقل لم تراودني هذه المشاعر مؤخرًا. تدعوك هذه الرواية إلى الربط بين هذه التطورات السياسية التي تسم الجيل بميسمها وهذه العلاقة المدمرة–وحتى الوحشية– التي تشكك في طبيعة المصير والفاعلية. إنها رواية عاطفية وشخصية. يبدأ الأمر بالتفاؤل والثقة، ثم تتطور الأحداث تطورًا فادحًا للغاية.

أعتقد أن ذلك يوصلنا إلى الرواية الأخيرة في القائمة القصيرة لجائزة البوكر الدولية لعام ٢٠٢٤م. ألا وهي رواية «التفاصيل» للكاتبة السويدية ايا جينبيرج، وترجمة كيرا جوزيفسون.

كانت الكاتبة جينبرج اكتشافًا آخر بالنسبة لي، على الرغم من أن رواية التفاصيل كانت من أكثر الكتب مبيعًا في السويد. وكما قلتِ سابقًا تتيح لنا هذه الجائزة فرصة اكتشاف الكتب التي تم اعترف وأشيد بها في بلدانها الأصلية، ولكننا ربما لا نسمع عنها بالضرورة. فازت رواية التفاصيل بجائزة أفضل رواية في السويد، ألا وهي جائزة أغسطس، وتمت ترجمتها إلى ٢٩ لغة.

هذه رواية صغيرة تتسم بالاختزال، وتصوِّر أربع علاقات أبهرتني من أول وهلة. ويوجد شيء فريد في نبرة سردها، وفي الحميمية التي تتسم بها، وما إلى ذلك. كما قال إدجار آلان بو: الكآبة، والجمال، والخسارة – هل هناك شاعرية أكثر من ذلك؟ ثم تستخدم الكاتبة عددًا كبيرًا من المراجع الأدبية، وتنقل لنا عالمها الروائي من خلال الكتب، والتأملات في الحياة، والعلاقات، وتجربتنا المعاصرة في التواصل والعزلة. كما تتميز هذه الرواية طريقة بالطريقة التي تستخدم بها الراوية اللغة! هذه رواية أخرى كنتُ أرغب دائما في الاقتباس منها.

تقول مترجمة هذه الرواية في هامش إن الرواية أعطتها إحساسًا غير متوقع؛ فهي رواية هادئة، تتكون



مـن تأريـخ لحيـاة أشـخاص عـاديين في الغالـب. ولكـن علـى حـد قـول المترجمـة: «هـذا الهـدوء يتسـم بسـمة فاتنـة تحـوِّل مجمـوع لحظـات الحيـاة اليوميـة المعتـادة إلـى شـيء أكبـر وأعمـق». ترصـد الروائيـة بعيـن ثاقبـة هـذه الشـخصيات الأربـع وعلاقاتهـم: إحداهـا عشـيقة سـابقة، وترصـد علاقـة شـخصية أخـرى مـع زميلتهـا في الغرفـة، وترصـد علاقـة شـخصية ثالثـة مـع صديـق سـابق عنيـف، وأخيـرًا نجـد والـدة الـراوي المصابـة بصدمـة نفسـية. ويسـتخدم الـراوي التفاصيـل بـدلاً من الإخبار–علـى حـد قولهـا– وبالتالـي لا تقـدم لنـا مجـرد بقايـا حيـاة في كلمـات، بـل تعطينـا صـورة حيـة لمدينـة سـتوكهولم المعاصـرة، وهـي صـورة مؤثـرة لحيـاة الـراوي.

مـن الواضـح أن تحكيـم جائـزة البوكـر الدوليـة عمليـة تسـتغرق حيـاة المحكّم. هل غيّـر التحكيم طريقـة تفكيـرك في الروايـة أو فـن الترجمـة؟

أنظـر دائمًـا إلـى الروايـة علـى أنهـا وسـيلة للعيـش في عوالـم أخـرى والإحسـاس بأحاسـيس أخـرى. وتعمـل الترجمـات علـى توسـيع هـذه العوالـم وتعمقهـا وعلـى إنشـاء مجتمـع دولـي مـن القـراء.

بالنسـبة لـي فالقـراءة توسـيع ضـروري للتجربـة الإنسـانية، ولولاهـا كانـت سـتقتصر حيـاة المـرء علـى منظـور واحـد أو حيـاة واحـدة. تحملنـا الروايـات إلـى أماكـن قـد لا نذهـب إليهـا أبـدًا. وتربطنـا بأحاسـيس وذكريـات جديـدة وعوالـم مختلفـة.

تنفتـح قائمتنـا القصيـرة هـذه علـى مناطـق العقـل الشاسـعة، وتعيـد النظـر في أحـداث الماضـي، وتدخـل مناطـق عاطفيـة جديـدة. وتصـوّر لنـا الحيـاة التـي عاشـتها الشـخصيات في سـياق تاريخـي، أو بالأحـرى تجسّـد لنـا التشـابك بين الحميـم والسياسـي تجسـيدًا أصـيلاً أصالـة جذريـة.

لذلـك لا أعـرف مـا إذا كانـت تجربتـي في التحكيـم قـد غيّـرت نظرتـي لأي مـن ذلـك، ولكنـي أعـرف أنهـا زادت مـن تقديـري للمعـروض. ومـن المؤكـد أنهـا كانـت ومـا زالـت فرصـة رائعـة، في ظـل وجـود هـذه الكتـب التـي يبلـغ عددهـا ١٤٩ كتابًـا؛ لأن أصبـح أكثـر وعيًـا بمـا يجـري حـول العالـم علـى مسـتوى الكتابـة والترجمـة.

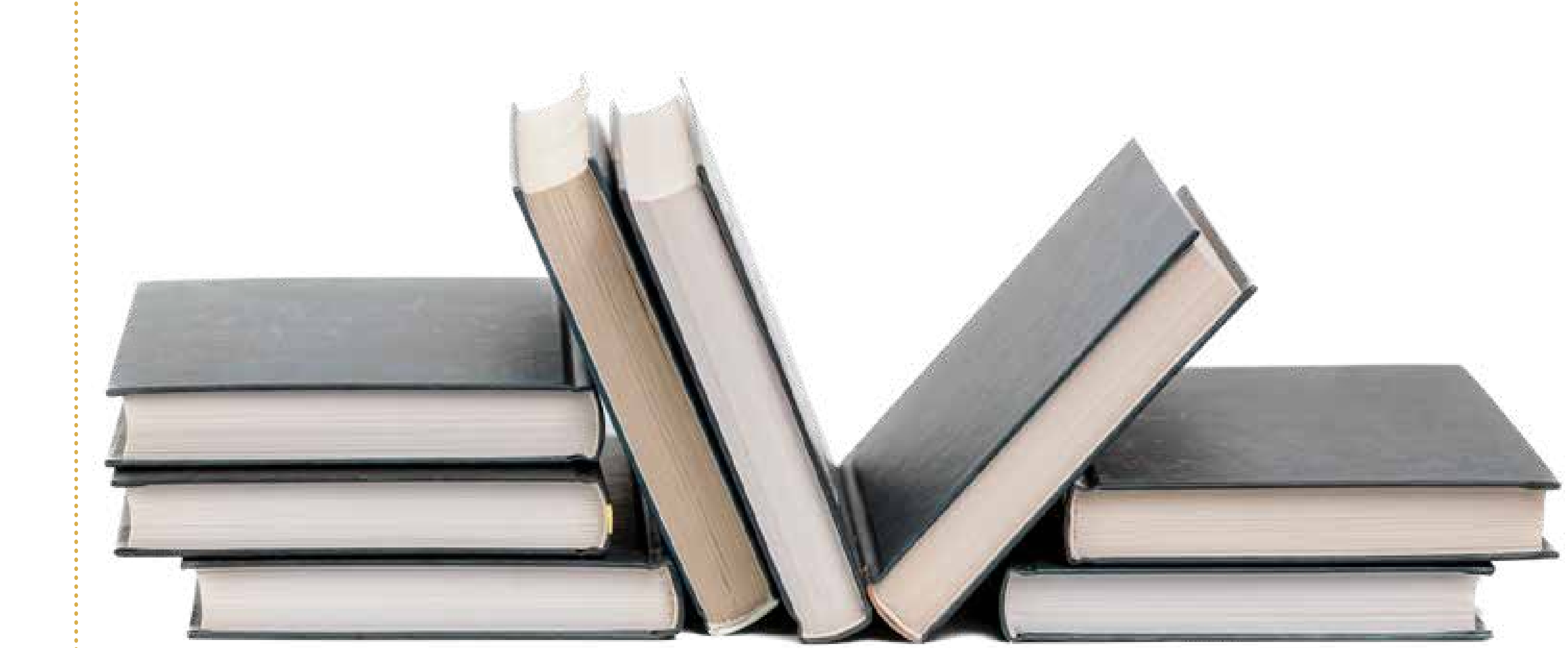
أوصـي الجميـع بقـراءة الكتـب المدرجـة في القائمـة الطويلـة أيضًـا. لقـد كان الانتقـال مـن القائمـة الطويلـة البالغـة ١٣ روايـة إلـى القائمـة القصيـرة البالغـة ٦ روايـات عمليـة صعبـة، وكذلـك الأمـر بالنسـبة للانتقـال مـن ٦ روايـات إلـى اختيـار روايـة واحـدة منهـا فقـط. ولذلـك أحث قـراءكِ علـى الاطلاع علـى روايـات القائمـة الطويلـة.

أجرت المقابلة كال فلين، نائبة مدير التحرير

٢٠ مايو ٢٠٢٤

مصدر النص

https://fivebooks.com/category/
/2024-fiction/best-novels



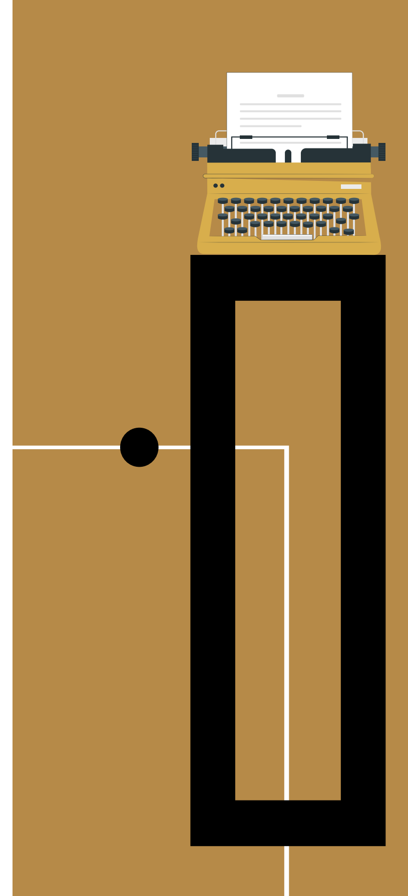


فهد الرحبي

كاتب عُماني

إصدارات الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء

تقود الجمعية العمانية للكتاب والأدباء قاطرة للإبداع الفكري والتنوير الثقافي، وتدعم المبدعين في شتى المجالات من خلال ما تقدمه من فعاليات وبرامج مخططة تستهدف النهوض بالحركة الأدبية والإنتاج الفكري والثقافي في سلطنة عمان والمنطقة العربية. وتتحمل الجمعية هذا الدور الريادي بالتعاون مع المؤسسات والهيئات الثقافية المختصة، لدعم حرية الفكر، وتشجيع لغة الحوار، والدفاع عن حقوق الكتاب والأدباء والمفكرين. وتبذل الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، وبقية فروع الجمعية ولجانها قصارى جهدهم ويسخرون كل إمكانات الجمعية لتشجيع الناشئة من الكتاب والأدباء في سلطنة عمان والعناية بإبداعهم، وإثراء الساحة الفكرية ببرامج فعالة وعامرة بالندوات والمحاضرات والأمسيات والمسابقات وإحياء المناسبات الثقافية والوطنية والإقليمية والعربية والدولية. وتحظى الجمعية بمكانة رائدة بين الجمعيات العربية المتخصصة في شؤون الثقافة والأدب والمعرفة، بفضل جهودها المثمرة في التبادل الثقافي والتعاون المشترك في برامج النشر والترجمة ودعم الإنتاج الأدبي والثقافي.



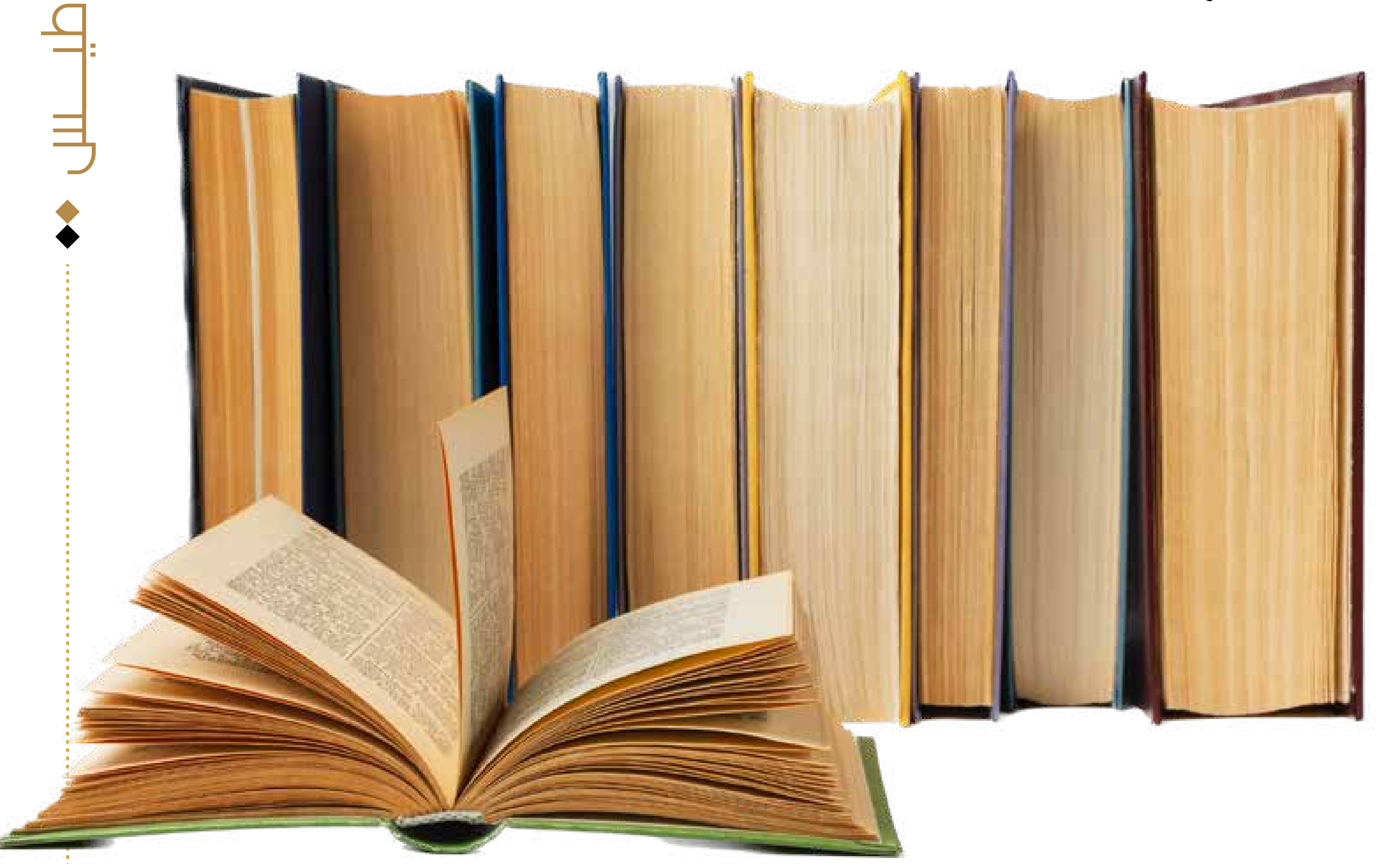
وتتويجًا لهذا الدور الريادي للجمعية العمانية للكتاب والأدباء، رفدت الساحة الثقافية العمانية والعربية خلال عام ٢٠٢٤م بأكثر من ٣١ إصدارًا أدبيًا جديدًا بدعم ورعاية الجمعية. وهذا النجاح كان ثمرة تعاون بين الجمعية العمانية للكتاب والأدباء ودار الآن ناشرون وموزعون الأردنية.

تتنوع مجالات هذه الإصدارات بين الشعر والرواية والقصص القصيرة والدراسات النقدية والتاريخية والأدبية واللغوية والدينية والتراثية، فضلًا عن الكتب الموجهة للأطفال واليافعين، والنصوص الإبداعية، والمقالات الصحفية، وأدب الرحلات وذاكرة المكان، وفنون المسرح والسينما والموسيقى والأدب الشعبي. ولقد أمدت هذه الإصدارات والفعاليات المرتبطة بها الساحة الفكرية والثقافية بحالة من الحراك الفاعل والمخطط بهدف النهوض بالإنتاج الفكري

ودعم وتشجيع المبدعين لتقديم المزيد من أعمالهم.

وعن دور الجمعية وإصداراتها والفعاليات الثقافية والفكرية التي تنظمها، يقول المهندس سعيد بن محمد الصقلاوي، رئيس الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، في لقاء سابق معه: "إن مشروع إصدارات الجمعية يُعدُّ واحدًا من أهم المشروعات بما يمثله من رؤية للنهوض بالكاتب والكتاب العمانيين والخروج بهما إلى نطاق شمولي أكثر اتساعًا يتجاوز الحدود الجغرافية المحددة للأدب العُماني". ويشير الصقلاوي إلى أن الفعاليات المتنوعة للجمعية تقدم ترويجًا بأشكال إبداعية مبتكرة، لافتًا إلى أن الجمعية العمانية للكتاب والأدباء أصدرت منذ بداية المشروع في عام ٢٠٠٨م نحو ٣٢٢ عنوانًا في العديد من المجالات الفكرية والإبداعية العُمانية. وتشكل هذه الإصدارات في مجموعها حضورًا قويًا مؤثرًا في الساحة الثقافية العمانية والعربية، محققةً رؤية وأهداف الجمعية التي تخدم في المقام الأول الكاتب العماني وتسويق منتجه الثقافي. ويؤكد الصقلاوي على أن الجمعية تحرص من البداية على هوية إصداراتها من حيث الإخراج والخط والشكل العام للكتاب وجاذبيته، كما تحرص على بناء شراكات مع ناشرين عرب لهم حضورهم وتميزهم في مجال النشر والتوزيع، وقد وقعت الجمعية اتفاقًا مع دار «الآن ناشرون وموزعون» من الأردن لتميُّز عملها وإصداراتها».

وفي إطار هذا التعاون المشترك، قال المدير العام لدار «الآن ناشرون وموزعون»، د. باسم الزعبي: «إن الدار تمثل مشروعًا ثقافيًا يُعنى بالثقافة المدنية، والتنوير، والحوار مع الآخر، والتشارك الإنساني، وتسعى للارتقاء بصناعة النشر، وتوطين المعرفة، وبناء جسور مع القراء في البلدان العربية، والقراء العرب في بلاد الاغتراب والمهجر». يُذكر أن دار «الآن ناشرون وموزعون»، التي تأسست عام ٢٠١٣م في العاصمة الأردنية عمان، هي عضو فاعل في اتحاد الناشرين الأردنيين واتحاد الناشرين العرب، وتولي عناية فائقة بإصداراتها شكلًا ومضمونًا، وتقوم من خلال فريق من المحترفين بجميع مراحل صناعة الكتاب، بدءًا من تقييم المحتوى ومراجعته وتطويره، مرورًا بالتدقيق والتحرير اللغوي، وصولًا إلى التنسيق والإخراج الفني وتصميم الغلاف، بما يحقق جودة عالية ومنافسة الكتاب العالمي. وفيما يلي شيء من التفاصيل عن الكتب الصادرة.







"الأفعال الإنجازية في الخطاب السياسي العماني (١٩٧٠-٢٠١٥)" يكشف قدرة الكلام على الفعل في خطب السلطان قابوس - طيب الله ثراه.

معلومات الكتاب:

- الكاتب د. محمد بن سالم الجامودي
- الطبعة الأولى ٢٠٢٤ م
- إصدار الجمعية العمانية للكتاب والأدباء بالتعاون مع الآن ناشرون وموزعون
- عدد الصفحات ٢٣٦ صفحة
- يتكون الكتاب من تمهيد وأربعة فصول وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة تداولية في ضوء نظرية أفعال الكلام العامة

يعد كتاب «الأفعال الإنجازية في الخطاب السياسي العماني (١٩٧٠-٢٠١٥)» من أبرز إصدارات الجمعية العمانية للكتاب والأدباء لعام ٢٠٢٤، وصدر ضمن سلسلة «دراسات أدبية - الأدب والشعر» مؤلف الكتاب، د. محمد بن سالم الجامودي، هو باحث عماني حاصل على درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة من جامعة السلطان قابوس، وله العديد من الكتب والأبحاث العلمية المنشورة. يتناول الكتاب دراسة تطبيقية للأفعال الإنجازية في خطب السلطان قابوس - طيب الله ثراه - في ضوء نظرية أفعال الكلام العامة.

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه يقدم تطبيقًا عمليًا لنظرية الأفعال الكلامية، التي تعد من أهم النظريات اللسانية الحديثة. يركز الكتاب على تحليل لغة خطب السلطان قابوس باستخدام أدوات إحصائية، لفهم دلالات الأفعال الإنجازية وتطبيقاتها. وهذه الدراسة هامة جداً على وجه الخصوص للمشتغلين في مجال السّياسة والاقتصاد، والعلوم المرتبطة بتحليل المحادثة وتبايُن مقاصدها على اختلاف مجالاتها.



مكونات ولطائف أموية يكشفها كتاب «القيم التعبيرية للموسيقا في شعر الغزل الأموي»

معلومات الكتاب:

- الكاتب د. محمد قزو
- الطبعة الأولى ٢٠٢٤ م
- عدد الصفحات ٢٨٨ صفحة
- يتكون الكتاب من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة في الشعر العربي

ومن الإصدارات المتميزة للجمعية هذا العام في مجال الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، دراسة هامة للكاتب والباحث الدكتور محمد قزو الحاصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة حلب في سوريا، وهذه الدراسة بعنوان القيم التعبيرية للموسيقى في شعر الغزل الأموي، ونجح الكاتب من خلال الدراسة في تأصيل فكرة إيقاع الشعر باستعراض أهم الكتب والدراسات التي ناقشت هذا الموضوع، وجاءت تحليلاته الاستقرائية، لتسلط الضوء على ما تضمنته موسيقى شعر الغزل الأموي من معان ودلالات. ويؤكد الباحث في دراسته إلى أنه التزم المنهج التحليلي الذي ساعده في إطلاق بعض الأحكام المعيارية، مؤكدًا على أنه في تقسيمه لفصول الدراسة اهتم بقراءة الموسيقي الداخلية للقصيدة والمستوى المعنوي مرورًا بالوزن والقافية، وتظهر القيم التعبيرية في شعر الغزل الأموي، لتعبر عن المشاعر الإنسانية بحسب رقة الصوت أو خشونته.

وأبرز الكاتب الباحث "قزو" كيف أن الموسيقي جامدة لا روح فيها ولا حياة وتردداتها وذبذباتها لا يمكن أن تعبر عن حالة وجدانية ما دامت تلتزم بالتنسيق والتوافق بين ضربات تختلف بحسب القوة والشدة لتتبلور في قالب معين منسجمة في ما بينها. وتوضح الدراسة أن الموسيقى في الغزل الأموي تظهر في الإيقاع المعتمد على التكرار الذي ينتج ترصيعًا وتجنيسًا لا يخفى على المتلقي. وقد أضافت هذه الدراسة الكثير إلى الساحة الثقافية بما أبرزته من مكونات شعرية ولطائف موسيقية وطرائف معرفية نادرًا ما يتطرق إليها أحد من الباحثين والنقاد.

كما حاول الباحث في كتابه هذا تبيان جمالية الإيقاع في الشعر واستخراج ما في موسيقاه من معان ودلالات، سعيًا إلى الإجابة عن أسئلة جوهريّة في هذا السياق: هل تستطيع الموسيقى استنطاق ما سكت عنه المبدع، فتعبّر عن مشاعرَ مُبهَمَةٍ يُحِسُّها الإنسان ولا يستطيع الإبانة عنها ؟ وما الذي يميز النص الشعري، أهو المعنى أم الإيقاع، أم كلاهما معا؟

ولأنه من الصعوبة بمكان استقصاء جميع المنتج الشعري في العصر الأموي؛ فقد بذل الباحث قُصارى جهده في تقصي ما أمكنه من شعر الغزل في ذاك الزمن. والتزم المنهج الوصفي التحليلي في بحثه، مطلقًا بعض الأحكام المعيارية، مُوافِقًا أحدهم، ومخالفًا غيره.

"التناص" يقوي أم يضعف من القدرة الإبداعية لـ "أغاني المهد"؟

- الكاتب/ خديجة بنت محمد العامرية
- الطبعة الأولى ٢٠٢٤ م
- عدد الصفحات ٣٩٩ صفحة
- يتكون الكتاب من تمهيد وأربعة فصول وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة في التناص



ويتميز كتاب أغاني المهد لمؤلفته الباحثة العُمانية خديجة بنت محمد العامرية، والذي صدر مؤخراً ضمن منشورات الجمعية العُمانية للكُتّاب والأدباء، ضمن سلسلة» نماذج من الأدب العربي المعاصر»، ويحتوي على أربعة فصول تتوزع على حوالي ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط، بأنه دراسة نوعية متخصصة بذلت فيها الباحثة جهداً كبيراً في تحليل النصوص، وشرح وتحليل معنى « التّناصّ» بأنه ليس سمةَ نصّ دون آخر، بل هو الوسيلة في كشف ما ينطوي عليه النّصّ من مظاهر الطّرافة والإبداع، فهو قائم على التعالق والتداخل بين النّصوص، وحاولت الباحثة التّركيز على تناصّ النّصوص مع أغاني المهد فقط، من خلال تحديد النّصوص، وركزت في دراستها على تحليل نصّين شعريَّين هما أغنية أم لهاشم الرفاعي وأغنية لطفلي لنازك الملائكة، ونصّ مسرحيّ لسعدالله ونوس بعنوان الاغتصاب، ونصّين نثريَّين هما قصة أسرة السناجب لكامل كيلاني ورواية أغاني المهد لأحمد خالد توفيق.



وتوضح الباحثة في دراستها كيف استلهم الأدباء أغاني المهد وطوَّروها وأضافوا إليها وجدَّدوا فيها، مشيرة إلى أن مصطلح التناص ظهر منذ ستينيات القرن العشرين وانتشر واتسع، وكثُرت الدراسات حوله، وترى أن التعميمَ أفقدَ مصطلحَ التناص معناه الحقيقي، لأن لكل نص خصوصيته وإن تناصَّ مع غيره من النصوص، فلا يمكن أن يُعَدّ ذلك تكرارًا لهذه النصوص فقط، بل إن التناص يوفر بُعدًا معرفيًّا يتمثَّل في الإيماءات إلى النصوص السابقة، سواء أكانت أسطورية أو دينية أوغيرها، ويتشكّل الإبداع في النص من خلال تأثُّره بأغاني المهد.

سير وتراجم علماء الإباضية في كتاب «طبقات المشايخ بالمغرب»

- الكاتب د. علي بن سعيد الريامي
- الطبعة الأولى ٢٠٢٤ م
- عدد الصفحات ٦٠٦ صفحة
- يتكون الكتاب من تمهيد وأربعة فصول وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة في السير

يصنف النقاد والمفكرين كتاب سير وتراجم علماء الإباضية في كتاب طبقات المشايخ بالمغرب كأحد أهم وأبرز إصدارات الجمعية خلال عام ٢٠٢٤م؛ فهو دراسة مفصلة لمنهج أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني في كتابه الذي يتضمن تراجم لعلماء الإباضية في المغرب العربي، ويقدم هذه الدراسة الفريدة للمكتبة العربية الدكتور علي بن سعيد الريامي في أربعة فصول يقول عنها الريامي في مقدمة كتابه: «إن الدرجيني ألّف الطبقات بناءً على طلب إباضيَّة المشرق بعُمان، ورغبةً منهم في الاطلاع على سِيَر إخوانهم في المغرب، ويوضح أن الدرجيني استفاد في الجزء الأول من كتابه من سِيَر أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني، كاشفًا في دراسته عن حجم التداخل بين الكتابين، والكيفيَّة التي تعامل بها الدرجيني مع سِيَر أبي زكرياء.

ويوضِّح الريامي أن الجزء الثاني من كتاب الدرجيني يشتمل على تراجم لعلماء الإباضيَّة في المشرق والمغرب، وكان لتراجم المغرب النصيبُ الأوفر منها، مشيرًا إلى أن الدرجيني استفاد في هذا الجزء من سِيَر أبي عمَّار التي يبدو أنها فُقدت، وأخذ عنه فكرة تقسيم العلماء إلى طبقات، إلى جانب استفادته الكبيرة



من سِيَر الوسياني لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام. ويؤكد الريامي أن عنوان الكتاب لا يشتمل على مصطلح «المغرب»، لافتًا إلى أن المحقِّق أقحم المصطلح على العنوان، للتأكيد على عناية الكُتاب بسِيَر مشايخ الإباضيَّة بالمغرب. وتبرز قيمة الكتاب في الجزء الثاني منه، والذي يعد استكمالاً هامًا لكتب السير الإباضية التي بدأها سلفه أبو زكرياء الوارجلاني، وتعد أخباره عن تأسيس نظام العزَّابة بالمغرب ونظامها التربوي ذات أهمية كبيرة في التراث الثقافي المغربي.

ذكريات وآثار لا تموت لـ ٣٢ مبدعاً يرصدها كتاب «حقائب خفيفة للراحلين»

- الكاتب / محمود الرحبي

- الطبعة الأولى ٢٠٢٤ م

-عدد الصفحات ١١٢ صفحة

- يتكون الكتاب من ٣٢ مقالاً

- نوع الكتاب: مقالات

ومن أهم ثمار الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء خلال عام ٢٠٢٤ كتاب (حقائب خفيفة للراحلين) لمؤلفه محمود الرحبي وهو روائي وقاص عماني حاصل على شهادة الماجستير في الأدب العربي من جامعة الملك محمد الخامس، وشهادة ماجستير أخرى في الإعلام من تونس، وله العديد من الروايات والمجموعات القصصية، ومنذ أن أصدرت الجمعية الكتاب وهو يثير جدلاً واسعًا حول الكتابة والمناسبة من خلال اختيار المؤلف ٣٢ مبدعًا راحلاً ليتحدث عن تجاربهم الابداعية ومناسبات رحيلهم، ويتساءل في مقدمة الكتاب: "هل تكون الكتابة عن الراحلين هي كتابة مناسبات؟ أم أن الرحيل نفسه هو مناسبة الكتابة، وباعث الرثاء الأكثر عراقة في الوجود؟".

يضم الكتاب مقالات عن الشخصيات المبدعة ممن اختارهم المؤلف بعناية وهم: "عبدالله الحارثي، عبدالله الوهيبي، حسن بوس، محمد نظام، مبارك العامري، علي المعمري، محمد الحارثي، عبدالعزيز الفارسي، ثاني السويدي، شاكر عبدالحميد، صباح فخري، حسن الفارسي، أمجد ناصر، إدريس الخوري، صالح شويرد، موسى عمر، غسَّان كنفاني، فتحي عبدالله، أحمد المجاطي، مارادونا وماركيز وأبو بكر سالم، عبدالله الطائي، فريد رمضان، سركون بولص، نجيب محفوظ، سعود الدرمكي، بهاء الدين الطود إلياس فركوح، بهاء طاهر، ميلان





كونديرا، ماركيز" وجميعهم يشتركون في حال الغياب والرحيل، ويقترنون أيضًا بحياة مؤلف الكتاب ومدى علاقته بهم مباشرة أو من خلال القراءة، ويؤكد الرحبي على معنى أنهم جميعًا رحلوا بحقائب خفيفة، هي أوراق أو مواقف تتبادلها ذواكر من عاصروهم قراءة وحياة.

ويتساءل الرحبي في كتابه قائلاً هل يمكن أن تكون الرواية في أحد جوانبها وثيقة رثاء؟ لافتًا إلي أن رحيل من كانوا معنا يعني أننا فقدنا أمل احتمالية أن نلتقيهم في أي صدفة مقبلة، وأننا فقدنا فسحة ذلك الأمل، واصفًا ما يفعله الرحيل في نفوسنا، حين تتلاشى الحدود وتتصهر المسافات ويعود كل شيء إلى حالته الصفرية.

"الأسطورة سليمة بنت غفيل.. بين الحقيقة والوهم والمتخيل" كتاب ينعش الذاكرة الشعبية

- الكاتبة / د. سعيدة بنت خاطر الفارسية
- الطبعة الأولى ٢٠٢٤ م
- عدد الصفحات ٩٥ صفحة
- يتكون الكتاب من تمهيد وفصلين
- نوع الكتاب: دراسة بحثية أدبية

من الاصدارات شديدة التميز والخصوصية للجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء خلال عام ٢٠٢٤، في مجال التراث والأدب الشعبي كتاب الأديبة والشاعرة الدكتورة سعيدة بنت خاطر الفارسية والذي صدر بعنوان الأسطورة سليمة بنت غفيل.. بين الحقيقة والوهم والمتخيل، حيث يعد الكتاب وثيقة مهمة للتاريخ الشفوي المروي.

ويكشف الكتاب جوانب جديدة لم يسلط عليها الضوء من قبل في حياة وأعمال الشاعرة الأسطورية سليمة بنت غفيل، التي تعد واحدة من أبرز الشخصيات في الشعر الشعبي العماني، ويقدم الكتاب تحليلاً مفصلاً لأعمالها الشعرية والتي تعكس تراثاً شعبياً ثرياً، وقد نجحت الدكتورة سعيدة بنت خاطر الفارسية في إبراز الجوانب المختلفة لهذا التراث بتسليطها الضوء على تأثير البيئة والثقافة العمانية في تشكيل شعر الشاعرة سليمة التي تقول عنها الدكتورة سعيدة بنت خاطر "إن شعرها يعد جزءاً مهماً من التراث الأدبي العماني، وهو ليس مجرد كلمات، بل تجسيد حي لتاريخ وثقافة المجتمع العماني العريق، ودراسته تساهم في فهم أعمق للموروث الشعبي وأبعاده".



وتحاول الفارسية في دراستها التحليلية النقدية الإجابة على عدة أسئلة في الكتاب عن الشاعرة سليمة بنت غفيل بداية من عنوان الكتاب «الأسطورة سليمة بنت غفيل» لتلفت الانتباه إلى أننا أمام تعريف سيرة ذاتية لشخصية أسطورية نادرة الوجود خاصة في مجال الشعر الشعبي العماني، وأيضاً لعدم وجود تعريف وتوثيق مجمع عليه عن الشاعرة سليمة بنت غفيل وسيرتها الذاتية فلا يعرف الفترة الزمنية التي عاشتها، ولا تاريخ للولادة أو الوفاة ولا يمكن أيضاً تحديد القرن الذي عاشت فيه!

ومما جاء في خاتمة الكتاب: «إن من يتناول شخصية غامضة مثل سليمة بنت غفيل عليه أن يستعدّ لمفاجآت البحث الذي قد تتجمع خيوطه في يد الباحث لكنها سرعان ما تتفلت منه وتنقطع فجأة خيطًا أثر خيط، فمن هي بنت غفيل؟ وأين ولدت؟ وأين تقيم؟ وأين آثار بيتها، أو أين منزل أسرتها؟ من هم أهلها؟ من جيرانها؟ من زوجها؟ أين أولادها؟ أين أحفادها؟ أو أين ما تبقى منها؟ وإلى أي القبائل تنتمي؟ وما المحيط الجغرافي الذي شهد حراكها الشعري؟ ما الميادين التي شهدت محاوراتها؟ ومع من من الشعراء تحاورت؟ من شاهدها ورآها عيانًا؟ من جالسها وخاطبها واستمع إليها؟ من هم معاصروها من الشعراء؟ وأخيرًا متى توفيت بنت غفيل؟ وكيف كانت الوفاة؟ وأين تُوفِّيت؛ في أي ولاية من ولايات عُمان؟ كل هذه الأسئلة يجب أن تدور في ذهن الباحث عن شخصية كهذه كل ما قيل عنها سماعي وغير مؤكّد ومتناقل عبر «قالوا عنها وسمعتُ ولم أر».

كتاب السياسة بالدين.. في سبيل فهم منطق الأحداث

- الكاتب / خميس بن راشد العدوي
- الطبعة الثانية ٢٠٢٤ م
- عدد الصفحات ٤٢٢ صفحة
- يتكون الكتاب من تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة في السياسة والدين

وفي مجال الفكر والفلسفة حيث صدر كتاب (السياسة بالدين.. في سبيل فهم منطق الأحداث) للكاتب خميس بن راشد العدوي، ويشغل الكاتب المفكر العماني خميس العدوي منصب نائب رئيس الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، ويقدم كتابه في طبعته الثانية من خلال منهج باحث أكاديمي ملتزم بمنهجية التوثيق والتحليل والاستنتاج، من خلال مجموعة من البحوث والمقالات، التي تمثل



رؤية «العدوي» خلال فترة زمنية تبدأ من عام ٢٠٠٧ عندما بدأ يطور فهمه للعلاقة بين السياسة والدين، ويحتوي الكتاب على ثلاثة أبواب رئيسة، جميعها تحلل العلاقة بين السياسة والدين وارتباطهما في بناء الحدث وتشكيل العقل ويقدم من خلال الكتاب محاولة لفهم العلاقات المنسجمة والمتنافرة في أحيان أخرى بين السياسة والدين، ويقول في مقدمة الكتاب: "الكتاب .. وبعد مرور ست سنوات من صدوره – الطبعة الأولى– أصبح بمثابة مقدمة لمشاريع كتب أخرى، فكل باب من أبوابه الثلاثة يستحق أن يكون مشروع كتاب بنفسه» كما جاء في المقدمة أيضاً «أنه لا دين بلا سياسة ولا سياسة بدون دين وهذه حتمية تأريخية. ويتطرق إلى نشأة الدولة عموماً لدى المسلمين، والعوامل السياسية والدينية المؤثرة عليها، وكيفية تطورها عن «مشروع الأمة النبوي»، موضحًا كيف أن النص الديني الذي أُنتج خلال هذه التحولات الكبرى أصبح مادة مكونة للعقل المسلم.

وفي الباب الثاني الذي كتبه بعنوان» الدين والدولة في عُمان»، يكشف عن تفاعل العُمانيين مع الأحداث الكبرى التي حصلت للمسلمين منذ دخول الاسلام عمان. ويبحث في الباب الثالث من الكتاب تأثير القرآن في صناعة العقل المسلم الذي يعتمد على الثقافة والتقاليد والتراث عبر مئات السنين، ويرى المؤلف أن أمراض المجتمعات لا يمكن علاجها إلا بعد تفكيك العقل الجمعي المكوّن لها، وهو هنا العقل المسلم، الذي حصلت له فجوة واسعة بينه وبين القرآن عن طريق السياسة، التي أوصلتنا الآن لما نحن عليه من تنازع وتشتت في الرؤي والأهداف والأفكار. وقد أكد العدوي في ختام الكتاب «علينا أن نتحدث عن العلاقة بين الدين والدولة، وليس عن الفصل بينهما، خاصةً؛ عندنا نحن المسلمين، الذين نعيش مجتمعًا تشكلت بنيته بلبنات الدين الصلبة».

تحت ظل الشيماني

– الكاتبة د. سالمة بنت نصيب الفارسية

– عدد الصفحات ٢٧٢ صفحة

– يتكون الكتاب من تمهيد واثنا عشر فصلاً وخاتمة

– نوع الكتاب: دراسة في أدب المكان

"في هذه القرية، وفي نهاية العقد السابع وبداية العقد الثامن من القرن الماضي، تتشكّل شخصيّة كاتبة هذه الذكريات.



قرية تتضخم تفاصيلها محتلة ذكريات طفلة رشفت من حياة أطفال القرية حتى الثمالة. فَجُلُّ مَن يتذكّرها منهم، يتذكّر طفلة طبعتها طبيعة المكان بتفاصيلها: فالشمس أحرقت شعرها، وأهدت عينيها بريقًا من توهجها، والبحرُ ألبسها من تقلُّبِ أمواجه وعطاء أعماقه، وقمم «الشيماني» وهبتها علوّ الطموح وثبات حُبّ المكان والوفاء لأهل القرية «طيوي»، القرية التي مرّت عبرها العديد من الحضارات، حالها كحال أغلب مدن الساحل الشرقي لعُمان، فلذا توشّح سكانها ألوانًا ومزاجات من أعراق شتى، وتشرب أبناؤها ثقافات مختلفة".

جوقة العنادل

- الكاتب / يونس بن مرهون البوسعيدي
- عدد الصفحات ١٥٨ صفحة
- يتكون الكتاب من مجموعة مقالات
- نوع الكتاب: مقالات أدبية

وفي مجال المقالات والشهادات والصحافة والإعلام فقد أصدرت الجمعية كتاب جوقة العنادل. ويقول الكاتب والشاعر العماني يونس البوسعيدي مؤلف الكتاب: "قرابة عقدين هي المسافة الزمنية التي رضيتُ بها كخط بداية مع الشِّعر تقفُ بي بعد الطموح على نَصْل السؤال وتُقلبني في أمواج الحيرة والقلق وعدم الرضا، وكثير من اللامبالاة واللاوفاء لهذا الشعر الأقرب إليَّ منّي، فما عُدْتُ أسأل ماذا أُريدُ منه وماذا يُعطيني، خلعت فكرة الخلود الكلكامشية به، وطأطأتُ هامة الطموحات، وأرخيت وتر الأغنيات والأمنيات، فكأنما قبل الغور في التراب انتثرنا في الرماد (حتى أنت يا بروتوس / الشعر).



أضاميم الأيام

- الكاتب / محمد بن سليمان الحضرمي
- عدد الصفحات ٣٣٠ صفحة
- يتكون الكتاب من مجموعة مقالات
- نوع الكتاب: مقالات في الثقافة العمانية

يضم الكتاب مقالات في الثقافة العُمانية، أدبًا وتاريخًا وحضارة، بتنوع أشكالها وتعدد أدبياتها، فيها شيء من ذاكرة الكاتب



وذكرياته الممتدة إلى تلك الأيام الجميلة. وهي مقالات سَبَكَ مَعَانيها وسَكب أحاسيسه فيها، عاش بعضها في عمله الصَّحفي، وبعضها ضمن اهتماماته القرائية. في هذا الكتاب يتعرّف القارئ على إبداع العُمانيين في رسم المصاحف القرآنية بالخط العماني، وإسهامهم في ذلك بأناقة واحتراف. كما كتب المؤلف عن منظومة «دلالة الحيران»، وعن القصيدة «التائية النورانية في المناهج السلوكية، التي تُعَدّ من القصائد الفريدة في فنها. ووقف الكاتب على نقوش صخريّة في مدن عُمانية حجرية، لم يبق منها غير الصور المحفورة في الصُّخور هي رموز للغة بصرية لها دلالاتها، وخصص بعض الأضاميم للحديث عن الشعراء والأدباء العمانيين.

الهمهمات والهمهموت

- الكاتب / أحمد بن سعيد الأزكي
- عدد الصفحات ١٤٤ صفحة
- يتكون الكتاب من مجموعة مقالات
- نوع الكتاب: مقالات في الدراما والمسرح

يقول الفنان والكاتب العماني أحمد الأزكي عن كتابه: «لقد خرجت الهمهمات والهمهموت من أعماق القلب إلى حوافه بل إنها تجاوزت ذلك بكثير، حتى وإن كانت عن المجال الفني العُماني فقط إلا أنها أضحت شغلاً شاغلاً بالنسبة لنا، ولكل منتسب إلى الفنّ في سلطنة عُمان، فها هي اليوم تدحرج هموماً كثيرة بين كتابة نص وإخراجه وإنتاج عمل فني درامي سينمائي أو تلفزيوني أو عمل مسرحي، بل إلى أكثر من ذلك، كأن تكون هنالك مؤسسات تُعنى بالفن وتقدر دوره في الحياة وتأثيره في المجتمع"

الأخطبوط الأزرق

- الكاتب / رقية البادي
- عدد الصفحات ٧٧ صفحة
- يتكون الكتاب من ١٠ مقاطع روائية للفتيان
- نوع الكتاب: أدب الطفل

لم تهمل الجمعية في اصداراتها الكتب الموجهة للأطفال

واليافعين، وتقول الكاتبة رقية البادي في إحدى المقاطع الروائية: «وليد طالب في الصّفُ السّابع، مجتهد ومحب للقراءة. انقلبت حياته رأسًا على عقب بعد أن سخر منه زملاءُ صَفِّهِ ولقبوه بصاحب الهاتف الغبي، فأصبح هاجسه امتلاك هاتف ذكي ليتسلّى بالألعاب الإلكترونية ويتصفح مواقع التواصل الاجتماعي مثل زملاء صفه.

تحقق حلم وليد بامتلاك هاتف ذكي، إلا أن الهاتف أجبره على التخلّي عن أمور كثيرة مهمة في حياته، وصار الهاتف مثل أخطبوط أزرق يُقيّده ولا يستطيع الخلاص منه. فهل يستطيعُ وليد التَّخلُّص من إدمانه على الهاتف والعودة إلى قراءة الكتب والتَّفَوق؟"

بندر عباس في ذاكرة عُمان السياسية (١٢٠٧-١٢٩٢هـ/١٧٩٣-١٨٧٥م)

- الكاتب / منال بنت حمد القطيطية
- عدد الصفحات ٣٥٣ صفحة
- يتكون الكتاب من أربعة فصول وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة في التاريخ

وتحظى الإصدارات التاريخية والتراثية والحضارة الاجتماعية باهتمام خاص من قبل إدارة الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، وفي هذا الإطار أصدرت الجمعية خلال عام ٢٠٢٤ العديد من الكتب والدراسات نذكر منها هذا الإصدار حيث تنبع أهمية هذه الدراسة من اعتبارات عدة، والتي جرى تناولها في محاور مختلفة من الدراسة، إذ إن هذه المحاور استندت وارتكزت في أساسها إلى اعتبارات سياسية وتجارية بحتة، لا سيما أن بندر عباس كانت تشكل مصدر دخل جيد لحكومة مسقط وقتئذ، وهي التي ستقع بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان في ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م تحت وطأة الظروف المضطربة على المستوى الداخلي لسياسة البلاد، والاقتصاد المتردي؛ جراء انشطار البلاد، وتقسيم الثروات بين ورثة السيد سعيد، لتجد نفسها أمام نزاع متجدد آخر على منطقة بندر عباس مع الحكومة الفارسية.

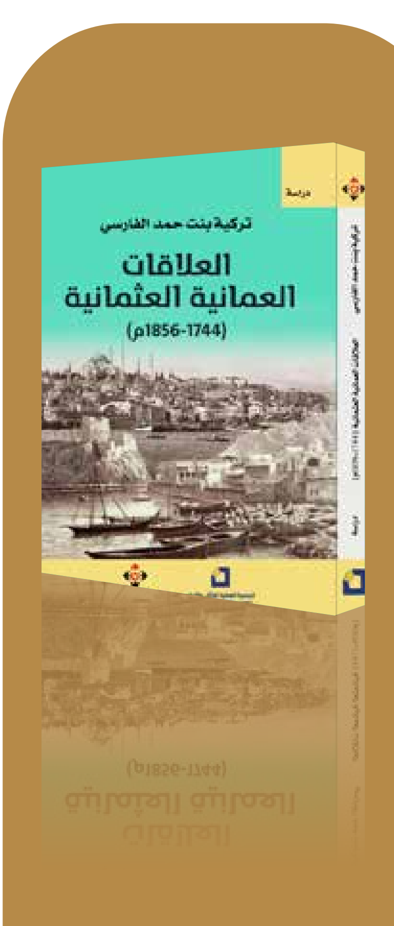
تُعدّ بندر عباس أحد أهم الأقاليم الخارجية التي اعتمدت عليها حكومة مسقط خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وكانت تابعة لعمان بحكم المنفعة والاستثمار المتفق عليه مع البلاط الفارسي.







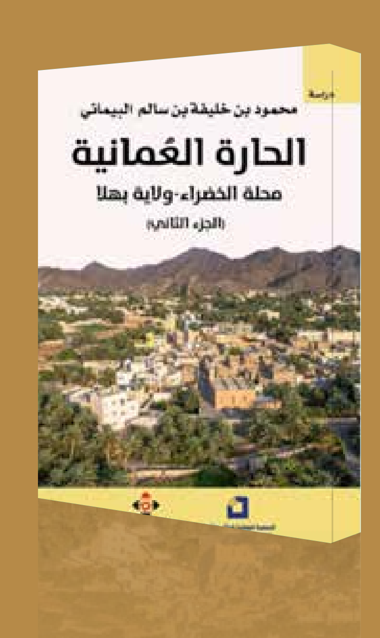
لقد أخذت بندر عباس بُعدًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا من تاريخ عُمان وكانت اعتبارًا رئيسًا في هدوء أو توتر علاقة عُمان بفارس ولقد سعت حكومة مسقط للتمسك بحقها الاستثماري في هذا البندر الاستراتيجي إلى آخر لحظة، بيد أن الحكومة الفارسية كان لها رأي مخالف في مسألة الوجود العُماني على أراضيها، إذ اعتبرته كيانًا أجنبيًا يتوجب اجتثاثه من مناطق سيادة دولة إيران الحديثة آنذاك.



العلاقات العمانية العثمانية (١٧٤٤-١٨٥٦م)

- الكاتب / تركية بنت حمد الفارسية
- عدد الصفحات ٢٣٨ صفحة
- يتكون الكتاب من أربعة فصول وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة في التاريخ

يهدف هذا الكتاب إلى إبراز طبيعة العلاقات العُمانية العثمانية خلال الفترة ١٧٤٤-١٨٥٦م، التي تمثل بداية تأسيس دولة البوسعيد في عُمان بقيادة الإمام أحمد بن سعيد وحتى وفاة السيد سعيد بن سلطان، وهي تعدُّ فترة خصبة شهدت الكثير من مظاهر العلاقات والتواصل بين الطرفين، وذلك من واقع الوثائق العثمانية المهمة التي تكشف لنا طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية والتجارية المتبادلة بين الدولتين، والتي تراوحت بين الود أحيانًا والخلاف أحيانًا أخرى في الفترة التي تعرضت فيها كلٌّ من عُمان والدولة العثمانية لأخطار من قبل القوى المجاورة.



الحارة العمانية.. محلة الخضراء - ولاية بهلا (ج٢)

- الكاتب / محمود بن خليفة بن سالم البيماني
- عدد الصفحات ١٤٠ صفحة
- يتكون الكتاب من أربعة فصول وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة في التاريخ

يتطرق هذا الجزء من كتاب الحارة العمانية إلى الجانب البشري في فتراته القريبة، نهاية القرن التاسع عشر والقرنين العشرين والحادي والعشرين، مع وجود شخصيات خارج هذه



الفترة، ليُبرز زاوية مهمة عزف عن توثيقها الجيل الجديد بسبب مشاغل الحياة وملهياتها، فما كان من الباحث البيماني إلا الشروع والانطلاق في التوثيق والسرد لهذا الإرث العظيم، قبل أن يغيب الموت من بقي من كبار السن الذين يحملونه.

يتناول هذا الجزء شخصيات وأعلامًا مُختارة من محلة الخضراء بولاية بهلا، وذلك بحسب المادة العلميّة المتوافرة التي استطاع البيماني الوصول إليها، وهم الشعراء والفقهاء والقضاة وأصحاب المراجع العلميّة والتاريخيّة، مع ذكر نموذج التعليم في مدرسة القرآن الكريم.

من الزيدية؟ النشأة والتاريخ، التصورات والأصول، العمل والفروع، التأثر والتأثير والأثر

- الكاتب / بدر العبري

- عدد الصفحات ٢٥٥ صفحة

- يتكون الكتاب من أربعة فصول وخاتمة

- نوع الكتاب: دراسة في التاريخ

وجاءت الدراسات الدينية شحيحة إلى حداً ما ضمن اصدارات الجمعية خلال العام، حيث لم يصدر سوى هذا الكتاب: من الزيدية؟ يقول مولفه: «الزيدية» مذهب إسلامي أصيل، تكون مبكرًا، ولأبناء هذا المذهب وجود منتشر في اليمن حتّى اليوم، وتأثيرهم السياسي والفكري والثقافي فيها كبير، ورغم قربنا منهم جغرافيًا إلا أننا نجهل الكثير عنهم، فحاولت الاقتراب من خلال لقاءات مع ثلاثة من باحثيهم ومفكريهم؛ هم: أبو الحسن مجد الدين بن الحسن المؤيدي، ومحمد يحيى عزان، ود. زيد بن عليّ الفضيل. ووزعت هذه اللقاءات بعد تدوينها ضمن أربعة أقسام رئيسة النّشأة والتأريخ والتصورات والأصول، والعمل والفروع، والتأثر والتأثير والواقع المعاصر. ولم أتدخل في أطروحات، الضيوف، وتركت كلاً منهم يعبر عن ذاته.

وبذلك يمكن عد هذا الكتاب مدخلاً للمدارس الإسلامية والباحثين عموماً لفهم المذهب الزيدي؛ ليتضح المشترك وهو الأصل الواسع، والمختلف وهو الطبيعي بين البشر.





الروض البسام

- الكاتب / محمد بن سعيد المخلدي

- عدد الصفحات ٤٨٠ صفحة

- يتكون الكتاب من مجموعة قصائد شعرية

- نوع الكتاب: شعر

اهتمت الجمعية العمانية للكتاب بالإصدارات الشعرية بشكل خاص وضمن هذا الإطار أصدرت الجمعية خلال عام ٢٠٢٤ عدد من عناوين الدواوين والكتب المتميزة نذكر منها هذا الكتاب حيث سلط الضوء على مجموعة قصائد شعرية للشاعر محمد بن سعيد المخلدي ومما جاء فيه

"إن سمائل عمومًا وسرور منها على وجه الخصوص تزخر بالعديد من الكتاب والأدباء الذين كانت لهم بصماتهم المشهودة في تاريخ الأدب العُماني ومسيرته الممتدة منذ أقدم العصور حتى الآن. وإذا كان الشاعر سالم بن ناصر الغافري المعروف بـ«ولد رمثة» الذي عاش قبل أكثر من مئتي عام في سرور هو شاعر المسبّعات الشعبية الكلاسيكية الأوّل في القطر العماني بلا منازع؛ فلعل مواطنه الشاعر محمد بن سعيد المخلدي المتوفى عام ٢٠٢٢م هو آخر شعراء الفصحى الكلاسيكيين في السلطنة الذي ظلّ وفيًّا لمفرداته وصوره الشعرية القديمة التي أقرب ما تكون لمفردات الشعر في العصرين الجاهلي والإسلامي. ويأتي هذا العمل- الذي قام بجمعه وشرحه وتحقيقه مجموعة من الباحثين- ليشكّل الديوان الثاني للشاعر محمد بن سعيد بن عبدالله المخلدي بعد ديوانه الأول الروض الجديد الذي أصدرته إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام والثقافة في قطر عام ١٩٩١م. وكان الشاعر قد كتب تقريضًا لهذا العمل الذي بين أيدينا مؤرّخًا قبل وفاته بأكثر من عشرين عامًا، وفيه يقول

تبسم روض من سحاب المخايل

وفاح بعطر في سماء الخمائل

وعطر فينان القريض شميمه

ينم عليه في الضحى والأصائل

حوى كل أفنان القريض نظامه

يصيح له في الحفل سحبان وائل



صديق الملكة

- الكاتب / زاهر المحروقي

- عدد الصفحات ١٢٥ صفحة

- يتكون الكتاب من مجموعة نصوص

كتب الإعلامي سليمان المعمري عن هذا الكتاب: «التقط زاهر المحروقي برهافة شخصيات مدهشة من محيطه وأخضعها لمجهر الكتابة، متأملاً إيَّاها ومصغيًا إلى أحاسيسها وهواجسها وأحلامها، حتى لتبدو أنها خرجت من بطن رواية مدهشة لا من واقع معيش..» وفي هذا الكتاب–مثلًا– نشاهد الرجل العائش في الأوهام الذي يصنع بالخيال واقعًا آخر غير الذي يعيشه، وفي «آسفة.. أرفض هذه الكرامة» نندهش من المرأة المبتلاة بمعرفة ما يدور في ضمائر الآخرين قبل أن ينطقوه، وفي نص في الوقت نفسه: » أصلي وأقرأ النشرة « يسرد لنا حكايته هو شخصيًا وقد شُوهد في اللحظة نفسها في مكانين مختلفين متباعدين، أما "في مطعم الأوهام العجيبة» فلا يملك القارئ إلا الابتسام وهو يقرأ حكاية المجانين الذين فروا من المستشفى، ثم عادوا إليه بعدد أكبر من الذي هرب وفي «البيوت أسرار» يحبس أنفاسنا بحكاية «الباصر» (هل أقول المشعوذ؟ الذي تمكن من شفاء آلام مبرحة في الظهر بمجرد كشفه غطاء صينية أمامه وغيرها من الحكايات التي اقتنصها المحروقي وعرف كيف يوظفها في سرد مشوق، ما إن تبدأ بقراءته حتى تجد نفسك مجبرًا على المواصلة».



قهقهة على الرصيف.. ما تيسر من سيرة التطواف والسكون

- الكاتب / بدر الشيدي.

- عدد الصفحات ٢٠٧ صفحة

- يتكون الكتاب من مجموعة مقالات

يضم هذا الكتاب ١٨ مقالة تبدأ بمقالة «سحر البداية»، وتختتم بمقالة «نهايات ملتبسة»، وبين البداية الساحرة والنهايات الملتبسة أمور كثيرة، ومن بينها: رحلة الشيدي إلى بريطانيا لدراسة الماجستير ورحلته إلى المغرب التي سكنته منذ أن قضى بها سنوات دراسته الجامعية.

ووفقًا للكاتب فإن هذه المقالات هي سرد لما رأى أو سمع أو



تدوين لما خطر بباله، فيها رصد ومتابعات للحظات، وفيها استرجاع لما مضى. وهي لم تخضع لتسلسل يومي أو ترتيب معين، بل أملتها الظروف ومساحة الوقت المتاحة، وصاغتها سياقات أزمنة وأمكنة مختلفة.

الثقافة العُمانية في اليونسكو

- تحرير / د. سليمان المحذوري د. حميد النوفلي
- عدد الصفحات ١٦٠ صفحة
- يتكون الكتاب من مقالات في التراث الثقافي العماني

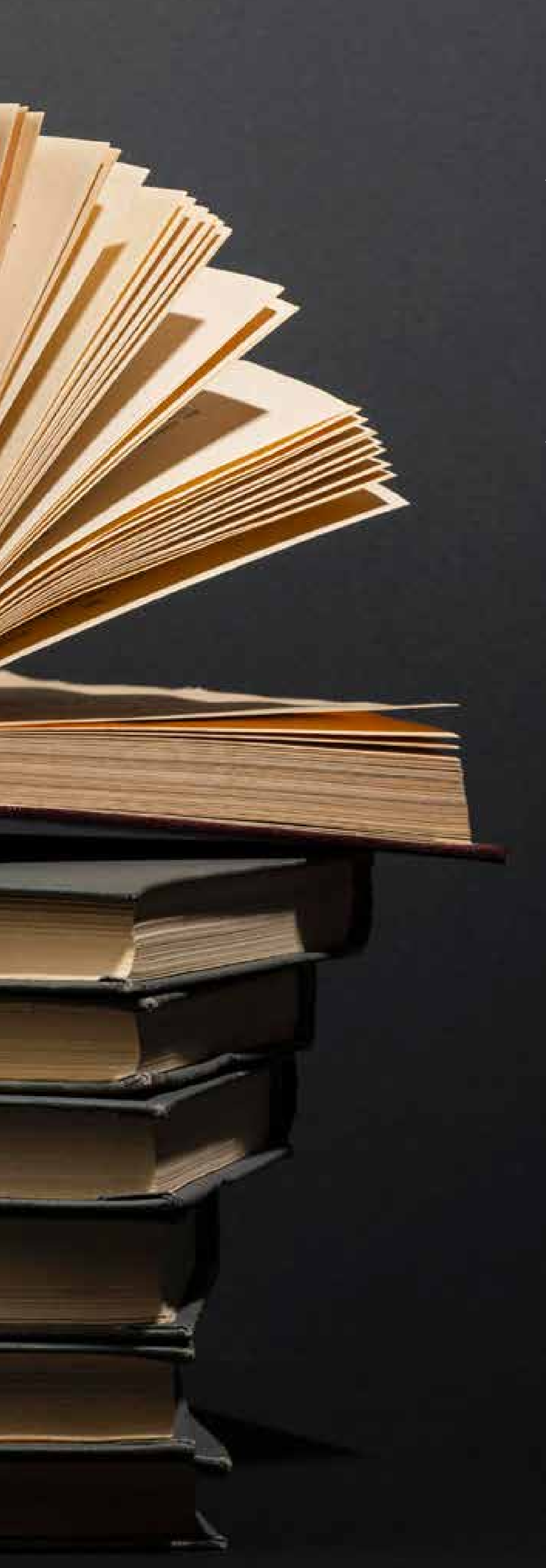
أثبتت التجربة الثقافيّة العُمانية حضورها الرصين والمتزن في المحافل الدولية عموما وفي اليونسكو خصوصًا، كما كانت برهانًا ساطعًا على عمق عُمان الحضاري الذي يمثل هويتها المتميزة والقيمة الحقيقيّة لإنسانها المبدع على مرّ العصور الأمر الذي انعكس من خلال وجود عدد من عناصر الثقافة العمانية في قوائم اليونسكو المتوّعة، وفي المشاركة العُمانية الفاعلة في لجان المنظمة وبرامجها.

وفيما يخص التسجيل العُماني على قوائم اليونسكو نجد تفاوتًا واضحًا، ففي حين أنّ سلطنة عُمان تمكّنت من تسجيل ست من شخصيّاتها التاريخيّة ضمن الشّخصيّات المؤثرة عالميًا حائزة بذلك قصب السبق والتفوق عربيًا وكذا في تسجيل رموز التراث الثقافي غير المادي؛ فقد نجحت-أيضًا- في إدراج ثلاثة عشر عنصرًا في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادّيّ للإنسانية في اليونسكو، سواء كانت مفردات عُمانية صرفة أو بالاشتراك مع دول عربية أخرى. كما أن هنالك خمسة مواقع أثرية عُمانية على لائحة التّراث المادّيّ العالميّ؛ غير أن عُمان متأخرة في تسجيل تراثها الوثائقي على سجل ذاكرة العالم بملف واحد فقط، مع يقيننا بأن العمل جار والجهود متواصلة.



خلف بن سنان حياته وشعره

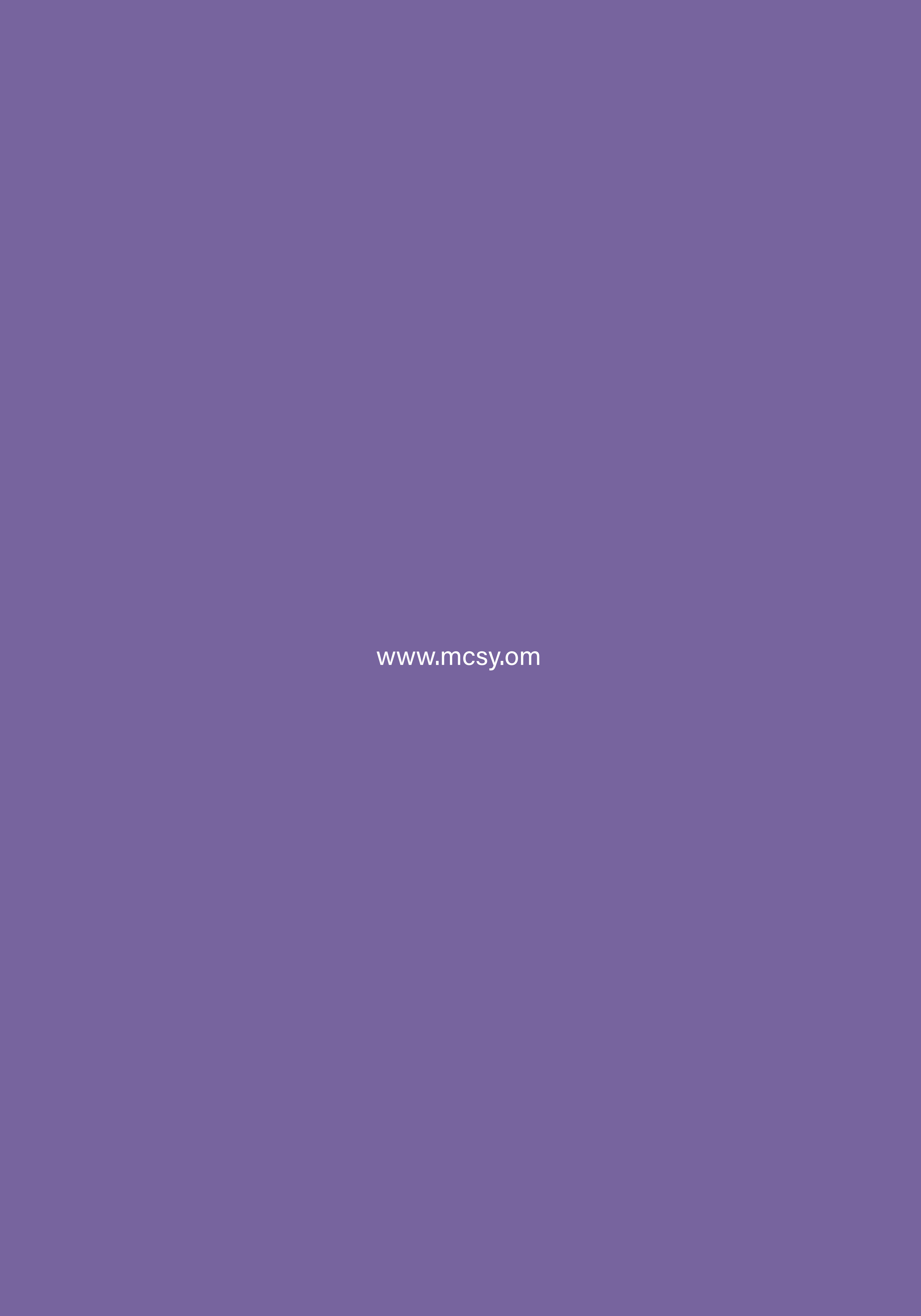
- الكاتب / جمال النوفلي
- عدد الصفحات ٢٠٧ صفحة
- يتكون الكتاب من ثلاثة فصول وخاتمة
- نوع الكتاب: دراسة السير



يمثل هذا الكتاب إضافةً إلى المكتبة العُمانية عن الشيخ الشاعر العلامة خلف بن سنان الغافري، وسيجد القارئ نفسه تسرح بين حوافر الخيول في المعارك وحضارة العصر في بلاط الأئمة في قصر جبرين وحصن الحزم، وتشهد مجالس الحرب في القلعة الشهباء، ثم يجد الشاعر محذرًا من مغبة الخلاف والشقاق، وناصحًا الأمة والناس ممّا تراكم في حياته من عبر السنين وطول الزمان.

لم يكن ابن سنان بمعزل عن الأحداث السّياسية في دولة اليعاربة، وإنما ظل رهينًا لها طوال حياته، وهي المُفجر الأساسي لينبوع شعره؛ سواء في المدح الذي احتل غالب شعره، أو في الأغراض الأخرى التي نظم فيها بعض قصائده.

كل هذه الكتب تمثل إضافة قيمة للمكتبة العمانية وتؤكد على الجهود المبذولة لتعزيز الثقافة والمعرفة في المجتمع العماني. ومما يجب ذكره في ختام هذا التطواف أن إدارة الجمعية العمانية للكتاب والأدباء تسعى، خلال الفترة المقبلة، لاستكمال خطة النشر ودعم إنتاج المبدعين العمانيين والعرب، بنشر المزيد من الأبحاث والكتب في جميع مجالات الثقافة والمعرفة والأدب، وعقد الندوات وورش العمل ولجان المناقشة للأعمال الصادرة بهدف تحسين جودة الأعمال في كل عمل جديد ليكون أفضل من كل ما سبق.


www.mcsy.om